

TIGHT BINDING BOOK

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190415

UNIVERSAL
LIBRARY

Osmania University Library

Call No ۸۹۲۵۷۵

Accession No ۱۵۲۹۱

Author

ابن حبان التوحیدی - ج ۱

۱۵۲۹۱

Title الامتناع والموانع - المجلد الثانی

This book should be returned on or before the date last marked below

بجدة النايف والترجمة والنشر

كتاب

الامتياز والواجب

تأليف

أبي حيان التوحيدي

وهو مجموع مساهمات في فنون شتى
من الأدب واللغة والتاريخ والسياسة والفلسفة
حاضر المؤلف بها الوزير أبا عبد الله العارض في أربعين ليلة

الجزء الثالث

صححه وضبطه وحققه وشرح غريبه ورتب فهارسه
أحمد أمين ، أحمد الزين

القاهرة

مطبعة النايف والترجمة والنشر

بجته التأليف والترجمة والنشر

كتاب

الامتياز والموانيسه

تأليف

أنى حيان التوحيدى

وهو مجموع مسامرات فى فنون شتى
من الأدب واللغة والتاريخ والسياسة والفلسفة
حاصر المؤلف بها الورير أما عند الله العارص فى أربعين ليلة

الجزء الثالث

صححه وضبطه وحققه وشرح غريبه ورتب فهرسه
أحمد أمين ، أحمد الزين

القاهرة

طبعة لجنه التأليف والترجمة والنشر

١٩٤٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« بقية الليلة الحادية والثلاثين في آخر الجزء الثاني »

ثمّ تَراعى الحديث إلى أمرِ الْمُطْعَمِينَ وَالطَّاعِمِينَ^(١) ، والذين يَهْشُونَ^(٢) عند (٥) المائدة ، والذين يَعْمِسُونَ^(٣) وَيَجْمُونَ وَيُطْرِقُونَ ، والذين يَصْخَبُونَ^(٤) وَيَلْغَطُونَ ، وَيَضْجُرُونَ وَيَغْتَاطُونَ .

فقال : أحبُّ أن أسمعَ في هذا أكثرَ ما فيه ، ويمرُّ بي أعجبه ، فإن في معرفة هذا الباب تهذيباً وإيقاظاً كثيراً .

فكان من الجواب : إنَّ الناسَ قديماً وحديثاً قد خاضوا في هذا الفنّ خوضاً بعيداً ، وما وقَّفوا منه عند حدٍّ ، لأنَّ الحديثَ عن الأخلاقِ المختلفةِ بالأمرجة^(٥) المتباعدة ، والطباعِ المتناقضة لا يكاد ينتهي إلى غاية يكون فيها شفاءٌ للمستمع المستفيد [و] لا للراوية المفيد .

قال : قبل كل شيء أعلمونا^(٦) يا أصحابنا ، الحثُّ على الأكل أحسن ، أم الإمساك حتى يكون من الأكل ما يكون ؟

وسكان [من] الجواب : أن هذه المسئلة بعينها جرَّت بالأمس بالرأى عند

(١) في (١) بالطاعمين ، والباء محرفة عن الواو كما هو ظاهر من السياق .

(٢) في (١) يمشون ، وهو تحريف .

(٣) في (١) « يعمشون » ؛ وهو تصحيف .

(٤) في (ب) « بضجون » .

(٥) في كلتا النسختين بالأزمنة ؛ وهو تحريف .

(٦) في (ب) « إعلمونا » ؛ وهو تحريف .

أَبْنُ عَبَّادٍ فُتُوهُبَ الْكَلَامُ فِيهَا ، وَأَقْضَى [إِلَى] أَبِ الْأَوَّلَى الْحَثِّ وَالنَّائِسِ
وَالْبَسِطِ وَالطَّلَاقَةِ وَلَيْنُ اللَّفْظِ وَقِلَّةُ التَّحْدِيقِ وَاسْتِجَابَةُ الطَّرْفِ مَعَ [اللَّطْفِ]
وَالذِّمَّانَةِ ، مِنْ غَيْرِ دَلَالَةٍ عَلَى تَكَلُّفٍ فِي ذَلِكَ فَاضْهِحْ ^(١) وَلَا إِمْسَاكٍ ^(٢) عَنْهُ قَادِحٌ .
وَحَكَى أَبْنُ عَبَّادٍ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَنَّ بَعْضَ السَّلَفِ قَالَ : الطَّعَامُ أَهْوَنُ مِنْ
أَنْ يُحْتَّ عَلَى تَنَاوُلِهِ .

وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ : الطَّعَامُ أَجَلٌ مِنْ أَنْ لَا يُحْتَّ عَلَى تَنَاوُلِهِ . وَمَذْهَبُ
الْحَسَنِ أَحْسَنُ .

قَالَ : وَاقْدِ حَضَرْتَ مُوَأْدَ نَاسٍ لَا أَظُنُّ بِهِمُ الْبِخْلَ فَلَمْ يُحْثُوا وَلَمْ يَبْسُطُوا
فَقَبَصَنِي ذَلِكَ ، وَكَأَنَّ أَنْتِقَاضِي كَانَ بِمَعْوَتِهِمْ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بِإِرَادَتِهِمْ
قَالَ الْوَزِيرُ : هَذِهِ فَائِدَةٌ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يُتَهَادَى فَوَلَهُ ، وَتُرَاوَى
أَخْبَارُهُ ^(٣) .

ثُمَّ حَكَيْتُ لَهُ أَنَّ أَسْمَاءَ بِنَ خَارِجَةَ قَالَ : مَا صَنَعْتُ طَعَاماً قَطُّ فَدَعَوْتُ
عَلَيْهِ نَفَرًا إِلَّا كَانُوا أَمِنَ عَلَيَّ مِنْهُمْ عَلَيْهِمْ . فَقَالَ : زِدْنَا مِنْ هَذَا الضَّرْبِ
مَا كَانَ ، قُلْتُ : لَوْ أُذِنَ لِي فِي جَمْعِهِ كَانَ أَوْلَى ؛ قَالَ : لَكَ ^(٤) ذَلِكَ فَمَا
يُضُرُّنَا ^(٥) أَنْ تُطْرِبَ آذَانُنَا بِمَا تَهْوَى نَفْسُنَا .

فَكَانَ مِنَ الْجَوَابِ أَنَّ الْجَاظَ قَدْ أَتَى عَلَى جَهْرَةٍ هَذَا الْبَابِ إِلَّا مَا شَدَّ عَنْهُ

(١) فِي (١) نَاصِحٌ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي (١) « الْإِمْسَاكُ » وَلَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْمَعْنَى .

(٣) فِي (١) وَيُتْرَاوَى اخْتِيَارُهُ .

(٤) فِي (١) « إِلَى » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٥) فِي (١) « يَنْصُرُنَا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

مَعًا لَمْ يَقَعْ إِلَيْهِ ، فَإِنَّ الْعَالِمَ - وَإِنْ كَانَ بَارِعًا - لَيْسَ يَجُوزُ أَنْ يُظَنَّ
[به] أَنَّهُ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ نَابٍ ، أَوْ بِالْبَابِ الْوَاحِدِ إِلَى آخِرِهِ ؛ عَلَى أَنَّهُ حَدَّثَ
مَنْ عَهْدَ الْجَاحِظِ إِلَى وَقْتِنَا هَذَا أُمُورٌ وَأُمُورٌ ، وَهَنَاتٌ وَهَنَاتٌ ، وَغَرَائِبُ
وَعَجَائِبُ ، لِأَنَّ النَّاسَ يَكْتَسِبُونَ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ عَادَةً جَدِيدَةً ،
وَحَلِيقَةً غَيْرَ مَعْمُودَةٍ ، وَبَدَأَ هَذِهِ الْمِثْنِ (١) هُوَ الْوَقْتُ الَّذِي فِيهِ نَنْفَعِدُ شَرِيعَةً ،
وَتُظْهِرُ نَبْوَةً ، وَتَقْشُرُ أَحْكَامَ ، وَتَسْتَقِرُّ سُنَنٌ ، وَتُؤَلَّفُ أَحْوَالُ (٢) بَعْدَ طَافٍ
شَدِيدٍ وَتَلَكُّوْ وَاوَعٍ ؛ ثُمَّ عَلَى أَسْتِنَانِ ذَلِكَ يَكُونُ مَا يَكُونُ .

وَقَالَ مَبْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ : مَنْ ضَافَ الْبَغْيَالَ صَامَتَ دَابَّتُهُ ، وَأَسْنَعُنِي عَنِ
الْكَنْيَمِ ، وَإِمِنْ التَّخَمَةِ .

وَقَالَ حَامِدُ (٣) اللَّفَّافِ الْمُتَزَهِّدِ (٤) : الْمَرَأَى إِذَا ضَافَ إِنْسَانًا حَدَّثَهُ بِسَخَاوَةِ
إِبْرَاهِيمَ ، وَإِذَا ضَافَهُ إِنْسَانٌ حَدَّثَهُ بِزُهْدِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ .

وَقَالَ مَالِكُ (٥) بْنُ دِيْمَارٍ : دَخَلْنَا عَلَى أُنْ سَيْرِينَ فَقَالَ : مَا أَذْرِي
مَا أَطْعُمُكُمْ ؟ ثُمَّ قَدَّمَ (٦) إِلَيْنَا شَهْدَةً .

وَقَالَ الْأَعْمَشُ : كَانَ خَيْثَمَةُ يَصْنَعُ الْخَبِيصَ ثُمَّ يَقُولُ : كُلُوا فَوَاللَّهِ مَا صُنِعَ
إِلَّا مِنْ أَجْلِكُمْ .

وَقَالَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأُمَزِيُّ (٧) : أَحَقُّ النَّاسِ بِلَطْمَةٍ مَنْ إِذَا دُعِيَ إِلَى طَعَامٍ

(١) فِي (١) وَبَدَّهَرَهُ الْمِثْنِ . وَفِي (ب) وَيَدَّهَرَهُ الْمِثْنِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ
وَمَا أَثْبَتْنَاهُ هُوَ مَا يَقْتَضِيهِ سِيَاقُ السَّكَلَامِ . (٢) فِي (ب) « أَحْكَامٌ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) هِيَ كَذَا فِي كَلَامِ الْأَصْلِيِّ ؛ وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ السَّكَلَةُ فِي الْجُزْءِ الثَّانِي مِنْ هَذَا السَّكَلَتَابِ
ص ٦٩ مَنْسُوبَةٌ إِلَى حَاتِمٍ ، أَيْ حَاتِمِ الْأَصَمِّ .

(٤) فِي (ب) « الزَّاهِدُ » . (٥) فِي (١) « حَالِدٌ » ؛ وَهُوَ تَبْدِيلٌ مِنَ النَّاسِخِ

(٦) فِي (ب) « أَخْرَجَ » ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا .

(٧) فِي (١) « الْمَرءُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

ذَهَبَ بآخر معه ، وأحقهم بَطْمَتَيْنِ مَنْ إذا قيل له : اجلس هاهنا قال : بل هاهنا ؛ وأحق الناس بثلاثِ لَطَمَاتٍ مَنْ إذا قيل له : كُلْ ، قال : ما بالُ صاحبِ البَيْتِ لا يَأْكُلُ مَعَنَا .

وقال إبراهيم بن الجُنَيْد^(١) : كَانَ يَقَالُ : أَرَبَعٌ لَا يَنْبَغِي لِشَرِيفٍ أَنْ يَأْتَفَ مِنْهُمْ وَإِنْ كَانَ أَمِيرًا : قِيَامُهُ مِنْ مَجْلِسِهِ لِأَيِّبِهِ ، وَخِدْمَتُهُ لِلْعَالِمِ يَتَعَلَّمُ مِنْهُ ، وَالسُّؤَالُ عَمَّا لَا يَعْلَمُ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ ، وَخِدْمَةُ الضَّيْفِ بِنَفْسِهِ إِكْرَامًا لَهُ .

وقال حاتم الأصم^٢ : كَانَ يَقَالُ : الْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا فِي خَمْسٍ فَإِنَّهَا مِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِطْعَامِ الضَّيْفِ إِذَا حَلَّ ، وَتَجْهِيْزِ الْمَيِّتِ إِذَا مَاتَ ، وَتَزْوِيجِ الْبِكْرِ إِذَا أَدْرَكَتْ ، وَقِصَاءِ الدِّينِ إِذَا حَلَّ وَوَجَبَ ، وَالتَّوَنُّةِ مِنَ الذَّنْبِ إِذَا وَقَعَ .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : ” لَيْلَةُ الضَّيْفِ حَقٌّ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ، فَمَنْ أَصْبَحَ بِفَنَائِهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ إِنْ شَاءَ أَخَذَ ، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ “ .

وجاءت امرأة إلى الليث بن سعد وفي يدها قَدَحٌ ، فسألتُ عَسَلًا وقالت : زَوْجِي مَرِيضٌ ؛ فَأَمَرَهَا بِرَاوِيَةِ عَسَلٍ^(٢) ؛ فَقَالُوا : يَا أَبَا الْحَرثِ : إِنَّمَا تَسْأَلُ قَدَحًا . قَالَ : سَأَلْتُ عَلَى قَدْرِهَا وَنُعْطِيهَا عَلَى قَدَرِنَا .

خَرَجَ ابْنُ الْمُبَارَكِ يَوْمًا إِلَى أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ لَهُمْ : نَزَلَ بَنُو ضَيْفِ الْيَوْمِ فَقَالَ : اتَّخَذُوا لِي فَالْوَدَجَا ؛ فَسَرَرْنَا ذَلِكَ مِنْهُ .

(١) و (١) « ابن الحنبل » ، وهو تصحيف . وقد سبق كلامه هذا في الجزء الثاني من هذا الكتاب صفحة ٦٨ سطر ١١ .

(٢) هذه الكلمة في (١) لم يظهر منها إلا بعض حروفها وفي (ب) مطموسة كلها .

وقال الحسنُ في الرَّجُلِ يَدْخُلُ بَيْتَ أَخِيهِ فَيَرَى السَّلَّةَ فِيهَا الْعَاكِهَةَ :
لَا بَأْسَ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْتَأْذِنَهُ .

وقال ابنُ عمر : أُهْدِيَتْ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى آلِهِ -
شاةٌ فَقَالَ : أَخِي فَلَانُ أَحْوَجُ إِلَيْهَا ، وَبَعَثَ بِهَا إِلَيْهِ ، فَلَمْ يَزَلْ ^(١) يَبْعَثُ بِهَا
وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ حَتَّى تَدَاوَلَهَا تِسْعَةُ أَلْبِيَاتٍ ، وَرَجَعَتْ إِلَى الْأَوَّلِ ، فَنَزَلَتْ
الآيَةُ : (وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ مِنْهُمْ خَصَاصَةٌ) .

قال أبو سعيد الخُدْرِيُّ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ كَانَ لَهُ
ظَهْرٌ فَلْيَعُدْ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ ؛ وَمَنْ كَانَ لَهُ رَأْدٌ فَلْيَعُدْ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ ،
حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ عِنَّا فِي الْفَصْلِ ^(٢) " .

وَسُئِلَ ابْنُ عُمَرَ : مَا حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ ؟ قَالَ : أَلَّا يَشْبَعَ وَيَجُوعَ ،
وَأَلَّا يَلْبَسَ وَيَعْرَى ، وَأَنْ يُوَسِّيَهُ بِبَيْضَانِهِ وَصَفْرَانِهِ .

وَكَانَ ابْنُ أَبِي بَكْرَةَ يُنْفِقُ عَلَى جِيرَانِهِ أَرْبَعِينَ دَارًا سِوَى سَائِرِ نَفَقَاتِهِ ،
وَكَانَ يَبْعَثُ إِلَيْهِمُ بِالْأَضَاحِيِّ وَالْكُسُوفَةِ فِي الْأَعْيَادِ ، وَكَانَ يُعْتَقُ فِي كُلِّ يَوْمٍ
عِيدٍ مِائَةَ مَمْلُوكٍ .

وَكَانَ حَمَادُ بْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ مُفْطَّرَ كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ خَمْسِينَ إِبْسَانًا ،
وَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْفِطْرِ كَسَاهُمْ ثَوْبًا ثَوْبًا وَأَعْطَاهُمْ مِائَةَ مِائَةٍ
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

أَرَاكَ تَوَمَّلَ حُسْنَ الثَّنَاءِ . وَلَمْ يَرْزُقِ اللَّهُ ذَاكَ الْبَخِيلَا .

(١) سياق الكلام يفيد أن الثاني قال مثل ما قال الأول ، وبعث بالشاة إلى أخ ثالث ،
وحذف ذلك للعلم به .

(٢) يريد بالفضل هنا : ما فضل من المال وراود .

وكيف يسود أخو بطنية يَمُنُّ^(١) كثيراً ويعطى قليلاً

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "تجافوا عن ذَنْبِ السَّخِيّ، فإن الله يأخذُ بيده كلما عثر".

وقال عليه السلام: "من أدّى الزَّكَاةَ، وقَرَى الضَّيْفَ، وآوَى^(٢) في النائبة فقد وُقِيَ شُحُّ نفسه".

وقالت أُمُّ الْيَمِينِ أُخْتُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ: أَفٍ لِلْبُخْلِ، لو كان طريقاً ما سَلَكَتُهُ، ولو كان ثوباً ما لبِستُهُ، ولو كان سراجاً ما أَسْتَضَاتُّهُ.

وقال الأصمعيّ: قال بعضُ العرب: ليست الْفِتْوَةُ الْمِسْقَ وَلَا الْمُجُورُ، وَلَا شُرْبُ الْخُمُورِ، وَإِمَاعُ الْفِتْوَةِ طَعَامٌ مَوْضُوعٌ، وَصَنِيعٌ مَصْنُوعٌ، وَمَكَانٌ مَرْفُوعٌ، وَلِسَانٌ مَعْسُولٌ، وَبَائِلٌ مَبْدُولٌ، وَعَقَافٌ مَعْرُوفٌ، وَأَدَى مَكْمُوفٌ.

وقال أبو حارم المدني: أَسْعَدُ النَّاسِ بِالْخُلُقِ الْحَسَنُ صَاحِبُهُ، نَفْسُهُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ، ثُمَّ زَوْجَتُهُ، ثُمَّ وَلَدُهُ، حَتَّى إِنْ فَرَسَهُ لِيَصْهَلَ إِذَا سَمِعَ صَوْتَهُ، وَكَلْبُهُ يُشْرِشِرُ ذَنْبَهُ إِذَا رَأَاهُ، وَفَطَّةٌ يَدْخُلُ [تَحْتَ] مَائِدَتِهِ، وَأَنَّ الشَّيْءَ الْخُلُقُ لِأَشَقِّ النَّاسِ، نَفْسُهُ مِنْهُ فِي بَلَاءٍ، ثُمَّ زَوْجَتُهُ، ثُمَّ وَلَدُهُ، ثُمَّ حَدَمُهُ، وَإِبْنُهُ لِيَدْخُلَ وَهُمْ فِي سُرُورٍ فَيَتَفَرَّقُونَ فَرَقاً مِنْهُ، وَإِنَّ دَابَّتَهُ لَتَحْجِدُ عَنْهُ إِذَا رَأَتْهُ، مِمَّا رَأَى مِنْهُ، وَكَلْبُهُ يَنْزُو عَلَى الْجِدَارِ، وَقِطْعُهُ يَفِرُّ مِنْهُ.

وكان على باب ابن كيسان مكتوب: ادْخُلْ وَكُلْ.

(١) هذه الكلمة مطموسة في (١) ولم يظهر منها في (ب) غير النون؛ وما أُنْتَبَهَ هو المناسب للسياق.

(٢) في (١) وأدى؛ وهو تحريف.

وكانت عائشة رضى الله عنها تقول فى بكائها [على النبى صلى الله عليه وسلم] :
 أبى من لم ينم على الوثير ، ولم يشبع من خبز الشعير .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : ”إن الله لم يخلق وعاء ملى شهراً من بطن ،
 فإن كان لابد فاجعلوا ثلثاً للطعام ، وثلثاً للشرب ، وثلثاً للريح“ . قال الشاعر :

ليسوا يبألون إذا أصبحوا شبعى بطناً حق من ضيعوا^(١)

ولا يبألون بمولاهم والكلب فى أمواههم يرتع

وحكى لنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم مجرىجان [إمام الدنيا] قال : رأيتُ
 أبا حليفة المفضل^(٢) بن الجباب ، وقد دعى إلى وليمة فرأى الصحاف توضعُ
 وترفع ، فقال : أللحسن والمنظر دُعينا ، أم للأكل والمخبر ؟ فقبل : بل
 للأكل والخبر ، قال : فاتركوا الصخفة يبلغ قعرها .

وكان سليمان بن ثوبة ضخم الخوان ، كثير الطعام ، وافر الرغيف ،
 وكان معجباً بإجادة الألوان ، وأتخذ البدائع والطرائف والغرائب على مائدته ؛
 وكانت له صروب من الحلوى لا تعرف إلا به ، وكان خبره الذى يوضع على
 المائدة الرغيف من مكوك^(٣) دقيق ، ولذلك قال أبو فرعون العدوى :

ما الناس إلا نبط وخوزان^(٤) ككهس أو عمر بن عمران

(١) فى (١) « صنعوا » ؛ وهو تصحيف .

(٢) فى (١) المفضل بن الحيان ؛ وهو تحريف .

(٣) المكوك : من مكابيل العراق ، وهو صاع ونصف أو هو ثلاث كيلجات والكيلجة
 منا وسبعة أثمان منا ، والمنا رطلان .

(٤) لعله يريد بالخوزان : أهل خوزستان ، وهم — فيما يقال — ألأم الناس وأسقطهم
 نقوساً .

(١) ضَاقَ جِرَابِي عَنْ رَغِيفِ سَلْمَانَ (٢) أَيْرُ حَمَارٍ فِي حِرِّ أُمِّ قَحْطَانٍ
وَأَيْرُ بَغْلٍ فِي أُسْتِ أُمِّ عَدْنَانَ
(٣)

وَعَشِقَ رَجُلٌ جَارِيَةً رُومِيَّةً كَانَتْ لِقَوْمِ ذَوِي يَسَارٍ ، فَكَتَبَ إِلَيْهَا
يَوْمًا : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، عِنْدِي الْيَوْمَ أَصْحَابِي ، وَقَدْ أَشْتَهَيْتُ سَكْبَاجَةً (٤) بَقْرِيَّةً
فَأَحِبُّ أَنْ تُوَجِّهَنِي إِلَيْنَا بِمَا يَكْفِينَا مِنْهَا ، وَدَسْتَجَّةً (٥) مِنْ نَبِيذٍ لِنَتَغَذَّى
وَنَشْرَبَ عَلَى ذِكْرِكَ ، فَلَمَّا وَصَلَتِ الرِّقْعَةُ وَجَّهَتْ إِلَيْهِ بِمَا طَلَبَ ؛ ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهَا
يَوْمًا آخَرَ : فِدَاكَ نَفْسِي ، إِخْوَانِي مُجْتَمِعُونَ عِنْدِي ، وَقَدْ أَشْتَهَيْتُ قَلِيلَةً جَزُورِيَّةً ،
فَوَجَّهَنِي بِهَا إِلَيَّ وَمَا يَكْفِينَا مِنَ النَّبِيذِ وَالنَّقْلِ ، لِيَعْرِفُوا مَنْزِلَتِي عِنْدَكَ ، فَوَجَّهْتُ
إِلَيْهِ بِكُلِّ مَا سَأَلَ ؛ ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهَا يَوْمًا آخَرَ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، قَدْ أَشْتَهَيْتُ أَنَا
وَأَصْحَابِي رَهُوسًا سَمَانًا ، فَأَحِبُّ أَنْ تُوَجِّهَنِي إِلَيْنَا بِمَا يَكْفِينَا ، وَمِنْ النَّبِيذِ بِمَا
يُرْوِينَا ؛ فَكَتَبْتُ الْجَارِيَةَ عِنْدَ ذَلِكَ : إِنِّي رَأَيْتُ الْحُبَّ يَكُونُ فِي الْقَلْبِ ،
وَحُبُّكَ هَذَا مَا تَجَاوَزَ الْمَعْدَةَ . وَكَتَبْتُ أَسْفَلَ الرِّقْعَةِ :

عَذِيرِي مِنْ حَبِيبٍ (٦) جَا ءَنَا فِي زَمَنِ الشَّدَّةِ

(١) فِي (١) صَارَ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) سَلْمَانٌ ، أَيْ سَلْيَانٌ ؛ وَهِيَ لَفَةٌ فِيهِ .

(٣) وَرَدَ مَوْضِعُ هَذِهِ النُّقْطِ فِي (١) وَحَدَّثَهَا كَلَامُ هَذَا نَصِّهِ : أَنْزَلَ بِقَوْمِ قَفْرَةٍ صَامٍ
وَلَمْ يَأْتُوهُ بِهِ وَلَكِنْ دَلَّوْهُ عَلَى مَوْضِعِهِ ، وَقَالُوا لَهُ : أَذْهَبَ مَا مِنْهُ وَكَأَنَّهُ يَذِمُّ أُمَّ مَبُوءًا :

إِذَا دَعَيْتَ بِمَا فِي الْبَيْتِ قَالَتْ نَحْنُ مِنَ الْجُدَالِ وَمَا حَيِّتْ

وَلَا يَخْفَى مَا فِي هَذَا كُلِّهِ مِنَ التَّحْرِيفِ الْكَثِيرِ وَقَدْ بَحَثْنَا عَنْهُ فِي مُخْتَلَفِ الْمَصَادِرِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا
فَلَمْ نَجِدْهُ . (٤) السَّكْبَاجَةُ : مَرْقٌ يُصْنَعُ مِنَ اللَّحْمِ وَالْحَلِّ .

(٥) وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي (١) مُهْمَلَةً الْحُرُوفِ مِنَ النُّقْطِ ، وَفِي (ب) « دَسَجَةٌ » ؛
وَالْعُصَابُ مَا أَتَيْتَنَا . وَالدَسْتَجَةُ : لِنَاءٌ كَبِيرٌ مِنْ زُجَاجٍ فَارَسِيَّتُهُ دَسْتُهُ .

(٦) فِي (١) « حَيْثُ » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

وكان الحُبُّ في القلبِ فصارَ الحُبُّ في المغَدَّةِ

وقال جرير: ^(١)

ولا يَذْبَحُونَ الشاةَ إلا بِمَيْسِرٍ ^(٢) كثيرٌ تَفاجيها لِئَامٌ قُدُورُها

وقالت عادية ^(٣) بنتُ فَرَعةَ الزَّبيريةَ في ابنها دَوْسُ :

تَشْبهُ ^(٤) دَوْسُ نَفَرًا كَرَامًا

كَانُوا الذَّرَى وَالْأَنْفَ وَالسَّامَا

كَانُوا لِمَنْ حَالَطَهُمْ إِذَا مَا

كَالَسَمَنْ لَمَّا سَغَبَلِ الطَّعَامَا

يقال سَغَبَلَ رَأْسَهُ [بِالذَّهْنِ] وَسَغَسَعَهُ ^(٥) وَرَوَّاهُ وَأَمْرَعَهُ ^(٦) .

قال الواقدى : فيل لَأَمْ أَيُوبَ : أَيْ الطَّعَامِ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَدْ عَرَفْتُمْ ذَلِكَ بِمُقَامِهِ عِنْدَكُمْ ؟ فَقَالَتْ : مَا رَأَيْتُهُ أَمَرَ بِطَعَامٍ

(١) البيت لفسان بن دهل يهجو جريرا وقبله :

لعمري لئن كانت بحيلة رانها حرير لقد أخرى كلييا حريرها

إذا نرعت يوما كليب وسومت نقاعس في طهر الأثاث معيرها

رأيت كلييا يعرف اللؤم ريحها إذا اسود بين الأملحين جعورها

ولا يدبحون الساة الخ ...

انظر الجزء الأول من ديوان حرير ص ١٣٤ طبع المطبعة العلمية

(٢) في (١) « بمئزر » ؛ وفي (ب) « بمئسر » نالون وهو تخريف في كلتا السختين

والتصويب عن ديوان حرير ج ١ ص ١٣٤ طبع المطبعة العلمية . يريد أن ذبح الشاة عديم أمر

ذو مال لا يعلونه إلا بواسطة قذاح الميسر التي يشترك فيها الجمع وتغرق بينهم كل نصيبه كما :

يدبح الجزور في رمس الجذب والقحط .

(٣) كذا ورد هذا الاسم في كلتا السختين .

(٤) في (١) « أسه » ؛ وهو تصحيف .

(٥) في (ب) « وسوسعه » بمهملتين ؛ والمعنى واحد .

(٦) كذا في (ب) وكتب اللغة والنبي في (١) « وأمرعه » بالعين المعجمة .

يُصَنِّعُ لَهُ بِعَيْنِهِ ، وَلَا رَأْيَناهُ أَتَى بِطَعَامٍ فَعَابَهُ قَطْ . وقد أَخْبَرَنِي أَبُو أَيُّوبَ أَنَّهُ تَعَشَّى عِنْدَهُ لَيْلَةً مِنْ قِصْعَةِ أَرْسَلٍ بِهَا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ [فِيهَا] طَفَيْشَلٌ ^(١) فَرَأَيْتُهُ يَنْهَكَ تِلْكَ الْقِصْعَةَ ^(٢) مَا لَمْ يَنْهَكَ غَيْرَهَا ، فَرَجَعَ إِلَى فَأَخْبَرَنِي ، فَكُنَّا نَعْمَلُهَا لَهُ . وَكُنَّا نَعْمَلُ لَهُ الْهَرِيسَةَ ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ ، وَكَانَ يَحْضُرُ عَشَاءَهُ ^(٣) مِنْ خَمْسَةِ إِلَى سِتَّةٍ إِلَى عَشْرَةٍ كَمَا يَكُونُ الطَّعَامُ فِي الْقَلَةِ وَالسَّكْرَةِ .

وَكَانَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ يَفْعَلُ لَهُ هَرِيسَةً لَيْلَةً وَلَيْلَةً لَا ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُ عَنْهَا ؛ أَجَاءَتْ قِصْعَةُ أَسْعَدٍ أَمْ لَا ؟ فَيَقَالُ : نَعَمْ ، فَيَقُولُ : هَامُؤُهَا ؛ فَنَعْرِفُ بِذَلِكَ أَنَّهَا تُعْجِبُهُ .

قَدِمَ صُهَيْبٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقُبَاءٍ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، بَيْنَ أَيْدِيهِمْ رُطَبٌ قَدْ جَاءَهُمْ بِهِ كُثُومُ بْنُ الْهَذَمِ ^(٤) أُمَّهَاتُ جَرَّازِينَ ^(٥) وَصُهَيْبٌ قَدْ رَمَدَ فِي الطَّرِيقِ ، وَأَصَابَتْهُ مَجَاعَةٌ شَدِيدَةٌ ، فَوَقَعَ فِي الرُّطَبِ ؛ قَالَ صُهَيْبٌ : فَعَمَلْتُ آكُلُ ، فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَا تَرَى إِلَى صُهَيْبٍ يَا كُلُّ الرُّطَبِ وَهُوَ رَمَدٌ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ” أَتَا كُلُّ الرُّطَبِ وَأَنْتَ رَمَدٌ ؟ “ ؟ فَقَالَ صُهَيْبٌ : أَنَا آكُلُ بِشَقِّ عَيْنِي الصَّحِيحَةِ ، فَتَبَسَّمَ [رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] .

(١) الطفَيْشَلُ : نوع من المرق .

(٢) في (١) القدر ؛ وهو تبديل من اللام .

(٣) في (ب) « عِنْدَهُ » .

(٤) في (١) « ابْنُ مَبْرُومٍ » ؛ وفي (ب) ابْنُ الْهَرَمِ ؛ وهو تحريف في كلتا النسختين والتصويب عن كتب اللغة ومعجمات الأعلام التي بين أيدينا .

(٥) في (١) حَرَّافِينَ ؛ وفي (ب) حَرَّادِينَ ؛ وهو تحريف في كلتا النسختين ؛ والتصويب عن كتب اللغة وكتب الحديث ، وأم جَرَّادان : نوع من الرطب كبار ، وسمى بذلك لأن نخله يجتمع تحته المجردان لحلاوة ثمره . وأم جَرَّادان آخر نخلة بالحجاز لإدراكها ، وهي أم جَرَّادان رطبا ، فإذا جمعت فهي السكبيس .

وقال الأعشى :

لو أُطعموا العنَّ والسَّلوى مَكَانَهُمْ ما أَبْصَرَ النَّاسُ طُعْمًا فِيهِمْ نَجَعًا
وقال الكُمَيْت :

وما اسْتَنْزَلَتْ فِي غَيْرِنَا قِدْرُ جَارِنَا وَلَا نُفَيْتُ إِلَّا بِنَا حِينَ تُنْصَبُ
يقول إذا جاورنا جارًا لم نُكَلِّفْهُ أَنْ يَطْبُخَ مِنْ عِنْدِهِ ، ويكون ما يَطْبُخُهُ
مِنْ عِنْدِنَا بما نُعْطِيهِ مِنَ اللَّحْمِ لِيَنْصُبَ ^(١) مِدْرَهُ . ويقال للحَنِيسِ ^(٢) سَوِيطة ^(٣)
وفال : الرَّغِيعة ^(٤) لبن يُطْبَخ . وقال : هي العصيدة ، ثم الْحَرِيرَة ^(٥) ثم
النَّجِيرَة ^(٦) ، ثم الْحَسُو ^(٧) . واللَّوْقَة : الرُّطْب بالسَّمن ^(٨) ، والسَّليقة : الذَّرَة
تُدَقُّ وتُصَالِح باللبن ، والرَّصِيعة ^(٩) : البُرُّ يَدَقُّ بالفَهْر وَنَبَلُّ وَيَطْبَخُ بِشَيْءٍ مِنْ
السَّمن ، والوَحيمة : التَّمَرُ يُوجَأُ ثم يُؤْكَل باللبن

وقال أعرابي : ليس من الألبان أخلَى من لبن الخليفة ^(١٠)

-
- (١) في (ب) « يَضُب » ؛ وهو تحريف .
(٢) الحنيس تمر يخلط بسمن وأقط فيعجن شديداً ثم يخرج منه نواه .
(٣) السويطة : من السوط وهو الخلط ؛ وفي (أ) « الصريطة » ؛ وهو تحريف .
(٤) في اللسان أن « الرغيفة » : حسو من الربد ؛ وقيل : لبن يغلى ويذر عليه دقيق .
(٥) في اللسان أن « الحريرة » دقيق يطبخ بلبن أو دسم -
(٦) في اللسان : أن النجيرة لبن وطحين يخلطان ؛ وقيل : هي لبن حليب عليه سمن .
وقيل : هي ماء وطحين يطبخ . والنجيرة : بين الحسو وبين العصيدة . والذي في كلتا النسختين
« النجيرة » ؛ وهو تصحيف .
(٧) الحسو : طعام يعمل من الدقيق والماء .
(٨) وقيل : إن اللوقة الزبدة .
(٩) وردت هذه الكلمة في كلتا النسختين مصطربة الحروف في رسمها . وقد قلبناها
على عدة وجوه ، وهذا الذي أثبتناه هو ما وحدناه في كتب اللغة بالعمى الذي ذكره
المؤلف هنا .
(١٠) الحلمة : الخفاص من البياض .

وَالنَّخِيسَةُ وَالْقَطِيبَةُ يُحْلَطُ لِبْنِ إِبِلٍ بِأَبْنٍ غَنَمٍ^(١)

وقال أعرابي: الحمد لله الذي أغنانا باللبن عما سواه . ويقال أكل خبزاً قَفَّاراً وَعَفَّاراً وَعَفِّيراً: لا شئ معه^(٢) وعليه العَفَّار والذَّمار وسوء الدار^(٣)؛ وأَكَلَ خُبْزاً جَبِيْزاً^(٤) أى فَطِيْراً^(٥) يابساً . وجاء بتمر فضٍ^(٦) وَصّاً وَفَذٍ وَحَثٍ^(٧) : لا يَلْزَقُ بَعْضُهُ بَبَعْضٍ .

قال أبو الحسن الطُّوسِيّ : أحبرني هشام قال : دَخَلَ عَلَى فَرَجِ الرُّخَّجِيِّ وَقَدْ تَغَدَّيْتُ وَانْسَكَاتُ ، فقال : يا أبا عبد الله : إِنَّمَا تُحَسِّنُ الْأَكْلَ وَالِاتِّكَاءَ . [قال] : فتركتُ [الْأَكْلَ] عنده أَيْامًا ، وبلغه ذلك ، فَبَعَثَ إِلَى : إِنْ كُنْتَ لَا تَأْكُلُ طَعَامَنَا فَلَيْسَ لَنَا فِيكَ حَاجَةٌ . قال : « فَأَكَلْتُ »^(٨) سُبَيْتًا ثُمَّ أَكْنَهُ « فلم يَعْتَذِرْ مِمَّا كَانَ .

(١) في كتب اللغة أن « النخيسة » و « القطيبة » ابن الماعز خلط لبن الضأن ، لا لبن لبيل كما هنا .

(٢) عبارة اللغويين « لا أدم معه » .

(٣) في (١) « وشواء الدار » .

(٤) وردت هذه الكلمة في كلتا النسختين مصحفة الحروف محتاج لإصلاحها إلى بحث في كتب اللغة . وهذا الذي أثبتناه هو ما وحدناه في تلك النسخ بالمرعى المذكور هنا ، وهو الخبز اليابس .

(٥) « المطير » هو الذي أعجل قبل أن يحتمر .

(٦) كذا في كتب اللغة ، وقد وردت هاتان الكلمتان في كلتا النسختين مصحفتي الحروف يحتاج لإصلاحهما إلى نقليهما على عدة وحوه .

(٧) في كلتا النسختين ، « وقدوح » ؛ وهو تصحيف في كلتا النسختين ، وما أثبتناه عن كتب اللغة .

(٨) وردت هذه العبارة التي بين هاتين العلامتين في كلتا النسختين مضطربة الحروف ، تتعذر قراءتها ، والسياق يقتضي إثباتها على هذا الوجه

قال أبو الحسن : أخبرني الفراء قال : العرب تسمي السكباجة^(١) الصَّعْفَصَة . وأنشد :

أبو مالكٍ يَعْتَادُنَا فِي الظَّهَائِرِ يَجُوءُ فَيُلْقِي رَحْلَهُ عِنْدَ عَامِرٍ^(٢)
أبو مالك : الجوع ، هكذا يقول العرب وَيَجِيءُ^(٣) وَيَجُوءُ لِقَتَانِ .
وقال الآخر :

رَأَيْتُ الْغَوَايِ إِذْ نَزَلَتْ جَفَوْنِي أَبَا مَالِكٍ إِنِّي أَظُنُّكَ دَائِبًا^(٤)
أبو مالك هاهنا الشَّيْب .

قال أبو الحسن : أخبرني الثوري^(٥) عن أبي عبيدة في الحديث الذي يُروى عن عمر بن الخطاب أنه رأى في روثٍ فرسه حَبَّةَ شَعِيرٍ ، فقال : لأجعلنَّ^(٦) لك في عَرَزِ النَّقِيعِ ما يَشْعُرُكَ عن شعيرِ المسلمين . قال : والنقيع : موضع بالمدينة أحماه عمر [من الخطاب] لحيل المسلمين ، خلاف النقيع بالباء .
قال الطوسي : العرب تقول : « أيدي الرِّجال أعناقها » أي من كان أطول يداً على المائدة تناول فأكل ، الهاء تَرْجِع على الإبل ، أي أيدي الرجال أعناق الإبل ، أي من طَالَ نال .

قال الأصمعي : سألت بعض الأكلة فيمَن كان يُقْسِدِم على مُيسري

(١) السكباجة : مرق يعمل من اللحم والحل .

(٢) عامر : من أسماء الحبز ، ويسمى أيضاً جابراً وعاصماً . والذي في الأصل : بجو مكان « يجوء » ... ويجيئ ويجوؤ في التفسير بد ؛ وهو تحريف والتصويب عن اللسان . وفي كتاب ما يعول عليه « يلم فيلق » . وجابر مكان « عامر » .

(٣) في كلتا النسختين « دانيا » ؛ وهو تصحيف . والتصويب عن اللسان وما يعول عليه وروايته في كلا الكتابين : أبا مالك إلى الغواني هجرني أبا مالك الخ

(٤) في (ب) التوزي ؛ والثوري ؛ كلاهما معروف .

(٥) في (١) لأجملك . (٦) الغرز بالتحريك : نبات يشبه الثمام ينبت على

شواطئ الأنهار ، وفي كلتا النسختين عنز ؛ وهو تصحيف .

الناس كيف تَصْنَع إذا جَهِدْتَكَ السِّكْطَةَ — والعَرَبُ تقول : « إذا كُنْتَ بَطْنًا مُعْدَكَ زَمِنًا — ؟ قال : أَخْذُ رَوْثًا حَارًّا وَأَعْصِرْهُ وَأَشْرَبْ مَاءَهُ ، فَأَخْتَلِفُ ^(١) عَنْهُ سِرَارًا ، فَلَا أَلْبَثُ أَنْ يَلْحَقَ بَطْنِي [بِظَهْرِي] فَأَشْتَهِي الطَّعَامَ .

قال ابن الأعرابي : قال السِّكْلَانِي : هو بِنْدِفُ الطَّعَامِ إذا أَكَلَهُ بِيَدِهِ ، وَيَلْقَمُ الْحَسَوَّ ، وَاللَّقْمُ بِالشَّفَةِ ، وَالنَّدْفُ : الْأَكْلُ نَالِيَد . وقال الزبيرى : يَنْدِفُ ^(٢) .

وأنشد ابن الأعرابي :

وَيَظَلُّ ضَيْفُ بَنِي عِبَادَةَ فِيهِمْ مُنْصَرًّا وَطُونُهُمْ كُثْمُ

أى مُمْتَلِئَةٌ . وَالتَّصَرُّ : الْهَزَالُ وَالنَّجَافَةُ ، كَالنَّخْلِ الْمُحْمَرِّ ، أَيْ الِى مَدَّ ذَوْتُهُ ^(٣) جُدُوْعُهُ . قَالَ الشَّنْبُوزِي فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ^(٤) : (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا [الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا]) . قَالَ : الَّذِينَ يَثْرَدُونَ وَيَأْكُلُ غَيْرُهُمْ . قَالَ أَبُو الْحَسَنِ : كَانَتْ لِي أُبْنَةُ تَجَاسُ مَعِيَ عَلَى الْمَائِدَةِ فَتَبَرَّزُ كَفًّا كَأَنَّهَا طَلْعَةٌ ، فِي ذِرَاعٍ كَأَنَّهَا تُجَارَةٌ ، فَلَا نَقَعَ عَيْنُهَا عَلَى أَكْلَةٍ نَفِيسَةٍ إِلَّا خَصَّتْنِي بِهَا ، فَزَوَّجْتُنِي ، وَصَارَ يَجَاسُ مَعِيَ عَلَى الْمَائِدَةِ أُنْ لِي ، فَيُبَرِّزُ لِي كَفًّا كَأَنَّهَا كِرْنَاةٌ ^(٥) ، فِي ذِرَاعٍ كَأَنَّهَا كِرْبَةٌ ^(٦) ، فَوَاللَّهِ إِنَّ ^(٧) تَسْبِقُ

(١) يقال : اختلف إلى الحلاء ، إذا أصابه إسهال فتردد إليه .

(٢) يظهر أن في هذه العبارة نقصا وقع من الناسخ .

(٣) في (١) « وقت » بالواو ؛ وهو تحريف ، ولعل صوابه « رقت » بالراء مع تشديد القاف وفي « ب درت » بالبدال المهملة والراء ؛ وهو تحريف أيضاً ، ولعل صوابه ما أثبتناه ، كما يقتضيه سياق الكلام . (٤) في « ب » في قوله عز وجل .

(٥) الكرنافة : أصول الكرب التي تبقى في حذع البخلة بعد قطع السعف .

(٦) الكربة بالتحريك : أصول السعف الغلاط العراض التي تقطع منها .

(٧) إن تسبق ، أى ما تسبق ؛ فإن هنا نافية .

عينى إلى لُقْمَةٍ طَيِّبَةٍ إِلَّا سَبَقَتْ يَدُهُ إِلَيَّهَا .

وقال أعرابيٌّ للنبي صلى الله عليه وسلم : إني نَذَرْتُ إِذَا بَلَغْتَنِي نَأَقَتِي أَنْ أَنْحَرَهَا وَأَكُلَ مِنْ كَبِدِهَا . قال : ” بئسما جَارَئِيهَا “ .

أضلَّ أعرابيٌّ بعيراً له ، فطلبه ، ورأى على باب الأمير بُخْتِيئاً ، فأخذه وقال : هذا بعيرى ، فقال : إِنَّكَ أَضَلَلْتَ بَعِيراً وَهَذَا بُخْتِي . فقال : لَمَّا أَكَلَّ عِلْفَ الأمير تَبَخَّخْتُ . فضحك منه وتركه [يعيدُ قوله ويُعْجِبُهُ] .

السِّكِّدَةُ : غِلْظُ اللَّحْمِ وَتَرَاكُمُهُ ، ومنه قول هشامٍ لسالمٍ — وفدراه فأنعجبه جسمه — : ما رأيتُ ذَا كِدْنَةٍ أَخْسَرَ مِنْكَ ، فما طعامُك ؟ قال : الخُبْزُ والزَّيْتُ . قال : أما تَأَحُّمُهُ ^(١) ؟ قال : إِذَا أَجْمَتُهُ تَرَكَتُهُ حَتَّى أَشْتَمِيهِ ، ثم خرج وقد أصاب في جسمه بَرَصاً . فقال لِقَعْنِي ^(٢) الأَحُولُ بعينه ، فما خَرَجَ هِشَامٌ مِنَ المدينة حتى صَلَّى عليه .

وقال عبد الأعلى القاصُّ ^(٣) : الفقير مَرَقَتُهُ سِلْقَةٌ ، وَغِدَاؤُهُ ^(٤) غُلْفَةٌ ^(٥) وَخُبْزَتُهُ فِلْقَةٌ ^(٥) ، وَتَمَكَّتُهُ سِلْقَةٌ ، أى كثيرة الشَّوْكِ ^(٦) .

قال رجاء بن سلمة : الأكلُ فى الشُّوقِ حَمَاقَةٌ .

قيـل لذؤيب بن عمرو : إِنَّكَ مُفْلِسٌ لَا تَقْدِرُ عَلَى قُرْصٍ وَلَا جُمْعٍ ^(٧)

(١) أجم الطعام : مثله .

(٢) لقعه بعينه ، أى أصابه بها .

(٣) فى ب « القاضى » بالضاد المعجمة ؛ وفى (١) العاص بالعين المهملة .

(٤) فى (١) « ورداؤه » ، وفى ب « وعداؤه » وهو تصغير .

(٥) العلفـة : ما يتبلغ به من الطعام . والفلقة : القطعة ، كالعلفة .

(٦) فى كتب اللغة أن الشلقة شئ على خلفـة السمك صغير له رجلان عند ذنبه كهيئة

الضفدع ، ويكون فى أنهار البصرة ، ولعله المعروف عندنا بأبى جلنبو .

(٧) الجمع بضم الجيم وسكون اليم : ما يملأ جمع الكف ، أى قبضته من الطعام ونحوه .

ولا حَفَّالَةً^(١)، وَبَيْنَكَ عَامِرٌ^(٢) بالفَار .

قال علي بن عيسى : الطلاق الثلاث البَتَّة إن كان يَمْنَهُمْ^(٣) مِنَ التَّحَوُّل عنه إلا أنهم يَسْرِقُونَ أطعمة الناس يأكلونها في بيته لِأَمْنِهِمْ فيه ، لأنه لا هَرَّةَ هناك ولا أحدَ يأخذ شيئاً ولا بُودُونَ ، وإنَّ لهم لَمِسْقَةً مملوءة ماءً كلما جَفَّتْ سَكِبَ لهم فيها ماءٌ .

جَعَلَ الخَبَرَ عن الفَار على التلميح ، كالخَبَرِ عن قومٍ عُقلاء .
وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أَكْرَمُوا الخَبَرَ بِإِنَّ اللَّهَ أَكْرَمَهُ وَسَخَّرَ اللَّهُ بَرَكَاتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ » .
وقال آخر :

كَأَنَّ صَوْتَ سَحْبِنَا^(٤) الْمُفْتَحِ سَعَالُ شَيْخٍ مِنْ نَبِيِّ الْجُلَاحِ
يقولُ من بعد السَّعَالِ آح

قال الأصمعي : الرَّجِيعُ : الشَّوَاءُ يُسَخَّنُ ثَانِيَةً . وَالنَّقِيعَةُ مَا يُخْرِزُهُ رِيسُ الْقَوْمِ مِنَ الْغَنِيمةِ قَبْلَ أَنْ تَقْسَمَ وَالْجَمْعُ نَقَائِعُ . وقال أنشدني عيسى بن عمر لمعاوية بن صمصعة :

مِثْلُ الذَّرَى لُحِبَّتْ عَمَّا نَكَّهَهَا^(٥) لَحَبَّ الشَّفَارِ^(٦) نَقَائِعَ النَّهْبِ

(١) الحَفَّالَة : الحفالة ، أو عكر الدهن ؛ أو مارق من رغبة الابن ؛ كل من هذه المعاني الثلاثة يصح لإرادته ها . وفي (أ) « ولا صقالة » ؛ وهو تحريف .

(٢) سيأتي ما يعيد تعليل كون بيته عامراً بالفَار مع حلوله من الطعام .

(٣) يَمْنَهُمْ « ، الضمير يعود على الفترة .

(٤) سَحْبِنَا ، أي سحب البكرة التي يستقي بها من البئر . وفي (ب) « سَحْنَهَا » ، وهو

تصحيح . « والمفتاح » من امتاح الماء إذا أخرجه من البئر .

(٥) لَحِبَّتْ عَمَائِكُهَا ، أي أهزلت أسنمتها ، جمع عريكة .

(٦) لَحَبَّ الشَّفَارِ الخ : اللحب في هذا الشطر بمعنى القطع ، أي كما تقطع الشفار ، أي

« السكاكين » — لحم الباق العظيمة ، أو لعله الشفار بالسين المهملة مكان الشين ، أي كما يهزل السفر تلك النياق بمشقة فيذهب بما فيها من لحم وشحم .

وقال مُهَلْهَل :

إِنَّا لَنَضْرِبُ بالسبوفِ رُءُوسَهُمْ ضَرْبَ الْقَدَارِ نَقِيعَةَ الْقَدَامِ
الْقَدَارُ : الْجَزَارُ . وَالْقَدَارُ : الْمَلِكُ أَيْضًا . وَالْقَدَامُ : رُءُوسُ الْجِيُوشِ ، وَالوَاحِدُ قَادِمٌ .

وقال مَعْنٍ ^(١) بن أوس يصف هَدِيرَ قَدَرٍ :

إِذَا التَّطَمَّتْ ^(٢) أَمْوَاغُهَا وَكُنَّهَا عَوَائِدُ دُهُمٍ فِي الْمَحَلَّةِ فُقِيلُ
إِذَا مَا أُنْتَجَاهَا الْمُرْمِلُونَ ^(٣) رَأَيْتَهَا لَوْ شِئْتُ قَرَّاهَا وَهِيَ بِالْجَرْلِ تُشْعَلُ
سَمِعْتُ لَهَا لَغَطًا ^(٤) إِذَا مَا نَغَطَمَطَتْ كَهَذَرِ الْجِمَالِ رُزْمًا حِينَ تَجْفَلُ

وقال آخر :

إِذَا كَانَ فَتَدُّ الْعِرْقِ وَالْعِرْقُ نَاضِبٌ وَكَشَطُ سَنَامِ الْحَيِّ عَيْشًا ^(٥) وَمَغْنَمًا

(١) كذا في (ب) والذي في (أ) « بكر » وقد ورد هذا الشعر في ديوان معن بن أوس المطبوع في لينزح سنة ١٩٠٣ من قصيدة مدح بها سعيد بن العاص ؛ وأولها :

إليك سعيد الحسير حات مطبتي وروج الفيا في وهي عوجاء عهلي
(٢) يريد بالنظام الأمواج هنا اضطراب ما في القدر عند عليائها . ويريد بقوله « عوائد دهم » حيلة سوداء حديدات التاج . شبه القدور بتلك الحيل التي معها أولادها . وقيل : من القائله . ويروى « عواب » مكان قوله : « عوائد » وهي التي تمشي على ثلاث قوائم وعقرت رابعها . شبه المدر بها ، لأنها توضع على أنثى ثلاث .

(٣) المرملون : الذين يمدت أروادهم . والحزل : الحطب العليط . والذي في كتابنا النسختين : « إذا ما امتطاهها الموقدون » ؛ وهو تحريف .

(٤) اللعط (فتح أوله ويسكن ثانيه) : اللعط يفتحهما معا ، وهو يشيش القدر . وفي كتابنا النسختين : « امطأ » ؛ وهو تحريف . والنصوب والتفسير عن ديوان معن بن أوس المطبوع في لينزح . وتغطمطت ، أي صوتت في عليائها . والرزم من الإبل : التي تخرج أصواتها من حلقها لا تفتح بها أفواهها ، كما ورد ذلك في التفسير المكتوب على هذا البيت في شعر معن بن أوس . وفي كتابنا النسختين : « تحفل » بالحاء المهملة مكان « تحمل » بالحلم ؛ وهو تصحيف .

(٥) في رواية : « زادا ومطعما » . وكانت العرب في الحذب تشق أسمة الإبل وهي حية وتأخذ ما فيها من الشعير وتأكله .

وكان عتيق^(١) القِدَّ خيرَ شوائهم وصارَ غُبُوقُ الخُودِ ماءً مُحَمَّماً عَقَرْتُ لَهُمْ دُهْماً مَقَاحِيْمِدَ^(٢) حِلَّةً وعادت بَقَايا الْبَرَكِ نَهَباً مُقَسِّمًا قال^(٣) : وإذا كان الْقَحْطُ فَصَدُوا الْإِبِلَ وعالجوا ذلك الدَّمَّ بشيءٍ من العلاج لها كما يصنع الترك ، فإنها تجعله في المُصْران ، ثم تشويه أو تطبخه ، فيؤكل كما تؤكل النَّقَانِقُ^(٤) وما أَشْبَهَ ذلك .

وأما قوله : « والعِرْقُ ناضِبٌ » فإنما يعنى قِلَّةَ الدَّمِّ لهزال البعير ، وكذلك جميع الحيوان ، وأكثر ما يكون دُمًّا إذا كان بينَ المَهْزُولِ والسَّمِينِ . وقالت أُمُّ هِشَامِ السَّالُولِيَّةُ : ما ذَكَرَ النَّاسُ مَذْكَوراً خيراً من الإِبِلِ وَأَجْدَى^(٥) على أَحَدٍ بَخِيرٌ ؛ هَكَذَا رَوَى .

وقال الأندلسي : إِنْ سَمَلْتُ أَثْقَلْتُ ، وَإِنْ مَشَتْ أَبْعَدْتُ ، وَإِنْ حَلَبْتُ أَرْوَتْ ، وَإِنْ نُحِرَتْ أَشْبَعَتْ .

قال أبو الحسن الهيثمي ، عن عبد العزيز بن يسار قال : قدمتُ بِأَجْمِيَرِ^(٦) بِخَمْسِ سَفَائِفَ^(٧) دَقِيقٍ ، وَذَلِكَ فِي زَمَنِ مُصْعَبٍ وَهُوَ مُعْسِكِرٌ بِهَا وَلَقِيتُنِي

(١) عتيق القد ، أى القدم من الخلد . وكانت العرب تشويه وتأكله إذا أهدبت . ويشير بالشرط الثانى إلى قلة اللبن حتى إن الحود (وهى الشواظ الحسان الساعيات) لا ينعدن إلا به يعتبهن به أى يشربهن فى المساء فهن يشربن الماء الحارَّ المسخن . يقال : حَمَمَ الماء إذا سجنه . وفى الأصل « الحود » بالجم مكان « الحود » بالحاء ؛ وهو تصحيف .

(٢) المقاحيد من الدياق : العظيمة الأسنة . والحلة : العظيمة منها . والبرك : الإبل الباركة .

(٣) قال ، أى من روى عنه المؤلف ؛ ولعله الأصمعي ؛ إذ هو أقرب مذكور .

(٤) لم نخذ هذا النوع من الطعام فما راجعناه من الكتب . (٥) فى (أ) التى ورد

فيها هذا الكلام وحدها دون (ب) : واجاءه ؛ وهو تحريف ؛ ولعلَّ صوابه ما أثبتنا .

(٦) بِأَجْمِيَرِ : موضع دون تكريت من أرض الموصل كان يمسك فيه مصعب

ابن الربيع . والذى فى (أ) الوارد فيها هذه القصة وحدها دون (ب) تأمزم وهو تحريف

صوابه ما أثبتنا نقلا عن كتب التاريخ ومعجم البلدان لياقوت . (٧) السفائف : جمع

سفيفة ؛ وهى النسيجة من الخوص نحو الربيل . وفى الأصل « سقائق » ؛ وهو تصحيف .

عِكْرِمَةُ بْنُ رَبِيعٍ الشَّيْبَانِيُّ قَالَ : بَكِمُ أَخَذْتَهَا ؟ قُلْتُ بِتَسْعِينَ أَلْفًا . قَالَ : فَإِنِّي أُعْطِيكَ مِائَةً وَخَمْسِينَ أَلْفًا عَلَى أَنْ تُؤَخِّرَنِي . فَدَفَعْتُهُنَّ إِلَيْهِ ، وَمَا فِي الْمَعْسَكَرِ يَوْمَئِذٍ دَقِيقٌ . قَالَ : نَجَاءُ بَنُو تَيْمٍ اللَّهِ فَأَخَذُوا ذَلِكَ الدَّقِيقَ ، فَجَعَلَ كُلُّ قَوْمٍ يَمُجِّجُونَ عَلَى حِيَالِهِمْ ، ثُمَّ جَاءُوا إِلَى رَهْوَةٍ ^(١) مِنَ الْأَرْضِ خَفَرُوهَا ، ثُمَّ جَعَلُوا فِيهَا الْحَشِيشَ ، ثُمَّ طَرَحُوا ذَلِكَ الْعَجِينَ فِيهَا ، ثُمَّ أَقْبَلُوا بِأَخَذُوا فَرَسًا وَدِيقًا ^(٢) ... ^(٣) فَخَلَّوْا عَنْهُ ، ثُمَّ أَقْبَلُوا وَهُوَ ^(٤) يَتَّبِعُهُمْ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى الْحَفِيرَةِ ، فَدَفَعُوا الْفَرَسَ الْوَدِيقَ فِيهَا ، وَتَبِعَهُمَا الْفَرَسُ ، وَتَنَادَى الْفَرِيقَانِ : إِنْ فَرَسَ حَوْشَبَ وَقَعَ فِي حَفِيرَةِ عِكْرِمَةَ فَمَا أَخْرَجُوهُ إِلَّا بِالْعَمَدِ . قَالَ : فَغَلَبَهُ عِكْرِمَةُ .

قال شاعر :

لَا أَشْتُمُ الصَّيْفَ إِلَّا أَنْ أَقُولَ لَهُ أَبَانُكَ ^(٥) اللَّهُ فِي أُبَيَاتِ عَمَّارٍ
أَبَانُكَ ^(٥) اللَّهُ فِي أُبَيَاتِ مُعْتَنَزٍ ^(٦) عَنِ الْمَسْكَارِمْ لَا عَفٍّ وَلَا قَارِي
جَلَدِ النَّدَى زَاهِدٍ فِي كُلِّ مَكْرُمَةٍ كَأَنَّمَا ^(٧) ضَيْفُهُ فِي مَلَّةِ النَّارِ

(١) الرهوة : المكان المنخفض من الأرض .

(٢) الوديق : من الوداق بكسر الواو ، وهو شهوة العجل .

(٣) يظهر لنا أن موضع هذه القطع كلاماً سابقاً من الأصل يفيد أنهم أقبلوا إلى فرس ، آخر ذكر لرجل منهم يسمّى حوشباً ، فخلّوا عنه الخ ما هنا ، وذلك أخذاً من قوله فيما يأتي بعد : ودفعوا الفرس الوديق فيها وتبعها الفرس الخ القصّة .

(٤) وهو ، أى فرس آخر ذكر ، ولم يذكر في الكلام ؛ ولعل فيه نقصاً كما أنها على ذلك في الحاشية التي قبل هذه .

(٥) في (١) التي ورد فيها هذا الشعر وحدها دون (ب) : « أُنَابَكَ » في كلا الموضعين وسياق الشعر يقتضى ما أثبتنا نقلاً عن كتب اللغة .

(٦) في (١) التي ورد فيها هذا الشعر وحدها : « معتمر » ، ولم يتبين له معنى يناسب السياق . والصواب ما أثبتنا . والمعتنز : المتشمسي بعيداً .

(٧) في (١) التي ورد فيها هذا الشعر وحدها : « كأنهم ضيقه » ؛ وهو تحريف . وسياق الشعر يقتضى ما أثبتنا . وملة النار : موضعها .

وقال آخر :

وهو إذا قيل له : وَيَهَيَّا كُلَّ فَإِنَّهُ مُوَاشِكٌ مُسْتَعَجِلٌ

وهو إذا قيل له : وَيَهَيَّا^(١) فَلْ فَإِنَّهُ أَخْجَجٌ بِهِ أَنْ يَنْكُلُ

[فيل لُصُوفِي : ما حَدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : لا حَدَّ له ، ولو أَرَادَ اللهُ أَنْ يُؤْكَلَ بِحَدِّ
لَبَيِّنَ كَمَا بَيْنَ جَمِيعِ الْخُدُودِ ، وَكَيْفَ يَكُونُ لِلْأَكْلِ حَدٌّ ، وَالْأَكْلَةُ مُحْتَملَةٌ
الطَّبَاعِ وَالْمِزَاجِ وَالْعَارِضِ وَالْعَادَةِ ، وَحِكْمَةُ اللهِ ظَاهِرَةٌ فِي إِحْمَاءِ حَدِّ الشَّبَعِ حَتَّى
بِأَكْلِ مَنْ شَاءَ عَلَى مَا شَاءَ كَمَا شَاءَ] .

وقيل لُصُوفِي : ما حَدُّ الشَّبَعِ ؟ فقال : ما نَشَطَ عَلَى أَداءِ الْمَرَائِضِ ، وَتَبَطَّ
عَنْ إِقَامَةِ النَّوَائِلِ .

وقيل لِمَنْكَلَمَ : ما حَدُّ الشَّبَعِ ؟ فقال : حَدُّهُ أَنْ يَجْلِبَ النَّوْمُ ، وَتُصْجَرَ الْقَوْمُ
وَيَبْعَثَ عَلَى الْوُجُودِ .

وفيل لِمِطْمَئِلِي : ما حَدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : أَنْ تُؤْكَلَ عَلَى أَنَّهُ آخِرُ الزَّادِ ،
وَيُؤْتَى عَلَى الْحِلِّ وَالذَّقِّ

وفيل لِأَعْرَابِيٍّ : ما حَدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : أَمَّا عِنْدَكُمْ بِأَحَاصِرَةٍ فَلَا أَدْرِي ؛ وَأَمَّا
عِنْدَنَا فِي الْبَادِيَةِ فَمَا وَجَدَتِ الْعَيْنُ ، وَامْتَدَّتْ إِلَيْهِ الْيَدُ ، وَدَارَ عَلَيْهِ الصَّرْسُ
وَأَسَاغُهُ الْحَلَقُ ، وَانْتَفَخَ بِهِ الْبَطْنُ ، وَاسْتَدَارَتْ عَلَيْهِ الْحَوَايَا ، وَاسْتَغْنَتْ مِنْهُ
الْمِعْدَةُ ، وَتَقَوَّسَتْ مِنْهُ الْأَضْلَاعُ ، وَالتَّقَوَّتْ عَلَيْهِ الْعَصَارِينَ ، وَخِيفَ مِنْهُ الْمَوْتُ .
وفيل لَطَيْبٍ : ما حَدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : ما عَدَّلَ الطَّبِيعَةُ ، وَحَفِظَ الْمِزَاجُ
وَأَبْقَى شَهْوَةً لَمَّا بَعْدَ .

(١) « وَيَهَيَّا » أي إذا بَدَى بِاسْمِهِ لِعَطَائِمِ الْأُمُورِ فَقِيلَ : يَا فُلَانُ ، سَكِلْ عَنِ
الدَّاءِ وَتَسَكَّبْ . وَفِي الْأَصْلِ : « قُلْ » بِالْقَافِ ... وَيَنْكُلُ . وَهُوَ يَصْجِبُ فِي كُنَا
الْكَلِمَتَيْنِ وَالتَّصْغِيرِ عَنِ الْمَسَاءِ . وَوَسْهًا : كَلِمَةٌ حَصَّ وَاسْتَحْثَنَتْ .

وقيل لقصار : ما حدثُ الشَّبَعُ ؟ قال : أَنْ نَثَبَ إِلَى الْجَفَنَةِ كَأَنَّكَ سِرْحَانٌ
وَتَأْكُلُ وَأَنْتَ غَضَبَانٌ ، وَنَمْصَغُ كَأَنَّكَ شَيْطَانٌ ، وَنَبْلَعُ كَأَنَّكَ هَيْمَانٌ ، وَتَدْعُ
وَأَنْتَ سَكْرَانٌ ، وَتَسْتَلْقِي كَأَنَّكَ أَوَانٌ^(١) .

وقيل للمحال : ما حدثُ الشَّبَعُ ؟ قال : أَنْ تَأْكُلَ مَا رَأَيْتَ بَعْشَرَ يَدِيكَ
غَيْرَ عَائِفٍ وَلَا مُتَقَرِّزٍ ، وَلَا كَارِيٍّ وَلَا مُتَعَزِّزٍ .

وقيل لملاح : ما حدثُ الشَّبَعُ^(٢) ؟ قال : حَدُّ الشُّكْرِ . قيل^(٣) : فَمَا حَدُّ الشُّكْرِ ؟
قال : أَلَّا تَعْرِفَ السَّمَاءَ مِنَ الْأَرْضِ ، وَلَا الطُّوْلَ مِنَ الْعَرْضِ ، وَلَا النَّاوِلَةَ مِنَ
الْفَرَضِ ، مِنْ شِدَّةِ الْهَسِّ وَالْكَسْرِ وَالْقَطْعِ وَالْقَرَضِ . قيل له : فَإِنَّ الشُّكْرَ
مَحْرَّمٌ ، فَلِمَ جَعَلْتَ الشَّبَعُ مِثْلَهُ ؟ قال : صَدَقْتُمْ ، هُمَا سَكْرَانٌ : أَحَدُ الشُّكْرَيْنِ
مَوْصُوفٌ بِالْعَيْبِ وَالْخَسَارِ ، وَالْآخَرُ مَعْرُوفٌ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ . قيل [له] :
أَمَا تَخَافُ الْهَيْضَةَ ؟ قال : إِمَّا تُصِيبُ الْهَيْضَةُ مَنْ لَا يَسْمِي اللَّهَ عِنْدَ أَكْلِهِ ، وَلَا
يَشْكُرُهُ عَلَى النِّعَةِ فِيهِ . فَأَمَّا مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ وَتَكَرَّمَ فَإِنَّهُ يَهْضِمُ وَيَسْتَهْرِئُ
وَيَقْرُمُ إِلَى الزِّيَادَةِ .

وفيل لبخيل : ما حدثُ الشَّبَعُ ؟ قال : الشَّبَعُ حَرَامٌ كُلُّهُ ، وَإِنَّمَا أَحَلَّ اللَّهُ
مِنَ الْأَكْلِ مَا نَفَى الْخَوَى ، وَسَكَّنَ الصُّدَاعَ ، وَأَمْسَكَ الرَّمَقَ ، وَحَالَ بَيْنَ
الْإِنْسَانِ وَبَيْنَ الْمَرَحِ ، وَهَلْ هَلَكَ النَّاسُ فِي الدِّينِ وَالْدُنْيَا إِلَّا بِالشَّبَعِ وَالنَّضْلَعِ
وَالْبِطْطَةِ وَالْأَحْتِشَاءِ ، وَاللَّهُ لَوْ كَانَ لِلنَّاسِ إِمَامٌ لَوْ كَلَّ بِكُلِّ عَشْرَةٍ مِنْهُمْ مَنْ يَحْفَظُ
عَلَيْهِمْ عَادَةَ الصَّحَةِ وَحَالَةَ الْعَدَالَةِ ، حَتَّى يَزُولَ التَّعَدَّى وَيَفْشُو الْخَيْرُ .

(١) الأوان : المعدل (بكسر العين) ، كالأون (يسكون الواو) .

(٢) في (ب) : « الأكل » مكان « الشبع » ، والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٣) كذا في (ب) وهو أنسب . والذي في (١) : « قال » .

وقيل لجُنْدِيّ : ما حَدُّ الشَّبْعِ ؟ قال : ما شَدَّ العَضْدَ ، وَأَحْمَى الظَّهْرَ ، وَأَدَرَ
الوَرِيدَ ، وزَادَ فِي الشَّجَاعَةِ .

وقيل لزَاهِدٍ : ما حَدُّ الشَّبْعِ ؟ قال : ما لم يَحُلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ صَوْمِ النَّهَارِ
وَقِيَامِ اللَّيْلِ ، وَإِذَا شَكَا إِلَيْكَ جَائِعٌ عَرَفْتَ صِدْقَهُ لِإِحْسَاسِكَ بِهِ .

وقيل لَمَدَنِيّ : ما حَدُّ الشَّبْعِ ؟ فقال : لا عَهْدَ لِي بِهِ ، فَكَيْفَ أَصِفُ
مَا لَا أَعْرِفُ ؟

وقيل لِمَيْمَنِيّ : ما حَدُّ الشَّبْعِ ؟ قال : أَنْ يُحْشَى حَتَّى يُخْشَى .

وقيل لَتَرْكِيّ : ما حَدُّ الشَّبْعِ ؟ قال : أَنْ نَأْكُلَ حَتَّى نَذْنُوَ مِنَ الْمَوْتِ .

وقيل لِسَمْعُونِيّ (١) القَاصِّ : مَنْ أَفْضَلَ الشَّهْدَاءِ ؟ قال : مَنْ مَاتَ بِالثَّخَمَةِ ،
وَدُفِنَ عَلَى الْهَيْضَةِ .

قيل لِسَمَرْقَنْدِيّ : ما حَدُّ الشَّبْعِ ؟ قال : إِذَا جَحَظْتَ عَيْنَاكَ ، وَبَكِمَ
لِسَانُكَ ، وَثَقُلَتْ حَرَكَتُكَ ، وَأَرْجَحَنْ مَدْنُكَ ، وَزَالَ عَقْلُكَ ، فَأَنْتَ
فِي أَوَائِلِ الشَّبْعِ . قيل له : إِذَا كَانَ هَذَا أَوَّلَهُ ، فَمَا آخِرُهُ ؟ قال : أَنْ
تَنْشَقَّ نِصْفَيْنِ .

قيل لِهِنْدِيّ : ما حَدُّ الشَّبْعِ ؟ قال : الْمَسْئَلَةُ عَنْ هَذَا كَالْمَحَالِ ، لِأَنَّ الشَّبْعَ
مِنَ الْأَرْزِ النَّقِيِّ الْأَبْيَضِ ، الْكَبَارِ الْحَبِّ ، الْمَطْبُوحِ بِاللَّبَنِ الْحَلِيبِ ، الْمَعْرُوفِ
عَلَى الْجَامِ الْبَلُورِ ، الْمَدُوفِ (٢) بِالسُّكَّرِ الْفَائِقِ ، مُخَالَفٌ لِلشَّبْعِ مِنَ السَّمَكِ
الْمَمْلُوحِ وَخُبْزِ الذَّرَّةِ ، وَعَلَى هَذَا يَخْتَلِفُ الْأَمْرُ فِي الشَّبْعِ . فقيل له : فَدَعُ

(١) كَذَا وَرَدَ هَذَا الْأَسْمُ فِي الْأَصُولِ ؛ وَلَمْ يَقِفْ عَلَيْهِ فِيمَا رَاحَعْنَاهُ مِنَ الْكُتُبِ .

(٢) الْمَدُوفُ : الْمَخْلُوطُ . وَفِي كَلْمَا السَّخْتَيْنِ : « الْمَدْفُون » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

هذا ، إلى متى يَنْبَغِي أن يأكلَ الإنسان ؟ قال : إلى أن يقع له أنه إن أراد لُقْمَةً زَهَقَتْ نَفْسُهُ إلى النَّارِ .

قيل لمُكَارٍ : ما حَدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : والله ما أَدْرِي ، ولكنَّ أَحِبُّ أنْ آكلَ ما مَشَى جِمارِي مِنَ الْمَنْزِلِ إِلَى الْمَنْزِلِ .

قيل لِحَمَّالٍ : ما حَدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : أنا أُوَاصِلُ الْأَكْلَ فَمَا أَعْرِفُ الْحَدَّ ، ولو كُنْتُ أَنْتَهَى لَوَصَفْتُ الْحَالَ فِيهِ ، أَعْنَى أَنِّي سَاعَةً أَلْتُ^(١) الدَّقِيقَ ، [وسَاعَةً أَمَلْتُ اللَّيْلَةَ ، وسَاعَةً أَثْرُدُ ، وسَاعَةً آكُلُ] وسَاعَةً أَشْرَبُ بَنَ اللَّقَاحِ ؛ فليس لي فَرَاغٌ فَأَدْرِي أُنِي بَلَغْتُ مِنَ الشَّبَعِ ، إِلَّا أَنَّنِي أَعْلَمُ فِي الْجُمْلَةِ أَنَّ الْجُوعَ عَذَابٌ ، وَأَنَّ الْأَكْلَ رَحْمَةٌ ، وَأَنَّ الرَّحْمَةَ كُلَّمَا كَانَتْ أَكْثَرَ ، كَانَ الْعَبْدُ إِلَى اللَّهِ أَقْرَبَ ، وَاللَّهُ عَنْهُ^(٢) أَرْضَى .

قال الوزير : لَمَّا بَلَغْتُ هَذَا الْمَوْضِعَ مِنَ الْجُزْءِ — وَكُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ — : ما أَحْسَنَ ما اجْتَمَعَ مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ ! هل بَقِيَ مِنْهَا شَيْءٌ ؟ قلت : بَقِيَ مِنْهَا جِزْءٌ آخِرٌ^(٣) . قال : دَعَاهُ لِلَّيْلَةِ أُخْرَى وَهَاتِ مُلْحَةَ الْوَدَاعِ . قلت : قيل لَصُوفِي فِي جَامِعِ الْمَدِينَةِ : مَا تَشْتَهُي ؟ قال . مَائِدَةً رَوْحَاءَ^(٤) عَلَيْهَا جَفْنَةٌ رَحَاءَ^(٥) فِيهَا تَرِيدَةٌ صَفْرَاءَ ، وَقِدْرٌ حَمْرَاءَ فِي بَيْضَاءَ .

قال^(٥) : أَبَيْتَ^(٦) الْآنَ [إِلَّا] تَوَدُّعَ [إِلَّا] بِمِثْلِ ما تَقْدِّمُ ؟ وَأَنْصَرَفْتُ .

(١) في (ب) : « أُعْجِن » .

(٢) في (ب) : « عَنْ الْعَبْدِ » .

(٣) في (ب) : « وَاحِدٌ » مَكَانَ قَوْلِهِ : « آخِرٌ » .

(٤) يُقَالُ : جَفْنَةٌ رَوْحَاءٌ ، إِذَا كَانَتْ وَاسِعَةً عَرِيضَةً ؛ وَالرَّحَاءُ كَذَاكَ .

(٥) قال ، أَيُّ الْوَزِيرِ .

(٦) وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ مَهْمَلَةً الْحُرُوفِ تَعَدُّرَ قِرَاءَتِهَا ، وَالسِّيَاقُ

يَقْتَضِي لِنَبَاتِهَا عَلَى هَذَا الْوَجْهِ .

الليلة الثانية والثلاثون

(١) ثم حضرتُ فقرأتُ ما بَقِيَ من هذا الفن .
قال رجلٌ من فَرَارة^(١) :

تَذْبِجُ أَحْيَانًا وَأَحْيَانًا تَهْرِجُ وَتَقْطَعُ^(٢) سَاعَةً وَتَقْدَحِرُ
تَعْدُو عَلَى الصَّيْفِ بُعُودٌ مُنْكَسِرٌ^(٣) يَسْقُطُ عَنْهَا ثَوْبُهَا وَتَأْتِرُ
لَوْ نُحِرَتْ فِي بَيْتِهَا عَشْرُ جُزُءٍ لَأَصْبَحَتْ مِنْ لَحْمِهِنَّ تَعْنَدِرُ
بِحَلْفِ سَحٍّ^(٤) وَدَمْعٍ مُهْمَرٍ يَفِرُّ مَنْ قَاتَلَهَا^(٥) وَلَا نَفِرُ
الْمُقْدَحِرُ : الْمَتَّيُّ لِلْسَّبَابِ .

وقال أبو دُلَامة الأَسَدِيُّ^(٦) :

(١) ورد بعض هذا الرجز في المحاسن والأضداد ومجموعة المعاني ولسان العرب .
وبعض ما ورد في هذه الكتب لم يرد ها ، كما أن بعض ما ورد ها لم يرد هناك ، وهذا ما ورد
في اللسان ، وهو ما لم يذكر ها :

أَمْ حِوَارِ صَنْوَهَا عَيْرُ أَمْرٍ صَهْصَلَقِ الصَّوْتِ بَيْنِيهَا الصَّبْرِ
سَائِلَةُ أَصْدَاعِهَا لَا تَحْتَمِرُ أَلْخ .

(٢) في كلتا النسختين : « وتقطر » ؛ وهو تحريف ، والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(٣) في اللسان « على الدب » .

(٤) سح ، أى كثير متتابع ، كما في كتاب إصلاح المطلق لآلن السكيت المحفوظة منه
نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٤١ لعة . وفي مجموعة المعاني وكتاب المحاسن
والأضداد : « سبيح » ، وهو يستعمل على الإضافة لا على الوصف . والذى في الأصل :
« سبيح » ؛ وهو تحريف .

(٥) في الأصل « تفر » بالناء ... « ولا تفر » ؛ وهو تصحيف في كلتا النسختين .

(٦) في (١) الوارد فيها هذا الكلام وحدها : « الأسمى » ؛ ولم نجد هذه النسبة
لأبى دُلَامة فيما راجعناه من الكتب . والذى وحدناه أن أبَا دُلَامة كان مولى لبني أسد ،
فلعل الصواب ما أثبتنا .

قد يُشْبِعَ الضَّيْفَ الَّذِي لَا يَشْبَعُ مِنْ الْهَمِيدِ ، وَالْحِرَادُ تَسَعُ^(١)
ثم بقول أَرْضُوا بهذا أَوْ دَعُوا

وقال آخر :

حتى إِذَا أَضْحَى بَدَرَى^(٢) وَاكْتَحَلَ لَجَارَتَيْهِ ثُمَّ وَلَّى وَمَنْشَلٌ
ذَرَقَ الْأَنْوَيْنِ^(٣) الْقَرَبَى وَالْجُعْلَ

وقال آخر :

[إِذَا^(٤) أَنْوَهُ بِطَعَامٍ وَأَكَلَ] بَاتَ يُعَشَّى وَحَدَهَ الْفَنَى جُعْلَ

وقال أبو النجيم :

[تُدْنِي مِنَ الْجَدُولِ^(٥) مِثْلَ الْجَدُولِ] أَجُوفَ فِي غَلَصَمَةٍ^(٦) كَالْمِرْجَلِ

(١) الهيد : حب الحمطل . والحراد : دكور الضباب ، الواحد حردون بالذال المهملة أو الذال المعجمة . وتسع ، أى تسع لأكله .

(٢) كذا ورد هذا الشعر في كتاب الحيوان للجاحظ . وتدرى ، أى تمشط . والمدرى والمدرأة : المشط . والذي في (١) الوارد فيها هذا الشعر وحدها : « لحاذيته » مكان قوله : « لجارتيه » ؛ وهو تحريف . وشل ، أى رات .

(٣) الأنوى : لمط بطنى على كل ما يأكل العذرة من الرخم وغيرها ، قاله الجاحظ في كتاب الحيوان ودكر هذا الشعر شاهدا على ذلك . والقربى : دونه كالخمساء وأعظم منها بيسير طويله الفوائم . وقد فسّر اللعويون الأنوق أيضا بأنه الطير الذى يبيض فى الهواء ولا يستقيم معناه ها .

(٤) هذا الشطر ساقط من الأصل ، وقد أثبتناه عن الحيوان للجاحظ لتمام المعنى به . ويشير بقوله : « بات يمشى » إلح إلى أنه كثير البرار ، فيقول : إنه إذا أكل تعشى مما يخرج منه ألفا جعل ، لأن الحمل تفتت بالبرار . قاله الجاحظ .

(٥) هذا الشطر ساقط من الأصل ؛ ولا تم المعنى بدونه . ويشير إلى سعة فيها ، ويشبهه بالجدول الذى يشرب منه .

(٦) الغلصمة : متصل الحلقوم بالحلق . وقيل هى اللحم الذى بين الرأس والعنق .

تَسْمَعُ^(١) لِمَاءِ كَصَوْتِ الْمِسْحَلِ^(٢) بَيْنَ وَرِيدَيْهَا^(٣) وَبَيْنَ الْجَحْفَلِ
يُلْقِيهِ^(٤) مِنْ طُرُقٍ أَتَتْهَا مِنْ عَلٍ قَذَفُ لَهَا جَوْفٍ وَشِدْقٍ أَهْدَلِ^(٥)
كَأَنَّ صَوْتَ جَرَعِهَا الْمُسْتَفْجِلِ جَنْدَلَةٌ دَهْدَهَتْهَا^(٦) فِي جَنْدَلِ
وقال آخر :

يقول للطاهي المطرّى^(٧) في العمل ضَهَبَ^(٨) لَنَا إِنْ الشَّوَاءَ لَا يُمَلُّ
بِالشَّحْمِ إِمَّا قَدْ أَجْمَنَاهُ^(٩) بِخَلِّ عَجَّلْ لَنَا مِنْ ذَا وَأَلْحَقْ بِالْبَدَلِ
وَأُنْشِدَ ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ :

أَعْدَدْتُ لِلضَّيْفِ وَلِلرَّفِيقِ وَالْجَارِ وَالصَّاحِبِ وَالصَّدِيقِ
وَلِلْعِيَالِ الدَّرْدَقِ^(١٠) اللَّصُوقِ حَرَاءَ مِنْ مَعَزِ أَبِي مَرْزُوقِ
تَلَحُّسُ خَذِّ الْحَالِبِ الرَّفِيقِ بَابَيْنِ الْمَسِّ قَلِيلِ الرَّيِّقِ

(١) الضمير في « تسمع » للمخاطب . والمسحل : المبرد .
(٢) كذا في أرجوزة أبي النجم المنشورة في مجلة المجمع العلمي العربي . والذي
في الأصل : « مديديها » ؛ وهو تحريف . ويرد بالجمع : شفتها .
(٣) في الأصل : « يكفيه » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا نقلا عن أرجوزة أبي
النجم المنشورة في مجلة المجمع العلمي العربي سنة ١٩٢٨ م . وبلقيه ، أى يلقى الماء وفاعله قوله
بعد : « قذف » .

(٤) الأهدل : المسترخى .
(٥) دهدهتها ، أى دحرجتها .
(٦) المطرّى : الطاهي الذي يخلط الطعام بالأفاويه . وطرّى الطعام : إذا خلطه بالتوابل .
(٧) صهب ، أى اشو شيئا غير كامل المصنع ، يريد الاستمجال . والنضهيب أيضا :
شيء اللحم على الحجارة المحمّاة .
(٨) أجماه ، أى ملأه .
(٩) الدردق : الصبيان الصغار . والدى في الأصل : « الرردق » ؛ وهو تحريف .

كَأَنَّ صَوْتَ شُخْبِهَا الْفَتِيْقِ^(١) فَحَيِّجُ ضَبِّ حَرْبٍ حَنِيقِ
فِي جُحْرِ ضَاقٍ أَشَدَّ الضِّيقِ

وَأَنشُدْ أَيْضًا :

هَلْ لَكَ فِي مِقْرَةٍ قَيْلٍ نِي^(٢) وَشَكْوَةٌ بَارِدَةِ النَّسِيِّ^(٣)
تُخْرِجُ^(٤) لَحْمَ الرَّجُلِ الضَّوِيِّ حَتَّى تَرَاهُ نَاهِدَ الثَّدِيِّ

وَأَنشُدْ ابْنَ حَبِيب :

نِعْمَ لَقَوْحُ^(٥) الصَّبِيَّةِ الْأَصَاغِرِ شَرُّوْبُهُمْ مِنْ حَلَبٍ وَحَازِرٍ^(٦)
حَتَّى يَرُوحُوا سُقَطَ الْمَآزِرِ وَضَعُ الْفِقَاحِ^(٧) نُشْرَ الْخَوَاصِرِ

وَأَنشُدِ الْآمِدِي :

كَأَنَّ فِي فِيْهِ حِرَابًا شُرْعًا زُرْقًا تَقْضُ^(٨) الْبَدَنَ الْمُدْرَعَا
لَوْ عَضَّ زُكْنًا وَصَفَا تَصَدَّعَا

(١) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا هَذَا الشَّعْرُ وَحْدَهَا : « بِحَج » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفُ صَوَابِهِ مَا أَثْنَتْنَا بَقْلًا عَنْ كِتَابِ اللَّعَةِ . وَالْفَحْيِجُ : صَوْتُ الضَّبِّ .

(٢) الْمِقْرَةُ : الْإِنَاءُ الَّذِي يُعْمَرَى فِيهِ . وَالْقَيْلُ : اللَّبَنُ الَّذِي يَسْرُبُ ، نِصْفُ النَّهَارِ وَقَدْ الْفَائِلَةُ . وَقَدْ وَرَدَ هَذَا الشَّطْرُ فِي الْأَصْلِ هَكَذَا : « هَلْ لَكَ فِي الْمَعْرِى بِقِيلٍ بِي » ؛ وَلَا يَحْفَى مَا فِيهِ مِنْ نَصْحِيفٍ .

(٣) الشَّكْوَةُ : وَعَاءٌ مِنْ أَدَمٍ يَتَخَذُ لِلَّيْلِ وَالْمَاءِ . وَالنَّسِيُّ : اللَّبَنُ الْحَلِيبُ يَصُبُّ عَلَيْهِ الْمَاءُ .

(٤) « تَخْرِجُ لَحْمَ الرَّجُلِ الضَّوِيِّ » ، أَيْ تَسْمِنُ الْمَهْزُولُ الضَّامِرُ .

(٥) اللَّقَوْحُ : السَّافَةُ الْحُلُوبِ .

(٦) الْحَازِرُ : اللَّبَنُ الْحَامِضُ .

(٧) الْوَضْعُ : جَمْعُ أَوْضَعٍ وَهُوَ قَلِيلُ لَحْمِ الْوَرَكَيْنِ وَالْأَلْيَتَيْنِ ، وَالْأَوْضَعُ وَالْأَرْسَجُ وَاحِدٌ .

(٨) تَقْضُ : تَكْسِرُ .

وقال محمد بن بشير :

لَقَلَّ عَارٌ^(١) إِذَا ضَيْفٌ تَضَيَّفَنِي مَا كَانَ عِنْدِي إِذَا أُعْطِيتُ مَجْهُودِي
فَضْلُ الْمُقِلِّ إِذَا أُعْطَاهُ مُصْطَبِرًا وَمُكْثَرٌ فِي الْغِنَى سَيِّئَانِ فِي الْجُودِ
لَا يَعْدُمُ السَّائِلُونَ الْخَيْرَ أَفْعَلُهُ إِمَّا نَوَالِي وَإِمَّا حُسْنَ مَرْدُودِي
قال الأعرابي : نِعَمَ الْغَدَاءِ السَّوِيقُ ، إِنْ أَكَلْتَهُ عَلَى الْجُوعِ عَصَمَ ، وَإِنْ
أَكَلْتَهُ عَلَى الشَّبَعِ هَضَمَ .

وقال العوامي^(٢) — وكان زوّارًا لإخوانه في منازلهم — : العُبُوسُ نُوسٌ ،
والبِشْرُ بُشْرَى ، والحَاجَةُ تَفْتَقُ الحِيلَةَ ، والحِيلَةُ تَشْحَدُ الطَّبِيعَةَ .

ورأيتُ الحنبلي^(٣) يُنشدُ [ابنَ آدمَ — وكان مُوسرًا بخيلاً] — :
وَمَا لِأَمْرٍ طُولُ الْخُلُودِ وَإِنَّمَا يُخَلِّدُهُ حُسْنُ الثَّنَاءِ فَيَخْلُدُ
فَلَا تَدَّخِرْ زَادًا وَتُصْبِحْ مُلْجَا إِلَيْهِ وَكُلُّهُ الْيَوْمَ يُخْلِفُهُ الْغَدُ

وحَكَّى لَنَا ابنُ أسَادة قال : كانَ عِنْدَنَا — يَعْنِي بِأَصْفِهَانِ — رَجُلٌ
أَعْمَى يَطُوفُ وَتَسْأَلُ ، فإُعْطَاهُ مَرَّةً إِنْسَانٌ رَغِيْفًا ، فدَعَا لَهُ وقال : أَحْسَنَ اللَّهُ
إِلَيْكَ ، وَبَارَكَ عَلَيْكَ ، وَجِراكَ حَيْرًا ، وَرَدَّ غُرْبَتَكَ . فقالَ لَهُ الرَّجُلُ : وَلَمْ
ذَكَرْتَ الْغُرْبَةَ [فِي دُعَاؤِكَ ، وَمَا عَلِمْتُكَ بِالْغُرْبَةِ ؟] فقالَ : الْآنَ لِي هَاهُنَا عَشْرُونَ
سَنَةً مَا نَاوَلَنِي أَحَدٌ رَغِيْفًا صَحِيحًا .

(١) كذا في ديوان الحماسة . والدى في (١) النوارد فيها هذا الشعر وحدها : « لقد
علوا » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى ولا الوزن .

(٢) في (١) العراقي ولم ينف على العراقي هذا الموصوف بما ذكر . والدى أنشأه
عن (ب) ؛ وإن كتبنا لم نجد هذه الدسة فيما راجعناه من كتب الأنساب ومعجمات الأعلام ، إلا
أنه ورد ذكره كثيرا مما سيأتي .

(٣) كذا في (ب) . والدى في (١) : « الحيلوي » ؛ ولم نجد هاتين النسبتين فيما
راجعناه من كتب الأنساب ومعجمات الأعلام التي بين أيدينا .

وقال آخر :

يُرَى جَارُهُمْ فِيهِمْ نَحِيفًا وَضَيْفُهُمْ يَجُوعُ وَقَدْ بَانُوا مِلَاءَ الْمَذَاخِرِ^(١)

وقال السكرَوَسِيُّ :

وَلَا يَسْتَوِي الْأَنْفَانِ^(٢) لِلضَّيْفِ : آئِسٌ كَرِيمٌ ، وَزَاوٍ بَيْنَ عَيْنَيْهِ فَاطِبُ

وَأُنْشَدَ :

طَعَامُهُمْ فَوْضَى نَضَى فِي رِحَالِهِمْ وَلَا يُحْسِنُونَ السَّرَّ إِلَّا تَنَادِيًا^(٣)

وَأُنْشَدَ آخَرُ :

يُمَانٌ وَلَا يَمُونُ وَكَانَ شَيْخًا تَسَدِيدَ اللَّقْمِ هَلْقَامًا بَطِينًا^(٤)

العرب تقول : إِذَا سَبَعَتْ الدَّقِيقَةُ^(٥) لَحَسَتْ الْجَلِيلَةُ .

قال ابن سَلَامٍ : كَانَ يُخْبِرُ فِي مَطْبَخِ سُلَيْمَانَ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — فِي كُلِّ يَوْمٍ سِتْمَاةَ كُرٍّ^(٦) حِنْطَةً ، وَيُذَبِّحُ لَهُ فِي كُلِّ غَدَاةٍ سِتَّةَ آلَافِ ثَوْرٍ وَعَشْرُونَ شاةً ، وَكَانَ يُطْعِمُ النَّاسَ وَيُجْلِسُ عَلَى مَائِدَتِهِ بِمَجَابِهِ^(٧) الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَأَبْنَاءَ

(١) المداخر : الأجواف .

(٢) في الأصل : « الإماء » مكان قوله : « الانان » ؛ وهو تحريف .

(٣) فوضى فصى ، أى أنهم مشتركون في طعامهم لا يختص به واحد دون رفاقه . ويريد بالشرط الثاني أنهم ليس لأحدهم سرٌّ دون أصحابه . وفي الأصل موص فصى مكان « فوضى فصى » ؛ وهو تحريف ؛ والتصويب عن اللسان .

(٤) الهلقام : عظم اللقم . والبطين : عظيم البطن .

(٥) يريدون بالدقيقة : العنم . والحليلة : الإبل . وهذا مثل يقال إذا قل العشب . وذلك لأن الشاة إذا ودرت على أكل العشب القصير المليل وشبعت منه فإن اللاقة لا تندر على أكله لقصره وقتله وتلحسه . بصرت للفقر يخدم الغنى . وعبارة الأصل : « إذا شبت لحست الحليلة » ؛ وفيه نقص وتحريف طاهران ؛ والتصويب عن البيان والتبيين وغيره .

(٦) السكر : ستون قفزا ، وهو ستة أوقار حمار ، وقيل : أربعون إردبا .

(٧) في الأصل « بمجابهته » ؛ وهو تحريف .

السَّبِيل ، ويقول لِنَفْسِهِ : مِسْكِينٌ بَيْنَ مَسَاكِين .

ولما وَرَدَ تِهَامَةٌ وَاقَى الْحَرَمَ وَذَبَحَ لِلنَّبِيِّ طَوْلَ مُقَامِهِ بِمَكَّةَ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَةَ آلَافِ نَافَةٍ وَخَمْسَةَ آلَافِ ثَوْرٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ شَاةٍ . وَقَالَ لِمَنْ حَفَرَ : إِنَّ هَذَا الْمَكَانَ سَيُخْرِجُ مِنْهُ نَبِيٌّ صِفَتُهُ كَذَا وَكَذَا .

وقال أعرابي :

وَإِذَا خَشِيتَ مِنَ الْمَوَادِّ لَجَاجَةً فَاضْرِبْ عَلَيْهِ بِجُرْعَةٍ مِنْ رَائِبٍ
وروى هشيم أن النبي — صلى الله عليه وسلم — قال : مِنْ كَرَمِ الْعَرَبِ أَنْ يَطَّيَّبَ زَادَهُ فِي السَّفَرِ .

وقال ابن الأعرابي : يقال : جاء فلانٌ واقعد لَغَطَ^(١) رباطه من الجوعِ والعَطَشِ .

وأنشد :

رَبَّ الْجُوعِ فِي أُونَيْهِ^(٢) حَتَّى كَانَهُ جَنْيْبٌ بِهِ إِنَّ الْجَنْيْبَ جَنْيْبُ
أَي جَاعَ حَتَّى كَانَهُ يَمْشِي فِي جَانِبٍ مَتَعَقًّا^(٣) .

وقال أيضا : إِنَّ مِنْ شُؤْمِ الصَّيْفِ أَنْ تَغِيبَ عَنْ عِشَاءِ الْحَيِّ ، أَيْ لَا يُدْرِكُهُ ، فَيُرِيدُ إِذَا جَاءَهُمْ أَنْ يَتَكَلَّمُوا لَهُ عِشَاءً عَلَى حِدَةٍ .

(١) يريد أن بطمه قد ضمرت فاسترحى رباطه حتى صار له صوت ، فشبه ذلك الصوت باللفظ .

(٢) الأويان : الحاصرتان . وقد ورد هذا البيت في الأصل هكذا :

وبال الجوع في أربه حتى كأنه حبيب يدان إلى حبيب

وبه تحريف ظاهر . والتصويب عن إصلاح المطلق لابن السكيت ولسان العرب .

(٣) متعقفا ، أي معوجا .

وأنشد :

حَيَّاكَ رَبُّكَ وَأَضْطَبَحْتَ ثَرِيدَةً وإدامُها ——— ارزُ وَأَنْتَ تَدْبِلُ
وَاللُّقْمَةَ وَاللُّقْمَةَ إِذَا جُمِعَتَا مِنَ الثَّرِيدِ وَالْعَصَائِدِ يُقَالُ لَهَا دُبْلَةٌ، وَمِنْهُ سُمِّيَتْ
الدُّبْلَةُ ، وَهِيَ الْوَرَمُ الَّذِي يُخْرِجُ بِالنَّاسِ . وأنشد :

أَقُولُ لَمَّا ابْتَرَكُوا جُنُوحًا بِقَسْعَةٍ قَدْ طُفِّحَتْ تَطْفِيحًا
دَبْلُ أبا الجوزاءِ أَوْ تَطْفِيحًا^(١)

وقال الفرزدق :

فَدَبَّلْتُ أُمْتَالَ الْأَنْفِ كَأَنَّهَا رُؤُوسُ أَعَادٍ قُطِعَتْ يَوْمَ مَجْمَعِ
وقال سعيد بن المسيب : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” أَطِيبُوا
الطَّعَامَ فَإِنَّهُ أَنْفَى لِلشُّخْطِ ، وَأَجْلَبُ لِلشُّكْرِ ، وَأَرْضَى لِلصَّاحِبِ “ .
قال بشار .

يَغْصُ إِذَا نَالَ الطَّعَامَ بِذِكْرِكُمْ وَيَشْرِقُ مِنْ وَجْدٍ بَكُمْ حِينَ يَشْرَبُ
المسعود : الجائع . قال هميان بن قحافة :

* لَاقَى حِصَاثًا بَطْنًا مَسْعُورًا *

وقال شاعر :

* يَمْشِي مِنَ الْبَطْنَةِ مَشْيَ الْأَبْرَحِ^(٢) *

(١) في الأصل : « دل أما الحوز أو بطيخا » ؛ وفيه تصحيف ظاهر . والتصحيح
عن المختص .

(٢) في (١) التي ورد فيها هذا الكلام وحدها دون (ب) « الأترح » ... « النرح »
بالنون والحاء ؛ وهو تصحيف في كلتا الكلمتين ؛ والصواب ما أثبتنا ، نقلا عن كتب اللغة .

النَزْحُ : دخول البطن وخروج الشئ أسفل السُرَّة .

وقال آخر :

أَغْرُ كَمَصْبَاحِ الدَّجَنَّةِ يَتَّقِي شَذَى^(١) الزَّادِ حَتَّى تُسْتَفَادَ أَطَابِيهُ
شَذَاهُ^(١) : طيبه .

وقال أعرابي : بنو فلان لا يَنْزِرُونَ^(٢) ولا يَقْدِرُونَ .

وفال الثوري : بَطَّنُوا غَدَاءَكُمْ بِشَرْنَةٍ .

[وقال الشاعر^(٣) :

لَا يَسْتَوِي الصَّوْتَانِ حِينَ تَجَاوَبَا صَوْتُ الْكَرْبِ^(٤) وَصَوْتُ ذِي مُقْفَرِ
الْكَرْبِ : الشَّوَيْقُ^(٥) وَهُوَ الْمَحْوَرُ وَالْمِسْطَح .
وقال الشاعر :

إِذَا جَاءَ نَاغِي الْخَيْرِ قُلْنَا بِشَاشَةٍ لَهُ بَوَّجُوهُ كَالدَّائِرِ : مَرَحَبًا
وَأَهْلًا وَلَا مَمْنُوعَ حَيْرٍ تَرِيدُهُ وَلَا أَنْتَ تَخْشَى عِنْدَمَا أَنْ تُؤَوَّبَا
قال الشعبي : اسْتَسْقَيْتِ عَلَى خِوَانٍ فَنَيْبَةٍ ، فقال : مَا اسْقَيْتِكِ ؟ فَعَلْتَ :
الْمُهَيَّنُّ الْوُجْدُ ، الْعَرِيزُ الْقَدْرُ . فقال : يَا غَلَامَ ، اسْقِهِ الْمَاءَ .

(١) ورد هاتان السكاملتان اللتان تحت هذا الرقم في الأصل ناقضتان وهو تحريف .

(٢) لا ينزرون ، من بررت القدر إذا رميت بها النزر ، وهو التاليل . ولا يمدرون ، من المندر يفتح القاف ، وهو الطبيع في القدر .

(٣) لم ترد هذه العبارة في الأصل .

(٤) في الأصل : « الكريث » ، التاء ؛ وهو تصحيف . والتصحيح عن إصلاح المطلق . وفي الأصل : « معقر » ؛ وهو تصحيف أيضا . والتصحيح عن إصلاح المطلق كذلك .

(٥) في الأصل : « الشويق » ؛ وهو تحريف . والتصويب عن إصلاح المطلق . والشويق هو الحشبة التي يبسط عليها الحجاز الحنز .

مرّاً مسكينٌ بأبي الأسودَ ليلاً وهو ينادى : أنا جائع ! فأدخَلَه وأطعمَه
 حتّى شَبِعَ ، ثم قال له : انصَرِفْ إلى أَهْلِكَ ، وأتبعه غُلاماً وقال له : إنْ
 سمعته يسأل فأردْده إلى . فلما جاوزَه المسكينُ سأل كعادته ، فتشَبَّثَ به الغلامُ
 وردَّه إلى أبي الأسود . فقال : ألم تشَبِعْ ؟ فقال : بلى . قال : فما سؤالاك ؟ ثم
 أَمَرَ به فحُبِسَ في بَيْتٍ وأغلق عليه الباب ، وقال : لا تُروِّع مسالماً سائر الليلة
 ولا تَكْذِب . فلما أَصْبَحَ خَلَّى سَبِيلَه ، وقال : لو أَطعنا السُّؤَالَ صرنا مثْلهم .
 وسمع دَابَّةً لَهُ تَعْتَلِفُ في جَوْفِ اللَّيْلِ ، فقال : إني لأراكَ تَهْزِينَ في
 مَالِي والناسُ نِيَامُ ، والله لا تُصْبِحِينَ عِنْدِي . وباعها .

وأبو الأسود يُعَدُّ في الشعراء والتابعين والمحدثين والبُخلاء والمفاليج
 والنحويين والقضاة والعُرج والمعلمين .

وقال الشاعر :

أَنْفَقَ أبا عَمْرٍو وَلَا تَعَذَّرَا وَكُلَّ مِنَ الْمَالِ وَأَطْعِمْ مَنْ عَرَا
 لَا يَنْفَعُ الدَّرْهَمُ إِلَّا مُذْبِرَا

كان مُسْلِمُ بْنُ قُتَيْبَةَ لَا يَجْلِسُ لِحَوَائِجِ النَّاسِ حَتَّى يَشْبَعَ مِنَ الطَّعَامِ الطَّيِّبِ ،
 وَيَرَوِّى مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ ، وَيَقُولُ : إِنَّ الْجَائِعَ ضَيِّقُ الصَّدْرِ ، فَقِيرُ النَّفْسِ ،
 وَالشَّبْعَانِ وَاسِعُ الصَّدْرِ ، غَنَى النَّفْسِ .

وقال أعرابي :

هَلَكْتُ هَرِيَّةً^(١) وَهَلَكْتُ جُوعًا وَخَرَقَ مِعْدَتِي شَوْكُ الْقَتَادِ

(١) هريئة ، أى بردا . يقال قرة (بكسر القاف) فيها هريئة ، أى يصيب الناس
 منها ضر وموت كثير . والهريئة : وقت اشتداد البرد ، كما في اللسان .

وَحَبَّيْهُ حَنْظَلٌ وَلُبَابُ قُطْنٍ وَنُثُومٌ بِنُظْمٍ بَطْنٌ وَادِيٌ^(١)
وقال الفرزدق :

وإن أبا الكَرَشَاءِ^(٢) ليس بسارقٍ وَلَكِنَّهُ مَا يَسْرِقُ الْقَوْمُ يَا كُلَّ
ولديك الحِنِّ :

إذا لم يكنْ في البيتِ مِلْحٌ مُطَيَّبٌ وَحَلٌّ وَزَيْتٌ حَوْلَ حُبٍّ^(٣) دَفِيقٍ
فِرَاسُ ابنِ أُمِّى في حِرَامٍ [ابن] خَالَتِي
وقال آخر :

وما حيرةٌ إِلَّا كَلِيبُ نُوٍّ وَائِلٍ لِيَالِي تَحْمِي غِرَّةً مَنَبَتَ الْبَقْلِ
وقال مِسْعَرٌ بن مَكْدَمٍ لِرَقِبة بن مَعْفَلَةَ : أَرَأَاكَ طُمْبُلِيًّا . قال : يا أبا محمد ،
كُلُّ مَنْ تَرَى طُمْعِلِيًّا إِلَّا أَنَّهُمْ يَتَشَكَّاتُونَ .
وقال شاعر :

قَوْمٌ إِذَا آتَسَوْا ضَمِيمًا فَلَمْ يَجِدُوا إِلَّا دَمَ الرَّأْسِ صَبُودَ عَلَى الْمَابِ
قال المصنوع : الرأسُ الرئيس .

اشتدَّ بَأبَى مِرْعُونَ الشَّاشِيَّ الْحَالُ فَكَتَبَ إِلَى بَعْضِ الْقَصَاةِ بِالْبَعْرَةِ :
يَا فَاصِمَى الْبَصْرَةَ ذَا الْوَحْهِ الْأَغَرَ إِلَيْكَ أُنْكَو مَا مَصَى وَمَا غَبَّرُ
عَفَا زَمَانٌ وَتَسْنَأُ فَدَ حَضَرُ إِنَّ أَبَا عُمَرَةَ^(٤) فِي بَيْتِي أُمُحْجَرُ
نَصْرِبُ بِالْدَفِّ وَإِنْ شَاءَ زَمَرُ فَاطْرُدْهُ عَنِّي بِدَفِيقٍ بُنْدَظَرُ
فأجابه إلى ما سأل .

(١) النجوم سجر له حب نكح الحروع . ويظلم بطن وادى ، أى يملؤه وبعمه .

(٢) كنداى (١) وديوان الفرزدق . والذي فى (ب) : « أبا العراء » ؛ وهو خطأ
الناصح . (٣) الحُبُّ بضم الحاء : الحرة ؛ وأما هم كانوا يصفون الدقيق فى الجرار .
(٤) أبو عمره : كنية الجوع .

وبقال : وَقَفْتُ أَعْرَابِيٌّ عَلَى حَلَقَةِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَقَالَ :
رَحِمَ اللَّهُ مَنْ أَعْطَى مِنْ سَمَةِ ، وَوَأَسَى مِنْ كَعْفَافٍ ، وَآثَرَ مِنْ فِلَهِ . فَقَالَ
الْحَسَنُ : مَا أَبْقَى أَحَدًا إِلَّا سَأَلَهُ .

وقال ابن حبيب : يقال أحمق من الصَّعْبِ ، وذلك أنها وَحَدَتْ تَوْدِيَةً^(١)
في عدير فجعلت تَشْرَبُ الماءَ وتقول : « يَا حَبْذَا طَعْمُ اللَّبَنِ » حتى انشَقَّ بطنها
فمَاتَتْ . والتَّوْدِيَّةُ : العودُ بَشُدُّ على رأسِ الحِلْفِ^(٢) لئلا يَرْضَعَ الْعَصِيلُ أُمَّهُ .
دعا رجل آخر فقال له : هذه^(٣) تُكْسِبُ الزُّبَارَةَ وإن لم تُسْعِدْ ، ولعل بقصيرا
أنفعُ فيما أَحَبُّ بلوغه من رِيكٍ^(٤) فقال صاحبه : حرصك على كرامتي
بكميكم مؤونة المكاف لي .

قيل لأعرابي : لو كنت حليلةً كيف كنت تَصْنَعُ ؟ قال : كنتُ
أَسْنِكُفِي^(٥) سريفة كل قوم ناحيته ، ثم أَخْلُو بالمطبخِ وَأَمُرُ الطَّهَّاءَ
فِيُعْظَمُونَ^(٦) التَّزِيدَةَ وَكثيرون العُرَاقُ^(٧) ، فأنذا وبأ كلُّ لَقَمًا ، ثم آذُنُ
لِلنَّاسِ ، فأني ضياعٌ^(٨) تكون بعد هذا ؟ !

(١) في الأصل : « بودقة » بالباء والقاف ؛ وهو تخريب صوابه ما أثبتنا بقلا عن
كتب اللغة وعارة نجم الأمانال : ترعم الأعراب أن أنا الضاع وحد تودية في عدر . . .
الح ماها .

(٢) الحلف الصرع وفي الأصل : « الحلف » بالهملة ؛ وهو تصحيف .

(٣) هذه : إشارة إلى دعوته إياه . أي أن هذه الدعوة تكسبي ريارتك لي وإن لم
تسعد أي مُسَبِّحِي على قضاء الحق كله . وفي الأصل : « تكسر » مكان « تكسب » . وهو
تخريف . ولعل صوابه ما أثبتنا .

(٤) في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام : « ترك » ؛ وهو تخريف .

(٥) في (١) : « استلقى » ؛ وهو تخريف .

(٦) في (١) : « فيطمعون » ؛ وهو تخريف .

(٧) العراق (الاصم) : جمع عرق (يفتح فسكون) ، وهو العظم الذي أخذ أكثر

ما عليه من اللحم وبقي عليه شيء يسير .

(٨) في كلتا المسحنتين : « صاع » ؛ وهو تصحيف .

وقال أعمرابي لأبن عم له : والله ما جفانكم بعظام ، ولا أجسامكم^(١)
 بوسام ، ولا بدت^(٢) لكم نار ، ولا طو لبتم بثار .
 وقيل لأعمرابي : لم قالت الحاضرة للعبد : باعك الله في الأعراب ؟ قال :
 لأننا نغري جلده ، ونطيل كده ، ونجيع كبده .
 وقال طميلي : إذا حدثت على المائدة فلا تزد في الجواب على نعم ، فإنك
 تكون بها مؤانسا لصاحبك ، ومسيغا للقميتك ، ومقبلا على سنانك .
 وقيل لأعمرابي : أى شيء أحد ؟ قال : كبد جائعة ، تلقي إلى أمعاء ضالعة^(٣) .
 وقيل لآخر : أى شيء أحد ؟ قال : ضرس جائع ، يلقى إلى [معى ضالع^(٤)]
 وقال آخر :

أَحِبُّ أَنْ أَصْطَادَ ضَبًّا سَحْبَلًا^(٥) وَوَرَلًا يَرِنَادُ رَمَلًا أَرْمَلًا
 قَالَتْ سُلَيْمَى لَا أَحِبُّ الْجُورَلَا وَلَا أَحِبُّ السَّمَكَاتِ مَا كَلَا
 الْجُورَلُ : فَرَخُ الْحُمَامِ . وَالْوَرَلُ : دَابَّةٌ^(٦) . أَرْمَلُ : صِفَةُ الْوَرَلِ . وَإِذَا كَانَ
 كَذَلِكَ^(٧) كَانَ أَهْمَنَ لَهُ ، وَهُوَ^(٨) يَسْفِدُ فِيهِرُلُ .

(١) في (١) : « ولا آجامكم » ؛ وهو تحريف .
 (٢) كندا في (ب) . والذي في (١) : « بدت » ، والمعنى يستقيم عليه أيضا .
 (٣) يريد بالضالعة هنا القوية على احتمال ما يلقى إليها ، وكذلك الضالع الآتي بعد . والذي
 وحدناه في كتب اللغة أنه الضليم ، من الضلالة ، وهي القوة . ولم نجد الضالع بهذا المعنى .
 والذي في كتاب التنبيه على أعلام أى على القائل ص ٢٢ أن المحفوظ : ضرس قاطع يقذف في
 معى حائم وهذا هو الصحيح .

(٤) السجل : العظيم المس من الضباب . والورل دابة تشبه الضب وأعظم منه بغير .
 والأرمل : الذى لا زوج له . ونقال ذلك في المذكر على التشبيه . قاله في اللسان مستشهدا
 بهذا البيت ، وروايته فيه : « رعى الربيع والشتاء أرملا » مكان قوله : « وورلا يرتان » .
 (٥) في (١) : « بت » ؛ وهو تحريف ، وقد سبق المريف مهدد الدابة في الحاشية
 قبل هذه . (٦) كذلك ، أى أنه أرمل لا زوج له .

(٧) في الأصل : « مسرى » ؛ وهو تحريف ، والسياق يقتضى ما أئنتنا .

ويقال : أَقْبَحُ هَزْلَيْنِ : المرأة والفارس ، وأطيبُ غَثٍّ أكلَ غَثِّ الإبل ، وأطيب الإبل لحماً ما أكل السَّعدان^(١) ، وأطيب الغنم لبناً ما أكل الحُرْبُث^(٢) .

ويقال : أَهْوَنُ مَظْلُومٍ سِقَاةٌ مُرَوِّبٌ ، وهو الذى يُسْقَى منه قبل أن يُنَحَّضَ وتُخْرَجَ زُبْدَتُهُ .

ويقال : سَقَانَا ظَلِيمَةً وَطِيمَةً^(٣) ، وقد ظَلَمْتُ أَوْطُ^(٤) الْقَوْمَ

وفال الشاعر :

وصاحب^(٥) صِدْقٍ لَمْ تَنَانِي شَكَاتُهُ ظَلَمْتُ وَفِي ظَلَمِي لَهُ عَامِدًا أَجْرُ
يعنى وَطَبَ لَبَنٍ

وكان^(٦) الحسنُ البصريُّ إذا طَبَخَ اللحمَ قال : هَمُّوا إِلَى طَعَامِ الْأَحْرَارِ .
فال سفيانُ الثَّوْرِيُّ : إِنِّي لَأَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ لِي مَرْحَبًا فَيَايُنُ لَهُ قَلْبِي ،
فكيف بمن أَطَأُ بِسَاطِهِ ، وآكلُ تَرَبْدِهِ ، وَأَزْدَرْدُ عَصِيدِهِ ؟

حكى أبو زيد : قد^(٧) هَجَأَ غَرَنِي^(٨) : إِذَا دَهَبَ ، وقد أَهْجَأَ طَعَامُهُكُمْ
غَرَنِي : إِذَا قَطَعَهُ . قال الشاعر :

(١) السعدان : بنت تشبه شوكتها حاملة الثدي ، وهو من أفضل مراعى الإبل ،
ويقال فى المثل : « مرعى ولا كالسعدان » .

(٢) الحرث : بنت مبسطة له ورق طوال رفاق طيب الرائحة يريل بحر النعم .

(٣) فى الأصل : « وطى » ؛ وهو تحريف .

(٤) فى الأصل : « طية » ؛ وهو تحريف .

(٥) ورد هذا البيت فى الحيوان ، ولم ينسبه كلاهما .

(٦) فى (١) : « وقال » ؛ وهو تمديد من الناسخ .

(٧) فى (١) : « قال » ؛ وهو تحريف . (٨) الحرث : الخوع .

فَأَخْرَاهُمْ^(١) رَبِّي وَدَلَ عَلَيْهِمُ وَأَطْعَمَهُمْ مِنْ مَطْعَمٍ غَيْرِ مُهْجِيٍّ^(٢)
قال : ويقال بَأَرْتُ^(٣) بُورَةً فَأَنَا أَبْأَرُهَا ، إِذَا حَفَرْتَ حَفِيرَةً يَطْبَخُ فِيهَا ،
وَهِيَ الْإِرَّةَ . وَنَقَالَ : أَرْتُ إِرَةً فَأَنَا أَرُّهَا وَأَرَا .

وقال حستان :

تَخَالَ مُدُورَ الصَّادِ^(٤) حَوْلَ بِيُونَا قَنَابِلَ دُهْمَا فِي الْمَبَاءَةِ صُيَمًا
قال أبو عبيدة : كَانَ الْأَصْمَعِيُّ بَخِيلًا ، وَكَانَ يَجْمَعُ أَحَادِيثَ الْمَخْلَاءِ
وَيُوصِي بِهَا وَلَدَهُ وَبَنَاتَهُ بِهَا
وَكَانَ أَبُو عبيدة إِذَا دُكِرَ الْأَصْمَعِيُّ أَنْشَدَ :

عَظُمَ الطَّعَامُ بِعَيْنِيهِ وَكَأَنَّهُ هُوَ يَقْسُوهُ لِلَاكِينَ طَعَامُ
ويقال : أَسْأَرْتُ ، إِذَا أَبْقَيْتَ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ أَوْ غَيْرِهَا ، وَالْأَسْمُ الشُّوْرُ
وَحَمَاطَتُهُ الْأَسَارَ . وَيَقَالُ : فَأَدْتُ^(٥) الْخُزْرَةَ فِي الْمَلَّةِ^(٦) أَفَادُهَا^(٥) إِذَا خَبَزَتْهَا
بِهَا . وَالْمِفَادُ^(٥) : الْحَدِيدَةُ الَّتِي يُخَبَزُ بِهَا وَيَشْوَى . وَيَقَالُ : تَمَلَّأْتُ مِنَ الْأَكْلِ

(١) فِي الْأَصْلِ : « فَأَخْرَاهُمْ » بِالْحِيمِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ

(٢) فِي الْأَصْلِ : « مَهْجِيٍّ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « نَأَرْتُ ثُورَةً فَأَنَا أَنْأَرُهَا » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ فِي الْكَلِمَاتِ الثَّلَاثِ .

(٤) الصَّادُ : الْحَسَنُ ، وَقِيلَ نَوْعٌ مِنْهُ . وَفِي الْأَصْلِ : « الضَّأَنُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .
وَالضَّأَنُ : طَوَائِفُ الْحَيْلِ . الْوَاحِدُ قَيْلٌ وَرَأَى جَعْفَرٌ وَقَيْلَةُ . وَفِي الْأَصْلِ : « قَنَابِلُ » ؛ وَهُوَ
تَحْرِيفٌ . وَفِي دِيَوَانِ حَسَنِ : « فِي الْحَلَّةِ » ، وَالْمَعْنَى عَلَيْهِ يَسْتَقِمُ ؛ وَفِي الْأَصْلِ « فِي الْمَلَّةِ »
وَالطَّاعِمُ أَنْ هَذَا اللَّعْطُ مَحْرُوفٌ عَمَّا أَنْشَأَ فَقَالَ عَنْ مُحَاصِرَاتِ الْأَدْبَاءِ . وَقَبْلَ هَذَا الْبَيْتِ :

إِذَا عَبَّرَ آفَاقَ السَّمَاءِ وَأَحْمَلَتْ كَأَنَّ عَلَيْهَا ثَوْبَ عَصَبٍ مَسْهَمًا

وَفِي دِيَوَانِ حَسَنِ : « حَسِبْتُ قَدُورَ » مَكَانَ قَوْلِهِ : « نَحَالُ » .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « قَادَتْ » . . وَأَفَادَهَا . . . وَالْمِفَادُ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي هَذِهِ

الْكَلِمَاتِ الثَّلَاثِ .

(٦) الْمَلَّةُ : مَوْضِعُ الدَّارِ .

والشراب تملؤا ، إذا شَبِعْتَ منهما وامتَلأتَ . ويقال : لَفَأْتُ ^(١) اللحمَ عن العظم لَفْأً ^(١) إذا جَلَفْتُ ^(١) اللحمَ عن العظم . واللَّفَيْئَةُ ^(٢) هي البَضْعَةُ التي لا عَظْمَ فيها نحو النَّحْضَةِ ^(٣) والهَبْرَةِ والوَدْرَةِ ^(٢) .

وَأُنْشَدَ يَعْقُوبُ :

سَقَى ^(٣) اللهُ الغُضَا وَخُبُوتَ قَوْمٍ متى كانت تكون لهم ديارا
أُناِسُ لَا يُنَادِي ^(٤) الصَّيْفُ فِيهِمْ ولا يَقْرُؤُونَ آيَةَ صِغَارَا
قال الأصمعي : قال ابن هُبَيْرَةَ : نَعْجِيلُ الغَداءِ يَزِيدُ في المَرْوَةِ ، وَيَطْيِبُ
النَّكْهَةَ ، وَيُعِينُ على قِصَاءِ الحَاجَةِ .

قال بعض العرب : أَطْيَبَ مَضْغَةٌ أكلها الناسَ صَيِّحَاتِيَّةٌ مُصْلَبَةٌ ^(٥) .
ويقال : آكَلُ الدَّوَابِّ رِزْوَنةٌ رَغُوثٌ وهي التي يَرَضُعُهَا وَلَدُهَا ^(٦) .
قال أبو الحارث حميد : ما رَأَيْتُ شَيْئاً أَشْبَهَ بِالْقَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ مِنْ قَدْرِ
سُقَيَّتِ اللَّبَنِ كَثِيرَةِ الشُّكَّرِ .

(١) في الأصل : « لَفَأْتُ ... لفاء إذا جعلت » ؛ وهو تحريف في هذه الكلمات الثلاث .
(٢) في الأصل : « واللافتة ... البضعة ... والودنة » ؛ وهو تحريف في هذه
الكلمات الثلاث

(٣) في (أ) التي ورد فيها وحدها هذا الشر : سل الله ؛ وهو تحريف لا يستقيم به
المعنى ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا . ولم نجد هذين البيتين فيما راجعناه من الكتب . والخبوت :
جمع خبت ، وهو المظلم من الأرض .

(٤) لا يبادي الخ ، أي أنهم لا تكلمون الضيف مؤونة السؤال
(٥) الصيحات : صرّ من تمر المدينة أسود صلب المضغ . والمصلب : الذي خلط
بالصليب ، وهو الودك ، وهو مثل يضرب للعتلائين المتوافقين . وفي الأصل : « مقلية »
بالقاف والياء ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا نقلا عن مجمع الأمثال .

(٦) يلاحظ أن تفسير البرذونة الرغوث بهذا المعنى المذكور هنا غير صحيح ، إذ البرذونة
لا ولد لها . والرغوث من البراذين هي التي لا تكاد ترفع رأسها من العلف . أما التي برضعها
ولدها فهي الرغوث من الشياه . فعمل في الكلام نقصا ، وتكملته : « والشاة العربوت
هي التي ... الخ » .

وقال الشاعر :

وإني لأستحفي رفيقاً أن يرى مكان يدي من جانب الزاد أقرباً
صم^(١) عثمان بن رواح^(٢) السَّفرُ ورفيقاً له ، فقال له الرفيق : امض إلى
السُّوق فاشتر لنا لحماً . قال : والله ما أقدر . قال : فصِ الرفيق واشترى اللحم
ثم قال لعثمان : قم الآن فاطبخ القدر . قال : والله ما أقدر . فطَبَخَهَا الرفيق .
ثم قال : قم الآن فامزُد . قال : والله إني لأعجزُ عن ذلك . فترَدَ الرفيق . ثم
قال : [قم] الآن فكل . فقال : والله لقد أَسْتَحْيَيْتُ من كثرةِ خلافي عليك ،
ولولا ذلك ما فعلت .

قال يونس : أتيتُ ابنَ سِيرينَ فدَعَوْتُ الجاريةَ ، فسَمِعْتُهُ يقول : قُولِي
إِنَّهُ نَائِمٌ . فقلت : مَعِيَ خَبِيبٌ . فقال : مَكَانَكَ^(٣) حتى أخرجَ إليك .
قال أردشير : احذَرُوا صَوْلَةَ الكَرِيمِ إذا جاع ، واللَّئيمِ إذا سَبِعَ .
قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رَوَاهُ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : هَلَاكَ الرَّجُلُ
أَنْ يَحْتَقِرَ مَا فِي بَيْتِهِ أَنْ يَقْدِمَهُ إِلَى ضَيْفِهِ ، وَهَلَاكَ الضَّيْفُ أَنْ يَحْتَقِرَ
مَا قُدِّمَ^(٤) إِلَيْهِ .

وقال الشاعر :

يا ذاهباً في داره جائيًا^(٥) بغير معني وبلا فائدة
قد جُنَّ أضيافك من جوعهم فاقراً عليهم سورة المائدة

(١) في إحدى النسختين : « صم » ؛ وهو تصحيف .

(٢) في (ب) : « ابن دراج » وهو تصحيف . (٣) في (أ) : « فركابك » .

(٤) في الأصل : « واتدم » مكان قوله : « ما قدم » ؛ وهو تحريف .

(٥) في الأصل : « خائباً * يعين » ؛ وهو تصحيف في كلتا الكلمتين .

وقال ابن بَدْر :

ونحن نَبْذُلُ عند القَحْطِ ما أَكَلُوا مِنْ السَّديفِ إذا لم يُوْنَسِ القَزَعُ^(١)
ونَذِرُ الكُومَ^(٢) عَبْطًا^(٣) في أرومتينا لِلنَّازِلِينَ إذا ما أَسْتَنْزِلُوا شَبِيعُوا
وقال آخر :

أَطْعَمَنِي بَيْضَةً وناولَنِي مِنْ بَعْدِ ما ذُقْتُ فَقَدَهُ قَدَحًا
وقال أَيْ الأصواتِ تَسْئَلُنِي^(٤) ؟ يَزِيدُ ، إِنِّي أَرَاكَ مُتَتَرِّحًا
فَقُلْتُ صَوْتِ المِقْلَى وَجَرْدَقَةٌ^(٥) إِنْ خَابَ ذا الأَفْتِرَاحُ أو صَلَحَا
فَقَطَّبَ الوجْهَ وَأَنْثَنِي غَضِبًا^(٦) وَكَانَ سَكْرَانًا طَافِحًا فَصَحَا
فَقُلْتُ : إِنِّي مَزَحْتُ ، قال : كَذَا رَأَيْتَ حُرًّا بِمَثَلِ ذَا مَزَحَا ؟
قال ابن حبيب : كان الرَّجُلُ إذا اشْتَدَّ عليه الشَّتَاءُ تَنَجَّى وَزَلَّ وَحَدَهُ
لئَلَّا يَنْزِلَ بِهِ ضَيْفٌ فيكونُ صُغْعًا مُسْتَحَبًّا .

وهذا ضِدُّ قول زهير :

بَسَطَ البُيُوتَ لِكَيْ تَكُونَ مَطِيَّةً مِنْ حَيْثُ تَوْضَعُ جَفْنَةُ المُسْتَرْفِدِ
وَإِذَا كَانَ الشَّتَاءُ انْحَازَ النَّاسُ مِنَ الجُدْبِ والجَهْدِ ، وَإِذَا أَخْصَبُوا أَغَارُوا
لِلنَّارِ لَا لِلسُّؤَالِ .

(١) السديف : لحم السام . والفزع بالفاء : السحاب . وفي الأصل : « الفزع » بالفاء .

(٢) الكوم واحده كوما بفتح الكاف ؛ وهي الناقة العظيمة السام .

(٣) في الأصل : « غيظا » ؛ وهو تصحيف .

(٤) في الأصل : « فاسلني * يربد » ؛ وهو تحريف .

(٥) الجرذقة : الرغبة ، فارسية . وفي الأصل : « خودبة » ؛ وهو تحريف .

(٦) في الأصل : « حصا » ؛ وهو تحريف .

وقال الشاعر في عُبيد الله بن عباس :

ففي السنة الجذباء أطمعت حامِصاً وحلوا وتَحَمَّما تاهِكاً^(١) وسَمَاماً
وقال مجاهد في قول الله عزَّ وجلَّ : (وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِئاً) ، أى طعاماً ،
يقال : اُتَّكَأْنَا عند فلانٍ ، أى طَعَمْنَا .

ذكر الأصمعيُّ أن أعرابياً خَرَجَ في سَفَرٍ ومعه جماعة ، فأرْمَلَ^(٢) بعضهم
من الزاد ، وحَضَرَ وقتُ الغداء وجعل بعضهم ينظرُ بَعْضاً بالغداء ، فلَمَّا أَبْطَأَ
ذلك عليهم عَمَدَ بعضهم إلى زاده فألقاه بين يَدَيِ القَوْمِ ، فأفْبَلُوا يأكلون ،
وجلس صاحبُ الزادِ بَعِيداً لِلتَّوْفِيرِ^(٣) عليهم ، فصاح به أعرابي : يا سُودَدَاهُ !
وهل شَرَفَ أَفْضَلُ من إطعامِ الطعامِ والإيثارِ به في وَقتِ الحاجةِ إليه ؟ لقد
آثَرْتَ في خَمَصَةٍ ويوم مَسْغِبَةٍ ، وتفرَّدْتَ بمكرمةٍ قَعَدَ^(٤) عنها مَنْ أَرَى من
نُظَرائِكَ ، فلا زالت رِعْمُ الله عليك غاديةً ورائحةً .

وفي مثله يقول حاتم الطائي :

أَكُفُّ بَدَى من أن تَنَالَ أَكُفَّهُمْ إذا ما مَدَدْنَاها وحاجاتُنا مَعَا
وإني لأَسْتَحْيِي رَفِيقِي أن يَرَى مَكَانَ يَدَي من جَانِبِ الزَادِ أَفْرَعَا
قال : المَخْمَصَةُ : المَجَاعَةُ . وَالْخُمْص : الجُوع .

قال شاعرٌ يَذُمُّ رجلاً :

يَرَى الْخُمْصَ تَعْدِيباً وإِنْ يَلْقَ شَبْعَةً يَبْتَ قَلْبُهُ من قِلَّةِ^(٥) الهمِّ مُبْهِمًا

(١) التامك : الكثير العظيم . (٢) أرمل من الراد : فرع ما عبده .

(٣) في الأصل : « بعد الفجر » ؛ وهو تحريف في كلتا الكلمتين لا معنى له ، ولعل الصواب ما أثبتنا . (٤) في الأصل : « فقد » ؛ وهو تحريف .

(٥) في الأصل « من شدة » ؛ وهو خطأ من الناسخ . والبيت لحام الطائي .

وقال المرقش الأكبر :

إِنْ يُخَصِّبُوا يَغْنَوُوا بِخَصْمِهِمْ أَوْ يُجْدُوا وَجْدَهُهُمْ أَلَمْ
[وَكَتَبَ بَعْضُهُمْ ^(١) إِلَى أَخِي لَهُ] : إِنْ رَأَيْتَ أَنَّ نُرُوءِي ظَمًا أَخِيكَ
بِقُرْبِكَ ، وَنُبْرَدٌ غَلِيلُهُ بَطْلَعَتِكَ ، وَنُونِسٌ وَحْشَتُهُ بَأَنَسِكَ ، وَتَجَلَوَ غَشَاءُ
نَازِرِهِ بَوَجْهِكَ ، وَتَزَيْنَ بِمَجْلَسِهِ بِجَمَالِ حُصُورِكَ ، وَتَجَعَلَ غَدَاؤُكَ عِنْدَهُ فِي مَهْرِكَ
الَّذِي هُوَ فِيهِ سَاكِنٌ ، وَتَمَتَّ لَهُ الْمُرُورُ بِكَ بَاقِي يَوْمِكَ ، مُؤْتِرًا لَهُ عَلَى شُغْلِكَ ،
فَعَلْتُ — إِنْ شَاءَ اللَّهُ — .

وقال الشاعر :

وَكَأَنَّ هَدَرَ دِمَائِهِمْ فِي دُورِهِمْ لَغَطُ الْقَيْلِ ^(٢) عَلَى خِوَانِ زِيَادٍ
قال بعض الخطباء ^(٣) : الْعَجَبُ مِنْ دَى حَدَّةٍ مُنْعَمٍ عَلَيْهِ يَطْوِي جَارُهُ
جَوْعًا وَقُرًا ، وَأَفْرُخُهُ شُعْتُ جُرْدٍ مِنَ الرَّيشِ ، وَهُوَ مِبْطَانٌ مُحْتَشٍ مِنْ حُلُوهِ
وَحَامِضِهِ ، مُسَكَّتَنٌ فِي كِمَّةٍ وَدِمْنَةٍ ، مَرِيئٌ لَهُ تَهْوَةٌ عَنْ أَدَاءِ الَّذِي عَلَيْهِ لُجَارُهُ
وَمُرِيْبُهُ وَدَى حُلَّةٍ بَطِيرٍ ^(٤) رَفِيهِ كَيْفَ يَأْمَنُ سَلْبًا مُهَاجِنًا ؟ أَمَا لَوْ وَجَّهَ
بَعْضُ فَضْلِهِ إِلَى ذِي حَاجَةٍ إِلَيْهِ كَانَ مُسْتَدِيمًا لِمَا أَوْلَى ، مُسْتَزِيدًا مِمَّا أُوتَى .

قال الشاعر ^(٥) :

وَإِذَا تَأَمَّلَ شَخْصَ صَفِيْفٍ مُقْبِلٍ مَتَسَرِّبِلٍ سِرْبَالِ مَحَلٍّ أَغْبَرِ

(١) في (١) : « كان » ثم ذكر الكتاب .

(٢) في الأصل : « القَيْل » ؛ وهو تصحيف .

(٣) في (ب) : « الحكماء » .

(٤) في (ب) : « وذى حلة يطور به » ؛ وهو تحريف .

(٥) هو العلوى صاحب الزرع ، كما في مجموعة النعاني

أَوْمًا إِلَى الْكُومَاءِ هَذَا طَارِقٌ نَحَرْتَنِي الْأَعْدَاءُ إِنْ لَمْ تُنَحِّرِي
[وَفِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ مَا يُسْتَحْسَنُ (١) :

كَمْ قَدْ وَلَدْتُمْ مِنْ كَرِيمٍ مَاجِدٍ دَائِي الْأَظْفِرِ أَوْ غَمَامٍ مُمْطِرٍ
سَدَكْتُ (٢) أُنَامِلُهُ بِقَائِمٍ مَرْهَفٍ وَبَنَشْرٍ عَائِدَةٍ وَذِرْوَةِ مَنَبَرٍ
يَلْقَى السِّمُوفَ بَوَجْهِهِ وَبَنَحْرِهِ وَيُقِيمُ هَامَتَهُ مَقَامَ الْمُغْفَرِ
وَبَقُولٍ لِلطَّرْفِ : اصْطَبِرْ لَشَبَا الْقَنَا وَمَعْقَرَتْ رُكْنَ الْمَجْدِ إِنْ لَمْ تُعْقَرِ]
وَقَالَ آخَرُ :

وَقَالَ وَقَدَّمَ (٣) كَشَكِيَّةً مَكْلٌ شَبَعًا إِنِّهَا فِي النَّهْيَةِ
تُطْفِي الْعُرَارَ وَتَنْفِي الْخُمَارَ وَمَا بَعْدَهَا فِي الْهَيَّاتِ غَايَةِ
وَلَا تَتَوَقَّعْ أَخِيرًا يَجِيئُكَ فِي أَوَّلِ الْمُسْتَطَابِ الْكَفَايَةِ
وَقَالَ آخَرُ :

كَأَنَّمَا فُوهُ إِذَا تَمَدَّدَا لِلْقَمْرِ أَخْلَاقُ جِرَابٍ أَسْوَدَا
كَأَنَّهُ مُخْتَرِصٌ (٤) قَدْ جَوَّدَا جَانِي جَرَادٍ فِي وَعَاءٍ مَقْلَدًا (٥)

(١) وردت هذه التكملة في ب مطبوعة الحروف تتعذر قراءتها مهمل من النقط ما ظهر منها ؛ وقد أثبتناها هكذا أخذنا من السياق . وبعضها عن مجموعة المعاني .
(٢) سدكت أنامله الخ ، أى أولعت بقائم السيف ، يقال : سدك بالشيء ، إذا أولع به وخفت يده في عمله .

(٣) في الأصل : « وقد قدم للقوم » ؛ وهو تحريم ، كما أن قوله : « للقوم » زيادة من الناسخ لا يستقيم بها وزن البيت .

(٤) المختصر الذى يضع فى خرصه (بكسر الخاء) أى جرابه ما يربد . وفى (أ) التى ورد فيها هذا الشعر وحدها دون ب مختصر ؛ وهو تصحيف . كما أن فيها : « هاء » مكان « كانه » ولا معنى له أيضا .

(٥) أورد فى اللسان هذا الشطر ، مادة « قلد » شاهدا على أن المقلد (بكسر الميم) الرجل المجمع .

وصاحب صاحبتُ غيرَ أبعدا تراه بين الحرَّبتين مُسنَدًا^(١)
الحرَّبة : الفرارة .

وقال جابرُ بنُ قبيصة : ما رأيتُ أحلمَ جليسا ، ولا أفضلَ^(٢) رفيقا ، ولا
أشبهَ سريرةً بعَلَانِيَةٍ ، من زياد .

وقال جابر أيضا : شهدتُ قَوْمًا ورأيتهم بعيني ، فما رأيتُ أقرأ لكتاب
الله ، ولا أفتةَ في دينِ الله ، من عُمر بن الخطاب رضى الله عنه . وما رأيتُ
رجلاً أعطى من صُلبِ ماله في غير ولائه ، من طلحة بن عبيد الله . وما
رأيتُ رجلاً أسودَ من معاوية . وما رأيتُ رجلاً أنصع^(٣) ظرفاً ، ولا أخضر
جواباً ، ولا أكثرَ صواباً ، من عمرو بن العاص . وما رأيتُ رجلاً المعرفةً عنده
أنفعَ منها عند غيره ، من المغيرة بن شعبه .

ويقال : ما كان الطعامُ مَرِيئًا ولقد مرأً ، وما كان الرجلُ مَرِيئًا وقد مرؤ .
وقال لنا القطان أبو منصور رئيس أهل قزوين : الرَّجُلُ من أرض أردبيل
إذا دخلَ بلدًا يسأل فيقول : كيف الخبز والمبرز^(٤) ، ولا يسأل عن غيرها . فقيل
له : لمَ ذلك ؟ فقال : يأخذ الخبز والمبرزَ ويأكلُ ويسألُ^(٥) إلى الصباح .

قال الشاعر :

وما تُنْسِنَا الأيامُ لا ننسَ جوعنا بدارِ بنى بذرٍ وطولِ التَّسلُدِ

(١) أورد في الاسان هذين الشطرين مادة (حرب) . والذي في الاصل :

وصاحب صاحب عيرا بعدا تراه بين الحرَّبتين ... الح

ولا يخفى ما في ذلك من تحريف .

(٢) في الأصل : « أغضب » .

(٣) في (١) : « أبضيع طرف » ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا .

(٤) المبرز : المطلق للبطن .

(٥) في كلتا النسختين : « يسرج » بالسين ؛ وهو تحريف .

ظَلَمْنَا كُنَّا بَيْنَهُمْ أَهْلُ مَا نَحْمُ عَلَى مَيِّتٍ مُسْتَوْدَعٍ بَطْنٍ مَلْعَدٍ
يُحَدِّثُ بَعْضُ بَعْضًا عَنْ مُصَابِهِ وَيَأْمُرُ بَعْضُ بَعْضًا بِالتَّجَلُّدِ
وقال آخر :

دَعَوْنِي بِأَنِي قَدْ تَغَلَّيْتُ أَرْعَا وَإِنْ مَسَّ كَفِّ خُبْرَ كُمُ فَاقْطَعُوا يَدِي
وقال آخر يَصِفُ دَارَ قَوْمٍ :

الجُوعُ دَاخِلُهَا وَاللَّوْحُ^(١) خَارِجُهَا وَلَيْسَ يَقْرُبُهَا حُبْرٌ وَلَا مَاءٌ
قال الهلالي : أتى رجلٌ أنا هريرة فقال : إني كنتُ صائماً ودخلتُ بَيْتَ
أبي فوجدتُ طعاماً ، فَسَيْتُ فَأَكَلْتُ . قال : اللهُ أَطْعَمَكَ قال : ثم دخلتُ
بيتاً آخر . فوجدتُ أهله قد حَلَمُوا لَمَحْتَهُمْ فَسَقَوْنِي ، فَسَيْتُ فَشَرِبْتُ . وقال :
يَا بُنَيَّ ، هَوِّنْ عَلَيْكَ فَإِنَّكَ قَلَّمَا اعْتَدْتَ الْعِثَامَ .

وقال الشاعر :

وَجَدْتُ وَعْدَكَ زُوراً فِي مُرْوَرَةٍ^(٢) ذَكَرْتَ مَبْنَدِئاً إِحْكَامَ طَاهِبِهَا^(٣)
وَلَا شَفَى اللهُ مَنْ يَرْجُو الشِّفَاءَ بِهَا وَلَا عَلَتْ كَفُّ مُلْقٍ كَفَّهُ فِيهَا
فَأُحْبِسَ رَسُولُكَ عَنِّي أَنْ يَجِيءَ بِهَا فَقَدْ حَبَسْتُ رَسُولِي عَنْ تَقَاضِيهَا
قال مطرّف بن عبد الله بن الشَّخِيرِ عن أبيه : قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى
اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقُلْنَا . يَا رَسُولَ اللهِ ، أَنْتَ سَيِّدُنَا ، وَأَنْتَ أَطْوَلُنَا عَلَيْنَا طَوُّلًا ،

(١) اللوح : العطش . والذي في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الشعر « والوح »
وما أُنْتداه هو المناسب لموله بمد : « ولا ماء » .

(٢) المرورة : مرقعة تعمل بغير لحم يصفونها المرمى .

(٣) في الاصل : « ظاهبا » ؛ وهو تحريف .

وَأَنْتَ الْجَنَّةُ الْعَرَاءُ . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " قُولُوا بِقَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَفْزِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ " .

وقال آخر :

وَأَخَّرُ مُبَيَّضُ الزُّجَاجِ كَأَنَّهُ رِداءُ عَرُوسٍ مُشْرَبٌ بِخَلْقٍ
له في الْحَشَا تَرْدُ الْوِصَالِ وَطَعْمُهُ (١)
كَأَنَّ بَيَاضَ اللَّوْزِ (٢) فِي جَنْبَانِهِ كَوَاكِبُ دُرٍّ فِي سَمَاءٍ عَقِيقٍ

قال يونس : أَشَدُّ طَعَامٍ ضُرًّا مَا كَانَ مِنْ عَامٍ إِلَى عَامٍ ، وَهُوَ اللَّبَأُ الَّذِي لَا يُوَجَدُ إِلَّا فِي الْوِلَادَةِ كُلِّ عَامٍ وَإِنْ كَانَ مُزِيدًا .

حَكَى يُونُسَ : التَّنَاقُيْتُ (٣) ، أَنْ يُنَزَّعَ شَعْرُ الْجِلْدِ (٤) ثُمَّ يُبَلَقُ فِي النَّارِ ثُمَّ يُؤْكَلُ ، وَذَلِكَ فِي الْجُدْبِ .

وقال الشاعر :

جَاوَرْتُ سَدَبَانَ فَأَحْلَوَى جِوَارُهُمْ إِنَّ الْكَرَامَ خِيَارُ النَّاسِ لِلجَارِ
وَكَتَبْتُ أَنْ دَبْنَارَ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ : وَكَنْتُ تَفْضُلًا مِنْكَ تَعْنِذِرُ مِنْ تَاخِرِكَ
عَنْ قِضَاءِ حَقِّ زِيَارَتِي بِقُصُورِ يَدَيْكَ عَنْ بَرٍّ يُشْبِهُنِي وَيُشْهِكُ ؛ فَأَمَّا مَا يُشْبِهُنِي
فِي هَذَا الْمَوْقِفِ فَرَغِيفٌ وَسَكْرُجَةٌ كَأَمْنِ حَرِّ نَفِّ يَمْتَقِبُ اللِّسَانَ بِجَرَانَتِهِ .

وَكَانَ ابْنُ أَبِي الْبَغَلِ إِذَا أُنْشِدَ : * أَرُونِي مَنْ يَقُومُ لَكُمْ مَقَامِي * يَقُولُ :

(١) فِي (ب) : « وَطِيبِهِ » .

(٢) فِي (١) : « اللَّوْنُ » بِالزَّوْنِ ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٣) وَرَدَتْ هَذِهِ السَّكَمَةُ فِي الْأَصْلِ مَهْمَلَةً الْحُرُوفِ مِنَ الْهَقَطِ تَعْمِدُ قِرَاءَتَهَا . رَقْدُ أَثْبَاهَا هَكَذَا ، فَقُلَا عَنْ كِتَابِ الْاَلْفَةِ بَعْدَ تَقْلِيدِهَا عَلَى عِدَّةٍ وَحَوْه .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « الْحَلْدُ » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

لو شَهِدْتُ قَاتِلَهُ لَقُلْتُ : كَلْبُ الْحَارِسِ يَقُومُ مَقَامَكَ . هَذِهِ قِصَّةٌ فِي حُضُورِ
مَا يَشْبُهَنِي ، فَأَمَّا مَا يَشْبُهِكَ فَتَعَذَّرَ كَمَا قِيلَ :

* وَمَطْلَبٌ مِثْلِي إِنْ أَرَدْتُ عَسِيرٌ ^(١) *

وَقَالَ رَجُلٌ لِعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادِ بْنِ ظَبْيَانَ : مَا أَعْدَدْتُ فِي كِنَانَتِي سَهْمًا
غَيْرَكَ . فَقَالَ : لَا تُعِدَّنِي فِي كِنَانَتِكَ فَوَاللَّهِ لَوْ قَتَلْتُ فِيهَا لَطَلْتُهَا ، وَلَوْ جَلَسْتُ
فِيهَا لَخَرَقْتُهَا . وَلَنْ أُنْتَظِرَ بِي مَا يَشْبُهِكَ طَالَ الْإِنْتَظَارُ ، وَالْعَامَّةُ تَتَعَمَّلُ ^(٢) —
عَلَى خُسَاسَةٍ لَفْظُهَا — : « إِذَا أَرَدْتُ أَلَّا تُزَوِّجَ ابْنَتَكَ فَعَالٍ بِمَهْرِهَا » . وَأَمْلَى
فِيكَ عَلَى الْأَحْوَالِ بَعِيدَ ، وَظَنِّي فِيكَ جَمِيلَ ، وَلَسْتُ أَخْشَى فِيمَا لِي عِنْدَكَ
الْفَوْتَ فَأُعْجِلْهُ ، * وَهَلْ يُلْقَمُ الْكَلْبُ إِلَّا الْحَجَرَ * .

الْعَرَبُ يَقُولُ : لَيْثِمٌ جَبَانٌ ^(٣) .

وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : لَا يَكُنْ بَطْنٌ أَحَدِكُمْ عَلَيْهِ مَغْرَمًا ، لَيْسَ كِسْرُهُ بِالْمُتَمَيِّزَةِ
وَالْكُسِيرَةِ وَالْبُقَيْلَةِ وَالْعُلَيْكَةِ .

قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : الْفَرَزْدَقُ ، الرَّغِيفُ الْوَاسِعُ .

قِيلَ لِأَبْنِ الْقُرَيْبَةِ ^(٤) : تَكَلَّمْ . فَقَالَ : « لَا أَحِبُّ الْخُبْزَ إِلَّا يَابَسًا » . أَرَادَ
لَا أَحِبُّ أَنْ أَتَكَلَّمَ إِلَّا بَعْدَ الْأَرْتِثَاءِ .

وَرَوَى أَبُو عُبَيْدَةَ فِي تَفْسِيرِ بَيْتِ الْأَعَشِيِّ فِي دِيْوَانِهِ :

(١) فِي (١) : « عَزِيزٌ » .

(٢) فِي (١) : تَقُولُ .

(٣) كَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ فِي الْأَصْلِ ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ لَهَا بَقِيَّةً سَقَطَتْ مِنَ الْمَاسِخِ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « ابْنُ الْقُرَيْمِ » .

(١) [إذا ما هم جَلَسُوا بِالْعَشِيِّ] فَأَحْلَامُ عَادٍ وَأَيْدِي هُصْمٍ
قال : شَبَّهَهُم بِأَنْسَالِ عَادَ ، وَهِيَ ثَمَانِيَةُ ذَوُوهِ أَحْلَامٍ وَسُودُودٌ : مَالِكٌ — وَهُوَ سَيِّدُ
الْثَمَانِيَةِ — وَعَمَّارٌ ، وَطُفَيْلٌ ^(٢) ، وَشَمِيرٌ ، وَقَرْزَعَةٌ ^(٣) ، وَحُمَّةٌ ، وَنَشِصٌ ^(٤) ، وَدُفَيْفٌ ؛
وَهُمُ الَّذِينَ بَمَثَلِ لُقْمَانَ بْنِ عَادٍ جَارِيَةٌ بِعُصٍّ مِنْ لَبَنٍ ، فَقَالَ لَهَا : ابْنِي الْحَيَّ
فَأَدْنِيهِ إِلَى سَيِّدِهِمْ لَا تَسْأَلِي عَنْهُ . فَأَتَتْ الْجَارِيَةُ الْحَيَّ ، فَرَأَتْهُمْ مُخْتَلِفِينَ بَيْنَ
عَامِلٍ وَلَاعِبٍ ، وَثَمَانِيَةً عَلَى رُءُوسِهِمُ الطَّيْرَ وَقَارًا ؛ وَرَأَتْ جَارِيَةً مِنَ الْحَيِّ ،
فَأَخْبَرَتْهَا بِمَا قَالَ لُقْمَانُ ؛ قَالَتْ : هَؤُلَاءِ سَادَةُ الْحَيِّ ، وَسَأَصِفُ لَكَ كُلَّ وَاحِدٍ
مِنْهُمْ ، فَأَدْنِي الْعُصَّ إِلَى مَنْ شِئْتَ . أَمَّا هَذَا فَعَمَّارٌ ، أَخَاذٌ وَدَّارٌ ^(٥) ، لَا تَحْمُدُ
لَهُ نَارَ ، الْمُعْشَبَاتِ عَقَّارِ (الْمُعْشَبَةُ : الَّتِي تَسْمَنُ عَلَى شَجَرٍ قَدِيمٍ) ، وَأَمَّا هَذَا
فَحُمَّةٌ ، غَدَاؤُهُ كُلَّ يَوْمٍ نَاقَةٌ سَنَمَةٌ ^(٦) وَبَقَرَةٌ شَحِمَةٌ ، وَشَاةٌ ^(٧) كَدِمَةٌ . وَأَمَّا
هَذَا فَقَرْزَعَةٌ ^(٨) ، إِذَا لَقِيَ جَانِعًا أَشْبَعَهُ ، وَإِذَا لَقِيَ قَرْنًا جَمَعَهُ ^(٩) وَقَدْ خَابَ
جَيْشٌ لَا يَغْزُو مَعَهُ . وَأَمَّا هَذَا فَطُفَيْلٌ ، غَضَبُهُ حِينَ يَفْضَبُ وَيَنْبُلُ ، وَرِضَاهُ
حِينَ يَرْضَى سَيْلٌ ، وَلَمْ تَحْمِلْ مِثْلَهُ عَلَى ظَهْرِهَا إِبِلٌ وَلَا خَيْلٌ . وَأَمَّا هَذَا فَشَمِيرٌ ،

(١) لم يرد هذا الشطر الذي بين مربعين في الأصل ؛ وقد أثبتناه عن شعر الأعنين
الطَّبُوعِ فِي أَوْرَبَا . وَفِي الْأَصْلِ : « وَأَنْشَدَ » مَكَانَ قَوْلِهِ : « وَأَيْدِي » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .
وَهَضَمَ بَضْعَتَيْنِ : جَمَعَ هَضْمُومَ ، وَهُوَ الْجَوَادُ الْمُتَلَابُ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَتُحْمِلُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) كَذَا وَرَدَ هَذَا الْأِسْمُ فِي كَلَامِ الْمَوْضِعِينَ الَّذِينَ تَحْتَ هَذَا الرَّقْمِ فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا
وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ ؛ وَلَمْ نَجِدْ مِنْ نَصٍّ عَلَى تَصْحِيحِهِ بِالْبَارَةِ .

(٤) كَذَا وَرَدَ هَذَا الْأِسْمُ فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ هُنَا وَفِي
صَفْحَةِ ٥٠ سَطْر ٣ . وَلَمْ نَجِدْ مِنْ نَصٍّ عَلَى تَصْحِيحِهِ فِي رَاجِعِنَاهُ مِنَ الْمَظَانِ .

(٥) وَدَّرَهُ : أَهْلَكَهُ .

(٦) فِي الْأَصْلِ : « شَبْمَةٌ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٧) فِي الْأَصْلِ : « وَسَمَاءٌ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَالْهَاءُ السَّكَنَةُ : الْفَالِطَةُ السَّمِينَةُ

(٨) جَمْعُهُ : نَحْمَرَةٌ .

ليس في أهله بالشحيح القتر ، ولا المسرف البطر ، ولا يتخذ الحى إذا أوتمر^(١) .
 وأما هذا فدقيق ، قارى الضيف ، ومُعِدُّ السيف ، ومُعِيل^(٢) الشتاء والصيف ؛ وأما هذا فنقيض ، أسدت العى فريض ، فعدل مرضه عندهم
 إسنتهم^(٣) (أى قحطهم) ، فقاموا^(٤) عليه فأوسعهم دقيقا ولجأ غريضا ، ومسكا
 رميضا^(٥) ، وكسأهم ثيابا بيضا ؛ وأما هذا فاللك ، حاميتنا^(٦) إذا غزونا ،
 ومطعم ولداننا إذا شتونا^(٧) ، ودافع كل كريبه إذا عدت علينا . فدفعت
 العس إلى مالك ، فكان سيدهم .

بشرت امرأة زوجها بأن أبنا منه قد انفر^(٧) ، فقال : أتبشرينى بعدو
 الخبز ؟ أذهبي إلى أهلك .

قال الشاعر :

من يشتري منى أبا زين بكر بن نطاح بفلسين
 كأنما الآكل من خبزه يلقم منه شحمة العين
 وأنشد غليم من بنى دبير^(٨) :

يابن الكرام حسبا وناثلا حقا أقول لا أقول باطلا

(١) أوتمر : استشير .

(٢) يقال : أعال الرجل أهله ، إذا كفاهم ومانهم ، كداهم .

(٣) قاموا عليه ، أى قاموا بخدمته وما يصلحه في مرضه .

(٤) الرميض : الحاد ، يريد هنا حدة الراحة . والذي في الأصل : « ربيضا

ولعله محرف عما أبنتنا . أو لعله : « فضيضا ، أى متفتتا متكسرا .

(٥) حاميتنا الخ أى أنه يحمى بيوت الحى من المفيرين إذا خرج الرجال للغزو .

(٦) فى الأصل : « صنونا » ؛ وهو تحريف .

(٧) انفر الفلام وانفر : ذبت ثفره .

(٨) فى الأصل : « دينار » ؛ وهو تحريف .

إِلَيْكَ أَشْكُو الدَّهْرَ وَالزَّلَازِلَ وَكُلَّ عَامٍ نَقَّحَ الْحَمَائِلَ^(١)
التَّنْقِيحُ : القَشْرُ ، أَيْ قَشَرُوا حَمَائِلَ سُيُوفِهِمْ فَبَاعُوهَا لَشَدَّةِ زَمَانِهِمْ .
وَأَنْشَدَ :

سَلَا أُمَّ عَبَّادٍ إِذَا الرِّيحُ أَعْصَفَتْ وَجَلَّلَ أَطْرَافَ الرِّعَانِ قَتَايُهَا^(٢)
وَجَفَّتْ بَقَايَا الطَّرْقِ إِلَّا نَضِيَّةً^(٣) يَصُدُّ الْأَشَافِي^(٤) وَالْمَوَاسِي سَنَايُهَا
وَضَمَّ إِلَى اللَّيْلِ مَنْزِلَ رُقُقَةٍ تَرَامَتْ بِهِمْ طَخِيَاءُ^(٥) دَاجٍ ظَلَامُهَا
تَسْكَادُ الصَّبَا تَهْتَرُكُمْ مِنْ نِيَابِهِمْ شَدِيداً بِأَرْيَاطِ الرِّجَالِ أَعْتِصَامُهَا
لَقَدْ عَلِمْتُ أُنَى مُفِيدٍ وَمُتِلِفٍ وَمُطْعِمٍ أَيَّامٍ يُحَبُّ طَعَامُهَا
وَقَالَ آخَرُ :

إِنَّ بَنِي غَاضِرَةَ الْكَرَامَا إِنَّ يُقِيمِ الضَّيْفُ بِهِمْ أَغْوَامَا
يَكُنْ قِرَاهُ اللَّحْمِ وَالسَّنَامَا أَوْ يُضْبِحِ الدَّهْرُ لَهُمْ غُلَامَا
يَكُنْ ظَرْباً وَجْهَهُ كُرَامَا

وَقَالَ سَمَاعَةُ بْنُ أَشْوَلٍ :

رَأَتْ إِبِلًا لِأَبْنَى عُبَيْدٍ تَمَنَعَتْ مِنْ الْحَقِّ لَمْ تَوْرَكْ بِحَقِّ إِيَالِهَا^(٦)

(١) فِي الْأَصْلُ : « الْحَمَائِلَا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي الْأَصْلُ : « قِيَامُهَا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَأَطْرَافُ الرِّعَانِ ، يَرِيدُ أَطْرَافَ الْجِبَالِ .

(٣) فِي الْأَصْلُ : « قَصِيَّةٌ » بِالْقَافِ وَالصَّادِ ، وَهُوَ تَصْغِيرٌ .

(٤) الْأَشَافِي : الثَّاقِبُ ، وَاحِدُهُ إِشْفٌ بِكَسْرِ الِهْمْزَةِ وَسُكُونِ الشِّينِ وَالْفَاءِ الْمَفْتُوحَةِ .

وَفِي الْأَصْلُ : « نَصْدُ السَّلَافِ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ . يَقُولُ : إِنَّ سَنَايَهَا لَمْ يَبْقَ فِيهِ مَا تَخْرُجُهُ الْأَشَافِي وَلَا الْمَوَاسِي : جَمْعُ مُوسَى .

(٥) الطَّخِيَاءُ : الظُّلْمَةُ الشَّدِيدَةُ .

(٦) كَذَا وَرَدَ هَذَا الشُّطْرُ فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ ؛ وَلَمْ نَجِدْ فِيهِ رَاجِعَهُ مِنَ الْكُتُبِ .

فَقَالَتْ أَلَا تَعْدُو لِقَاحُكَ هَكَذَا فَقُلْتُ أَتَيْتُ ضَيْفَانَهَا وَعِيَالَهَا
فَمَا حَلَبْتِ إِلَّا الثَّلَاثَةَ^(١) وَالثَّنَى وَلَا قِيَّيْتُ إِلَّا قَرِيبًا مَقَالَهَا
وَأَنْشَدَ أَبُو الْجَرَّاحِ :

أَرَى الْخُلَانَ قَدْ صَرَمُوا وَصَالِي وَاضْحَوْا لَا سَلَامَ وَلَا كَلَامَ
وَمَا أَذْنَبْتُ مِنْ ذَنْبٍ إِلَيْهِمْ سِوَى خَفٍّ^(٢) الْمَنَائِحِ وَالسَّوَامِ
وَقَالَ آخِرُ :

خِرْقٌ إِذَا وَفِيعٌ^(٣) الْمَطْيُ مِنْ الرِّجَا لَمْ يَطْوِرْ دُونَ دَقِيقِهِ ذُو الْمِرْوَدِ
حَقٌّ نَوُوبَ بِهِ قَلِيلًا^(٤) حَمْدَ الرَّفِيقِ مَدَاكَ أَوْ لَمْ يَحْمَدِ
وَقَالَ آخِرُ :

تَزَوَّدْتُ إِذْ أَقْبَلْتُ نَحْوَكَ^(٥) غَادِيَا إِلَيْكَ وَنَحْوُ^(٥) النَّاسِ لَا أَتَزَوَّدُ
أَرَانِي إِذَا مَا جِئْتُ أَطْلُبُ نَائِلًا نَظَرْتَ إِلَى وَجْهِكَ كَأَنَّكَ أَرْمَدُ

(١) الثلاثة بضم الثاء ، أى الثلاثة بفتحها ؛ يريد أنها لم تحلب إلا الثلاثة من الآنية أو الاتنين . وقيل بضم القاف وتشديد الياء المكسورة : ذكره نعلاب هكذا ؛ ورواها بعضهم قيلت بفتح القاف من القيل بمعنى اللب الذى يعمر وقت القائلة (اللسان) (مادة ثلث) (٢) خب المائغ ، أى خفستها ، مصدر خَفَّ ؛ يريد قُبْضَةَ المائغ ، جمع منيعة ، وهى الباقعة المموحة الانزفان بوبرها وولدها ولبنها . وفى الأصل « حَف » بالجيم ؛ وهو تحريف .

(٣) فى الأصل : « ربع المطى من الرحا » ؛ وهو تحريف فى كلتا الكلمتين . ويريد تَوَانِي المطايا وغاذلها عن المشى من طول السفر وشدة ما أصاب حوافرها من المشى . يصف بمدحها بالكرم فى هذه الحال ، وأنه خرق أى كريم متفرق فى المعروف وأن ذا مزوده (أى صاحب راده القيم عليه) لم يُخْفَ دَقِيقَهُ ولم يحبسه ، بل يبيذه للرملين من الرفاق .

(٤) كيدا ورد هذا الشطر فى الأصل ناقصا ؛ ولم يقف عليه فيما راجعناه من الكتب .

(٥) فى الأصول : « نحول » مكان « نحوك » و « حق » مكان « ونحو » ؛ وهو

تحريف فى كلتا الكلمتين

وقال الشاعر :

وقال آخر :

وقال آخر :

وقال آخر :

وقال آخر :

(١) في الأصل : « اردار الراك » ؛ وهو تصحيف في كلتا الكلمتين .

(٢) في شرح القاموس « زمعة بن الأسود » .

(٣) في الأصل : « جوع » ؛ وهو محريف ، إذ ليس من المعروف تشبيه الجوع بالسحاب المتراكم ، وإنما يشبه بذلك الجلود .

(٤) في الأصل : « فعثرتهم في » ؛ وهو تحريف

(٥) في الاصل : « لاح » ؛ وهو تصحيف .

وما أَسْتَكْثَرْتَ نَفْسِي لِإِذْلِيلِ وَجْهِهِ نَوَالًا وَإِنْ كَانَ النَّوَالُ حَيَاتِنَا
 وقال المبرد : الْبَطْنُ : الَّذِي لَا يَهْمُهُ إِلَّا بَطْنُهُ . والرَّغِيب : الشَّدِيدُ
 الْأَكْل . وَالْمَهْمُوم : الَّذِي تَمْتَلِي بَطْنُهُ وَلَا تَفْتَحِي نَفْسُهُ .

وَأُنْشِدُ ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ :

وإِنَّ قَرَى أَهْلِ النَّبَاجِ أَرَانِي وَإِنْ جَاءَ بَعْدَ الرَّيْثِ فَهُوَ قَائِلُ
 إِذَا صَدَّ مَنَعُورٌ^(١) وَأَعْرَضَ مُعْرِضٌ فَيَوْمٌ عَلَى أَهْلِ النَّبَاجِ طَوِيلُ
 وقال آخر :

يَمِينُكَ^(٢) فِيهَا الْخِصْبُ وَالنَّاسُ جُوعٌ وَقَدْ شَمِلَتْهُمْ حَرَجَفٌ^(٣) وَدُبُورُ
 وقال آخر :

أَلَقْتُ قَوَائِمَهَا خَسًا^(٤) وَرَنَمْتُ طَرْبًا كَمَا يَتَرَّمُ السَّكْرَانُ
 يَعْنِي قِدْرًا . وَقَوَائِمُهَا ، يَعْنِي الْأَنَافِي . وَخَسًا : فَرَدَ .
 وَأُنْشِدُ :

بِئْسَ غِذَاهُ الْعَزَبُ الْمَرْمُوعُ^(٥) حَوَابَةٌ تَنْقِضُ بِالضَّلُوعِ
 الرُّمَاعُ^(٦) : دَالٍ . وَحَوَابَةٌ : دَلُولٌ كَبِيرَةٌ وَالْحَوْبُ وَالْحُوبُ : الْأَثْمُ

(١) الممنوع : الذي سقطت أسنانه لا يقدر على الأكل .

(٢) في الأصل : « عينك » ؛ وهو تحريف .

(٣) الحرجف : الريح الشديدة ، وكى بالحرجف والدبور عن الحدب ، وفي الأصل

« وقد شعلهم حرجف ودبور » ؛ وهو تحريف .

(٤) في الأصل : « قرائمها حسا » وهو تحريف في كلتا الكلمتين ؛ والتصحيح عن كتب اللغة .

(٥) في الأصل : « العرب المرموع * خوانه الخ البيت » وهو تحريف كما ترى .

(٦) عبارة الأصل : الرفاء وخوانه داء كثيرة ؛ وهو تحريف في جميع هذه الألفاظ وقد ذكر اللغويون أن الرماع داء في البطن يصفر منه الوجه . وتُنْقِضُ الضُّلُوعُ ، أى تسمع للأضلاع نقيضا ، أى صوتا من ثقل تلك الدلو .

وَالْحَيَبَةُ : الحال . وَالْحَوْبَاءُ : النَّفْسُ ^(١) .

الْعَرَبُ يَقُولُ : مَا لَا تَبْنَ ^(٢) مَعَهُ وَلَا غَيْرَهُ . خُبْرٌ قَقَارٌ : لَا أَذَمَ مَعَهُ . وَسَوِيقٌ جَافٌ هُوَ الَّذِي لَمْ يَكُنْ بِسَمْنٍ وَلَا زَيْتٍ . وَحَنْظَلٌ مُبَسَّلٌ ، وَهُوَ أَنْ يُؤْكَلَ وَحْدَهُ .

قال الراجز :

بُئْسَ الطَّعَامُ الْحَنْظَلُ الْمُبَسَّلُ يَجْعُ مِنْهُ كَبِدِي وَأَكْسَلُ ^(٣)
وَيَنْجَعُ أَيْضًا .

وقال أبو الجراح : الْمُبَسَّلُ يُحْرِقُ الشَّكْبَدِ . وَالْمُبَكَّلُ ^(٤) : أَنْ يُؤْكَلَ بِتَمَرٍ ^(٥) أَوْ غَيْرِهِ يَقَالُ بِكَلُّوهُ ^(٦) لَنَا ، أَيْ اخْلِطُوهُ . قَالَ : وَعِنْدَنَا طَعَامٌ يَقَالُ لَهُ : الْخَوْلَعُ وَهُوَ أَنْ يُؤْخَذَ الْحَنْظَلُ فَيُنْفَعَ مَرَاتٍ حَتَّى تَخْرُجَ مَرَارَتُهُ ، ثُمَّ يُخْلَطَ مَعَهُ تَمَرٌ وَدَقِيقٌ فَيَكُونُ طَعَامًا طَيِّبًا .

وقال : الْخَلِيطَةُ وَالنَّخِيسَةُ وَالْقَطِيبَةُ : أَنْ يُحْلَبَ لَبَنُ الضَّائِنِ عَلَى لَبَنِ الْمَغْزَى ، وَالْمَغْزَى عَلَى لَبَنِ الضَّائِنِ أَوْ حَلَبَ الثَّوْقِ عَلَى لَبَنِ الْغَنَمِ .
قال :

* اسْقِنِي ^(٦) وَأُبْرِدْ غَلِيلِي *

(١) يلاحظ أن استطراد المؤلف هنا يذكر الحوب لا مناسبة له ، فإن الحوابة في البيت إنما هي من مادة « حَاب » والحوب الذي ذكره من مادة (حوب) .

(٢) يريد بالبن ما يعم أنواع العلف .

(٣) في الأصل : « وَأَسْل » ؛ وهو تحريف .

(٤) ورد هاتان الكلمتان اللتان تحت هذا الرقم في الأصل بالبدال مكان الباء ؛ وهو بف صوابه ما أثبتنا نقلا عن كتب اللغة . يقال : بكله : إذا خلطه .

(٥) في الأصل : « مَمْرًا وَغَيْرَهُ » ؛ وهو تحريف .

(٦) لم ترد في الأصل بقية هذا البيت ؛ ولم نجد فيها راجعناه من الكتب .

مَلِيَّ الرَّجُلُ : سَمِنَ بَعْدَ هُزَالٍ .

قِيلَ لَطْفَيْلِ الْقَرَأْسِ : كَمْ أَثْنَيْنِ فِي أَثْنَيْنِ ؟ قَالَ : أَرْبَعَةٌ أَرْغَمَةٌ .

وقيل له : حُسِكِي أَنْ الْعَرَبَ تَقُولُ : نَحْنُ الْعَرَبُ أَقْرَى النَّاسِ لِلضَّيْفِ ،
فَقَالَ : إِنَّ هَذَا النَّصَبَ عَلَى الْمَذْحِ .

وقال العُمَانِيُّ :

مِنْ كُلِّ جَلْفٍ ^(١) لَمْ يَكُنْ مُصَرِّمًا جَعَدٍ يُرَى مِنْهُ التَّصَنُّعُ رِيًّا ^(٢)
لَمْ يَتَجَشَّأْ مِنْ طَعَامٍ بَشَا ^(٣)
وَلَمْ يَبْتَ مِنْ فِتْرَةٍ مُوصًّا ^(٤) يَغْمِزُ صُدُغَيْهِ وَيَشْكُو الْأَعْظَمَا
إِذَا أَجَاعَ بَطْنُهُ تَحَزَّمًا ^(٥) لَمْ يَشْرَبِ الْمَاءَ وَلَمْ يَحْشَ الظَّمَا
يَكْفِيهِ مِنْ قَارِصَةٍ ^(٦) مَا يَمَمَّا

(١) فِي الْأَصْلِ حَلَفَ بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ . وَقَوْلُهُ : لَمْ يَكُنْ مُصَرِّمًا ، لِأَنَّهُ يُفْسَرُ بِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُتَعَلِّمًا ، مَا خَرِذَ مِنَ الصَّرْمِ بِكَسْرِ الصَّادِ وَهُوَ الْخَفْ الَّذِي لَهُ نَعْلٌ . وَلِأَنَّهُ أَنْ يَرَادَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ذَا مَالٍ مَأْخُوذٌ مِنَ الصَّرْمَةِ بِكَسْرِ الصَّادِ ، وَهِيَ الْقِطْعَةُ مِنَ الْإِبِلِ مِنَ الْأَرْبَعِينَ إِلَى الْخَمْسِينَ ؛ وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ فِي عِدَدِهَا .

(٢) رِيًّا ، أَيْ يَتَصَنَّعُ رِيًّا بِأَلِ بَقِيَّتِهِ . وَفِي الْأَصْلِ رِيًّا ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) وَرَدَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الَّذِي وَضَعْنَا فِيهِ هَذِهِ النِّقْطَ شَطْرَ مِنْ هَذِهِ الْأَرْجُوزَةِ مَهْمَلٌ أَكْثَرُ حُرُوفِهِ مِنَ النِّقْطِ وَمَطْمُوسٌ بَعْضُهَا ، وَلَمْ نَهْتَدِ إِلَى وَجْهِ الصَّوَابِ فِيهِ ، كَمَا أَنَّا لَمْ نَعْتَزِلْ عَلَى الْأَرْجُوزَةِ فِي الْمَصَادِرِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا ؛ وَهِيَ هَذِهِ الشُّطْرُ كَمَا فِي الْأَصْلِ :

* وَلَمْ يَرْحَنَّا غَرَانًا أَدَمًا *

(٤) يُقَالُ يَصْمَتُ الْحَتَّى بِتَشْدِيدِ الصَّادِ إِذَا جَعَلَتْ فِي جَسَدِهِ فِتْرَةً . وَيُقَالُ وَصَّمَهُ التَّعَبَ إِذَا فَتَّرَ جَسْمَهُ وَأَكْسَلَهُ . وَفِي الْأَصْلِ : « فِتْرَةٌ » بِالْقَافِ ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٥) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الشَّعْرُ : إِذَا أَجَاعَ قِبْطَةٌ تَحَدَّمَا . وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي جَمِيعِ هَذِهِ الْأَفْظَاءِ . وَسِيَاقُ الشَّعْرِ يَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا .

(٦) الْقَارِصَةُ : الطَّائِفَةُ مِنَ اللَّبَنِ الْحَامِضِ الَّتِي يَحْذِي اللِّسَانُ بِحِرَافَتِهِ .

وَحَلَّةٌ^(١) مِنْهُ إِذَا مَا أُغِيْمَا
لَا يَغْفِرُ الشَّارِفَ إِلَّا مُحَرِّمًا^(٢)
يَوْمًا وَلَمْ يَفْغَرْزْ لِطَبِيخٍ فَمَا
أَسْوَدُ كَالْحِرَاثِ^(٣) يُذْعَى شَجْعَمًا^(٤)
لَمْ يَبَلْ^(٥) يَوْمًا سَوْرَةً مِنَ الْعَمَى
وَلَمْ يَرْزُ حَطِيمَةً وَزَمَزَمًا
لَوْ لَمْ يُرَبَّ^(٦) مُسْلِمًا مَا أَسْلَمَا
عَاتٍ يَرَى ضَرْبَ الرَّجَالِ مَغْنَمًا
وَهَزَّ فِي السَّكَبِ وَأَبْدَى الْمِعْصَمَا
يَتْرُكُ^(٧) مَا رَامَ رُفَاتًا رَمَا
لَمْ يُعْطِهِ شَيْئًا وَإِنْ تَرَعَا
هَانَ عَلَيْهِ شَقٌّ مَا قَدَّرَقَمَا
أَصَابَ مِنْهُ مَشْرَبًا وَمَطْعَمًا
وَلَا يِعَافُ^(٨) بَصَلًا وَسَلْجَمًا
فَهُوَ صَحِيحٌ لَا يَخَافُ سَقَمًا
صَمَحَمَحُ^(٩) مِنْ طُولٍ مَا تَأْتَمَّا
وَلَمْ يَحْجَجِ الْمَسْجِدَ الْمَكْرَمًا
وَلَا تَرَاهُ يَطْلُبُ التَّهْمَا
مَا عَبَدَ أَثْنَانِ جَمِيعًا صَنَمًا
إِلَّا رَأَى مُصَدَّقًا نَجَمًا
هَرَاوَتَيْنِ^(١٠) نَبْعَةً وَسَلَمًا
وَإِنْ رَأَى إِمْرَةً^(١١) تَرَعَمَا
وَإِنْ قَرَأَ عَهْدًا لَهُ مُنَمَّنَمَا
وَأَنْ يَدُقَ طِينَهُ الْمُخْتَمَمَا

(١) وحلّة منه أى من اللين ، واحدة الحلّ ، معروف ، أى الطائفة منه . والحلّ قد يكون من اللين كما فى كتب اللغة .

(٢) فى الأصل : لا يعرف الشادف المحترما ؛ وفيه تحريف كما ترى ، وسياق الشعر يقتضى ما أثبتنا . والشارف : المسبة من الإبل ، أى لا يعقر الناقة إلا فى الحليح حين يجب عليه عقرها .

(٣) فى الأصل : « ولا يأنف » ؛ وهو تحريف .

(٤) الحراث : حديدة تحرك بها النار .

(٥) الشجعمن الحيات : الشديد العليظ . وفى الأصل : سجعما بالسين المهملة ؛ وهو تصحيف .

(٦) الصمصحج : الشديد المجتمع الألواح .

(٧) فى الأصل : « يبك » بالكاف ؛ وهو تحريف .

(٨) فى الأصل : « يرث » بالثاء المثناة ، وهو تصحيف .

(٩) فى الأصل : « إهاؤه ببعة » وهو تصحيف فى كلتا الكلمتين .

(١٠) فى الأصل : « ينزل » ؛ وهو تحريف .

(١١) الإمرة : الضيف الرأى الذى يوافق كلا على ما يريد ولا رأى له

صَمَّصُمُهُ ماضٍ إِذَا مَا صَمَمَا إِذَا أُعْتَرَتْهُ عِزَّةٌ^(١) ثُمَّ أُنْتَمَى
فِي ثُرْوَةٍ الْحَيِّ إِذَا مَا يَمَمَا ظَلَّ يَرَى حُكْمًا عَلَيْهِ مُبَرَّمًا^(٢)
أَنْ يَظْلِمَ النَّاسَ وَالْأَ يَظْلَمَا

وقال آخر :

مَا كَانَ يُنْكَرُ فِي نَدَى مُجَاشِعٍ أَكَلُ الْخَزِيرِ وَلَا ارْتِضَاعُ الْفَيْشَلِ^(٣)

وقال آخر :

بِلَادٌ كَأَنَّ الْجُوعَ يَطْلُبُ أَهْلَهَا

بَدَخُلُ^(٤) إِذَا مَا الضَّيْفُ صَرَّتْ جَمَادِيهِ^(٥)

وقال آخر :

كَرِيَهُ لَا يُطْعِمُ الْكَرِيَّ^(٦) بِاللَّيْلِ إِلَّا جِرْجَرًا مَقْلِيًّا

مُخْتَرَقًا نِصْفًا وَنِصْفًا نِيًّا

وقال الأصمعي : قال الهيثم بن جرَاد — وَذَمَّ قَوْمًا — : وَاللَّهِ مَا أَنْتُمْ آلُ

(١) في الأصل : « غرة » ؛ وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « منها » ؛ وهو تحريف .

(٣) في (١) الوارد فيها وحدها هذا الشعر « عزي » مكان « ندى » وحرير مكان خزر ؛ وهو تحريف كما ترى والتصحيح عن النقائص ؛ والبيت لجرير . والخزير : لحم يقطع صفارا ويلقى في الماء فإذا أميت طبخا ذر عليه الدقيق .

(٤) في الأصل : « بدخل » ؛ وهو تصحيف .

(٥) صرير الحنذب مثل يضرب للأصم يشتد حتى يقلق صاحبه . والأصل فيه أن الحنذب إذا رمس في شدة الحر لم يقر في الأرض وطار فتسمع لرجليه صريرا . والحنذب طائر أصغر من الصدى يكون في البراري .

(٦) إذا أكرت إنسانا بعيرك أو أكراك بعيره فكل منكما كرى صاحبه ، قاله في اللسان وأنشد هذا الرجز . والجرجر : الفول بلفظ أهل العراق ؛ أو هو نبت . والذي في الأصل « كدنة » مكان قوله « كرية » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا بعد تقليب هذه الكلمة على عدة وجوه .

خَلَاةٍ فَتَعَصِّمُكُمْ ، وَلَا أَنْتُمْ آلُ رِيفٍ فَمَا كُلُّونَ . فَقِيلَ : لَوْ زِدْتَ ؟ فَقَالَ : مَا بَعْدَ هَذَا شَيْءٍ .

قال : وما أشبه هذا الجواب بقَوْلِ عَقِيلِ بْنِ عُلْفَةَ^(١) حِينَ قِيلَ لَهُ : لِمَ لَا تَطِيلُ الْهَجَاءَ ؟ قَالَ : يَكْفِيكَ مِنَ الْقِلَادَةِ مَا أَحَاطَ بِالْعُنُقِ .

وقِيلَ لابْنِ^(٢) عَمْرِو : لَوْ دَعَوْتَ اللَّهَ بِدَعَوَاتٍ ؟ فَقَالَ : اللَّهُمَّ عَافِنَا وَارْحَمْنَا وَارْزُقْنَا . فَقِيلَ لَهُ : لَوْ زِدْنَا ؟ فَقَالَ : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْإِسْهَابِ .

قال شاعر :

إِذَا أَغْلَقَ الْبَابَ الْكَرِيمُ مِنَ الْقَرْيِ فليس على باب الفَرْزْدَقِ حَاجِبُ
فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ إِذَا أَغْبَرَ مِنْ بَرْدِ الشِّتَاءِ الْكَوَاكِبُ
قال : وكلَّ لحمٍ وخُبْزٍ أَنْضَجَ دَمِينًا فهو مَلِيل ؛ وما كان في تَنْوَرٍ فهو
شِوَاء ؛ وما كان في قِدْرِ فهو حَمِيل^(٣) .

قال الأحنفُ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ : إِبْنُ إِخْوَانِنَا مِنْ أَهْلِ السَّكُوفَةِ وَالشَّامِ
نَزَلُوا فِي مُقَلَّةٍ^(٤) الْجَلِّ وَحَوْلَاءِ النَّاقَةِ مِنْ أَنْهَارٍ مَتَفَجَّرَةٍ ، وَثِمَارٍ مَتَدَلِّيَةٍ ، وَنَزَلْنَا

(١) كَذَا فِي ب وَالَّذِي فِي (أ) : « ابْنُ عُلْفَةَ » .

(٢) فِي ب « لِابْنِ عَمْرِو » .

(٣) كَذَا فِي الْأَصْلِ ؛ وَلَمْ نَحْدِثْ هَذَا اللَّفْظَ بِهَذَا الْمَعْنَى فِيمَا رَاجِعْنَاهُ مِنْ كَتَبِ اللَّعْمَةِ ؛ وَالَّذِي وَجَدْنَاهُ بِالْمَعْنَى الْمَذْكُورِ « قَدِير » أَيْ مَطْبُوحٌ فِي الْقَدْرِ ؛ وَلَعَلَّ قَوْلَهُ حَمِيلٌ بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ مَصْحُفٌ عَنْ حَمِيلِ الْحَمِّ ؛ وَهُوَ الشَّحْمُ الْمَذَابُ ، فَيَكُونُ هَذَا كَلَامٌ سَقَطَ مِنَ الدَّاسِحِ قَبْلَ هَذِهِ السَّكْمَةِ الْمَصْحُفَةِ الَّتِي نَحْنُ بِمَصْدَدِهَا

(٤) مُقَلَّةٌ الْجَلِّ وَحَوْلَاءُ النَّاقَةِ يَتِمَثَّلُ بِهِمَا فِي الْخُصْبِ وَالنَّعْمَةِ ، فَيُقَالُ : هُمُ فِي مِثْلِ حَدَقَةِ الدَّيْرِ ، وَذَلِكَ أَنَّ حَدَقَةَ الدَّيْرِ أَخْصَبُ مَا فِيهِ ، لِأَنَّ فِيهَا يَعْرِفُونَ مِقْدَارَ سَمِّهِ ، وَفِيهَا يَبْقَى آخِرُ النَّقِيِّ ، وَهُوَ مَجَّ الْعَظْمِ . وَيُقَالُ صَارُوا فِي حَوْلَاءِ النَّاقَةِ إِذَا صَارُوا فِي خُصْبٍ ؛ وَإِذَا وَصِفَتِ الْأَرْضُ قِيلَ كَأَنَّهَا حَوْلَاءُ النَّاقَةِ ، لِأَنَّ مَاءَ الْحَوْلَاءِ أَشَدُّ مَاءَ حَصْرَةٍ . وَالْحَوْلَاءُ : الْمَاءُ الَّذِي يَخْرُجُ عَلَى رَأْسِ الْوَلَدِ إِذَا وُلِدَ ، وَلَيْسَ فِي السَّكَامِ فَعْلَاءُ بِالْكَسْرِ مَمْدُودًا إِلَّا حَوْلَاءُ =

بَسْمَخَةٍ نَشَاشَةٍ^(١) يَأْتِينَا مَاءٌ نَأْفِي مِنْهُ حَلَقُومٌ^(٢) النَّعَامَةُ أَوْ مَرَىءِ الْحَمَلِ ، بِأَمَلِ
أَنْ تَشْقَى لَنَا نَهْرًا ، وَإِمَا أَنْ تَرْفَعَنَا إِلَيْكَ .

قال جابر : كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ الْأَغْنِيَاءَ بِاتِّخَاذِ الْغَنَمِ ، وَالْفُقَرَاءَ
بِاتِّخَاذِ الدَّجَاجِ .

والعربُ تقول : أَكْرِمُوا الْإِبِلَ إِلَّا فِي بَيْتِ مُبْنَى ، أَوْ دَمٍ يُفْدَى ،
أَوْ عَزَبٍ يَتَزَوَّجُ ، أَوْ حَمَلٍ حَمَالَةٍ .

وقال مُعَاوِيَةُ الْأَعْرَابِيُّ : مَا تَجَارَتُكَ ؟ قال : أُبِيعَ الْإِبِلُ ، قال : أَمَا عَلِمْتَ
أَنْ أَفْوَاهَهَا حَرَبٌ^(٣) ، وَجُلُودَهَا جَرَبٌ ، وَبَعْرُهَا حَطَبٌ ، وَتَأْكُلُ الذَّهَبَ .

وقال خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ : الْإِبِلُ لِلْبُعْدِ ، وَالْبِغَالُ لِلثَّقَلِ ، وَالْبَرَاذِينُ لِلْجَعَالِ
وَالدَّعَةِ ، وَالْحَمِيرُ لِلْحَوَانِجِ ، وَالْخَيْلُ لِلْكَرِّ وَالْفَرِّ

وقال آخر :

يَقْذِفْنَ فِي الْأَعْنَاقِ وَالْفَلَاصِمِ^(٤) قَذْفَ الْجَلَامِيدِ بِكَفِّ الرَّاجِمِ
يُرِيدُ بِالْأَعْنَاقِ الْحُلُوقَ .

== وعتباء وسيراء . وقيل : الحولاء غلاف أخضر كأنه دلو عظيمة مملوءة ماء وتنقع حين تقع
على الأرض وهو قائد السلي أى يخرج قبله ؛ ويقال أيضا هم في مثل حولاء السلي . انظر
ما يعول عليه المحبي ولسان العرب .

(١) نَشَاشَةٌ ، أى نَزَازَةٌ بالماء لا يحب ثراها ، ولا يثبت مرعاها .

(٢) حَلَقُومُ النعامة ومصرى الجم : مثلان في قلة ما يأتينهم من الماء وضيق مسابله إليهم .

(٣) حرب ، أى ذات حرب ، وهو السكك واحد وزنا ومعنى ؛ وجلودها جرب ،

أى ذات جرب .

(٤) الفلاصم : جمع غلصمة ، وهى رأس الملقوم . يريد أن هذه الإبل تقذف الطعام

في حلقوها وأعناقها قذف المجارة . يصفها بقوة القذف قذف الطعام . والذي في الأصل :

« يقذفون » مكان « يقذفون » ؛ وهو تحريف .

وقال آخر :

تَنَارُ إِذَا مَا الرُّوعُ أَبْدَى عَنْ الْبَرَى وَنَقَرَى عَيْبَ اللَّحْمِ وَالْمَاءُ جَامِسٌ^(١)

وقال آخر :

تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا نَاقَ^(٢) مُصْرَمَةٌ تَرعى الْفَلَاةَ وَلَا قَعْبٌ مِنَ اللَّبَنِ

وقال أبو الصَّلْت :

تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قَعْبَانِ^(٣) مِنْ لَبَنِ شَيْبَا بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالَا

وَوَصَفَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ التَّجَارِ فَقَالَ : لَا يَوْجَدُ الْأَدَبُ إِلَّا عِنْدَ الْخَاصَّةِ

وَالسُّلْطَانِ وَمُدَبِّرِيهِ ، وَأَمَّا أَصْحَابُ الْأَسْوَاقِ فَإِنَّا لَا نَعْدَمُ مِنْ أَحَدِهِمْ خُلُقًا دَقِيقًا

وَدِينًا رَفِيقًا ، وَحِرْصًا مُسْرِفًا ، وَأَدَبًا مُخْتَلِفًا ، وَدَنَاءَةً مَعْلُومَةً ، وَمُرُوءَةً مَعْدُومَةً ،

وَالْإِنْفَاءَ اللَّفِيفَ^(٤) ، وَمُجَادِبَةً عَلَى الطَّفِيفِ ، يَبْلُغُ أَحَدُهُمْ غَايَةَ الْمَدْحِ وَالنِّمِّ فِي

عِلْقٍ^(٥) وَاحِدٍ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مَعَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، إِذَا اشْتَرَاهُ مِنْهُ أَوْ بَاعَهُ إِيَّاهُ ، إِنْ

بَايَعَكَ مُرَاحِمَةً^(٦) وَخَبَرَ بِالْأَيْمَانِ ، قَوَّى الْأَيْمَانَ عَلَى الْبُهْتَانِ ، وَإِنْ قَلَّدَتْهُ

(١) البيت لذى الرمة ، والبرى : الخلاخيل ، والماء الجامس : الجامد . يقول إنهم

يفارون على النساء إذا اشتد الفزع وكشف الربع عن سيقانهن فأبدى من خلاخيلهن

فهم إذ ذاك يحمونهن ويكفينهن ما يفرعهن ؛ ثم يقول في الشطر الثاني إنهم كرام ، إذا اشتد البرد

وجد الماء يقرن أضيافهم عيب اللحم ؛ وفي رواية سديف ؛ وقد ورد هذا البيت في الأصل

هكذا : يسار إذا ما الزرع أبدى عن الثرى . ويقرى الخ

وفيه مصحيف في بعض كلماته كما ترى ؛ والتصويب عن ديوان ذي الرمة وعيره

(٢) الباقى : جمع ناقة . وفى (١) التى ورد فيها وحدها هذا البيت : « لا ناب »

بالباء ؛ وهو تحريف ، إذ الباب الواحدة - وهى المسنة من الإبل - لا تكون مصرمة ،

أى بالغة صرمة ؛ وهى عدة من الإبل تبلغ الأربعين .

(٣) القعب : القدح الضخم . (٤) اللقيف : الصديق .

(٥) العلق : النفيس من المتاع .

(٦) يريد بالمراحمه هنا أن يقول المشتري للبائع : أربحك فى هذه الساعه كذا فوق

ما اشتريتها به من الثمن أو أن يقول البائع للمشتري ذلك .

الْوَزْنَ أَعْنَتَ لِسَانَ الْمِيزَانِ ، لِيَأْخُذَ بُرْجُجَانٍ أَوْ يُعْطَىٰ بِنُقْصَانٍ ؛ وَإِنْ كَانَ لَكَ قَبْلَهُ حَقٌّ لَّوَاهُ مُحْتَجًّا فِي ذَلِكَ بِسُنَّةِ الشُّوفِيِّينَ ، يَرْضَىٰ لَكَ مَا لَا يَرْضَىٰ لِنَفْسِهِ ، وَيَأْخُذُ مِنْكَ بِنَقْدٍ وَيُعْطِيكَ بَغِيرَهُ ، وَلَا يَرَىٰ أَنْ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ فِي الْمُبَايَعَةِ مِثْلَ مَا لَهُ ؛ إِنْ اسْتَنْصَحْتَهُ غَشَّكَ ، وَإِنْ سَأَلْتَهُ كَذَبَكَ ، وَإِنْ صَدَّقْتَهُ حَرَّكَ مُتَمَرِّدُهُمْ صَاعِقَةً عَلَى الْمُعَامِلِينَ ، وَصَاحِبُ سَفْتِهِمْ نِقْمَةً عَلَى الْمُسْتَرْسِلِينَ ^(١) ؛ قَدْ تَعَاطَوْا الْمُنْكَرَ حَتَّى عُرِفَ ، وَتَنَا كَرُوا الْمَعْرُوفَ حَتَّى نُسِيَ ، يَتَمَسَّكُونَ مِنَ الْمَلَّةِ مِمَّا أَصْلَحَ الْبِصَاصُ ، وَيَنْهَوْنَ عَنْهَا كُلَّمَا عَادَتْ بِالْوَضَائِعِ ^(٢) ؛ يُسْرِأُ أَحَدُهُمْ بِحِيلَةٍ رُزْقُهَا ^(٣) إِسْلَعَةً يَنْفَقُهَا ، وَغِيلَةٍ لِمُسْلِمٍ يَحْتَمِيهِ الْإِسْلَامُ ، فَإِذَا أَخْصَمَ حَيَاتَهُ وَغِيلَتَهُ غَدَا قَادِرًا عَلَى حَرْدِهِ ، فَغَرَّ وَصَرَّ ، وَأَبَّ إِلَى مَنَزَلِهِ بِحِطَامٍ قَدْ جَمَعَهُ مَقْتَبًا مِمَّا أَبَاحَ مِنْ دِينِهِ [وَاتَّهَكَ مِنْ حُرْمَةِ أَخِيهِ ، يَعْدُ الَّذِي كَانَ مِنْهُ حِدْقًا بِالتَّكْسَبِ وَرِفْقًا بِالْمَطْلَبِ ، وَعِلْمًا بِالتَّجَارَةِ ، وَتَقَدُّمًا فِي الصَّنَاعَةِ .

(٣) وَلَمَّا بَلَغْتُ قِرَاءَتِي هَذَا الْمَوْضِعَ قَالَ الْوَزِيرُ : إِنْ كَانَ هَذَا الْوَاصِفُ عَنِّي الْعَامَّةَ بِهَذَا الْقَوْلِ فَقَدْ دَخَلَ فِي وَصْفِهِ الْخَاصَّةُ أَيْضًا ، فَوَاللَّهِ مَا أَسْمَعُ وَلَا أَرَى هَذِهِ الْأَخْلَاقَ إِلَّا شَائِعَةً فِي أَصْنَافِ النَّاسِ مِنَ الْجُنْدِ وَالْكِتَابِ وَالتَّنَاءِ ^(٤) وَالصَّالِحِينَ وَأَهْلَ الْعِلْمِ ؛ لَقَدْ حَالَ الزَّمَانُ إِلَى أَمْرٍ لَا يَأْتِي عَلَيْهِ النَّعْتُ ، وَلَا تَسْتَوِعُهُ الْأَخْبَارُ ، وَمَا عَجِبِي إِلَّا مِنَ الزِّيَادَةِ عَلَى مَرِّ السَّاعَاتِ ، وَلَوْ وَتَفَّ لَعَلَّهُ كَانَ يُرْجَى بَعْضُ مَا قَدْ وَقَعَ الْيَأْسُ مِنْهُ ، وَأَعْتَرَضَ الْقُنُوطُ دُونَهُ .

(١) السمت : هيئة أهل الخبير وطريقتهم . والمسترسلون : من استرسل إليه إذا انبسط إليه واستأنس ثقة به واتكالا على ما بينهما من ودٍّ وصلة . وفي الأصل : المترسلين ، وهو تحريف . (٢) الوضائع : الحسائر .

(٣) في (١) « يزورها » بتشديد الواو ؛ وهو وإن صح به المبنى إلا أنه لا يستقيم به السجع . (٤) التناء : الدهاقين ورؤساء القرى ، الواحد قاضي .

فقال ابن زُرْعَة وكان حاضراً : هذا لأنَّ الزمان من قبل كان ذالْبُوس من الدِّينِ رائِع ، وذائِدٍ من السِّياسة بسيطة ، فأخْلَقَ الأَبُوسُ [وَبَلَى ، بل تَزَقَّ] وَفَنِي ، وضعفت اليَدُ بل شَلَّتْ وقُطعتْ ، ولا سبيلَ إلى سياسة دينية لأسبابٍ لا تتفق إلا بعِللِ فلسفية ، وأمور سماوية ، فحينئذ يكون انقيادُ الأمور الجالِحة ^(١) لها ، في مُقابَلَةِ حِرانِ الأمور الجالِحة ^(٢) عنها ، وذلك مُنتَظَرٌ في وَقْتِهِ ، وتَنَحَّى ذلك قبل إِبْانِهِ وسواسُ النَّفْسِ ، وخَوَرُ الطَّبَّاعِ ، والناس أهدافٌ لأغراض الزمان ومُقلَّبون بمحوادث الدهور ^(٣) ، ولا فَكَاكٌ لهم مِنَ المِكارِهِ ، ولا أَعْتِلاقٌ لهم بالحَبَابِ [إلَّا] بالدواعي والصوارف التي لا سبيلَ لهم إلى تحويل هذه إلى هذه ، ولا إلى تبديل هذه بهذه ، وأختيارُهم للتوجُّه إلى محبوسهم أو الإغراضِ عن مَكْرُوههم ضَعِيفٌ طَفيْفٌ ، ولولا ذلك لكانت الحَسرات تَزول في وَقْتِ ما يُراد ^(٤) ، والغَبْطَةُ تُتَمَلَّكُ ^(٥) بإدراك ما يُتَمَنَّى ، وهذا شَأْوٌ مُخْكَومٌ به بِقُوَّةِ النَّفْسِ ، غيرُ مُسْتَيْقِظٍ إليه ^(٥) بِقُوَّةِ الحِسِّ .

فقال الوزير : أحسنت يا أبا عليٍّ في هذا الوصف ، « وَإِنَّ نَفْسَكَ ^(٦) لَيَدُلُّ على أَكْثَرٍ مِنْ ذلك » ، ولو كان البالُ ظاهراً بِنِعْمَةٍ ، والصَّدْرُ فارِغاً من كُرْبَةٍ ، لَكُنَّا نَبْلُغُ من هذا الحديث مَبْلَغاً نَشْفِي به غَلِيلَنَا [قائلين] ونُشْفِي به مُسْتَمْعِينَ ،

(١) ورد هذان اللفطان في كلتا النسختين كل منهما مكان الآخر ، والسياق يقتضى ما أثبتنا كما ترى .

(٢) في (ب) « الأمور » .

(٣) كذا في ب والذي في (أ) « في موت اليراد » ؛ وهو تحريف .

(٤) في (ب) « تدرك » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٥) في كلتا النسختين « عليه » وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٦) كذا ورد هذا الكلام الذى بين هاتين العلامتين في ب والذي في (أ) « وأن تغلبه

كيدك على أعز من ذلك » ؛ وفي هذا الكلام تحريف كما ترى لا يفهم له معنى .

ولسكتي قاعدٌ معكم وكأني غائب ، بل أنا غائبٌ من غير كاف التشبيه ، والله ما أملاك نصرتي ولا فكري في أمرى ، أرى واحداً في قتلِ حَبِل^(١) ، وآخر في حفرِ بئر ، وآخر في نصبِ فَنَحْ ، وآخر في دَسِّ حيلة ، وآخر في تقبيحِ حَسَن ، وآخر في شَحَذِ حَدِيد ، وآخر في تمزيقِ عِرْض ، وآخر في أخلاقِ كَذِب ، وآخر في صدعِ مُلتَسِم ، وآخر في حلِّ عَقْد ، وآخر في نَفْثِ سِحْر ، ونارى مع صاحبي رَماد ، وريحه على عاصِفة ، ونسيمى بِنْيى وبَيْنَه سَموم ، ونصِبي منه مُهوم [وغموم] ، وإني أحدثكم بشيء تعلمون [به] صدقي في شكواي ، وتقفون منه على تفسُّخي^(٢) تحتَ بلوأي ، ولولا أنني أظني بالحديث لهباً قد تضرَّم صدرى به ناراً ، وأحتشى فوادي منه أواراً ؛ لما تحدثتُ به ، ولو أستطعتُ طيِّمه لما نبتتُ بحرفٍ منه ، ولكن كتمانى للحديث أنقَبُ لحجابِ القلب من ألعنَّة لسور القصر .

دَخَلْتُ منذ أيام فوصلت^(٣) إلى المجلس ، فقال لى قد أعذتُ الخِلعة فالبستها على الطائر الأسعد ، فقلت أفعل ، وفي تذكرتي^(٤) أشياء لا بد من ذكرها وعرضها .

فقال : هات ، فقلت : يتقدَّم^(٥) بكذا وكذا ، ويُفعل كذا وكذا . فقال : عندي جميع ذلك ، أُنصِ هذا كله ، وأصنع فيه ما ترى ، وما فوقَ يدك يد ، ولا عليك لأحدٍ أعترض ؛ فانقلبتُ عن المجلس إلى زاوية في الحُجرة ، وفيها تحدَّرت دُموعى ، وعلا شهيقى ، وتوالى نشيجى ، حتى كذتُ أفتضح

(١) وردت هذه العبارة في كلتا النسخين مهمل بعض حروفها من النقط تتعذر قراءتها .

(٢) في كلتا النسخين « تفسُخى » ؛ وهو تحريف .

(٣) في (ب) « فدخلت » . (٤) في (أ) « وفي فكري » .

(٥) يتقدم بكذا ، أى يؤمر به .

فَدَنَا مِنِّي بَعْضُ خَدَمِي مِنْ ثِقَاتِي ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ النَّاسُ وَقُوفٌ يَنْتَظِرُونَ
 بُرُوزَكَ بِالْخَلْعَةِ الْمُبَارَكَةِ وَالتَّشْرِيفِ الْمَيِّمُونَ ، وَأَنْتَ فِي تَوَحُّحٍ وَتَدَمٍّ ؟ ؟ فَقُلْتُ :
 تَنَحَّ عَنِّي سَاعَةً حَتَّى أُطْفِئَ نَارَ صَدْرِي ، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ الْعَارِضُ لِأَنِّي كُنْتُ
 عَرَضْتُ عَلَى صَاحِبِي تَذْكَرَةً مُشْتَمَلَةً عَلَى أَشْيَاءَ مُخْتَلِفَةٍ ، فَأَمَضَاهَا كُلَّهَا ، وَلَمْ
 يُنَافِظْنِي فِي شَيْءٍ مِنْهَا ، وَلَا زَادَنِي شَيْئًا فِيهَا ، وَلَا نَافِظَنِي عَلَيْهَا ، وَلَعَلِّي قَدْ بَلَوْتُه
 بِهَا ، وَأَخْفَيْتُ مَغْزَايَ فِي ضَمْنِهَا ، فَخُيِّلَ إِلَيَّ بِهَذِهِ الْحَالِ أَنَّ غَيْرِي يَقِفُ
 مَوْقِفِي ، فَيَقُولُ فِيَّ قَوْلًا مُزْخَرَفًا ، وَيَنْسِبُ إِلَيَّ أَمْرًا مُؤَلَّفًا ، فَيَمُضِي ذَلِكَ
 أَيْضًا لَهُ كَمَا أَمَضَاهُ لِي ، فَوَجَدْتُنِي ^(١) بِهَذَا الْفِكْرِ الَّذِي قَدْ فَتَقَ لِي ^(٢) هَذَا
 النَّوعَ مِنَ الْأَمْرِ كِرَاقِمٍ عَلَى صَفْحَةِ مَاءٍ ، أَوْ كَقَابِضٍ فِي جَوْءٍ عَلَى قِطْعَةٍ مِنْ هَوَاءٍ ؛
 أَوْ كَمَنْ يَنْفَخُ فِي غَيْرِ فَحْمٍ ، أَوْ يَلْعَبُ فِي قَيْدٍ ^(٣) ، وَلَقَدْ صَدَقَ الْأَوَّلُ حَيْثُ قَالَ :
 وَإِنْ أَمْرًا دُنْيَاهُ أَكْبَرُ هَمِّهِ لَمْسْتَمْسِكْ مِنْهَا بِحَبْلِ غُرُورٍ
 غَيْرَ أَنِّي أَذْكَرُ لَكُمْ مَا عَنَّا لِي ^(٤) مِنْ هَذَا الْأَمْرِ :

اعْلَمُوا أَنِّي ظَنَنْتُ أَنَّ مَا نَظَّمَهُ ^(٥) الْمَاصِي — رَحِمَهُ اللَّهُ — وَأَصْلَحَهُ ، وَبَنَاهُ
 وَقَعَّيْتُهُ ، وَنَسَجْتُهُ وَنَوَّقَهُ ^(٦) لَا يَسْتَحِيلُ فِي ثَلَاثِينَ سَنَةً وَلَا خَمْسِينَ سَنَةً ؛ وَأَنَّ

(١) فِي (ب) « وَوَحْدَتُهُ » ؛ وَسِيَاقُ السَّكَلَامِ يَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا كَمَا فِي (١) .

(٢) فِي (١) « فِي » .

(٣) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « فِي مَدٍّ » ؛ وَظَاهِرُ أَنَّ مَعْنَاهُ لَا يَنْبَسِبُ مَا هُنَا ؛ وَلَعَلَّهُ مُحَرَّفٌ
 عَمَّا أَثْبَتْنَا .

(٤) فِي (ب) : « مَا غَرَفِي » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٥) فِي (١) : « مَا يَظْهَرُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٦) فِي (١) : « وَقُوفُهُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَيَلَاظِحُ أَنَّ (١) وَحْدَهُمَا هِيَ الَّتِي وَرَدَتْ

وَهَاهُنَا السَّكَلَةُ وَالَّتِي قَبْلَهَا .

الحَالِ تَدُومُ عَلَى ذَلِكَ الْمِنْهَاجِ ، وَتَسْتَمِرُّ عَلَى ذَلِكَ السَّيَاجِ ، وَنَكُونُ قَدْ أَخَذْنَا
بَطَرِيقٍ مِنَ السَّعَادَةِ ، وَبَلَّغْنَا لَأَنْفُسِنَا بَعْضَ مَا كُنَّا نَسْتَطِيعُ عَلَيْهِ التَّمَتُّيَ مِنَ الْإِرَادَةِ
فَنَجْمَعُ بَيْنَ عِلْوِ الْمَرْتَبَةِ ، وَشَرَفِ الرَّيَاسَةِ ، وَنَيْلِ اللَّذَّةِ ، وَإِدْرَاكِ الدُّرُورِ ،
وَأَصْطِنَاعِ الْعُرْفِ ، وَكَسْبِ الثَّنَاءِ ، وَنَشْرِ الذِّكْرِ ، وَبُعْدِ الصَّيْتِ ، فَعَادَ ذَلِكَ
كُلُّهُ بِالصَّدِّ ، وَحَالَ إِلَى الْخِلَافِ ، وَوَقَفَ عَلَى الْفِكْرِ الْمُضْنِيِّ ، وَالْخَوْفِ الْمُقْلِقِ ،
وَالْيَأْسِ الْحَيِّ ، وَالرَّجَاءِ الْمَيِّتِ ؛ وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ الْقَائِلُ :

أَطْمَعْتَنِي^(١) الدُّنْيَا فَلَمَّا جُمْتُهَا مُسْتَسْقِيًا مَطَرَتْ عَلَى مَصَائِبِهَا

فَقَالَ لَهُ ابْنُ زُرْعَةَ : إِنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا بِيَدِ اللَّهِ ، وَلَا يُسْتَنْجَزُ الْخَيْرُ إِلَّا مِنْهُ ،
وَلَا يُسْتَدْفَعُ الشَّرُّ إِلَّا بِهِ ، فَسَلِّهِ جَمِيلَ الصَّنْعِ [وَحُسْنَ النِّيَّةِ] وَأَنُوبِ الْخَيْرِ ، وَبُثَّ
الْإِحْسَانُ ، وَكُلُّ أَعْدَاءِكَ إِلَى رَبِّكَ الَّذِي إِذَا عَرَفَ صِدْقَكَ وَتَوَكَّلَكَ عَلَيْهِ
فَلَمْ يَخْذَلْهُمْ ، وَعَفَرَ خَلْدَهُمْ ، وَسَيَّحَ الْفُرَاتَ إِلَى جَمْرَتِهِمْ حَتَّى يُطْفِئَهَا ، وَسَاطَ الْأَرْضَةَ
عَلَى أَبْدَانِهِمْ حَتَّى تَقْرِضَهَا ، وَشَغَلَهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ ، وَخَالَفَ بَيْنَ كَلِمَتِهِمْ ، وَصَدَّعَ
شَمْلَ جَمِيعِهِمْ ، وَرَدَّهِمْ إِلَيْكَ صَاغِرِينَ ضَارِعِينَ ، وَعَرَّصَهُمْ عَلَيْكَ خَاضِعِينَ ،
وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ، وَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُحْسِنِينَ عَلَى الْمُسِيئِينَ .

قَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ وَجَدْتُ رَوْحًا^(٢) كَثِيرًا بِمَا قُلْتُ لَكُمْ وَمَا سَمِعْتُ مِنْكُمْ ،
وَأَرْجُو أَنَّ اللَّهَ يُعِينُ الْمَظْلُومَ وَيُهَيِّئُ الظَّالِمَ . قَدْ تَمَطَّى اللَّيْلُ ، وَتَغَوَّرَتِ النُّجُومُ ،
وَحَنَّ الْبَدَنُ إِلَى التَّرَفَةِ ؛ فَإِذَا شِئْتُمْ . فَأَنْصَرَفْنَا مُتَعَجِّبِينَ .

(١) فِي (أ) : « أَطْمَعْتَنِي » . وَفِي (ب) : أَطْمَعْتَنِي ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ .
وَالْبَيْتُ لِلْمُتَنَبِّئِ .

(٢) الرُّوحُ بِمَتَعِ الرَّاءِ وَالرَّاحَةِ كَلَامًا بِمَعْنَى وَاحِدٍ .

الليلة الثالثة والثلاثون

(١) عُذْنَا إِلَى مَا كَتَفَانِيهِ مِنْ حَدِيثِ الْمَاهِلَةِ — وَكَانَ قَدْ اسْتَزَادَنِي — فَسَكَنْتُ لَهُ هَذِهِ الْوَرَقَاتِ وَرَأَتْهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ كَلَامًا كَثِيرًا عِنْدَ كُلِّ مَا مَرَّ مِمَّا يَكُونُ صَلَاةً لِدَاكِ الْحَدِيثِ ، خَزَلْتُهُ طَلَبًا لِلتَّخْفِيفِ .

أُولَ حَمَادِ الرَّاوية : عَنْ قَتَادَةَ قَالَ رِيَادُ لَعْيَلَانَ بْنِ خَرْشَةَ : أَحِبُّ أَنْ تَحْدِثَنِي عَنِ الْعَرَبِ وَحَدِّثْنِي عَنْكَ عَيْشَهَا لِنَحْمَدَ اللَّهَ عَلَى النِّعْمَةِ الَّتِي أَصْبَحْنَا بِهَا . فَقَالَ غَيْلَانُ : حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ : تَوَالَّتْ عَلَى الْعَرَبِ سِنُونَ | سَمِعْتُ فِي الْجَاهِلِيَةِ | حَتَّتْ ^(١) كُلَّ شَيْءٍ ، فَخَرَجْتُ عَلَى بَكْرِ لِي فِي الْعَرَبِ ، فَسَكَنْتُ سَبْعًا لَا أَذُوقُ فِيهِمْ شَيْئًا إِلَّا مَا يَنَالُ بَعِيرِي مِنْ حَشَرَاتِ [الْأَرْضِ] حَتَّى دَنَوْتُ ^(٢) إِلَى حِوَاءِ ^(٣) عَظِيمٍ ، فَإِذَا بَيْتٌ جَحِيشٍ ^(٤) عَنِ الْحَيِّ ، فَلَمْتُ إِلَيْهِ ، فَخَرَجْتُ إِلَى امْرَأَةٍ طَوَالَةَ حُسَانَةٍ ^(٥) ، فَقَالَتْ : مَنْ ؟ قُلْتُ : طَارِقُ لَيْلٍ يَلْتَمِسُ الْقَرَى . فَقَالَتْ : لَوْ كَانَ عِنْدَنَا شَيْءٌ آتَرْنَاكَ بِهِ ، وَالِدَالُ عَلَى الْخَيْرِ كَمَا عَلَيْهِ ، جُسْنَ هَذِهِ الْبَيْوَتِ فَأَنْظُرْ إِلَى أَعْظَمِهَا ، فَإِنْ يَكُ فِي شَيْءٍ مِنْهَا خَيْرٌ فَهِيَ . فَفَعَلْتُ حَتَّى دَنَوْتُ ^(٦) إِلَيْهِ ، فَوَحَّيَ بِي صَاحِبُهُ وَقَالَ : مَنْ ؟ قُلْتُ : طَارِقُ لَيْلٍ يَلْتَمِسُ الْقَرَى . فَقَالَ : يَا فُلَانُ ، فَأَجَابَهُ ، فَقَالَ : هَلْ عِنْدَكَ [مِنْ] طَعَامٍ ؟ قَالَ :

(١) فِي (ب) : « أَهْلَكَ » ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا . يُقَالُ : حَصَّ الشَّعْرَ وَنَحْوَهُ إِذَا اسْتَأْصَلَهُ .

(٢) فِي (ب) : « وَقَعَتْ » . (٣) الْحِوَاءُ : جَمَاعَةُ الْبُيُوتِ .

(٤) الْجَحِيشُ : مَنْ قَوْلُهُمْ : رَحَلَ جَحِيشَ الْمَحَلِّ إِذَا نَزَلَ نَاحِيَةَ عَنِ النَّاسِ وَلَمْ يَحْتَلِطْ بِهِمْ . يُرِيدُ بَعْدَ ذَلِكَ الْمَنْزِلِ وَانْغَزَاهُ عَنْ مَازِلِ ذَلِكَ الْحَيِّ .

(٥) طَوَالَةُ حُسَانَةٍ ، أَيْ طَوِيلَةُ حَسَنَةٍ .

(٦) فِي (ب) : (دَفَعْتُ إِلَيْهِ) ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا

لا ، قال : فوالله ما وقّرَ في أُذُنِي شَيْءٌ كَانَ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْهُ . فقال : هل عندك مِنْ شَرَابٍ ؟ قال : لا ، ثم تأوّه وقال : قد أَبْقَيْنَا فِي ضَرْعِ فَلَانَةٍ ^(١) شَيْئًا لَطَارِقٍ إِنْ طَرَقَ ، قال : فَأَتِ بِهِ ، فَأَتَى الْعَطَنَ فَأَبْتَعَهَا ، فحَدَّثَنِي عَمِّي أَنَّهُ شَهِدَ فَتَحَ أَصْنَهَانَ وَتُسْتَرَ وَمِهْرَجَانَ ^(٢) فَذُقْ وَكُورَ الْأَهْوَازِ وَفَارِسَ ، وَجَاهَدَ عِنْدَ السُّلْطَانِ وَكَثُرَ مَالُهُ وَوَلَدَهُ ، قال : فَمَا سَمِعْتُ شَيْئًا قَطُّ كَانَ أَلَدَّ إِلَيَّ مِنْ شَخْبِ تِلْكَ النَّاقَةِ فِي تِلْكَ الْعُلْبَةِ ، حَتَّى إِذَا مَلَأَهَا فَفَاضَتْ مِنْ جَوَانِهَا وَأَرْتَفَعَتْ عَلَيْهَا رُغْوَةٌ كَجُومَةٍ ^(٣) الشَّيْخِ أَقْبَلَ بِهَا يَحْوِي فَعَثَرَ بِعُودٍ أَوْحَجَرَ ، فَسَقَطَتِ الْعُلْبَةُ مِنْ يَدِهِ ، فحَدَّثَنِي أَنَّهُ أُصِيبَ بِأَنِيهِ وَأُمُّهُ [وَوَلَدُهُ] وَأَهْلُ بَيْتِهِ ، فَمَا أُصِيبَ مُصِيبَةً أَعْظَمَ عَلَيْهِ مِنْ ذَهَابِ الْعُلْمَةِ ؛ فَلَمَّا رَأَيْتَنِي ^(٤) كَذَلِكَ رَبُّ التَّيْبِتِ خَرَجَ شَاهِرًا سَيِّفَهُ ، فَبَعَثَ الْإِبِلَ ثُمَّ نَظَرَ إِلَى أَعْظَمِهَا سَنَامًا ، عَلَى ظَهْرِهَا مِثْلَ رَأْسِ الرَّجُلِ الصَّعِلِ ^(٥) ، فَكَشَفَ عَنْ فُوْهَتِهِ ^(٦) ثُمَّ أَوْقَدَ نَارًا ، وَأُجْتَبَ سَنَامُهَا ، وَدَفَعَ إِلَى مُذْيَبَةٍ وَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، اِصْطَلْ وَاجْتَمِلْ ^(٧) فَجَعَلَتْ أَهْوَى بِالْبَضْعَةِ إِلَى النَّارِ ، فَإِذَا بَلَغَتْ إِبَانَهَا أَكَلَتْهَا ، ثُمَّ مَسَحَتْ مَا فِي يَدَيَّ مِنْ إِهَالَتِهَا عَلَى جِلْدِي ، وَكَانَ قَدْ قَحَلَ ^(٨) عَلَى عَظْمِي حَتَّى كَانَهُ شَنْ ^(٩) ، ثُمَّ شَرِبْتُ مَاءً وَخَرَزْتُ مَغْشِيًا عَلَيَّ ، فَمَا أَفَقْتُ إِلَى السَّحَرِ .

- (١) فَلَانَةٌ : كِتَابَةٌ عَنْ اسْمِ بَعِضِ بَيَاقِهِ . وَفِي (أ) : الْغَلَابَةُ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .
 (٢) تَسْتَرُ : مَدِينَةُ عَظِيمَةٌ بِمُحُورَسْتَانَ . وَمِهْرَجَانُ قَذَقُ : كَوْرَةٌ دَاتٌ مَدَنٌ وَقُرَى قَرِبَ الصَّيْمَرَةِ ، مِنْ نَوَاحِي الْجِبَالِ . وَعَبِيرُ هَذِينَ مِنَ الْبِلَادِ الْمَذْكُورَةِ هُنَا مَعْرُوفٌ فَلَا مَقْتَضَى لِلتَّعْرِيفِ بِهِ .
 (٣) الْجَمْعُ : بِمَجْتَمِعِ شَعْرِ الرَّأْسِ ، وَهِيَ أَكْبَرُ مِنَ الْوُفْرَةِ .
 (٤) فِي (ب) : « فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ » . (٥) الصَّعِلُ : الدَّقِيقُ الرَّأْسُ .
 (٦) فُوْهَةُ الشَّيْءِ : أَعْلَاهُ ، يَرِيدُ أَعْلَى السَّامِ . وَفِي الْأَصُولِ مَا يَشْبَهُ فِي الرَّسْمِ كَلِمَةً عَرَفُوبَهَا وَلَا مَقْتَضَى لِكَشْفِ عَرَقِيقِ النَّاقَةِ هُنَا . (٧) اجْتَمَلَ الشَّعْمُ : أَدَابَهُ فِي الْبَارِ .
 (٨) قَحَلَ عَلَى عَظْمِي ، أَيِ يَبِسَ مِنْ وَهَجِ الْحَرِّ وَبَعْدَ عَهْدِهِ بِالْمَاءِ .
 (٩) الشَّنُّ : الزَّادَةُ الْيَابِسَةُ الْحَلَقَةُ .

فَقَطَعَ زِيَادُ الْحَدِيثِ وَقَالَ : لَا عَلَيْكَ أَنْ تُخْبِرَنَا بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا ، فَمَنْ
الْمَنْزُولُ بِهِ ^(١) . قُلْتُ عَامِرُ ^(٢) بَنُ الطَّفَيْلِ . قَالَ : أَبُو عَلِيٍّ ؟ قُلْتُ : أَبُو عَلِيٍّ .

وَاسْتَعَاذَنِي الْوَزِيرُ [أَدَامَ اللَّهِ عُلُوَّهُ] هَذَا الْحَدِيثَ مَرَّتَيْنِ وَأَكْثَرَ التَّعَجُّبِ ،
وَقَالَ : صَدَقَ الْقَائِلُ فِي الْعَرَبِ : مُنِعُوا الطَّعَامَ وَأَعْطُوا الْكَلَامَ .

تَغَدَّى أَبُو الْعَيْنَاءِ عِنْدَ ابْنِ مَكْرَمٍ ، وَقَدَّمَ إِلَيْهِ عُرَاقًا ^(٣) ، وَلَمَّا جَسَّهُ قَالَ : قَدْرُكُمْ
هَذِهِ قَدْ طُبِخَتْ بِشِطْرٍ حَجٍّ ؟ ^(٤) .

وَقَدَّمَ إِلَيْهِ يَوْمًا قِدْرًا وَجَدَهَا كَثِيرَةَ الْعِظَامِ ، فَقَالَ : هَذِهِ قِدْرُ أُمِّ قَبْرِ ؟
وَأَكَلَ عِنْدَهُ أَبُو الْعَيْنَاءِ يَوْمًا ، فَسُقِيَ ثَلَاثَ شَرَبَاتٍ بَارِدَةٍ ، ثُمَّ طَابَبَ الرَّابِعَةَ
فَسُقِيَ شَرْبَةً حَارَّةً ، فَقَالَ : [لَعَلَّ] مَرَّمْتُمْكُمْ ^(٥) تَعْتَرِيهَا حُمَّى ^(٦) الرَّبْعِ .

قَالَ سَلَمَةُ : بَقِيَ أَبُو الْقَمْقَامِ بَبْعَدَادَ وَكُنَّا نَاتِيهِ وَنَسْمَعُ مِنْهُ ، فَجَاءَنَا بِجَفَنَةٍ
فِيهَا جُوزَابٌ ^(٧) فَجَعَلَ أَحْبَابُنَا بَاكِلُونَ ، ثُمَّ أَتَاهُمْ بِسَقْفٍ فِيهِ يَرَامِيعُ مَسْلَتِهَا فِي
الْجَفَنَةِ ، فَعَلِمَ الْقَوْمُ أَنَّهُمْ قَدْ دُهِوا ، فَجَعَلُوا يَسْتَقِيمُونَ مَا أَكَلُوا .

وَقَالَتْ عَائِشَةُ : [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا] يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لِي جَارَتَانِ بِأَيْتِهِمَا أَبْدَأُ ؟
قَالَ : « بَادَأْتَهُمَا بَابًا مِنْكَ ^(٨) » .

(١) فِي (١) : « عَلَيْهِ » .

(٢) عَامِرُ بْنُ الطَّفَيْلِ : هُوَ ابْنُ مَالِكٍ بْنُ حَمْرٍ بْنِ كَلَابِ الْعَامِرِيِّ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ لَبِيدٍ .

(٣) الْعِرَاقُ : الْعِظَمُ الَّذِي أَخَذَ مَا عَلَيْهِ مِنَ اللَّحْمِ .

(٤) يَرِيدُ هَذِهِ الْعِبَارَةَ وَصَفَ مَا فِي الْقَدْرِ بِالْبَيْسِ وَالصَّلَابَةِ كِبَادِقِ الشَّطْرِجِ .

(٥) الْمَزْمَلَةُ : جِرَّةٌ أَوْ خَابِيَةٌ خَضِرَاءُ فِي وَسْطِهَا ثِقَبٌ فِيهِ قَصْبَةٌ مِنَ الْعُضَةِ أَوْ الرِّصَاصِ

يَشْرَبُ مِنْهَا .

(٦) حُمَّى الرَّبْعِ هِيَ الَّتِي تَأْخُذُ يَوْمًا وَتَدَعُ يَوْمَيْنِ ، ثُمَّ تَحْجَى فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ

(٧) الْحُوزَابُ : طَعَامٌ يَتَخَذُ مِنْ سَكَّرٍ وَأَرْزٍ وَلَحْمٍ ، وَهُوَ قَارِصِيٌّ

(٨) فِي ب « إِلَيْكَ » .

وقال حكيم : يَنْبَغِي إِلَّا يُعْطَى الْبَخِيلُ أَكْثَرَ مِنْ فُوتِهِ ، لِيُخْذَكُمَ
عليه بمثل ما حكم [به] على نفسه
وقال الشاعر :

أَفْلَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ قَوْصَرَةٌ^(١) يَا كُلُّ مِنْهَا كُلَّ يَوْمٍ مَرَّةً
أَفْلَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ مِرْخَةٌ^(٢) يَزُخُّهَا ثُمَّ يَنْسَامُ الْفَخَّةُ
أَفْلَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ دَوْخَلَةٌ^(٣) يَا كُلُّ مِنْهَا كُلَّ يَوْمٍ مَلَّةً
أَفْلَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ هِرْشَفَةٌ^(٤) وَنَشَفَةٌ^(٥) يَمْلَأُ مِنْهَا كَمَّةً
أَفْلَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ كِرْدِيدَةٌ^(٦) يَا كُلُّ مِنْهَا وَهُوَ ثَانٍ جِيدَةً

وقال أبو فرعون الشاشي يَخَاطِبُ الْحُجَّاجَ :

يَا خَيْرَ رَكْبٍ سَلَكَوا طَرِيقًا وَيَمَّمُوا مَكَّةَ وَالْعَقِيمَا
وَأَطْعَمُوا ذَا الْكَعْكَ وَالسَّوِيقَا وَالْحُشْكَنَانَ^(٧) الْيَابِسَ الرَّقِيمَا

(١) القوصرة : وعاء من قصب يرفع فيه التمر من البواري ؛ ويسبب هذا الشعر إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

(٢) في الرواية : « طوبى لمن كانت » الح . والمرخه : روجة الرجل لأنه يزخها ، أي يحامعها ؛ والفخة : بومة الغداة ، وقيل نومة التبع . وفي الأصل : الفخة بالالف ؛ وهو تصحيف .

(٣) الدوخلة : سفينة من خوص يوضع فيها التمر والرطب ؛ وهي كالربيل . والملة : المرة .
(٤) في رواية : « طوبى لمن كانت » الح ، والهرشفة : حرقه ينشف بها ماء المطر من الأرض ثم تعصر في الإناء ؛ وإنما يفعل ذلك إذا قل الماء . ذكره صاحب اللسان وأورد هذا البيت شاهداً عليه .

(٥) في الأصل : « ومشر » ؛ وهو محريف . والشفة : خرقه ينشف بها اليد .

(٦) السكرديدة : القطعة العظيمة من التمر . وهو ثانٍ جيده ؛ أي وهو في راحة ودعا

(٧) الحشكنان : الحز اليابس ، وهو المعروف عندنا بالبسكويت . انظر المعجم الفارسي الانجليزي لاستايبجاس .

وقال آخر :

رَأَيْتُ الْجُوعَ يَطْرُدُهُ رَغِيفٌ وَمِلَهُ السَّكْفُ مِنْ مَاءِ الْفُرَاتِ
وقال النبي صلى الله عليه وسلم "الطاعم" (١) الشاكر بمنزلة الصائم الصابر .
قَبِيلٌ مُزَبَّدٌ (٢) جاريةٌ بخرَاء ، فقال لها : أَطْنُكَ تَعْشَيْتِ بَكْرَاشَ ، أَوْ احْتَشَيْتِ
صَحْنًا (٣) ؛ فقالت : مَا أَكَلْتُ إِلَّا خَرْدَلًا . قال : قَدْ ذَهَبَ النِّصْفُ الثَّانِي
وَبَقِيَ مَا قَبْلَهُ .

قال شاعر :

وَبَاتُوا يُعْشُونَ الْقَطِيعَاءَ ضَيْفَهُمْ وَعِنْدَهُمُ الْبَرْنِيُّ فِي جُلَلٍ دُسْمٍ (٤)
وقال آخر :

وَمَا أَطْعَمُونَا الْأَوْتُكَى (٥) مِنْ سَمَاحَةٍ وَلَا مَنَعُوا الْبَرْنِيَّ إِلَّا مِنْ الْبُخْلِ
سَمِعْتُ الْحَجَّاجِيَّ يَقُولُ : كُلِ الْخُبْزَ أَوْ السَّمَكَ ، فَإِنْ أَكَلَ أَحَدُهُمَا كَانَ
مُطِيعًا ؛ فَإِذَا نَفِيتَ فَقُلْتَ : لَا تَأْكُلِ الْخُبْزَ وَالسَّمَكَ ؛ فَإِنْ أَكَلَ أَحَدُهُمَا لَمْ
يَعِصْكَ ؛ وَإِذَا قُلْتَ : لَا تَأْكُلِ الْخُبْزَ أَوْ السَّمَكَ ، لَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْ يَأْكُلَ أَحَدُهُمَا ،

(١) الطاعم ، أى ذو الطعام ، أو المَطْعوم .

(٢) فى كلتا السخنين « مزيد » بالياء المثناة ؛ وهو تصحيف . ومزبد بالوحدة هو صاحب النوادر المعروف .

(٣) الصحن والصحناء . — وبمدان ويقصران — إدام يتخذ من السمك الصفار ؛ مشة مصلح للمعدة .

(٤) القطيعاء : التمر السهرير ، والتمر السهرير : الصغير ، وهو أردأ التمر ؛ وقيل هو البسر قبل أن يدرك ؛ والبرني نوع حيد من التمر . والجلّة : وعاء يتخذ من الخوص يوضع فيه التمر . والدسم : الغلاط .

(٥) الأوتكى ، هو التمر السهرير ؛ وهو والقطيعاء التى تقدم شرحها فى الحاشية السابقة واحد ؛ وفى المخصص « اللؤم » مكان « البخل » ؛ وفى الأصل : « الأربكى » مكان « الأوتكى » ؛ وهو تحريف .

لأن التقدير في النفي لا تأكلُ أحدهما ، والتقدير في الإيجاب أنتِ أيُّهما شئتَ ؛
فهذه خاصيةُ أو . السَّوِيقُ : الجَشِيشُ ^(١) ، لأنه رُضٌّ وكَسِيرٌ . المِجَشَّةُ : رَحَى
صَغِيرَةٌ يَجَشُّ بها . رَوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى الشُّبْرَمَ ^(٢) عِنْدَ
أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ فَقَالَ : ” حَارٌّ حَارٌّ “ ، وَأَمَرَ بِالسَّنَا ^(٣) .

وَيُقَالُ : أَكَلُ البَطِيخِ ^(٤) مَجْفَرَةً ، أَيْ يَقْطَعُ مَاءَ النِّسْكَاحِ .

وَيُقَالُ : فَلَانٌ عَظِيمُ الْمَجْرَاشِ ^(٥) أَيْ الْوَسَطِ ، فَسٌّ مُجْرَاشٌ ^(٥) الْجَنَيْنِ
وَأَجْرَاشَتْ ^(٥) الْإِبِلُ ؛ إِذَا بَطِنَتْ ، وَإِبِلٌ مُجْرَاشَةٌ ^(٥) أَيْ بَطَانٌ ؛ وَيُقَالُ :
كَشَاةٌ ^(٦) قَدْرِكُمْ ، وَهِيَ مَا أُرْتَفِعَ مِنْهَا عِنْدَ الْعَلَى .

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَاهُ أَبُو عُبَاسٍ قَالَ : سَمِعْتُهُ يَقُولُ : ” لَيْسَ
بِمُؤْمِنٍ مَنْ بَاتَ شَبْعَانَ [رَبَّانَ] وَجَارُهُ جَائِعٌ طَاوٍ “ .

قَالَ عُمَرُ : مُذْمِنُ اللَّحْمِ كَمُذْمِنِ الْخَمْرِ .

وَقَالَ لَقِيْطُ بْنُ زُرَّارَةَ يَذُمُّ أَصْحَابَهُ يَوْمَ جَبَلَةَ :

(١) فِي الْأَصْلِ : « الْحَشِيش » ؛ وَهُوَ تَصْغِيفٌ .

(٢) الشُّبْرَمُ : نَبَاتٌ لَهُ حَبٌّ كَالْعَدَسِ ، وَأَوْرَاقُهُ تَشْبَهُ الطَّرَخُونَ . وَفِي النِّهَايَةِ لِأَنَّ الْأَثِيرَ
عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا شَرِبَتْ الشُّبْرَمَ الْخِ فَقَالَ إِنَّهُ حَارٌّ حَارٌّ ، وَفَسَّرَ الشُّبْرَمَ بِأَنَّهُ حَبٌّ كَالْحَمْسِ يَطْبَحُ
وَيَشْرَبُ مَآؤُهُ لِلتَّنَادَايِ ، وَقِيلَ إِنَّهُ نَوْعٌ مِنَ الشَّيْبِ أَحْرَقَهُ الرَّحْمَشِيُّ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ .
(٣) السَّنَا : نَبَاتٌ مَعْرُوفٌ فِي الْأَدْوِيَةِ ، لَهُ حَمَلٌ إِذَا يَبَسَ وَحَرَكْتَهُ الرِّيحُ سَمِعْتَ لَهُ زَجَلًا
الْوَّاحِدَةَ سَنَاءً ، وَعَرَفَهُ بَعْضُهُمْ بِأَنَّهُ نَبَاتٌ يَشْبَهُ الْحَنَاءَ ، زَهْرُهُ إِلَى الزَّرْقَةِ وَحَبُّهُ مَفْرُطٌ إِلَى
الطُّولِ عَرَبِيٌّ الْأَوْرَاقُ وَأَجْوَدُهُ الْحِجَازِيُّ ، وَيَعْرِفُ بِسَنَامِكَا ؛ وَقَدْ يُقَالُ لَهُ السَّنَا الْمَسْكِيُّ ؛ وَنَوْعٌ
آخَرُ نَبَتٌ بِيْلَادِ الرُّومِ وَيُقَالُ لَهُ السَّنَا الرُّومِي .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « الْبَطِيخ » بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ؛ وَهُوَ تَصْغِيفٌ .

(٥) وَرَدَتْ هَذِهِ الْأَفْظَاظُ الَّتِي تَحْتَ هَذَا الرَّقْمِ فِي الْأَصْلِ بِالْحَاءِ وَالسِّينِ الْمُهْمَلَتَيْنِ ؛ وَهُوَ
تَصْغِيفٌ ؛ وَالتَّصْوِيبُ عَنْ كُتُبِ اللُّغَةِ .

(٦) فِي الْأَصْلِ : « كِبَاءٌ » بِبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ ؛ وَهُوَ تَصْغِيفٌ ، وَالتَّصْوِيبُ عَنْ كُتُبِ اللُّغَةِ .

إِنَّ الشَّوَاءَ وَالنَّشِيلَ وَالرُّغْفَ وَالْقَيْنَةَ الْحَسَنَاءَ وَالْكَأْسَ الْأَنْفَ

لِلضَّارِبِينَ الْهَامَ وَالْخَيْلُ قُطْفُ

قيل لدُبٍّ : لَمْ تَفْقِرْ رَجُلًا فِي لَيْلَةٍ مِنْ كَثَرَةِ مَا تَأْكُلُ [مِنْ] عَيْنِهِ ؟ فقال : لَا تَلْمَنِي ، فَإِنَّ بَيْنَ يَدَيَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ أَنْحَجِرُ فِيهَا فَلَا أَتَلَمَّظُ إِلَّا بِالْهَوَاءِ .

قال ابن الأعرابي : إِذَا أَقْدَحَ ^(١) الرَّجُلُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ فَاطْعَمَ لَحْمَهُ الْمَسَاكِينَ سُمِّيَ مَتَمِّمًا ، وَبِهِ سُمِّيَ ابْنُ نُوَيْرَةَ ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ النَّابِغَةِ :

إِنِّي أَتَمَّمُ أَيْسَارِي وَأَمْنَحُهُمْ مَثْنَى الْأَيْدِي ^(٢) وَأَكْسُو الْجَفْنَةَ الْأَدْمَا الثَّرْتُمَ ^(٣) مِنْ فُتَاتِ الطَّعَامِ ، وَيُقَالُ الثَّرْتُمُ أَيْضًا [مَا فَضَلَ مِنْ] ^(٤) الطَّعَامِ فِي

الْإِنَاءِ [، وَيُقَالُ : طَعَامٌ ذُو نُزُلٍ ^(٥) . وَالْمَلِيحُ وَالْمِلْحُ : السَّمْنُ ، يُقَالُ : تَمَلَّحْتَ الْجَارِيَةَ وَتَحَلَّمْتَ إِذَا سَمِنْتَ .

وَقَالَ أَبُو الطَّمَحَانِ الْقَيْنِيُّ ^(٦) :

وإِنِّي لَأَرْجُو مِلْحَهَا فِي بَطُونِكُمْ وَمَا كَشَطْتَ مِنْ جِلْدٍ أَشَعْتَ أَغْبَرَا
هَكَذَا سَمِعْتُ . وَيُقَالُ : سَمِنَ حَتَّى كَأَنَّهُ خَرَسٌ ^(٧) ، وَالْخَرَسُ ^(٧) : الدَّنُّ
بَعَيْنُهُ . وَفِي الْمَثَلِ : " إِنْ آخَرَ الْخَرَسِ ^(٧) لِدُرْدَى " أَيْ آخِرُ الدَّنِّ دُرْدَى .

(١) أَقْدَحَ الرَّحْلَ ، أَيْ صَرَبَ بِالْقِدَاحِ فِي الْمَيْسَرِ .

(٢) كَذَا وَرَدَ هَذَا الْبَيْتُ فِي اللِّسَانِ ؛ وَالَّذِي فِي الْأَصْلِ : « مَثْنَى الْأَنْفَ » . مَكَانُ قَوْلِهِ : مَثْنَى الْأَيْدَى ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَالْأَدَمُ : بَضْمَتَيْنِ هُوَ الْأَدَمُ تَسْكِينِ الدَّالِ ، أَيْ مَا يُوْتَدَمُ بِهِ . يَقُولُ : لِأَنَّهُ يَفْغورُ بِهَذَا اللَّحْمِ وَيَطْعَمُهُ الْمَسَاكِينَ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : الثَّرِيمُ ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ . وَالتَّصْوِيبُ عَنْ كَتَبِ اللَّعَةِ .

(٤) لَمْ تَرُدْ هَذِهِ الْعِبَارَةَ فِي (١) الْمَقُولِ عَنْهَا وَحْدَهَا هَذَا السَّكَّامُ ، عَيْرَ أَنَّهَا تَكَلَّةٌ يَفْتَضِيهَا سِيَاقُ السَّكَّامِ أَخْذًا مِنْ كَتَبِ اللَّعَةِ ؛ وَوَضَحَ أَنَّ السَّكَّامَ بِدُونِهَا يَكُونُ نَاقِصًا .

(٥) ذُو نُزُلٍ ، أَيْ ذُو بَرَكَةٍ .

(٦) فِي الْأَصْلِ : « الْعَتِي » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٧) فِي الْأَصْلِ : « الْحَرَشُ » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ فِي الْمَوَاضِعِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي تَحْتَ هَذَا الرَّقْمِ

وَأُنْشِدُ :

حَبْدًا الصَّيْفُ حَبْدًا مِنْ أَوَانٍ وَزَمَانٍ يَفُوقُ كُلَّ زَمَانٍ
زَمَنُ الْغَمْرِ وَالْمَسَاوِرِ وَالْجَشْشِ ^(١) وَوَرْدٍ ^(٢) الْخِلَافِ وَالرَّيْحَانِ
زَمَنٌ كَانَتْ الْمَضَارِ ^(٣) فِيهِ بِلُحُومِ الْجِدَاءِ وَالْحُمْلَانِ
وَصُدُورُ الدَّجَاجِ بِالْخَلِّ وَالْمُرِّي وَنَثَرِ السَّدَابِ وَالْأَنْجَدَانِ ^(٤)
وِسَمَانٍ مِنَ الْفَرَارِيحِ تُغَلَى بِعَصِيرِ الْأَعْنَابِ وَالرُّمَانِ
وَشَبَا الْوَزَةِ اللَّذِيذَةِ وَالْقَا رِصَ بَيْنِ الْحَلِيبِ وَالْأَلْبَانِ
وَنَقَى السَّوِيْقِ بِالسَّكَّرِ الْمُنَّ خَوْلٍ فِي التَّلَجِّ فِي الرُّجُاجِ الْيَمَانِي
وَقِلَالٍ تُحَطُّ مِنْ بَكَرَاتٍ مُرَوِيَاتٍ غَلَاثِلَ الْعَطْشَانِ

(٢) وَأَعْتَرَضَ حَدِيثُ الْعِلْمِ ، فَأُنْشِدَ ابْنُ عُيَيْنٍ الْكَاتِبُ لِسَابِقِ الرُّبَيْرِيِّ قَوْلَهُ :
الْعِلْمُ يَجْلُو الْعَمَى عَنْ قَلْبِ صَاحِبِهِ كَمَا يُجَلِّي سَوَادَ الظُّلْمَةِ الْقَمَرُ
وَقَالَ أَيْضًا :

إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ لَكَ حُسْنُ فَهْمٍ أَسَاتَ إِجَانَةً وَأَسَاتَ فَهْمًا

(١) الجشش : لعط فارسي معناه مجتمعات الناس في الأعياد والولائم ونحو ذلك ، كما في المعجم الفارسي الانكليزي لاستاينجاس . ولم نجد للمساوير معنى يناسب السياق ، فعلناه تحريف لم نهتد إلى حقه الصوت فيه . وفي الأصل : (ومن) مكان (رمن) ؛ وهو تحريف .

(٢) في الأصل « وبرد » مكان (وورد) ؛ وهو تحريف .

(٣) في الأصل : « ومن كانت المضار » ؛ وفيه تحريف لا يحق . والمضائر : جمع مضيرة وهي لحم يطبخ باللبن المضير ، أي الحامض ، وقد يخلطون به الحليب . أما كيفية عملها فقد ذكرت في كتب الأطعمة فانظرها .

(٤) الأنجدان : نبات له أصل أعظم من الإصبع ، وقرون كقرون اللوباء ، فيها حب نالدهس ؛ وهو فارسي معرب .

آخِر :

الْعِلْمُ يُنْعِشُ أَقْوَامًا فَيَنْقَعُهُمْ^(١) كَالْفَيْثِ يُدْرِكُ عِيدَانًا فَيُخَيِّبُهَا
فَقَالَ الْوَزِيرُ : عِنْدِي فِي صَحِيفَةٍ حِفْظُ الصَّبَا : الْعِلْمُ سِرَاجٌ يُجَلِّي الظُّلْمَةَ ،
وَضِيَاءٌ يَكْشِفُ الْعَمَى .

التَّذَلُّلُ مَكْرُوهٌ إِلَّا فِي اسْتِفَادَتِهِ ، وَالْحِرْصُ مَذْمُومٌ إِلَّا فِي طَلَبِهِ ، وَالْحَسَدُ
مَنْهَى عَنْهُ إِلَّا عَلَيْهِ .

(٣) ثم عاد الحديثُ إِلَى الْمَعَالِمَةِ :

حَدَّثَنِي مُطَهَّرُ بْنُ أَحْمَدَ السَّكَّابُ عَنْ ابْنِ قُرَّارَةَ الْعَطَّارِ قَالَ : اجْتَمَعَ ذَاتَ
يَوْمٍ عِنْدِي عَلَى الْمَائِدَةِ أَبُو عَلِيٍّ بْنُ مُقَلَّةَ وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَزْدِيُّ ، وَكَانَ ابْنُ
مُقَلَّةَ يُفَضِّلُ الْهَرِيسَةَ ، وَكَانَ الْبَزْدِيُّ يُفَضِّلُ الْجُوزَابَةَ ، وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ
مِنْهُمَا يَصِفُ النُّوعَ الَّذِي يَقُولُ بِهِ وَيُؤَثِّرُهُ ، فَقَالَ الْبَزْدِيُّ : الْهَرِيسَةُ طَعَامُ
السُّوفِيَّيْنَ وَالسَّفَلَةِ ، وَلَيْسَتْ الْجُوزَابَةُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ ؛ فَقَالَ لِي ابْنُ مُقَلَّةَ : مَا أَسْمُ
الْجُوزَابَةِ بِالْفَارْسِيَّةِ ؟ فَقُلْتُ جَوْزَاب^(٢) ، فَقَالَ : ضَمُّ السَّكَافِ^(٣) . وَفَهِمْتُ
مَا أَرَادَ ، فَقُلْتُ : نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ ، وَاللَّهُ لَقَدْ عَافَتْهَا نَفْسِي ، وَسَكَتَ الْبَزْدِيُّ .
قَالَ يَزِيدُ بْنُ رَيْمٍ : السَّكَّابُ طَعَامُ الصَّعَالِيكِ ، وَالْمَاءُ وَالْمِلْحُ طَعَامُ
الْأَعْرَابِ ، وَالْهَرَأْسُ وَالرُّهُوسُ طَعَامُ السَّلَاطِينِ ، وَالشَّوَاءُ طَعَامُ الدُّعَارِ ،
وَالْحَلُّ وَالزَّيْتُ طَعَامُ أُمَثَالِنَا

(١) يَنْقَعُهُمْ ، أَيْ يَرْوِيهِمْ ، وَفِي الْأَصْلِ « يَنْفَعُهُمْ » بِالْفَاءِ ؛ وَلَعَلَّ صَوَابَهُ مَا أَبْتَدَأَ
أَخَذَنَا مِنَ التَّشْبِيهِ . (٢) ضَبَطْنَا هَذَا اللَّفْظَ بِفَتْحِ الْجِيمِ وَبِالرَّاءِ بَعْدَهَا لِمَا تَقْتَضِيهِ السَّكَنَةُ
الْآتِيَةُ . وَهَذَا اللَّفْظُ بِالْفَارْسِيَّةِ يُنْقَطُ بِالدَّالِ أَوْ الزَّيِّ كَمَا فِي مَعْجَمِ اسْتَايْنَجَاسٍ بِمَعْنَى الطَّعَامِ الَّذِي
يَتَّخَذُ مِنَ اللَّحْمِ وَالْأَرْزِ وَالسَّكَّرِ وَالْبَنْدُقِ .

(٣) أَرَادَ بِالسَّكَافِ هُنَا السَّكَافَ الْفَارْسِيَّةَ وَهِيَ تَنْطَقُ جِيْمًا مِصْرِيَّةً وَيُشِيرُ إِلَى لَفْظِ جُوزِ
بِالْفَارْسِيَّةِ وَهُوَ الْفَسَاءُ ؛ فَهُوَ يَمْرُهُ مِنْ هَذَا الطَّعَامِ بِهَذِهِ السَّكَنَةِ .

وَحَدَّثَنِي أَنَّ صَبْعُونَ الصُّوفِيَّ قَالَ : قَالَ لِي أَبُو عَمْرِو الشَّارِي ^(١) صَاحِبُ
الْحَلِيفَةِ : انْهَضْ بِنَا حَتَّى نَتَعَدَّى ، وَإِنَّ عِنْدِي مَصُوصًا ^(٢) وَهَلَامًا ^(٣) وَبَقِيَّةَ
مُطَجَّنَةٍ ، وَشَيْئًا مِنَ الْبَاذَنْجَانِ الْبُورَانِيِّ الْبَائِتِ الْحَمَرِّ . قَالَتْ : هَذِهِ كُلُّهَا تَزَايِينُ
الْمَائِدَةِ ، وَأَيْنَ الْأُدْمُ ؟

كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ يُكْثِرُ أَكْلَ الْجُودَابِ
وَلَا يُؤْثَرُ عَلَيْهِ شَيْئًا ، وَكَانَ يَقُولُ : يَشْدُ الْعَصْدَيْنِ ، وَيَقْوَى السَّاعِدَيْنِ ،
وَيَجْلُو النَّظِيرَيْنِ ، وَيَزِيدُ فِي سَمْعِ الْأُذْنَيْنِ ، وَيُحَمِّرُ الْوَجْنَتَيْنِ ، وَيَزِيدُ فِي
الْمَتْنِ ، وَهُوَ طَعَامُ شَهْوَى ، فَأَيُّ شَيْءٍ بَقِيَ ؟
وَبَلَغَ الْمَنْصُورَ وَصْفُهُ هَذَا ، فَقَالَ : بِحَقِّ مَا وَصَفَهُ وَلَا يَقْبَلُ أَكْلَهُ .

وَقَالَ وَكِيعُ بْنُ الْجَرَّاحِ : التَّمَتُّينِ ^(٤) عَلَى الْمَائِدَةِ خَيْرٌ مِنْ زِيَادَةِ لَوْنَيْنِ ،
وَكُلُّ الْمَائِدَةِ كَثْرَةُ الْخُبْزِ ، وَالسَّمِيدُ الْأَبْيَضُ أَحْلَى مِنَ الْأَصْفَرِ .

وَكَانَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمٍ يُحِبُّ ^(٥) الْجُودَابَ ، فَبَاغَاهُ أَنَّ رَجُلًا مِمَّنْ [بِمِصْرَ] عِنْدَهُ
بَعِيبُ الْجُودَابِ ، فَقَالَ يَحْيَى : إِنْ ثَبَتَ عِنْدِي هَذَا تَوَقَّعْتُ عَنْ شَهَادَتِهِ ، وَحَكَمْتُ
عَلَيْهِ بَضْعَ الْحَسِّ وَقَلَّةَ التَّمْيِيزِ ، فَمَلَّغَ الرَّجُلَ ذَلِكَ ، فَأَحْتَرَسَ ، فَقَالَ لَهُ يَحْيَى
يَوْمًا : مَا قَوْلُكَ فِي الْجُودَابِ ؟ فَقَالَ : أَشْرَفَ مَا كُلُّ وَأَطْيَبُهُ ، سَهْلُ الْمَدْخَلِ ،
لَذِيذُ الْمَطْعَمِ ، حَيِّدُ الْغِذَا ، قَلِيلُ الْأَذَى . قَالَ : أَصَبْتَ ، هَكَذَا أُرِيدُكَ .

أَبُو صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : مَا مِنْ دَاخِلٍ إِلَّا وَلَهُ حَيْرَةٌ ، فَأُنْدَاهُ

(١) كَذَا فِي (ب) : وَالَّذِي فِي (أ) : « ابْنُ أَبِي عَمْرٍو الشَّارِي » .

(٢) الْمِصُوصُ : طَعَامٌ مِنَ لَحْمٍ يَطْبِخُ وَيَقَعُ فِي الْحُلِّ ؛ وَيَكُونُ مِنَ لَحْمِ الطَّيْرِ خَاصَّةً .

(٣) الْهَلَامُ كَعَرَابٍ : طَعَامٌ مِنَ لَحْمٍ يَجْلُ بِجِلْدِهِ ؛ وَقِيلَ مَرَقُ السَّكْبَاجِ الْمُبْرَدِ الْمَصْفَى

مِنَ الدَّهْنِ . (٤) التَّمَتُّينِ : تَقْوِيَةُ الطَّعَامِ بِالْأَفَاوِيهِ .

(٥) فِي (أ) : « يُؤْثَرُ » .

بالسّلام ، وما من مدْعُوٍ إلّا وله حِشْمَةٌ ، فاندأوه باليمين ^(١) .

قال خُذان : قلتُ لجاريةٍ أرَدْتُ شراءَها — وكانت ناعمةَ البدنِ رَطْبَةً شَطْبَةً ^(٢) غَضَّةٌ بَخَّةٌ — : ما كان غِذاؤُكِ عند مولاكِ ؟ قالت المَبْطَنُ . قلتُ : وما المَبْطَنُ ؟ قالت : الأرزُ الرِّبَّانُ مِنَ اللَّبَنِ ، بالغالوذَجِ الرِّبَّانِ مِنَ العَسَلِ ، والحبيصةُ الرِّبَّانَةُ مِنَ الدُّهْنِ والسكرُ والزَّعفرانُ . قلتُ : حقٌّ لَكَ .

وقال ابنُ الجصاصِ الصُّوفِي : دَخَلْتُ على أحمدَ بنِ رُوْحِ الأَهْوَازِيِّ فقال : ما تقولُ في صَحْفَةِ أرزٍ مَطْبُوخٍ ، فيها نَهْرٌ مِنْ سَمْنٍ ، على حافَتِها كُثْبَانٌ مِنَ السُّكَّرِ المَنْخُولِ ، فدمَعَتْ عَيْنِي . فقال : مالَكَ ؟ قلتُ أُبْكِ شَوْقًا إِلَيْهِ ، جعلنا الله وإيّاكَ مِنَ الوارِدِينَ عليه بالغَوَاصَةِ والرَّدَادَيْنِ . فقال لِي : ما الغَوَاصَةُ [والرَّدَادَتَانِ ^(٣)] ؟ قلتُ : الغَوَاصَةُ الإِهْهامُ ، والرَّدَادَتَانِ : السَّبَابَةُ والوُسْطَى . فقال : أحسنتَ باركَ اللهُ عَلَيْكَ .

شَكَرَ رجلٌ لِي إلى عُمَرَ الجُوعَ فقال : أ كذاك وأنتَ تَنْتُ نَتْ ^(٤) الحُمَيْتِ ؟ أَى تَرَشَّحُ كما يَرَشَّحُ الزُّقُ .

وقال ابنُ سَكْرَةَ :

أَطْمَعَنِي فِي خَرُوفِكُمْ خَرَفِي خَجَنْتُ مُسْتَعْجِلًا وَلَمْ أَقِفْ
وَجِئْتُ أَرْجُو أَطْرَافَهُ فَعَدْتُ فِي طَرَفٍ وَالسَّمَاءُ ^(٥) فِي طَرَفٍ

(١) فِي (١) : « التَّمْيِيزُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) الشَّطْبَةُ : الْجَارِيَةُ الْحَسَنَاءُ الْعَضَةُ ؛ وَقِيلَ الطَّوِيلَةُ .

(٣) لَمْ تَرُدْ هَذِهِ السَّكَمَةَ فِي الْأَصْلِ ؛ وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِيهَا أَخْذًا مِنَ الْجَوَابِ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « عَمْتُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَذْبَتْنَا نَقْلًا عَنِ الْمَصَادِرِ الَّتِي بَيْنَ أَبْدِينَا ، وَنَصَبَ فِيهَا ؛ وَفِي حَدِيثِ عُمَرَ أَنَّهُ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ : هَلْ سَكْتَ . فَقَالَ لَهُ : أَهْلَسَكْتَ وَأَنْتَ تَنْتُ كَمَا كُنْتَ الْهَيْمَةُ ؟ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « وَالسَّمَاءُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَالتَّصْوِيبُ عَنْ يَتِيمَةِ الدَّهْرِ

وَحَذَرُونِي مِنْ ذِكْرِ رُزْنِهِ يَا حَرَّ صَدْرِي لَهَا وَيَا لَهْفِي
عَايَنْتُهُ وَالَّذِي يُفَصِّلُهُ وَالْقَلْبُ مِنِّي عَلَى شَفَا جُرْفِ
مَاحِلَ بِي مِنْكَ عِنْدَ مُنْصَرَفِي مَا كُنْتُ إِلَّا فَرِيَسَةً التَّلَفِ

ويقال : القانع غنيٌّ وأن جاعَ وعَرى ، والحريص فقير وإن مَلَكَ الدنيا .
قيل لابراهيم الخليل — عليه السلام — : بأى شئ اتَّخَذَكَ اللهُ حليلاً ؟
قال : بأنى ما خُيِّرْتُ بين أمرين إلا اخترتُ الذى لله ، وما اهتَمَمْتُ لما
تَكَفَّلَ لى به ، وما نَعَدَيْتُ وما تَعَسَّيْتُ إِلَّا مع ضَيْف .

وَأَعْتَرَضَ حَدِيثُ فَقَالَ : أَنَشَدْنِي بَيْتِي ابْنُ غَسَّانَ الْبَصْرِيُّ فِي حَدِيثِ
بَخْتِيَارٍ ، يَعْنِي عِزَّ الدَّوْلَةِ ، وَأَنَشَدْنَاهُ :

أَقَامَ عَلَى الْأَهْوَاكِ سَتَيْنَ لَيْلَةً يَدْبُرُّ أَمْرَ الْمَلِكِ حَتَّى تَدْمَرَا
يَدْبُرُّ أَمْرًا كَانَ أَوَّلُهُ عَمًى وَأَوْسَطُهُ تُكْلَالًا وَآخِرُهُ خَرًا
فَقَالَ : مَا أَعْجَبَ الْأُمُورَ الَّتِي تَأْتِي بِهَا الدُّهُورُ ! عُذُّ إِلَى قِرَاءَتِكَ ،
مُعْدْتُ وَقَرَأْتُ .

رَوَى فِي الْحَدِيثِ : لَا تَأْكُلُوا ذِرْوَةَ الثَّرِيدِ ، فَإِنَّ الْبَرَكَهَ فِيهَا .
وَقَالَ أَعْرَابِي : اللَّابَنُ أَحَدُ اللَّحْمَيْنِ ، وَمَلَكُ الْعَجِينِ أَحَدُ الرَّيْعَيْنِ ،
وَالْمَرْقَةُ أَحَدُ اللَّحْمَيْنِ ، وَالبَلَاغَةُ أَحَدُ السَّيْفَيْنِ ^(١) وَالتَّمْنَى أَحَدُ الشُّكْرَيْنِ ^(٢)
أَرَادَ مَزِيدٌ أَضْحِيَّةً فَلَمْ يَجِدْهَا ، فَأَخَذَ دِيكًا لِيُضَحِّيَ بِهِ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ دِيرَانُهُ
شَاةً شَاةً حَتَّى اجْتَمَعَ عِنْدَهُ سَبْعُ شِيَاهٍ ، فَقَالَ : دِيكِي أَنْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ إِسْحَاقَ
لَأَنَّهُ فُدِيَ بِكَبْشٍ وَدِيكِي بِسَبْعَةٍ .

(١) فِي الْأَصْلِ : الشَّيْئَيْنِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ ؛ وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا

(٢) فِي الْأَصْلِ . « السُّلُوبَيْنِ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ لَا مَعْنَى لَهُ .

الْكُتْلُ : اللَّحْمُ ^(١) ، وَالْعَيْمَةُ ^(٢) : شَهْوَةُ اللَّبَنِ ، وَالْقَرَمُ : شَهْوَةُ اللَّحْمِ
وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ” أَحَبُّ أَنْ يَرِقَّ قَلْبُهُ فَلْيَكْثِرْ مِنْ أَكْلِ
الْبَلَسِ “ ، قِيلَ : هُوَ التَّيْنُ .

وقال أعرابي :

يَمُنُّ عَلَىَّ بِالتَّزْوِيجِ شَيْخِي وَفِي التَّزْوِيجِ لِي هَمٌّ وَشُغْلُ
وَكُنْتُ مِنَ الْمُؤَمِّمِ رَخِيَّ بِالِ فَحَلَّ مِنَ الْمُؤَمِّمِ عَلَىَّ ثِقْلُ
فَقُلْتُ لَهُ : مَنَنْتَ بغيرِ مَنْ وَمَالَكَ بِالَّذِي أَسَدَيْتَ فَضْلُ
أَعَزَّابَ الْعَشِيرَةِ لَوْ عَلِمْتُمْ بِحَالِي حِينَ لِي بَيْتٌ وَأَهْلُ
عَلِمْتُمْ أَنْكُمْ فِي حَالٍ عَيْشٍ رَخِيَّ مَالَهُ يَا قَوْمُ عَذْلُ
قال إسحاق الوصلي : أُمْلِيَ بَعْضُ الْعُقَهَاءِ بِالْكُوفَةِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَرِهَ السَّمَرَ إِلَّا فِي الْفِقْهِ ، يَرِيدُ كَثْرَةَ السَّمَرِ إِلَّا فِي الْفِقْهِ .

قيل لميسرة الرأس ^(٣) : مَا أَكْثَرُ مَا أَكَلْتُ ؟ قَالَ : مَائَةٌ رَغِيفٍ بِكَيْفَا جَبَةِ
مِلْحٍ ؛ فَقِيلَ : هَذَا أَكْلُكَ فِي بَيْتِكَ ؟ قَالَ : أَكُلْتُ فِي بَيْتِي رَغِيفَيْنِ ، وَأُحْتَشِي ^(٤)
إِلَى اللَّيْلِ فِشْلَ الْخَمِيلِ .

تَنَاوَلَ الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ تَفَاحَةً مَا كُلَّهَا ، فَقِيلَ : وَيَحَاكَ ، تَأْكُلُ
التَّحِيَّاتِ ؟ فَقَالَ : وَالصَّلَوَاتِ وَالطَّيِّبَاتِ .

يَقَالُ : الطُّعْمَةُ : الْكَسْبُ . وَيُقَالُ : جِئْتُ بِالطُّعْمَةِ . وَالطُّعْمُ : الطَّعَامُ :

(١) الكتلة اللحم ، أى القطع منه ، الواحدة كتلة ، وفي الأصل « الكبل » بالباء ؛
وهو تصحيف .

(٢) وردت هذه الكلمة في الأصل مضطربة الحروف تتعذر قراءتها ، وما أثبتناه
عن كتب اللغة . (٣) في (ب) : « التراس » .

(٤) في كلتا النسختين : « وأتحشأ » ؛ وهو تحريف .

والطُّعْمُ : الذَّوْقُ . وهذه الأرضُ طُعْمَةٌ لَكَ وَطَعْمَةٌ .

قال اسحاق : كنت يوما عند أحمد بن يوسف السكاتب ، فدخل أحمد بن أبي خالد السكاتبُ ونحن في الغِناء ، فقال : والله ما أُجِدُّ شيئاً مما أنتم فيه . قال اسحاق : فهانَ عليَّ وخَفَّ في عيني ، فقلت له كالمستهزئ به : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، فَصَدَّتْ إلى أَرْقٍ شَيْءٌ خَلَقَهُ اللهُ وَأَلَيْنَهُ عَلَى الْأُذُنِ وَالْقَلْبِ ، وَأَظْهَرَهُ لِلشَّرِّ وَالْفَرَحِ ، وَأَنْفَاهُ لِلْهَمِّ وَالْحُزْنِ ، وما ليس للجوارح منه مَوْوَنَةٌ غليظة ، وإنما يَقْرَعُ السَّمْعَ وهو منه على مسافة ، فَتَطَرَّبُ له النفس ، فذمُّته !؟ ولكنه كان يقال : لا يَجْتَمِعُ في رجل شهوةٌ كُلُّ لَذَّةٍ ، وبعده ، فإنَّ شهوةَ كُلِّ رجلٍ على قَدَرِ تَرَكِيهِهِ وَمِزَاجِهِ . قال : أَجَلٌ ، أما أنا فالطعامُ الرقيقُ أُعْجِبُ إلى من الغِناء . فقلت : إني واللهِ ولحمُ البقرِ والجواميسِ والطيوسِ الجباليةِ بالبازنجانِ المَبْزَرِ أيضاً تُقَدِّمُهُ ؟ فقال : [الغِناءُ ^(١)] مُخْتَلَفٌ فيه ، وقد كَرِهَهُ قوم . قلتُ فَاَلْمُخْتَلَفُ ^(٢) فيه أَطْلَقَهُ لَنَا حَتَّى تَجْمَعُوا على تحريمِهِ ، أعلمتَ — جُعِلْتُ فِدَاكَ — أَنَّ الْأَوَائِلَ كانت تقول : مَنْ سَمِعَ الْغِنَاءَ [على] حَقِيقَتِهِ مات . فقال : اللهم لَا تُسَمِّعْنَاهُ على الحَقِيقَةِ إِذَا فَنَمُوت . فاستظرفته في هذه اللفظة ، وقَدَّمُوا إِلَيْهِ الطَّعَامَ فَشُغِلَ عن ذمِّ الْغِنَاءِ .

قال سعيد بن أبي عروبة : نَزَلَ الْحَجَّاجُ في طريقِ مَكَّةَ ، فقال لحاجبه : انْظُرْ أَعْمَارِيئاً يَتَفَدَّى مَعِيَ ، وَأَسْأَلُهُ عن بعضِ الْأُمُرِ ، فنظر الحاجب إلى أَعْمَارِيئَةٍ بَيْنَ شَمْلَتَيْنِ ، فقال : أَجِبِ الْأَمِيرَ ، فأنابه ، فقال له الْحَجَّاجُ : إِذَنْ فَتَقَدَّمْ مَعِي . فقال : إِنَّهُ دَعَانِي مَنْ هُوَ أَوْلَى مِنْكَ فَأَجَبْتُهُ . قال : وَمَنْ هُوَ ؟ قال : اللهُ عَزَّ

(١) لم ترد هذه الكلمة في كلتا النسختين ؛ والسياق يقتضيها .

(٢) في كلتا النسختين : « فالاختلاف » ؛ وسياق الكلام يقتضي ما أنبتنا .

وَجَلَّ دَعَايَ إِلَى الصَّوْمِ فَصُمْتُ ، قَالَ : أَفِي هَذَا الْيَوْمِ الْحَارِّ ؟ قَالَ : نَعَمْ صُمَمْتُهُ
لِيَوْمٍ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ حَرًّا . قَالَ : فَأَوْطِرْ وَصُمْ غَدًا . قَالَ : إِنْ صُمَمْتُ لِيَ الْبَقَاءِ إِلَى
غَدٍ . قَالَ : لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيَّ . قَالَ : فَكَيْفَ تَسْأَلُنِي عَاجِلًا بِأَجَلٍ لَا تَقْدَرُ
عَلَيْهِ . قَالَ : إِنَّهُ طَعَامٌ طَيِّبٌ . قَالَ : إِنَّكَ لَمْ تُطَيِّبْهُ وَلَا الْخَبَّازَ . وَلَكِنَّ الْعَافِيَةَ
طَيِّبَتُهُ ، وَلَمْ يُفِطِرْ وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ .

قال أعرابي : هَذَا الطَّعَامُ مَطْيَبَةٌ لِلنَّفْسِ ، مَحْسَنَةٌ لِلْجِسْمِ .

قال أبو حاتم : حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : قَالَ أَبُو طَيْفَالَةَ الْحِرْمَازِيُّ ^(١) : قَالَ
أَعْرَابِيٌّ : ضِمْتُ رَجُلًا فَأَتَانَا بِجُبْزٍ مِنْ بُرٍّ كَأَنَّهُ مَنَاقِيرُ النَّفَرَانِ ^(٢) ، وَأَتَانَا
بَتَمْرٍ كَأَعْنَاقِ الْوِزْلَانِ ^(٣) ، يَوْحَلُ فِيهِ الضَّرْسُ .

وقال آخر : ونظر إلى رجلٍ يأكل بالعين والنفم واليدِ والرأس والرجل :
لَوْ سَأَلْتَهُ عَنْ اسْمِهِ لَمَا ذَكَرَهُ ، وَلَوْ طَلَعَ وَلَدُهُ الْغَائِبُ عَلَيْهِ مَا عَرَفَهُ :

يَلْعَبُ بِالْخَمْسَةِ فِي قَصْعَةٍ لِعَبِّ أَخِي الشُّطْرَنْجِ بِالشَّاهِ

قال ابن الأعرابي : كَانَ الْمُحَسِّنُ الضُّبِّيُّ ^(٤) شَرِيحًا عَلَى الطَّعَامِ ، وَكَانَ
دُمِيًّا ، فَقَالَ لَهُ زِيَادُ ذَاتِ يَوْمٍ : كَمْ عِيَالُكَ . قَالَ : تِسْعُ بَنَاتٍ . . قَالَ : فَأَيْنَ هُنَّ
مِنْكَ . فَقَالَ : أَنَا أَحْسَنُ مِنْهُنَّ وَهِنَّ آكِلُ مَتْنِي ؛ فَضَحِكَ . وَقَالَ : جَازَ ^(٥)
مَا سَأَلْتَ لَهُنَّ . وَأَمَرَ لَهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ [فَقَالَ] :

(١) في الأصل : « الجرماري » ؛ وهو تصحيف .

(٢) النفران : جمع نفر بضم ففتح ، وهو فرخ العصفور أو طائر يشبهه .

(٣) الورلان : جمع ورل بالتحريك ، وهو دابة شبيهة بالضب .

(٤) في (١) المحمسي مكان « المحسن » وفي ب « الألعبي » مكان الضبي ؛ وهو تحريف .

(٥) جاز ما سألت ، أى نفذ أمرنا به . ومنه قولهم : السرور توقيع جائز ، أى نافذ
ماض ؛ وفي كلتا النسختين : « جاء » .

إذا كنت مُرْتَادَ الرِّجَالِ لِنَفْعِهِمْ فَنَادِ (١) زِيَادًا أَوْ أَحَا لَزِيَادِ
يُحِبُّكَ أَمْرُوهُ يُعْطِي عَلَى الْحَمْدِ مَالَهُ إِذَا ضَنَّ بِالْمَعْرُوفِ كُلِّ جَوَادِ
وقال سِنَانُ بْنُ أَبِي حَارِثَةَ :

ثُمَّةً أَطْعِمُ زَادِي غَيْرَ مُدْخِرٍ أَهْلَ الْمَحَلَّةِ مِنْ جَارٍ وَمِنْ جَادِي (٢)
قَدْ يَعْلَمُ الْقَوْمُ إِذْ طَالَ اغْتِرَابُهُمْ وَأَرْمَلُوا الزَّادَ أَيْ مُنْفِدَ زَادِي
وقال السَّفَاحُ بْنُ بَكْرٍ :

وَالْمَالُ الشَّيْزِيُّ (٣) لِأَضْيَافِهِ كَانَتْهَا أَعْضَادُ حَوْضٍ بِقَاعٍ
لَا يَخْرُجُ الْأَضْيَافُ مِنْ بَيْتِهِ إِلَّا وَهُمْ مِنْهُ رِوَاءُ شِبَاعٍ
أَوْ رَدَّ أَعْرَابِيٌّ إِلَيْهِ ، فَأَبَى أَهْلُ الْمَاءِ أَنْ يُحِيزُوهُ ، وَفَالُوا : إِبْلُكَ كَثِيرَةٌ ، فَإِنْ
أُورِدَتْ فَشَرَطْتُ أَنْ تَقِفَ بَعِيدًا عَنِ الْمَاءِ وَتَسْقَى مَا جَاءَكَ مِنْهَا ، وَلَا تُحَاجِزِ (٤)
بِهَا ؛ قَالَ : أَفْعُلْ ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

رُبَّ طَبِيعٍ مَرْجَلٍ مُلْهَوْجٍ يَسْلُتُهُ الْقَوْمُ وَلَمَّا يَنْضَجِ
خُسٌّ بِشَيْءٍ مِنْ ضَرَامِ الْعَرْفَجِ (٥)
فَأَنْقَضَتْ الْإِبِلُ كُلُّهَا عَلَى الْمَاءِ فَشَرِبَتْ .

قال الشاعر :

شُرْبُ التَّبِيدِ عَلَى الطَّعَامِ قَلِيلُهُ (٦) فِيهِ الشِّفَاءُ وَصِحَّةُ الْأَبْدَانِ

(١) في (١) : « فنادى » . (٢) الجادى : طالب الجدوى .

(٣) الشَّيْزِيُّ بكسر الشين مفتوح الزاى خشب أسود تصنع منه القصاص . ويريد هنا نفس القصاص ؛ وأعضاء الحوض ما شد حوله من البناء . وفي الأصل : « السرى » مكان قوله : « الشيزى » ؛ وهو تصحيف . (٤) المحاجة : الممانعة .

(٥) حش النار : أوقدها ، والعرفج ضرب من النبات سهل سريع الانقاد وهو من شجر العصيف وهو لين أغبر إلى الخضرة له ثمرة خضراء كالخسك وزهره أصفر ولهبه شديد الحرارة .

(٦) في الأصل : « بلية » ؛ وهو تحريف .

وَإِذَا شَرِبْتَ كَثِيرَهُ فَكَثِيرُهُ مُرْجَ عَلَيْكَ رَكَائِبَ الشَّيْطَانِ
فَتَكُونُ بَيْنَ الضَّاحِكِينَ كَبُومَةٍ عَمِيَاءَ بَيْنَ جَمَاعَةِ الْغُرَبَانِ
فَأُحْذَرُ بِجُهِدِكَ أَنْ تُرَى كَجَنَنِبَةٍ بَعْدَ الْعِشَاءِ تُقَادُ بِالْأَرْسَانِ
قَالَ حَمْرَةُ الْمُصَنَّفِ فِي بَعْضِ كُتُبِهِ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِسَلَمَانَ
الْعَارِسِيِّ : أَنْ أَخَذَ لَنَا سُورًا ، أَى طَعَامًا كَطَعَامِ الْوَلِيَّةِ ، وَهِيَ فَارْسِيَّةٌ .

قَالَ شَيْخُنَا أَبُو سَعِيدٍ السَّيْرَافِيُّ : أَخْطَأَ هَذَا الْمَتَاوَلُ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنْ سَلَمَانَ أَخَذَ لَنَا خَنْدَقًا يَوْمَ الْأَحْزَابِ ، لِأَنَّهُ خَضَّ^(١) عَلَى ذَلِكَ ،
وَلَيْسَ ذَا مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِالْفِظ .

وَقَالَ جُعْفَيْرُ بْنُ الْمُؤَسَّسِ فِي وَصْفِ عَصِيدَةٍ :

وَمَاءٌ عَصِيدَةٍ حَمْرَاءُ تَحْكِي إِذَا أَبْصَرْتَهَا مَاءَ الْخُلُوقِ^(٢)

تَزَلُّ عَنْ اللَّهَامَةِ نَمْرٌ سَهْلًا وَتَجْرِي فِي الْعِظَامِ فِي الْعُرُوقِ

قَالَ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ : أَشْيَاءُ تَذْهَبُ هَبَاءً ، دِينَ بِلَا عَقْلٍ ، وَمَالٌ بِلَا بَذَلٍ
وَعِشْقٌ بِلَا وَصَلٍ . فَقَالَ مُحَمَّدٌ : بَقِيَ عَلَيْهِ مَائِدَةٌ بِلَا نَقْلٍ^(٣) ، وَلَحْصَةٌ بِلَا فَضْلٍ .
قِيلَ لِمُصَوِّفٍ : مَا حَدُّ الشَّمْعِ ؟ قَالَ : الْمَوْتُ .

وَقِيلَ لآخر : مَا حَدُّ الشَّمْعِ ؟ قَالَ آكُلُ حَتَّى يَقَعَ عَلَى الشُّبَاتِ فَأَنَامَ عَلَى
وَجْهِهِ ، وَتَتَجَاوَى أَطْرَافِي عَنْ الْأَرْضِ .

وَقِيلَ لآخر : مَا حَدُّ الشَّمْعِ ؟ قَالَ . أَنْ أُدْخِلَ إِبْصِمِي فِي حَلْقِي فَيَصِلَ
إِلَى الطَّعَامِ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « خَمَسَ » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٢) فِي الْأَصُولِ « تَجَلَّى » مَكَانَ « تَحْكِي » وَ « الْحُلُوقِ » مَكَانَ « الْخُلُوقِ » ؛ وَهُوَ

تَحْرِيفٌ . وَالْحُلُوقُ : ضَرْبٌ مِنَ الطَّيْبِ قَوَامُهُ الزَّعْفَرَانُ .

(٣) النِّقْلُ : مَا يَنْتَقِلُ بِهِ عَلَى الطَّعَامِ .

قال يعقوب : أصبحتُ خالفا : لا أشتهى الطعام . وخُلوف البطنِ تَغْيَرُهُ .
ويقال : هَغَسَنِي بَطْنِي ، وهو الْمَغْس ، ورجل مَمْعُوس .
ويقال : عَمَزَنِي ^(١) بَطْنِي وَمَلَكَني .

والعامة تقول : كلُّ ما في القَدَرِ نُخْرِجُهُ المِغْرَفَةَ ، ورجل مُقَرَضٍ ^(٢)
وَقَرَضٍ ^(٢) وَقِرْضَابٍ ^(٢) إذا كان أكولاً ، وكذلك السَّيفُ واللِّصُّ ، قال الشاعر :
وليس يَرُدُّ النَّفْسَ عَنْ شَهَوَاتِهَا مِنْ الْقَوْمِ إِلَّا كُلُّ مَاضِي الْعَزَائِمِ
ومرَّ ابنُ عامرٍ على عامرٍ بنِ عبدِ القَيْسِ وهو يأْكُلُ بَقْلاً بِمِلْحٍ ، فقال :
لقد رَضِيتَ بِالْيَسِيرِ . فقال : أَرْضَى مِنِّي بِالْيَسِيرِ مَنْ رَضِيَ بِالْأُنْيَا عَوْضاً
عَنِ الْآخِرَةِ .

قال عبد الملك بن مروان : لا تَسْتَأْكَنَّ إِلَّا عَرَضاً ، ولا تَأْكُلَنَّ إِلَّا عَضاً
ولا تَشْرَبَنَّ إِلَّا مَضاً ، ولا تَرْكَبَنَّ إِلَّا نَصّاً ^(٣) ، ولا تَعْقِدَنَّ ^(٤) إِلَّا وَصّاً .
ويقال : مالا قَرَّاح ؛ وخُبِرَ قَفَّار : لا أَدَمَ مَعَهُ ، وَسَوِيقٌ جافٌّ ولَبَنٌ
صَرِيحٌ : لَمْ يَخَالِطْهُ شَيْءٌ .

وقال سعيد بن سَلَمَةَ : شَيْئَانِ لَا تَشْبَعُ مِنْهُمَا بَعْدَ أَدَاةِ السَّمَكِ والرُّطْبِ .

قال أعرابي : أَكَلْتُ « فِرْسِكَةً » ^(٥) وعلى خَوْخَةٍ ، فجاء غلام حَزَوْرٌ ^(٦)
فَنَظَرَ حُرَّتِي ^(٧) .

(١) في الأصل : « عَمَزَنِي » بالعَيْنِ والراءِ المهملتين ، وهو تصحيف .

(٢) في الأصل : قَرْضُب وقَرْضَب ؛ وما أُثْبِتَناه عن كتب اللغة .

(٣) النص : الارتجاع . (٤) في الأصل « يَقْعِدَنَّ » مكان « يَقْعِدَنَّ » ؛ وهو تحريف . وما أُثْبِتَناه هو اللامُّ اللوِّص ، وهو الإحكام في العمل .

(٥) في الأصل (الفرشلة) بالشين المعجمة واللام ؛ وهو تحريف لا معنى له ؛ والتصحيح والضبط عن الخصص . (٦) الحزور : الغلام الذي اشتد وقوى وخدم .

(٧) في الأصل : « حديقي » بالذال ؛ وهو تحريف .

الْفَرَسِكَةُ : الْخَوْخَةُ الْمَقْدَدَةُ . وَالْخَوْخَةُ : الْقَمِيصُ الْأَخْضَرُ بَطْنُ بَفْرِو .
وَالْحُرَّةُ^(١) : الْأُذُنُ .

قِيلَ لِحَاتِمِ الْأَصَمِّ : بِمِ رُزِفَتِ الْحِكْمَةُ ؟ قَالَ : بِخَلَاوَةِ الْبَطْنِ ، وَسَخَاوَةِ
النَّفْسِ ، وَمَكَايِدَةِ اللَّيْلِ .

وَقَالَ شَتِيقُ الْبَلَخِيِّ : الْعِبَادَةُ حِرْفَةٌ ، وَحَانُوتُهَا الْخَلْوَةُ ، وَآلَتُهَا الْجُوعُ .
قَالَ لُقْمَانُ : إِذَا أُمْتَلَأَتِ الْمِعْدَةُ نَامَتِ الْفِكْرَةُ ، وَخَرِسَتِ الْحِكْمَةُ ، وَقَعَدَتِ
الْأَعْضَاءُ عَنِ الْعِبَادَةِ .

وَقَالَ عُمَرُ : لَوْلَا الْقِيَامَةُ لَشَارَكْنَاكُمْ فِي لَيْلٍ عَيْشِكُمْ .

وَقَالَ بَعْضُ الْعَرَبِ : أَقَلُّ طَعَامِكَ تَحْمَدُ مَنَامِكَ .

قَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ : السَّمْعُ يُكْنَى بِالْكَفْرِ .

وَقَالَ غَيْرُهُ . الْجُوعُ يُكْنَى بِالرَّحْمَةِ .

وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ :

نَحْيَزُ مِنْ خَيْفَةٍ أَنْ أَضِيفَهَا كَمَا انْحَاذَتْ الْأَفْعَى مَخَافَةَ ضَارِبٍ

وَذَكَرَ الْمُهَلَّبُ اللَّحْمَ [فَقَالَ] إِذَا التَّقَى الْوَارِدُ وَالْغَايِبُ فَتَوَفَّعَ الْفَسَادُ .

الليلة الرابعة والثلاثون

وَقَالَ الْوَرِيرِيُّ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي : قَدْ وَاللَّهِ ضَاقَ^(٢) صَدْرِي بِالْغَيْظِ لِمَا يَبْلَغُنِي
عَنِ الْعَامَّةِ مِنْ خَوْصِهَا فِي حَدِيثِنَا ، وَذِكْرِهَا أُمُورَنَا ، وَتَتَّبِعُهَا لِأَسْرَارِنَا ، وَتَنْقِيرِهَا
عَنْ مَكْنُونِ أَحْوَالِنَا^(٣) وَمَكْتُومِ شَأْنِنَا ، وَمَا أَدْرِي مَا أَصْنَعُ بِهَا ، وَإِنِّي لَأَهْمُّ فِي

(١) فِي الْأَصْلِ : « الْحَدِيَّة » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي (١) : « فَاس » . (٣) فِي (ب) : « أَخْبَارُنَا » .

الوقت بعد الوقت بقطع السنة وأيد وأرجل ونسكيل شديد ، لعل ذلك يطرح
 الهيبة ويخسب الماذة ، ويقطع هذه العادة ، لحامهم الله ، ما لهم لا يقبلون على
 شؤونهم المهمة ، ومعايشهم النافعة ، وفرائضهم الواجبة ؟ ولم ينقبون عما ليس
 لهم ، ويرجعون بما لا يجدي عليهم ، ولو حققوا ما يقولون ما كان لهم فيه عائدة
 ولا فائدة ؛ وإني لأعجب من لهجهم^(١) وشغفهم بهذا الخلق حتى كأنه من
 الفرائض المحتومة ، والوظائف المزومة ؛ وقد تكرر منا الزجر ، وشاع الوعيد ،
 ومشا الإنكار بين الصغار والكبار ، ولقد نعاي على هذا الأمر وأغلق دوني
 بابه ، وتسكأف على حجابيه ، والله المستعان .

قلت : أيها الوزير ، عندى فى هذا^(٢) جوابان : أحدهما ما سمعت من شيخنا
 أبى سليمان ، وهو من تفوق فى الفضل والحكمة والتجربة ومحبة هذه الدولة^(٣)
 والشفقة عليها من كل هبة ودبة ؛ والآخر مما سمعته من شيخ صوفى ، وفى
 الجوابين فائدتان عظيمتان ، ولكن الجملة خشنا ، وفيها بعض الغلظة ، والحق
 مر ، ومن توخى الحق احتمل مرارته .

قال : فأذكر الجوابين وإن كانا غليظين ، فليس يندفع بالدواء إلا
 بالصبر على بشاعته ، وضدود الطمع عن كراهته .

قلت : أما أبو سليمان فإنه قال فى هذه الأيام : ليس ينبغى لمن كان الله
 عنز وجل جعله سائس الناس : عامتهم وخاصتهم ، وعالمهم وجاهلهم ، وضعيفهم
 وقويهم ، وراجحهم وشائليهم ، أن يضجر مما يبلغه عنهم أو عن واحد منهم ،
 لأسباب كثيرة ، منها : أن عقله فوق عقولهم ، وحلمه أفضل من حلولهم ،

(١) فى (ب) : « بجههم » . (٢) فى (ب) : « لهذا » .

(٣) فى (أ) : « هذه المقالة » ؛ وهو خطأ من النسخ .

وصبره أتم من صبرهم ؛ ومنها أنهم إنما جعلوا تحت قدرته ، ونيطوا بتدبيره ، واختبروا بتصرفهم على أمره ونهيه ، ليقوم بحق الله تعالى فيهم ، ويصبر على جهل جاهلهم ، ويكون عماد حاله معهم الرِّفق بهم ، والقيام بمصالحهم ، ومنها أن العلاقة التي بين السلطان وبين الرعية قوية ، لأنها إلهية ، وهي أوشج من الرحم التي تكون بين الوالد والولد ، والملاك والد كبير ، كما أن الوالد ملك صغير ، وما يجب على الوالد في سياسة ولده من الرِّفق به ، والحنو عليه ، والرقة له ، واجتلاب المنفعة إليه ، أكثر مما يجب على الولد في طاعة والده ، وذلك أن الولد غرض ، وقريب العهد بالسكون ، وجاهل بالحال ، وعار من التجربة ، كذلك الرعية الشبيهة بالولد ، وكذلك الملاك الشبيه بالوالد ؛ ومما يزيد هذا المعنى كشفًا ، ويكسيه لطفًا ، أن الملاك لا يكون مَلِكًا إلا بالرعية ، كما أن الرعية لا تكون رعية إلا بالملاك ، وهذا من الأحوال المتضاربة ، والأسماء المتنافسة ؛ وبسبب هذه العلاقة المحكمة والوضلة الوشيعة ، ما لهجت العامة بتعرف حال سائسها ، والناظر في أمرها ، والمالك لزماتها ، حتى تكون على بيان من رفاهة عيشها ، وطيب حياتها ، ودور مواردها ، بالأمن^(١) الفاشي بينها ، والعدل الفائض عليها ، والخير الجلوب إليها ، وهذا أمر جارٍ على نظام الطبيعة ، ومندوبٌ إليه أيضًا في أحكام الشريعة .

قال : ولو قالت الرعية لسلطانها : لم لا نخوض في حديثك ، ولا نبحث عن غيب أمرك ، ولم لا نسأل عن دينك ونحللتك وعادتك وسيرتك ؟ ولم لا نقف على حقيقة حالك في ليالك ونهارك ، ومصالحنا متعلقة بك ، وخيرنا متوقعة

(١) في كلتا النسختين : « بالأمر » ؛ وهو تحريف .

من جهتك ، ومسررتنا ملحوظة^(١) بتدبيرك ، ومساءتنا مضررؤفة باهتمامك ، وتظلمنا مرفوع بعزك ، ورفاهيتنا حاصله بحسن نظرك وجميل اعتقادك ، وشارع رحمتهك ، وبلغ أجتهادك ، ما كان جواب سلطانها وسائسها ؟ أما كان عليه أن يعلم أن الرعية مضيبة في دعوها التي بها استطالت ، بلى والله ، الحق مُعترف به وإن شغب الشاغب ، وأعنت المعنت .

قال : ولو قالت الرعية أيضاً . ولم لا نبحث عن أمرِك ؟ ولم لا نسمع كل غثٍ وسمين منا ؟ وقد ملكت نواصينا ، وسكنت ديارنا ، وصاдрتنا على^(٢) أموالنا ، وحلّت بيننا وبين ضياعنا ، وقاسمتنا موارثنا ، وأنسيتنا رفاغة^(٣) العيش وطيب الحياة وطماً نينة القلب ، فطرقنا مخوفة ، ومساكننا منزولة^(٤) ، وضياعنا مقطعة ، ونعمنا مسلوقة ، وحرثنا مستباح ، ونقدنا زائف ، وخراجنا مضاعف ، ومعاملتنا سيئة ، وجندنا متغطرس ، وشرطينا منحرف ، ومساجدنا خربة ، ووقوفها منتهبة ، ومارستاناتنا خاوية ، وأعداؤنا مستكلبة ، وعيوننا سخيبة ، وصدورنا مغيظة ، [ولاييتنا متحلة] وفرحنا معدوم ؛ ما كان الجواب أبضاً عما قالت وعما لم نقل ، هيمة لك ، وخوفاً على أنفسها من سطوتك وصولتك ؟

وحكى لنا في عرض هذا الكلام أنه رُفع إلى الخليفة المعتضد أن طائفة من الناس يجتمعون [بباب الطاق ويجلسون] في دكان شيخ تَبَّان ، ويحوضون في الفضول والأراجيف وفنون من الأحاديث ، وفيهم قوم سرارة

(١) في (ب) : « ملحقة » ؛ وهو تحريف . (٢) في (أ) : « عن أموالنا » .

(٣) في (ب) : « رفاغة » بالعين المهملة ؛ وهو تصحيف ؛ ورفاغة العيش : خفضه وليه .

(٤) في (ب) : « ومازلنا مسكونة » .

وَتُتَاءَ^(١) وَأَهْلُ بُيُوتَاتٍ سِوَى مَنْ يَسْتَرْقِ السَّمْعَ مِنْهُمْ مِنْ خَاصَّةِ النَّاسِ ، وَقَدْ تَفَاقَمَ فُسَادُهُمْ وَإِفْسَادُهُمْ ، فَلَمَّا عَرَفَ الْخَلِيفَةُ ذَلِكَ ضَاقَ ذَرْعًا ، وَحَرَجَ صَدْرًا ، وَأَمْتَلَأَ غَيْظًا ، وَدَعَا بَعْبِيدَ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، وَرَمَى بِالرَّفِيعَةِ^(٢) إِلَيْهِ ، وَقَالَ : أَنْظِرْ فِيهَا وَتَفَهَّمْهَا . فَفَعَلَ ، وَشَاهَدَ مِنْ تَرْبُدٍ^(٣) وَجْهَ الْمُعْتَضِدِ مَا أَرْعَجَ سَاكِنَ صَدْرِهِ ، وَشَرَّدَ آلَافَ صَبْرِهِ ، وَقَالَ : قَدْ فَهِمْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : فَمَا الدَّوَاءُ ؟ قَالَ : تَتَتَدَّمُ بِأَخْذِهِمْ وَصَلْبِ بَعْضِهِمْ وَإِحْرَاقِ بَعْضِهِمْ وَتَغْرِيقِ بَعْضِهِمْ ، فَإِنَّ الْعُقُوبَةَ إِذَا اخْتَلَفَتْ كَانَ الْهَوَلُ أَشَدَّ ، وَالْهَيْبَةُ أَفْشَا ، وَالزَّجْرُ أَنْجَعُ ، وَالْعَامَّةُ أَخَوْفُ . فَقَالَ الْمُعْتَضِدُ — وَكَانَ أَعْقَلَ مِنَ الْوَزِيرِ — : وَاللَّهِ لَقَدْ بَرَّدَتْ لَهَيْبَ غَضَبِي^(٤) بِفُورَتِكَ هَذِهِ ، وَنَقَلْتَنِي إِلَى الْإِلَيْنِ بَعْدَ الْغِلْظَةِ ، وَحَطَطْتَ عَلَى الرَّفْقِ ، مِنْ حَيْثُ أَشْرْتَ بِالْخُرْقِ ، وَمَا عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْتَجِيزُ هَذَا فِي دِينِكَ وَهَذِيكَ وَمُرُوءَتِكَ ، وَلَوْ أَمَرْتُكَ بِبَعْضِ مَا رَأَيْتَ بِعَقْلِكَ وَحَزَمِكَ لَكُنَّ مِنْ حُسْنِ الْمُوَازَرَةِ وَمَبْذُولِ النَّصِيحَةِ وَالنَّظَرِ لِلرَّعِيَةِ الضَّعِيفَةِ الْجَاهِلَةِ أَنْ تَسْأَلَنِي^(٥) الْكَفَّ عَنْ الْجَهْلِ ، وَتَبْعَمَنِي عَلَى الْحِلْمِ ، وَتُحَبِّبَ إِلَيَّ الصَّفْحَ وَتُرَغِّبَنِي فِي فَضْلِ الْإِغْضَاءِ عَلَى هَذِهِ الْأَشْيَاءِ . وَقَدْ سَاءَ فِي جَهْلِكَ بِحُدُودِ الْعِقَابِ وَمَاتِقَابِلُ بِهِ هَذِهِ الْجُرَائِرُ ، وَبِمَا يَكُونُ كُفًّا لِلذُّنُوبِ ، وَلَقَدْ عَصَيْتَ اللَّهَ بِهَذَا الرَّأْيِ وَدَلَلْتَ عَلَى قَسْوَةِ الْقَلْبِ وَفِلَةِ الرَّحْمَةِ وَيُبْسِ الطَّيْنَةِ وَرِقَّةِ الدِّيَانَةِ ، أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ الرَّعِيَّةَ وَدِيعةُ اللَّهِ عِنْدَ سُلْطَانِهَا ؟ وَأَنَّ اللَّهَ يُسْأَلُ عَنْهَا كَيْفَ سُسَّتْهَا ؟ وَلَعَلَّهُ

(١) التواء : الدهاقين والرؤساء .

(٢) الرفعة : الرقعة المرفوعة .

(٣) في كلتا السخيتين : « من يريد » ؛ وهو تصحيف .

(٤) في (ب) . « لبيب غيظي بقسوتك » ؛ والمبني يستقيم عليه أيضا .

(٥) في (أ) : « على » ، ولم يظهر منها في (ب) إلان ونوب ، وسائرهما مطموس .

لَا يَسْأَلُهَا عَنْهُ ، وَإِنْ سَأَلَهَا فَلْيُؤَكِّدِ الْحُجَّةَ عَلَيْهِ مِنْهَا ؛ أَلَا تَذَرَى أَنَّ أَحَدًا مِنَ الرِّعَايَةِ لَا يَقُولُ مَا يَقُولُ إِلَّا لَظْلُمَ لِحَقِّهِ أَوْ لِعَقِّ جَارِهِ ^(١) ، وَدَاهِيَةِ نَالَتِهِ أَوْ نَالَتْ صَاحِبًا لَهُ ؟ وَكَيْفَ نَقُولُ لَهُمْ : كُونُوا صَالِحِينَ أَتَقِيَاءَ مُقْبِلِينَ عَلَى مَعَاشِكُمْ ، غَيْرَ خَائِضِينَ فِي حَدِيثِنَا ، وَلَا سَائِلِينَ عَنْ أَمْرِنَا ، وَالْعَرَبُ نَقُولُ فِي كَلَامِهَا : غَلَبَنَا السُّلْطَانُ فَلَيْسَ فَرْوَنَنَا ، وَأَكَلْ خُصْرَتَنَا ، وَحَنَقُ الْمُلُوكِ عَلَى الْمَالِكِ مَعْرُوفٌ ، وَإِنَّمَا يُحْتَمَلُ السَّيِّدُ عَلَى صُرُوفِ تَسْكَالِيْفِهِ ، وَمَكَارِهِ تَصَارِيْفِهِ ، إِذَا كَانَ الْعَيْشُ فِي كَنْفِهِ رَافِيًا ، وَالْأَمَلُ فِيهِ قَوِيًّا ، وَالصَّدْرُ عَلَيْهِ بَارِدًا ، وَالْقَلْبُ مَعَهُ سَاكِنًا ، أَتَنْظُرُ أَنَّ الْعَمَلَ بِالْجَهْلِ يَنْفَعُ ، وَالْعُذْرَ بِهِ يَسَعُ ، لَا وَاللَّهِ مَا الرَّأْيُ مَا رَأَيْتَ ، وَلَا الصَّوَابُ مَا ذَكَرْتَ ، وَجَهَّ صَاحِبَكَ وَلَيْسَكُنْ ذَا خَبْرَةٍ وَرِيقٍ ، وَمَعْرُوفًا بِخَيْرٍ وَصِدْقٍ ، حَتَّى يَعْرِفَ حَالَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ ، وَيَقِفَ عَلَى شَأْنِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا فِي مَعَاشِهِ ، وَقَدَّرَ مَا هُوَ مُتَقَلِّبٌ فِيهِ وَمُنْقَلِبٌ إِلَيْهِ ، فَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ يَصْلُحُ لِلْعَمَلِ فَعَلَّقَهُ بِهِ ، وَمَنْ كَانَ سَيِّئَ الْحَالِ فَصَلِّهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ بِمَا يُعِيدُ نَضْرَةَ حَالِهِ ، وَيُفِيدُهُ طُمَأْنِينَةً بِهِ ؛ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ هَذَا الرَّهْطِ ، وَهُوَ غَنِيٌّ مُكْنِيٌّ ، وَإِنَّمَا يُخْرِجُهُ إِلَى دَكَّانِ هَذَا التَّبَّانِ الْبَطَّارُ وَالزَّهْوُ ، فَادْعُ بِهِ ، وَأَنْصَحْهُ ، وَلَا طِفْهُ ، وَقُلْ لَهُ : إِنَّ لَفْظَكَ مَسْمُوعٌ ، وَكَلَامُكَ مَرْفُوعٌ ؛ وَمَتَى وَقَفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى كُنْهِ ذَلِكَ مِنْكَ لَمْ تَجِدْكَ إِلَّا فِي عَرِصَةِ الْمَقَابِرِ ، فَاسْتَأْنِفْ لِنَفْسِكَ سِيرَةً تَسْلُمُ بِهَا مِنْ ^(٢) سُلْطَانِكَ ، وَتُحَمَّدُ عَلَيْهَا عِنْدَ إِخْوَانِكَ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَجْعَلَ نَفْسَكَ عِظَةً لِفَيْرِكَ بَعْدَ مَا كَانَ غَيْرُكَ عِظَةً لَكَ ؛ وَلَوْ لَا أَنَّ الْأَخْذَ بِالْجَرِيرَةِ الْأُولَى مَخَافٌ لِلْسَّيِّئَةِ الْمُثْلَى لَكَانَ هَذَا الَّذِي تَسْمَعُهُ مَا تَرَاهُ ، وَمَا تَرَاهُ تَوَدُّ أَمْرَكَ لَوْ سَمِعْتَهُ فَيَلَّ أَنْ

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ «دَارَةٌ» بِالْدَالِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي (١) : « عَلَى » مَكَانَ « مِنْ » ؛ وَهُوَ خَطَأٌ مِنَ النَّاسِجِ .

تراه . فَإِنَّكَ يَا عُبَيْدَ اللَّهِ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَقَدْ بَأَلْتَ فِي الْمُعْذُوبَةِ ، وَمَا كُنْتَ طَارَفِي الْمَصْلَحَةِ ، وَقُمْتَ عَلَى سَوَاءِ السِّيَاسَةِ ، وَنَجَوْتَ مِنَ الْحَوْبِ وَالْمَأْثَمِ فِي الْعَاقِبَةِ . قال : وفارَقَ الوزيرُ خَضْرَاءَ [الخليفة] ، وعَمِلَ بِمَا أَمَرَ بِهِ عَلَى وَجْهِ اللَّطِيفِ ، فَعَادَتِ الْحَالُ تُرْفَ بِالسَّلَامَةِ الْعَامَّةِ ، وَالْعَاقِبَةُ التَّامَّةُ ؛ فَتَقَدَّمَ إِلَى الشَّيْخِ التَّبَّانِ بَرَفْعِ حَالٍ مِنْ يَفْعَدُ عِنْدَهُ حَتَّى يُوَاسَى إِنْ كَانَ مُحْتَاجًا ، وَيُصَرِّفَ إِنْ كَانَ مُتَعَطِّلًا ، وَيُنْصَحَ إِنْ كَانَ مُتَعَقِّلًا .

فقال الوزير : مَا سَمِعْتُ مِثْلَ هَذَا قَطُّ ، وَمَا ظَنَنْتُ أَنْ الْخَطْبَ فِي مِثْلِ هَذَا يَبْلُغُ هَذَا الْقَدْرَ ؛ فَهَاتِ الْجَوَابَ الْآخَرَ الَّذِي حَفِظْتَهُ عَنِ الصُّوفِيِّ . فَقُلْتُ : إِنْ كَانَ هَذَا كَأَيِّمَا فَإِنَّ ذَلِكَ فَضْلٌ .

فقال : هَكَذَا هُوَ ، وَإِنَّ فِيهَا مَرَّةً لَكِيفَايَةَ ، وَمَا يَزِيدُ عَلَى الْكِيفَايَةِ ، وَلَكِنْ الزِّيَادَةُ مِنَ الْعِلْمِ دَاعِيَةٌ إِلَى الزِّيَادَةِ مِنَ الْعَمَلِ ، وَالزِّيَادَةُ مِنَ الْعَمَلِ جَالِبَةٌ الْأَنْتِفَاعِ بِالْعِلْمِ ، وَالْأَنْتِفَاعُ بِالْعِلْمِ دَلِيلٌ عَلَى سَعَادَةِ الْإِنْسَانِ ، وَسَعَادَةِ الْإِنْسَانِ مَقْسُومَةٌ عَلَى أَتْقِنَاسِ الْعِلْمِ وَالتَّمَسِّسِ الْعَمَلِ ، حَتَّى يَكُونَ بِأَحَدِهِمَا زَارِعًا ، وَبِالْآخَرِ حَاصِدًا ، وَبِأَحَدِهِمَا تَاجِرًا ، وَبِالْآخَرِ رَاجِعًا .

فَوَصَّاتُ الْحَدِيثِ وَقُلْتُ : حَدَّثَنِي شَيْخٌ مِنَ الصُّوفِيَّةِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ قَالَ : كُنْتُ بَنِيْسَابُورَ سَنَةَ سَبْعِينَ وَثَلَاثَةَ ، وَقَدْ أَشْتَعَلَتْ خُرَاسَانُ بِالْفِتْنَةِ ، وَتَبَلْبَكَتْ دَوْلَةُ آلِ سَامَانَ بِالْجُورِ وَطُولِ الْمُدَّةِ ، فَلَجَأَ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ صَاحِبُ الْجَيْشِ إِلَى قَايِينَ^(١) ، وَهِيَ حِصْنُهُ وَمَقْعَلُهُ ، وَوَرَدَ أَبُو الْعَبَّاسِ صَاحِبُ جَيْشِ [آل] سَامَانَ نِيْسَابُورَ بَعْدَ عَظِيمَةٍ ، وَعُدَّةٍ عَمِيمَةٍ ، وَزِينَةٍ فَاخِرَةٍ ، وَهَيْئَةٍ بَاهِرَةٍ ، وَغَلَا السَّعْرُ ،

(١) قَايِينَ : بَلَدٌ قَرِيبٌ مِنْ طَبَسَ ، بَيْنَ نِيْسَابُورَ وَأَصْبَهَانَ ؛ وَهِيَ فِرْضَةُ خُرَاسَانَ .

وَأُخِيفَتِ الشُّبُلُ ، وَكَثُرَ الْإِرْجَافُ ، وَسَاءَتِ الظُّنُونُ ، وَضَجَّتِ الْعَامَّةُ ، وَالتَّبَسَّ
الرَّأْيُ ، وَأَنْقَطَعَ الْأَمَلُ ، وَنَبَحَ كَلْبُ كَلْبٍ مِنْ كُلِّ زَاوِيَةٍ ، وَزَارَ كُلُّ أَسَدٍ
مِنْ كُلِّ أَجْمَةٍ ، وَضَبَحَ كُلُّ ثَعْلَبٍ مِنْ كُلِّ تَلْعَةٍ .

قال : وَكُنَّا جَمَاعَةً غُرَبَاءَ نَأْوِي إِلَى دُوَيْرَةٍ ^(١) الصُّوفِيَّةِ لَا نَبْرَحُهَا ، فَتَارَةً
نَقْرَأُ ، وَتَارَةً نُصَلِّي ، وَتَارَةً نَنَامُ ، وَتَارَةً نَهْذِي ، وَالْجُوعُ يَعْمَلُ عَمَلَهُ ، وَنَحْوُصُ
فِي حَدِيثِ آلِ سَامَانَ ، وَالْوَارِدِ مِنْ جِهَتِهِمْ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ ، وَلَا قُدْرَةَ لَنَا عَلَى
السَّيَاحَةِ لِأَنْسَادِ الطُّرُقِ ، وَتَخَطُّفِ النَّاسِ لِلنَّاسِ ، وَشُمُولِ الْخَوْفِ ، وَغَلَبَةِ
الرُّعْبِ ، وَكَانَ الْبَلَدُ يَتَقَدُّ نَارًا بِالسُّؤَالِ وَالتَّعَرُّفِ وَالْإِرْجَافِ بِالصَّدَقِ
وَالكُذْبِ ، وَمَا يُقَالُ بِالْهَوَى وَالْعَصْبِيَّةِ ؛ فَضَاقَتْ صُدُورُنَا ، وَخَبِثَتْ سَرَائِرُنَا ^(٢)
وَأُسْتَوَلَى عَلَيْنَا الْوَسْوَاسُ ، وَقَلْنَا لَيْلَةً : مَا تَرَوْنَ يَا صَحَابَنَا ^(٣) [مَا] دُفِعْنَا إِلَيْهِ
مِنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ الْكَرِيهَةِ ، كَأَنَّا وَاللَّهِ أَصْحَابُ نَعْمٍ وَأَرْبَابُ ضِيَاعٍ نَخَافُ
عَلَيْهَا الْغَارَةَ وَالنَّهْبَ ، وَمَا عَلَيْنَا مِنْ وِلَايَةِ زَيْدٍ ، وَعِزْلِ عَمْرٍو ، وَهَلَاكِ بَكْرٍ ،
وَنَجَاةِ بَشَرٍ ، نَحْنُ قَوْمٌ قَدْ رَضِينَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا الْعَسِيرَةَ ، وَهَذِهِ الْحَيَاةَ الْقَصِيرَةَ ،
بِكِسْرَةٍ يَابِسَةٍ ، وَخِرْقَةٍ بَالِيَةٍ ، وَزَاوِيَةٍ مِنَ الْمَسْجِدِ ، مَعَ الْعَاقِبَةِ مِنْ بَلَايَا
طُلَّابِ الدُّنْيَا ، فَمَا هَذَا [الَّذِي] يَعْتَرِينَا مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي لَيْسَ لَنَا فِيهَا
نَاقَةٌ وَلَا جَمَلٌ ، وَلَا حَظٌّ وَلَا أَمَلٌ ، قَوْمُوا بِنَا غَدًا حَتَّى نَزُورَ أَبَا زَكَرِيَّا الزَّاهِدَ ،
وَنَظْلَ نَهَارِنَا عِنْدَهُ لَاهِينَ عَمَّا نَحْنُ فِيهِ ، سَاكِنِينَ مَعَهُ ، مُقْتَدِينَ بِهِ ، فَاتَّفَقَ
رَأْيُنَا عَلَى ذَلِكَ ، فَعَدَدُونَا ^(٤) وَصَرَرْنَا إِلَى أَبِي زَكَرِيَّا الزَّاهِدِ ، فَلَمَّا دَخَلْنَا رَحَبَ

(١) في نسخة « ورة » مكان « دويرة » . والورة : ما وتر بالأعمدة من البيوت .

(٢) في (ب) : « أومسا » . (٣) في كلتا النسختين « بأصحابنا دفعنا » ؛ وفي

(ب) بين قوله « بأصحابنا » وقوله « دفعنا » فراغ يسع كلمة ؛ ولعل صواب العبارة ما أثبتنا

إذ هو مقتضى السياق . (٤) في (ب) : « فصرنا » مكان قوله « فعدونا » .

بنا، وفَرِحَ بِزِيَارَتِنَا، وقال: ما أَشَوْفُنِي إِلَيْكُمْ^(١)، وما أَلْهَفَنِي^(٢) عليكم! الحمد لله الذى جَمَعَنِي وَإِيَّاكُمْ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ، حَدَّثُونِي مَا الَّذِي سَمِعْتُمْ، وماذَا بَلَغَكُمْ مِنْ حَدِيثِ النَّاسِ، وَأَمْرُهُ لَئِذَا السَّلَاطِينُ؟ فَرَجُّوا عَنِّي؛ وَقُولُوا لِي مَا عِنْدَكُمْ، وَلَا تَكْتُمُونِي شَيْئاً فَمَالِي وَاللَّهِ سَرَعَنِي فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ إِلَّا مَا أَتَصَلُّ بِحَدِيثِهِمْ، وَأَقْتَرَنَ بِخَبَرِهِمْ، فَلَمَّا وَرَدَ عَلَيْنَا مِنْ هَذَا الزَّاهِدِ الْعَابِدِ مَا وَرَدَ، دُهِشْنَا وَأَسْتَوْحَشْنَا، وَقَلْنَا فِي أَنْفُسِنَا انْظُرُوا مِنْ أَى شَيْءٍ هَرَبْنَا^(٣). وَبَأَى شَيْءٌ عَلِقْنَا، وَبَأَى دَاهِيَةٌ دُهِمْنَا. قَالَ: فَخَمَمْنَا الْحَدِيثَ وَأَنْسَلَلْنَا، فَلَمَّا خَرَجْنَا قَلْنَا: أَرَأَيْتُمْ مَا بُلَيْنَا بِهِ، وَمَا وَقَعْنَا عَلَيْهِ؟ (إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ). مِيلُوا بِنَا إِلَى أَبِي عَمْرٍو الزَّاهِدِ فَلَهُ فَضْلٌ وَعِبَادَةٌ وَعِلْمٌ وَتَفَرُّدٌ فِي صَوْمَعَتِهِ حَتَّى نُقِيمَ عِنْدَهُ إِلَى آخِرِ النَّهَارِ، فَقَدْ نَبَا بِنَا الْمَسْكَنُ الْأَوَّلُ، وَبَطَلَ قَصْدُنَا فِيمَا عَزَمْنَا عَلَيْهِ مِنَ الْعَمَلِ، فَمَشِينَا إِلَى أَبِي عَمْرٍو الزَّاهِدِ وَأُسْتَاذَنَا، فَأَذِنَ لَنَا، وَوَصَلَّنَا إِلَيْهِ فَسَرَّ بِحُضُورِنَا، وَهَشَّ لِرُؤُوسِنَا، وَأَبْتَهَجَ بِقَصْدِنَا، وَأَعْظَمَ زِيَارَتَنَا، ثُمَّ قَالَ: يَا أَهْبَابَنَا مَا عِنْدَكُمْ مِنْ حَدِيثِ النَّاسِ؟ فَقَدْ وَاللَّهِ طَالَ عَطَشِي إِلَى شَيْءٍ أَسْمَعُهُ، وَلَمْ يَدْخُلْ عَلَيَّ الْيَوْمَ أَحَدٌ فَأَسْتَخْبِرَهُ، وَإِنَّ أُذُنِي لَدَى الْبَابِ لِأَسْمَعَ قُرْعَةً أَوْ أَعْرِفَ حَادِثَةً، فَهَاتُوا مَا مَعَكُمْ وَمَا عِنْدَكُمْ، وَفُضُّوا عَلَى الْقِصَّةِ بِفَصَّهَا وَنَصَّهَا، وَدَعُوا التَّوْرِيَّةَ وَالْكِنَايَةَ، وَأَذْكُرُوا الْغَثَّ وَالثَمِينَ، فَإِنَّ الْحَدِيثَ هَكَذَا يَطِيبُ، وَلَوْلَا الْعَظْمُ مَا طَابَ اللَّحْمُ، وَلَوْلَا النَّوَى مَا حَلَا التَّمْرُ، وَلَوْلَا الْقِشْرُ لَمْ يَوْجَدُ اللَّبُّ، فَعَجِبْنَا مِنْ هَذَا الزَّاهِدِ الثَّانِي أَكْثَرَ مِنْ عَجِبِنَا مِنَ الزَّاهِدِ الْأَوَّلِ، وَخَاطَفَنَاهُ الْحَدِيثَ،

(١) فِي (ب) : «إِلَى زِيَارَتِكُمْ». (٢) فِي (ب) : «وَالْهَفَى».

(٣) وَرَدَ فِي (أ) مِنْ هَذِهِ السَّكْمَةِ بَاءٌ وَنُونٌ بَعْدَهَا أَلِفٌ. وَفِي (ب) لَمْ يَظْهَرِ مِنْهَا إِلَّا هَاءٌ وَنُونٌ وَأَلِفٌ؛ وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا.

وَوَدَّعْنَاهُ ، وَخَرَجْنَا ، وَأَقْبَلَ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ يَقُولُ : أَرَأَيْتُمْ أَظَرَفَ مِنْ أَمْرِنَا وَأَغْرَبَ مِنْ شَأْنِنَا ؟ انْظُرُوا مِنْ أَيْ شَيْءٍ كَانَ تَعْرِيجُنَا (إِنَّ هَذَا الشَّيْءَ مُجَابِبٌ) وَتَلَدَدُنَا وَتَبَلَدُنَا وَقَلَمُنَا يَا أَصْحَابِنَا : انْطَلِقُوا إِلَى أَبِي الْحَسَنِ الْعَرِيرِ ، وَإِنْ كَانَ مَضْرِبُهُ ^(١) بَعِيدًا فَإِنَّا لَا نَجِدُ سَكُونَنَا إِلَّا مَعَهُ ، وَلَا نَظْفَرُ بَضَائِئَنَا إِلَّا عِنْدَهُ ، لَزُهُدِهِ وَعِبَادَتِهِ وَتَوَحُّدِهِ وَشُغْلِهِ بِنَفْسِهِ مَعَ زَمَانِهِ فِي بَصَرِهِ ، وَوَرَعِهِ ، وَفَلَّةِ فِكْرِهِ فِي الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا ؛ وَطَوِينَا الْأَرْضَ إِلَيْهِ ، وَدَخَلْنَا عَلَيْهِ ، وَجَلَسْنَا حَوَالِيهِ فِي مَسْجِدِهِ ، وَلَمَّا سَمِعْنَا أَقْبَلَ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا يَلْمُسُهُ بِيَدِهِ وَيُرْحَبُ بِهِ ، وَيَدْعُو لَهُ وَيَقْرُبُ ، فَلَمَّا أُنْتَهَى أَقْبَلَ عَلَيْنَا [وَقَالَ] : أَمِنْ السَّمَاءِ نَزَّائِمٌ عَلَى ؟ وَاللَّهِ لَسَكَّائِي قَدْ وَجَدْتُ بَكُم مَأْمُولِي ، وَأَحْرَزْتُ غَايَةَ سُؤْلِي ، قُولُوا لِي غَيْرَ مُحْتَشَمِينَ : مَا عِنْدَكُمْ مِنْ أَحَادِيثِ النَّاسِ ؟ وَمَا عَزَمَ [عَلَيْهِ] هَذَا الْوَارِدُ ؟ وَمَا يُقَالُ فِي أَمْرِ ذَلِكَ الْهَارِبِ إِلَى قَائِينَ ، وَمَا الشَّائِعُ مِنَ الْأَخْبَارِ ؟ وَمَا الَّذِي يَتَهَامَسُ بِهِ نَاسٌ دُونَ نَاسٍ ؟ وَمَا يَقَعُ فِي هَوَاجِسِكُمْ وَيَسْتَبِقُ إِلَى نَفْسِكُمْ ^(٢) ؟ فَإِنَّكُمْ بُرْدُ الْآفَاقِ ، وَجَوَالَةِ الْأَرْضِ ، وَلِقَاطَةُ الْكَلَامِ ، وَيَتَسَاقَطُ إِلَيْكُمْ مِنَ الْأَفْطَارِ مَا يَتَعَذَّرُ عَلَى عِظَمَاءِ الْمُلُوكِ وَكِبَرَاءِ النَّاسِ : فَوَرَدَ عَلَيْنَا مِنْ هَذَا الْإِنْسَانِ مَا أُنْعَى الْأَوَّلُ وَالثَّانِي ، وَمِمَّا زَادَ فِي عَجَبِنَا أَنَّا كُنَّا نَعُدُّهُ فِي طَبَقَةِ فَوْقَ طَبَقَاتِ جَمِيعِ النَّاسِ فَخَفَفْنَا الْحَدِيثَ مَعَهُ ، وَوَدَّعْنَاهُ ، وَخَنَسْنَا مِنْ عِنْدِهِ ، وَطَفِقْنَا نَتَلَاوَمُ عَلَى زِيَارَتِنَا لَهُوَلَاءِ الْقَوْمِ لَمَّا رَأَيْنَا مِنْهُمْ وَظَهَرَ لَنَا مِنْ حَالِهِمْ ، وَازْدَرَيْنَاهُمْ ، وَأَنْقَلَبْنَا مُتَوَجِّهِينَ إِلَى دُورَتِنَا الَّتِي غَدَوْنَا مِنْهَا مُسْتَطَرِّقِينَ كَالْأَيْنِ ، فَلَقِينَا فِي الطَّرِيقِ شَيْخًا مِنَ الْحُكَمَاءِ يُقَالُ لَهُ أَبُو الْحَسَنِ الْعَامِرِيُّ ، وَلَهُ كِتَابٌ فِي التَّصَوُّفِ قَدْ شَحَنَهُ بِعِلْمِنَا

(١) يريد بمضربه بيته ، مستعار من مضرب الحيام .

(٢) في (ب) : « إلى قلوبكم » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضاً

وإِشَارَتَنَا ، وَكَانَ مِنَ الْجَوَالِينِ الَّذِينَ نَقَبُوا فِي الْبِلَادِ وَأُطْلَعُوا عَلَى أَسْرَارِ اللَّهِ فِي الْعِبَادِ ؛ فَقَالَ لَنَا : مَنْ أَيْنَ دَرَجَتُكُمْ ؛ وَمَنْ قَصْدُكُمْ . فَأَجْلَسْنَاهُ فِي مَسْجِدٍ ، وَعَصَبْنَا حَوْلَهُ ، وَقَصَصْنَا عَلَيْهِ قِصَّتَنَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا ، وَلَمْ نَحْذِفْ مِنْهَا حَرْفًا . فَقَالَ لَنَا : فِي طَيِّ هَذِهِ الْحَالِ الطَّارِئَةِ غَيْبٌ لَا تَقْفُونَ عَلَيْهِ ، وَسِرٌّ لَا تَهْتَدُونَ إِلَيْهِ ، وَإِنَّمَا غَرَّكُمْ ظَنُّكُمْ بِالزَّهَادِ ، وَقَلْتُمْ : لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْخَيْرُ [عَنْهُمْ كَالْخَيْرِ] عَنْ الْعَامَّةِ ، لِأَنَّهُمْ الْخَاصَّةُ ، وَمِنْ الْخَاصَّةِ خَاصَّةُ الْخَاصَّةِ ، لِأَنَّهُمْ بِاللَّهِ يَلُودُونَ ، وَإِيَّاهُ يَعْبُدُونَ ، وَعَلَيْهِ يَتَوَكَّلُونَ ، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ، وَمَنْ أَجَلُهُ يَتَهَالِكُونَ ، وَبِهِ يَتِمَّالُكَوْنُ .

قُلْنَا لَهُ : فَإِنْ رَأَيْتَ يَا مُعَلِّمُ الْخَيْرِ أَنْ تَكْشِفَ عَنَّا هَذَا الْغِطَاءَ ، وَتَرَفَعَ هَذَا السُّتْرَ ، وَتَعْرِفَنَا مِنْهُ مَا وَهَبَ اللَّهُ لَكَ مِنْ هَذَا الْغَيْبِ ، لَنَكُونَ شَاكِرِينَ ، وَتَكُونَ مِنَ الْمَشْكُورِينَ . فَقَالَ : نَعَمْ ، أَمَّا الْعَامَّةُ فَإِنَّهَا تَلْمِزُ بِحَدِيثِ كِبَرِائِهَا وَسَاسَتِهَا لِمَا تَرُجُو مِنْ رَحَاءِ الْعَيْشِ وَطَيْبِ الْحَيَاةِ وَسَعَةِ الْمَالِ وَدُرُورِ الْمَنَافِعِ وَاتِّصَالِ الْجَلْبِ وَنَفَاقِ الشُّوقِ وَتَضَاعُفِ الرَّجْحِ ؛ فَأَمَّا هَذِهِ الطَّائِفَةُ الْعَارِفَةُ بِاللَّهِ ، الْعَامِلَةُ لِلَّهِ ، فَإِنَّهَا مُوَلَّعَةٌ أَيْضًا بِحَدِيثِ الْأَمْرَاءِ ، وَالْجَبَّارَةِ الْعُظَمَاءِ ، لَتَقِفَ عَلَى تَصَارِيفِ قُدْرَةِ اللَّهِ فِيهِمْ ، وَجَرِيَانِ أَحْكَامِهِ عَلَيْهِمْ ، وَنَفُودِ مَشِيمَتِهِ فِي مَحَاسِنِهِمْ وَمَكَارِهِمْ فِي حَالِ النِّعْمَةِ ^(١) عَلَيْهِمْ ، وَالْإِنْتِقَامِ مِنْهُمْ ، الْإِتْرُونَهُ قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : (حَتَّى إِذَا فَرَحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ) ، وَبِهَذَا الْأَعْتِبَارِ يَسْتَنْبِطُونَ خَوَافِي حِكْمَتِهِ ، وَيَطْلَعُونَ عَلَى تَتَابُعِ نِعْمَتِهِ وَغَرَائِبِ نِعْمَتِهِ ، وَهَاهُنَا يَعْلَمُونَ أَنَّ كُلَّ مُلْكٍ سِوَى مُلْكِ اللَّهِ زَائِلٌ ، وَكُلُّ نَعِيمٍ غَيْرِ نَعِيمِ الْجَنَّةِ حَائِلٌ ،

(١) فِي كِلْتَا النِّسَخَتَيْنِ « النِّعْمَةُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

وَيَصِيرُ هَذَا كُلُّهُ سَبَبًا قَوِيًّا لَهُمْ فِي الضَّرْعِ إِلَى اللَّهِ ، وَاللَّيَازِ بِاللَّهِ ، وَالْخُشُوعِ
لِلَّهِ ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ ، وَيَتَذَبَّعُونَ بِهِ مِنْ حِرَانِ الْإِبَاءِ ، إِلَى أَنْقِيَادِ الْإِجَابَةِ ،
وَيَتَذَبَّهَوْنَ مِنْ رَقْدَةِ الْغَفْلَةِ ، وَيَكْتَحِلُونَ بِالْيَقَظَةِ مِنْ سِنَةِ السَّهْوِ وَالْبَطَالَةِ ،
وَيَجِدُّونَ فِي أَخْذِ الْعَتَادِ ، وَاکْتِسَابِ الزَّادِ إِلَى الْمَعَادِ ، وَيَعْمَلُونَ فِي الْخِلَاصِ مِنْ
هَذَا الْمَكَانِ الْحَرَجِ بِالْمُكَارِهِ ، الْحُفُوفِ بِالرَّزَايَا ، الَّذِي لَمْ يُفْلَحْ فِيهِ أَحَدٌ إِلَّا
بَعْدَ أَنْ هَدَمَهُ وَتَلَمَّهَ ، وَهَرَبَ مِنْهُ ، وَرَحَلَ عَنْهُ إِلَى مَحَلٍّ لَا دَاءَ فِيهِ وَلَا غَائِلَةٌ ؛
سَاكِنُهُ خَالِدٌ ، وَمَقِيمُهُ مُطْمَئِنٌّ ، وَالْفَائِزُ بِهِ مَنْعَمٌ ، وَالْوَاصِلُ إِلَيْهِ مُكَرَّمٌ ، وَبَيْنَ
الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ فِي هَذِهِ الْحَالِ وَفِي غَيْرِهَا فَرْقٌ يَضِحُّ لِمَنْ رَفَعَ اللَّهُ طَرَفَهُ إِلَيْهِ ،
وَفَتَحَ بَابَ السَّرِّ فِيهِ عَلَيْهِ ، وَقَدْ يَتَشَابَهُ الرَّجُلَانِ فِي فِعْلٍ . وَأَحْدُهُمَا مَذْمُومٌ ،
وَالْآخَرُ مَحْمُودٌ ، وَقَدْ رَأَيْنَا مُصَلِّيًّا إِلَى الْقِبْلَةِ وَقَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِإِحْلَاصِ الْعِبَادَةِ ،
وَأَخْرَى إِلَى جَانِبِهِ أَيْضًا يَصَلِّي إِلَى الْقِبْلَةِ وَقَلْبُهُ فِي طَرَفٍ^(١) مَا فِي كُفٍّ الْآخَرِ ، فَلَا تَنْظُرُوا
مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَى ظَاهِرِهِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَصِلُوا بِنَظَرِكُمْ إِلَى بَاطِنِهِ ، فَإِنَّ الْبَاطِنَ
إِذَا وَاطَأَ الظَّاهِرَ كَانَ تَوَحُّدًا ، وَإِذَا خَالَفَهُ إِلَى الْحَقِّ كَانَ وَحْدَةً ، وَإِذَا خَالَفَهُ
إِلَى الْبَاطِلِ كَانَ ضَلَالَةً ، وَهَذِهِ الْمَقَامَاتُ مُرْتَبَةٌ لِأَفْخَاجِهَا ، وَمَوْتُوفَةٌ عَلَى أَرْبَابِهَا ؛
لَيْسَ لَغَيْرِ أَهْلِهَا فِيهَا نَفْسٌ ، وَلَا لَغَيْرِ مُسْتَحِقِّهَا مِنْهَا قَبَسٌ .

قال الشيخ الصوفي : فوالله ما زال ذلك الحكيم يحشو آذاننا بهذه
وما أشبهها ، ويملاً صدورنا بما عنده حتى سررنا^(٢) وانصرفنا إلى مُتَعَشِّنَا وَقَدْ
اسْتَفَدْنَا عَلَى يَأْسٍ مِمَّا فَائِدَةٌ عَظِيمَةٌ لَوْ تَمَنَّيْنَاهَا بِالْعُرْمِ الثَّقِيلِ ، وَالسَّحَى الطَوِيلِ ،
لَسَكَانَ الرِّيحِ مَعَنَا ، وَالزِّيَادَةُ فِي أَيْدِينَا .

(١) الطر : الاستلال .

(٢) في كلتا النسختين : « سدنا » .

فلما سمع الوزيرُ هذا عجبَ وقال : لا أدري أكلَامُ أبي سُلَيْمَانَ في ذلك الاحتجاجِ أبلغُ ، أم الحكَايَةُ عن المُعْتَصِدِ أَشْفَى ، أم رواية الشيخِ الصوفيِّ أَطْرَفُ ؟ وما عَلِمْتُ أَنَّ في البَحْثِ عن سِرِّ الإِرْجَافِ هذه اللَّطِيفَةَ الخَفِيَّةَ ، وهذه الحِجَّةَ الجلِيَّةَ ، وكُنْتُ أرى أَنَّ الصُّوفِيَّةَ لَا يَرْجِعُونَ إلى رُكْنٍ مِنَ الْعِلْمِ ، وَنَصِيبٍ مِنَ الْحِكْمَةِ ، وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَهْذُونَ بِمَا لَا يَعْلَمُونَ ، وَأَنَّ بِنَاءَ أَمْرِهِمْ عَلَى اللَّعِبِ وَاللَّهْوِ وَالْجَوْنِ .

فقلتُ : لو جُمِعَ كَلَامُ أَتَمَّتْهُمْ وَأَعْلَامُهُمْ لَزَادَ عَلَى عَشْرَةِ آلَافٍ وَرَقَةٍ عَمَّنْ نَقَفُ^(١) عَلَيْهِ فِي هَذِهِ الْبِقَاعِ الْمُتَقَارِبَةِ ، سِوَى مَا عِنْدَ قَوْمٍ آخَرِينَ لَا نَسْمَعُ بِهِمْ ، وَلَا يَبْلُغُنَا خَبَرُهُمْ . قَالَ : فَأَذْكُرُ لِي جَمَاعَةً مِنْهُمْ . قُلْتُ : الْجُنَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصُّوفِيُّ الْبَغْدَادِيُّ الْعَالِمُ ، وَالْحَارِثُ بْنُ أَسَدٍ الْمُحَاسِنِيُّ ، وَرُوَيْنُمُ ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْخَرَّازُ ، وَعَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ الْمَسْكِيُّ ، وَأَبُو يَزِيدَ الْبِسْطَامِيُّ ، وَالْفَتْحُ الْمَوْصِلِيُّ ، وَهُوَ الَّذِي سُمِعَ وَهُوَ يَقُولُ : إِلَى مَتَى تُرَدُّنِي فِي سِكَكِ الْمَوْصِلِ ، أَمَا أَنَّ لِلْحَبِيبِ أَنْ يَلْقَى حَبِيبَهُ ؟ فَمَاتَ بَعْدَ جُمُعَةٍ .

فَقَالَ : هَذَا عَجَبٌ ، وَلَقَدْ مَرَّ فِي هَذَا الْفَنِّ مَا كَانَ فَوْقَ حُسْبَانِي وَأَكْثَرُ تِمَّا كَانَ^(٢) فِي ظَنِّي ، وَكَمْ مِنْ شَيْءٍ حَقِيرٍ يُطَّلَعُ مِنْهُ عَلَى أَمْرٍ كَبِيرٍ .

وَقَالَ : أَنَشِدْنِي شَيْئًا ؛ فَأَنَشِدْتُهُ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

رَجَعْتُ عَلَى السَّفِيهِ بِفَضْلِ حِلْمِي وَكَانَ تَحَلَّمِي عَنْهُ لِحِجَامَا
وُظَنَ بِي السَّافَاةَ فَلَمْ يَجِدْنِي أَسَافَهُهُ وَقُلْتُ لَهُ : سَـلَامَا

(١) عَمَّنْ نَقَفَ ، أَيْ مَرْوِيَةٌ عَنْ نَقَفٍ ، وَفِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ عَلَى مَا نَقَفَ ، وَقَوْلُهُ عَلَى هَذَا لَا مَقْتَضَى لَهُ .

(٢) فِي (ب) : « وَأَكْثَرُ مِمَّا دَارَ فِي خُلْدِي » ؛ وَالْعَنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا .

فَقَامَ يَجْرُ رِجْلَيْهِ ذَلِيلًا وَقَدْ كَسَبَ الْمَذَلَّةَ وَاللَّامَا
وَفَضَّلُ الْحِلْمِ أَبْلَغُ فِي سَفِيهِ وَأُخْرَى أَنْ يَنَالَ بِهِ أَنْتَقَامَا

(٣)

فَقَالَ : مَا أَحَبَّ أَمْرَ الْعَرَبِ ، تَأْمُرُ بِالْحِلْمِ مَرَّةً ، وَالصَّبْرَ وَالسَّكْطَ مَرَّةً ، وَتَحُثُّ
بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى الْإِتِّصَافِ وَأَخَذِ الثَّأْرِ ، وَتَذُمُّ السَّفَهَ وَتَمَقِّعُ الْعَدُوَّ ! وَهَكَذَا شَأْنُهَا
فِي جَمِيعِ الْأَخْلَاقِ ؛ أَعْنَى أَنَّهَا رُبَّمَا حَضَّتْ عَلَى الْقَنَاعَةِ وَالصَّبْرِ وَالرِّضَا بِالْمَيْسُورِ ،
وَرُبَّمَا خَالَفَتْ هَذَا ، فَآخَذَتْ تَذَكُّرُ أَنْ ذَلِكَ فَسَالَةٌ وَنَقْصَانُ هِمَّةٍ وَلِينُ عَرِيكَةٍ
وَمَهَانَةُ نَفْسٍ ؛ وَكَذَلِكَ أَيْضًا تَحُثُّ عَلَى الْبَسَالَةِ ^(١) وَالْإِقْدَامِ وَالْإِنْتِصَارِ
وَالْحِمِيَّةِ وَالْجَسَارَةِ ؛ وَرُبَّمَا عَدَلَتْ ^(٢) إِلَى أَضْدَادِ هَذِهِ الْأَخْلَاقِ وَالسَّجَايَا
وَالضَّرَائِبِ وَالْأَحْوَالِ ؛ فِي أَوْقَاتٍ يَحْسُنُ فِيهَا بَعْضُهَا ، وَيَقْبَحُ بَعْضُهَا ، وَيُعْذَرُ
صَاحِبُهَا فِي بَعْضِهَا ، وَيُلَامُ فِي بَعْضِهَا ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الطَّبَائِعَ مُخْتَلِفَةً ،
وَالْعَرَائِزَ ^(٣) مُتَعَادِيَةً ؛ فَهَذَا يَمْدَحُ الْبُخْلَ فِي عُرْضِ الْحَزْمِ ، وَهَذَا يَحْمَدُ ^(٤)
الْاِقْتِصَادَ فِي جُمْلَةِ الْأَحْتِيَاطِ ، وَهَذَا يَذُمُّ الشَّجَاعَةَ فِي عُرْضِ طَائِبِ السَّلَامَةِ ؛
وَلَيْسَ فِي جَمِيعِ الْأَخْلَاقِ شَيْءٌ يَحْسُنُ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَفِي كُلِّ مَكَانٍ ، وَمَعَ كُلِّ
إِنْسَانٍ ، بَلْ لِكُلِّ ذَلِكَ وَقْتُ وَحِينٌ وَأَوَانٌ .

قَالَ : وَلَقَدْ مَرَى إِنَّ الْقِيَامَ بِحَقَائِقِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَخُدُودِهَا صَعْبٌ ، لِأَنَّهَا
لَا تَوْجَدُ إِلَّا مُتَلَابِسَةً وَمُتَدَاخِلَةً ، وَتَخْلِصُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا بِحَدِّهِ وَحَقِيقَتِهِ
وَوَزْنِهِ مِمَّا يُفَوِّتُ ذَرْعَ الْإِنْسَانِ الضَّعِيفِ الْمُنَّةِ ، الْمُنْتَبِثِ الطَّيْنَةِ .

قَالَ : وَمِنْهُ أَنَّ الْحَكِيمَ قَالَ لِلْإِسْكَندَرِ : « أَيُّهَا الْمَلِكُ أَرِدَ حَيَاتَكَ لِرِجَالِكَ ،

(١) فِي (١) : « الْفَسَالَةُ » ؛ وَفِي (ب) : الْفَسَالَةُ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ .

(٢) فِي (ب) : « عَدَلَتْ » .

(٣) فِي (١) : « وَالْقَرَائِنَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي (١) : « يَمْدَحُ » ؛ وَهُوَ تَكَرَّرَ مَعَ مَا سَبَقَ .

ولا تُرَدُّ رِجَالُكَ لِحَيَاتِكَ» ؛ ولو قَلَبَ عَلَيْهِ قَالِبٌ فَقَالَ : لا ، «ولَكِنْ أَرَدُ رِجَالَكَ لِحَيَاتِكَ ، ولا تُرَدُّ حَيَاتُكَ لِرِجَالِكَ» ، لَكَانَ الْفَضْلُ وَإِقَامًا ، والدَّعْوَى قَائِمَةً .
وكان يُحْكِمِي عن أَعْرَابِيٍّ حَدِيثَ مُضَحِكٍ : قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : أَرِيدُ أَنْ تُضَلِّبَ فِي مَصْلَحَةِ الْأُمَّةِ ؟ فقال : لا ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ ^(١) أَنْ تُضَلِّبَ الْأُمَّةُ فِي مَصْلَحَتِي .

قال : وليس يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ النَّاسُ مُخْتَلِفِينَ فِي ظَاهِرِهِمُ الْبُصُورِ وَالْحُلِيِّ حَتَّى يُعْرِفَ بِهَا زَيْدٌ مِنْ عَمْرٍو ، وَبَكْرٌ مِنْ خَالِدٍ ، وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِي بَاطِنِهِمْ حَتَّى يَكُونَ هَذَا مَطْبُوعًا عَلَى الشَّحِّ وَإِنْ مَدَحَ الْجُودَ ، وَهَذَا مُجْبُوعًا عَلَى الْبُخْبْنِ وَإِنْ تَشَبَّعَ لِلشَّجَاعَةِ ؛ وَلَيْسَ يَجُوزُ فِي الْحِكْمَةِ أَنْ يَكْثُرُوا وَلَا يَخْتَلِفُوا ^(٢) ، وَلَيْسَ يَجُوزُ أَيْضًا أَنْ يُضَمَّ الْجِنْسُ وَالنَّوْعُ وَلَا يَأْتَلِفُوا ؛ وَكُلٌّ مَا أَسَاغَتْهُ الْحِكْمَةُ أَهْرَزَتْهُ الْقُدْرَةُ ، وَكُلٌّ مَا جَادَتْ بِهِ الْقُدْرَةُ شَهِدَتْ لَهُ الْحِكْمَةُ ؛ فَسَبْحَانَ مَنْ لَهُ هَذَا التَّدْبِيرُ اللَّطِيفُ ، وَهَذَا الْعِزُّ الْغَالِبُ ، وَهَذَا السِّرُّ الْخَافِي ، وَهَذِهِ الْعَلَانِيَةُ الْبَادِيَةُ ، وَهَذَا الْفِعْلُ الْمُحْكَمُ ، وَهَذَا النَّفْعُ الْمُسْتَنْفَعُ .

وَحَكِيمٌ أَيْضًا فِي شَيْءٍ جَرَى ، قَالَ حَكِيمُ فَارِسٍ : قَدْ جَرَّبْنَا الْمُلُوكَ ، فَإِذَا مَلَكَانَا السَّمَحُ الْجَوَادُ جَادَتْ عَلَيْنَا السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ، وَإِذَا مَلَكَانَا الْبَخِيلُ نَخَلَتْ عَلَيْنَا السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ .

قال أبو سليمان : هَذَا إِذَا صَحَّ فَهُوَ شَاهِدُ الْفَيْضِ الْإِلَهِيِّ الْمُتَّصِلِ بِالْمَلِكِ السَّمْحِ ، وَنُضُوبِهِ عَنِ الْمَلِكِ الْبَخِيلِ ، لِأَنَّ الْمَلِكَ إِلَهٌ بَشَرِيٌّ .

وقال مرةً : مَا التَّمَنَّى ؟ — وَقَدْ كَانَ جَرَى مَا أَقْتَضَى السُّؤَالَ عَنْهُ — . (٤)

(١) فِي (ب) : «أُرِيدُ» .

(٢) رَوَايَةُ (ب) : «وَلَا يَخْتَلِفُوا فِي بَاطِنِهِمْ حَتَّى يَكُونَ مَطْبُوعًا» ؛ وَفِيهَا تَكَرُّرُ طَاهِرٍ .

فقلتُ : أَحْفَظُ نَصًّا لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ : إِنَّ التَّمَنِّيَ فَضْلُ حَرَكَةِ النَّفْسِ . فقال :
جَوَابُ رَشِيقٍ وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا إِلَى الْبَسْطِ .

(٥) فقال : هَاتِ مِنْ حَدِيثِ يُونَانَ شَيْئًا آخَرَ ، فقلتُ : قال أَرِسْطُوطَالِسُ :

لَوْ كُنَّا نَطْلُبُ الْعِلْمَ لَنَبْلُغَ غَايَتَهُ كُنَّا قَدْ بَدَأْنَا الْعِلْمَ بِنَقِيضِهِ ، وَلَكِنَّا نَطْلُبُهُ
لَنَنْقُصَ كُلَّ يَوْمٍ مِنَ الْجَهْلِ ، وَزَدَادَ كُلَّ يَوْمٍ مِنَ الْعِلْمِ .

(٦) قال : حَدَّثَنِي بِشَيْءٍ فِيهِ جَوَابٌ حَاضِرٌ ، وَلِلْبَدِيَّةِ فِيهِ وَقْدٌ ظَاهِرٌ .

فَحَدَّثْتُ أَنَّ رَجُلًا أَتَى الزُّهْرِيَّ فَسَأَلَهُ أَنْ يَحْدِثَهُ وَيَرْوِيَ لَهُ ؛ فَأَبَى عَلَيْهِ ،
فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْخُذْ بِالْمِيثَاقِ عَلَى الْجُهَالِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا حَتَّى أَخَذَ
الْمِيثَاقَ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ يُعَلِّمُوا ؛ فَقَالَ : صَدَقْتَ ، وَحَدَّثَنِي .

وَحَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو حَامِدٍ الْمَرْوُزِيُّ ؛ قَالَ : وَقَفَ سَائِلٌ مِنْ هَؤُلَاءِ
الْأُنْكَادِ عَلَيْنَا فِي جَامِعِ الْبَصْرَةِ فِي الْجُلُوسِ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَنْصُورِيِّ ، وَأَبْنُ
مَعْرُوفٍ ، وَأَبُو تَمَامٍ الزَّيْنِيُّ ، فَسَأَلَ وَأَلَحَّ ؛ فَقُلْتُ لَهُ مِنْ بَيْنِ الْجَمَاعَةِ — وَقَدْ
ضَجَرْتُ مِنْ إِلْحَاحِهِ وَصَفَافَةِ وَجْهِهِ — : يَا هَذَا : نَزَلَتْ بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ .
قَالَ : صَدَقْتَ ، وَلَكِنْ يُجِبُنِي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ . فَضَحِكَتِ الْجَمَاعَةُ ،
وَوَهَبْنَا لَهُ دَرَاهِمَ .

وَمِنَ الْجَوَابِ الْحَاضِرِ الْمُسْكِتِ الَّذِي حَزَّ السَّكِيمَ وَنَقَبَ الْفَوَادِ (١) مَا جَرَى
لَأَبِي الْحُسَيْنِ الْبَتِّيِّ (٢) مَعَ الشَّرِيفِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍ ، فَإِنَّ ابْنَ عَمْرٍ قَالَ لِلْبَتِّيِّ (٣) :
أَنْتَ وَاللَّهِ شِمَامَةٌ وَلَكِنَّا مَسْمُومَةٌ . فَقَالَ الْبَتِّيُّ (٤) عَلَى النَّفْسِ : لَسْكَنَكَ أَيُّهَا
الشَّرِيفُ شِمَامَةٌ مَسْمُومَةٌ ، عَطَّرْتَ (٥) الْأَرْضَ بِهَا ، وَسَارَتِ الْبُرْدُ بِذِكْرِهَا .

(١) فِي (ب) : « الْقَلْب » . (٢) فِي (ب) : « اللَّيْث » .

(٣) فِي نَسْخَةٍ « فَطَنْت » ؛ وَفِي نَسْخَةٍ أُخْرَى « وَطَلَّت » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كَلِمَاتِنَا
النَّاسِخِينَ ؛ وَسَبَاقُ السَّكَامِ يَقْتَضِي مَا أَتَيْنَاهُ .

وقال نصر بن سيار بخراسان لأعرابي : هل أتخمت قط ؟ قال : أما من طعامك وطعام أهلك فلا . فيقال : إن نصرًا حم من هذا الجواب أيًا ما ؛ وقال : لئيتني خربت ولم أفه بسؤال هذا الشيطان .

(٧) وجري حديث الذكور والإناث ، فقال الوزير : قد شرف الله الإناث بتقديم ذكرهن في قوله عروجل : (يهب لمن يشاء إناثًا ويهب لمن يشاء الذكور) فقلت : في هذا نظر ؛ فقال : ما هو : قلت قدّم الإناث - كما قلت - ولكن نكّر ، وآخر الذكور ولكن عرّب ، والتعريف بالتأخير أشرف من النكرة بالتقديم . ثم قال : هذا حسن . قلت : ولم يترك هذا أيضًا حتى قال : (أوزوؤهم ذكرًا وإناثًا) فجمع الجنس بالتذكير مع تقديم الذكران ، فقال : هذا مستوفى .

(٨) وقال : ما معنى كأس أنف ؟ فكان من الجواب أن يعقوب قال : يقال كأس أنف ، أي لم يشرب منها قبل ذلك ؛ وكذلك يقال : روضة أنف ، إذا لم يكن رعاها أحد .

وقال لقيط :

إنَّ الشَّوَاءَ وَالذَّشِيلَ وَالرُّغْفُ وَالْقَيْمَنَةَ الْحَسَنَاءَ وَالْكَأْسَ الْأَنْفُ

لِلطَّاعِنِينَ الْخَيْلَ وَالْخَيْلُ قُطْفُ

قال : ما الذشيل ؟ فإنَّ الشَّوَاءَ وَالرُّغْفُ مَعْرُوفَانِ : قلت : ما ضمته القدر من اللحم وغيره ، لأنه يُنْشَلُ وَيُغْرَفُ ؛ فقال : هذا باب إن ألححنا عليه جوع .

(٩) قال : مَا تَحْفَظُ فِي حَدِيثِ الْأَكْلِ ؟ قَالَتْ : الْأَكْلُ وَالذَّمُّ ^(١) .

وَمِنْ مَلِيحِهِ مَا حَضَرَنِي . قِيلَ لُجَمَيزٌ ^(٢) : مَا تَشْتَهَى ؟ قَالَ : بَسِيسٌ مَقْلِيٌّ
بَيْنَ غَلِيَانِ قُدُورٍ ، عَلَى رَائِحَةِ شِوَاءٍ ، بِجَنْبِ خَبِيصٍ . فَضَحَكَ — أَضْحَكَ
اللَّهُ سِتَّةً بِالْفَرَحِ وَالشُّرُورِ ، وَأَنْتَظَامَ الْأَحْوَالِ وَأَتَسَاقِ الْأُمُورِ — . وَقَالَ : هَاتِ
حَدِيثًا نَخْرُجُ بِهِ مِمَّا كُنَّا فِيهِ . فَقُلْتُ : كَتَبَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ إِلَى رُسْتَمَ
صَاحِبِ الْأَعَاجِمِ : إِسْلَامُكُمْ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ غَنَائِكُمْ ، وَتِلْكَ كُمْ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ
صُلْحِكُمْ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ رُسْتَمَ : أَنْتُمْ كَالذُّبَابِ إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَسَلِ فَقَالَ : مَنْ
يُوصِلُنِي إِلَيْهِ بِدِرْهَمَيْنِ ، فَإِذَا نُسِبَ فِيهِ قَالَ : مَنْ يُخْرِجُنِي مِنْهُ بِأَرْبَعَةٍ ، وَأَنْتَ
طَامِعٌ ، وَالطَّمَعُ سِيزِيدُكَ . فَأَجَابَهُ سَعْدٌ : أَنْتُمْ قَوْمٌ تَحَادُّونَ اللَّهَ وَتُعَانِدُونِ
أَنْفُسَكُمْ ، لِأَنَّكُمْ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ اللَّهَ يُرِيدُ أَنْ يَحُولَ الْمُلْكُ عَنْكُمْ إِلَى غَيْرِكُمْ ، وَقَدْ
أَخْبَرَكُمْ بِذَلِكَ حُكَمَاؤُكُمْ وَعُلَمَاؤُكُمْ ، وَتَقَرَّرَ ذَلِكَ عِنْدَكُمْ ، وَأَنْتُمْ دَائِمًا تَدْفَعُونَ
الْقَضَاءَ بِنَحُورِكُمْ ، وَتَتَلَقَّوْنَ عِقَابَهُ بِصُدُورِكُمْ ، هَذِهِ جُرْأَةٌ مِنْكُمْ وَجَهْلٌ فِيكُمْ ،
وَلَوْ نَظَرْتُمْ لَا بُصْرَتُمْ ، وَلَوْ أَبْصَرْتُمْ لَسَلِمْتُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ، وَلَمَّا
كَانَ اللَّهُ مَعَكُمْ كَانَتْ عَلَيْنَا رِيحُكُمْ ، وَالْآنَ لَمَّا صَارَ اللَّهُ مَعَنَا [صَارَتْ] رِيحُنَا
عَلَيْكُمْ ، فَأَنْجُوا أَنْفُسَكُمْ ، وَاعْتَنِمُوا أَرْوَاحَكُمْ ، وَإِلَّا فَأَصْبِرُوا لِحَرِّ السَّلَاحِ ، وَالْمِ
الْجِرَاحِ ، [وَخِزْيِ ^(٣) الْإِفْتِضَاحِ] ، وَالسَّلَامِ .

كَتَبَ حَدِيثُهُ إِلَى عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — . إِنَّ الْعَرَبَ

(١) يشير بهذه العبارة إلى قولهم في المثل : « آكلا وذما » في الشيء يؤكل وينم ؛ ذكره صاحب العقد ، ولم يرد في كتب الأمثال الأخرى .

(٢) في الأصل : « حمير » بالحاء والراء ؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا نقلنا عن عيون الأخبار وغيره .

(٣) في (١) : « والصفاء » مكان هذه الزيادة المنقولة عن (ب)

قَدْ تَغَيَّرَتْ أَلْوَانُهَا وَلِحُومُهَا . فَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى سَعْدٍ : ارْتَدَّ لِلْعَرَبِ مَنْزِلٌ لَا رَاحًا . فَأَرْتَادَ لَهُمُ السَّكُوفَةُ ، وَهِيَ بُقْعَةٌ خَضِبَاءُ ، وَرَمْلَةٌ حُمْرَاءُ ، فَقَالَ سَعْدٌ : اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاءِ وَمَا أَظْلَلَتْ ، وَالْأَرْضِ وَمَا أَقْلَتْ ، وَالرَّيْحِ وَمَا ذَرَّتْ ، بَارِكْ لَنَا فِي هَذِهِ السَّكُوفَةِ .

وَسَمِعَ عُمَرُ مُنْشِدًا يُنْشِدُ :

مَا سَأَسْنَا مِثْلَكَ يَا بَنَ الْخَطَّابِ أَبَرَ بِالْأَفْصَى وَبِالْأَضْحَابِ

بعد النبيُّ صاحبُ الكتابِ

فَنَخَسَهُ عُمَرُ وَقَالَ : أَيْنَ أَبُو بَكْرٍ وَبَيْتُكَ .

قَالَ عُمَرُ وَهُوَ بِمَكَّةَ : لَقَدْ كُنْتُ أَرْعَى إِبِلَ الْخَطَّابِ بِهَذَا الْوَادِي فِي مُدْرَعَةٍ صُوفٍ ، وَكَانَ فَظًّا يُتَعَبِّنِي إِذَا عَمِلْتُ ، وَيَغْرِبُنِي إِذَا قَصَّرْتُ ، وَقَدْ أُمْسَيْتُ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ أَحَدٌ ، ثُمَّ تَمَثَّلَ :

لَا شَيْءَ مِمَّا تَرَى تَبْقَى بِشَاسْتُهُ يَبْقَى الْإِلَهُ وَيُودِي الْمَالُ وَالْوَلَدُ

لَمْ تُغْنِ عَن هُرْمُزٍ يَوْمًا خَزَائِنُهُ وَالْخُلْدُ قَدْ حَاوَلَتْ عَادُ فَمَا خَلَدُوا

وَلَا سُلَيْمَانَ إِذْ تَسْرَى الرِّيَّاحُ بِهِ وَالْإِنْسُ وَالْجِنُّ فِيمَا كُفِّلُوا عُبْدُ

أَيْنَ الْمُلُوكُ الَّتِي كَانَتْ نَوَافِلُهَا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ إِلَيْهَا رَاكِبٌ يَفِدُ

حَوْضُ هُنَالِكَ مَوْرُودٌ بِلا كَذِبٍ لَا بَدَّ مِنْ وَرْدِنَا يَوْمًا كَمَا وَرَدُوا

وَقَالَ عُمَرُ : خَيْرُ الدَّوَابِّ الْحَدِيدُ الْفَوَادُ ، الصَّحِيحُ الْأَوْتَادُ .

وَقَالَ عُمَرُ : كَانَتِ الْعَرَبُ أُسْدًا فِي جَزِيرَتِهَا يَا كُلَّ بَعْضُهَا بَعْضًا ، فَلَمَّا

جَمَعَهُمُ اللَّهُ بِمُحَمَّدٍ لَمْ يَقُمْ لَهُمْ شَيْءٌ .

رَأَى رُسْتَمُ فِي النُّومِ أَنَّ النَّبِيَّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — أَخَذَ سِلَاحَ فَارِسَ
وَحَتَمَ عَلَيْهِ وَدَفَعَهُ إِلَى عُمَرَ ، فَارْتَاعَ رُسْتَمُ مِنْ ذَلِكَ ، وَآمَنَ أَنَّهُ هَالِكٌ .

وقال : أَنَشِدْنِي شَيْئًا ، فَأَنَشِدْتُهُ لِبَعْضِ آلِ أَبِي طَالِبٍ :

وَلَسْتُ بِمُذْعِنٍ يَوْمًا مُطِيعًا إِلَى مَنْ لَسْتُ آمِنُ أَنْ يَجُورَا
وَلَكِنِّي مَتَى مَا أَخْشَى مِنْهُ أَحَالِفُ صَارِمًا عَضْبًا ثَوُورَا
وَأَنْزِلُ كُلَّ رَايِسَةٍ بَرَّاحٍ أَكُونُ عَلَى الْأَمِيرِ بِهَا أَمِيرَا

وَأَنَشَدَنِي لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيَّيرِ ، وَلَقَدْ تُمَثَّلُ بِهِ :

إِنِّي لِمَنْ نَبْعَةٍ صُمِّمَ مَكَاسِرُهَا إِذَا تَقَادَحَتِ الْقَضَبَاءُ ^(١) وَالْعُشَرُ
وَلَا أَلِينَ لَغَيْرِ الْحَقِّ أَتْبَعُهُ حَتَّى يَلِينَ لَضِرْسِ الْمَاضِغِ الْحَجَرُ

وَحَدَّثَنِي أَنَّ الْمَأْمُونُ قَالَ : قَلِيلَ السَّمَةِ يَمْحُو كَثِيرَ الْحِلْمِ ، وَأَذَنِي الْأَنْتِصَارِ
يُخْرِجُ مَنْ فَضَّلَ الْأَغْتِفَارَ ، وَعَلَى طَالِبِ الْمَعْرُوفِ الْمَعْدِرَةُ ^(٢) عِنْدَ الْأُمْتِنَاعِ ،
وَالشُّكْرُ عِنْدَ الْأَصْطِنَاعِ ؛ وَعَلَى الْمَطْلُوبِ إِلَيْهِ تَعْجِيلُ الْمَوْعُودِ ، وَالْإِسْعَافُ
بِالْمَوْجُودِ .

(١) ورد هذا البيت في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الشعر دون (ب) هكذا :

إِلَى مَنْ سَمِعَ صَمًّا بِهَ كَاسِرُهَا أَوْ أَيْنَا رَحِمَ الْعَصْبَةِ وَالْقَشْرِ

وهو كما ترى مملوء بالتصحيف والتحريف في جميع كلماته تقريباً ؛ وقد بحثنا عن هذا الشعر في
المصادر التي بين أيدينا فلم نجد غير البيت الثاني ؛ وهو منسوب في مجموعة المعاني إلى عبد الله
ابن الزبير الأسدي ولم نأخذ في ترجمته ؛ وقد قلنا جميع كلمات هذا البيت على جميع ما احتمله
من الوجوه حتى استقام وزنه ومعناه على هذا الوحد الذي أثبتنا . والنبت : شجر تتخذ منه
أجود الرماح . وصم مكاسرها ، أي صلبة . ويقال : تقادح الشجر إذا كان رخوا ، فتي
حركته الريح حك بعضه بعضاً فأورى نارا فإذا أريد الانتفاع به في إيراد النار بعد لم يور .
والقصباء : جماعة القصب . والعشر : شجر تتخذ منه الزناد .

(٢) في (١) : المقدرة ؛ وهو تحريف .

فقال : مَنْ أَفْضَلُ هَؤُلَاءِ ؟ يَعْنِي بَنَى الْعَبَّاسُ . فَكَانَ الْجَوَابُ أَنَّ الْمَنْصُورَ أَتَقَدَّمُ^(١) ، وَالْمَأْمُونُ [أَتَجَدُّهُمْ] ، وَالْمُعْتَصِمُ أَتَجَدُّهُمْ ، وَالْمُعْتَصِدُ أَقْصَدُهُمْ .
فقال : كَذَلِكَ هُوَ . وقال : فَالْباقُونَ ؟ [قلت | ليس^(٢) فيهم بعد هَؤُلَاءِ . مَنْ يُوحِدُ
بِالذِّكْرِ ، لِأَنَّهُ فِي نَقْصِهِ وَزِيَادَتِهِ مُشَاكِلٌ لغيره . فقال : لِلَّهِ دَرْكٌ .

الليلة الخامسة والثلاثون

(١) وقال ليلة : مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْإِرَادَةِ وَالْأَخْتِيَارِ ؟ فَكَانَ مِنَ الْجَوَابِ أَنَّ كُلَّ
مُرَادٍ مُخْتَارٍ ، وَلَيْسَ كُلُّ مُخْتَارٍ مُرَادًا ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَخْتَارُ شُرْبَ الدَّوَاءِ الْكَرِيهِ
وَصَرْبَ الْوَلَدِ النَّجِيبِ وَهُوَ لَا يَرِيدُ ، وَيَخْتَارُ طَرَحَ مَتَاعِهِ فِي الْبَحْرِ [إِذَا أُلْجِئَ]^(٣)
وَهُوَ لَا يَرِيدُ ، وَهِيَ وَإِنْ كَانَا أَنْفَعًا لِبَيْنَ فَأَحَدُهُمَا — وَهُوَ الْاِخْتِيَارُ — لَا يَحْدُثُ
إِلَّا عَنْ جَوَلَانٍ وَتَنْقِيرٍ وَتَمْيِيزٍ ، وَالْآخِرُ — وَهُوَ الْإِرَادَةُ — يَفْجَأُ وَيَنْبَغَتُ^(٤) وَرَبَّمَا
سَحَلَ عَلَى طَلَبِ الْمُرَادِ بِالْكَرْهِ الشَّدِيدِ ؛ وَفِي عُرْضِ الْاِخْتِيَارِ سَعَةٌ لِلتَّمَكُّنِ ،
وَلَيْسَ ذَلِكَ فِي عُرْضِ الْإِرَادَةِ . وَالْعَرَبُ تَسْتَعْمَلُ الْإِرَاغَةَ فِي مَوْضِعِ الْإِرَادَةِ ،
وَالأَوَّلُ مِنْ رَاغٍ يَرُوغُ ، وَالثَّانِي مِنْ رَادٍ يَرُودُ ، وَالهَمْزَةُ مُجْتَلَبَةٌ لِلتَّعْدَى .

(٢) قال : فَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْحُبَّةِ وَالشَّهْوَةِ ؟ فَكَانَ الْجَوَابُ أَنَّ الشَّهْوَةَ أَلْصَقُ
بِالطَّبِيعَةِ ، وَالْحُبَّةُ أَضْدَرُّ عَنِ النَّفْسِ^(٥) الْفَاضِلَةِ ، وَهِيَ أَنْفَعُ لَالانَ ، إِلَّا أَنَّ أَحَدَ

(١) فِي (١) : « أَنْدَرُهُمْ » . وَلَمْ يَطْهَرْ مِنْهَا فِي (ب) غَيْرَ الْهَاءِ وَالْمِيمِ ؛ وَسَاوَرَهَا
مَطْمُوسٌ ؛ وَلَعَلَّ الصَّوَابَ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يَقْتَضِيهِ السَّجْعُ .

(٢) الَّذِي فِي (١) : « أَشْرَفُهُمْ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَبِلَاظْهُ أَنْ كَلِمَةُ « فِيهِمْ » غَيْرُ
مَوْجُودَةٍ فِي (ب) ؛ وَقَدْ أَثْبَتْنَا هَا أَخْذًا مِنْ قَوْلِهِ فِي (١) : « أَشْرَفُهُمْ » .

(٣) فِي الْأَدْوَلِ : « أَحَبُّ » . وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي (١) : « وَبِثَّتْ » ؛ وَفِي (ب) وَبِثَّتْ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كُلِّمَا النِّسْخَتَيْنِ .

(٥) فِي (١) : « الطَّبِيعَةُ » مَكَانَ « النَّفْسِ » .

الْأَنْفَعَا لَيْنِ أَشَدُّ تَأَثُّرًا ، وَهُوَ أَنْفَعَالُ الشَّهْوَةِ ، وَأَنَّهُ ^(١) يُقَالُ : شَهِيَ وَأَشْهَى ^(٢) ،
وَيُقَالُ فِي الْآخِرِ : حَبَّ وَأَحَبَّ ، وَيَتَدَاخَلَانِ كَثِيرًا بِالِاسْتِعْمَالِ ، لِأَنَّ اللَّغَةَ جَارِيَةً
عَلَى التَّوَسُّعِ ، كَمَا هِيَ جَارِيَةٌ عَلَى التَّضْيِيقِ ، وَمِنْ نَاحِيَةِ التَّضْيِيقِ فُزِعَ إِلَى التَّعْهِيدِ
وَالْتَّهْدِيدِ ، وَمِنْ نَاحِيَةِ التَّوَسُّعِ جُرِيَ عَلَى الْإِقْدَارِ وَالْإِخْتِيَارِ ^(٣) ، وَفِي غُرُضِ
هَذَيْنِ بِلَا آخَرَ ، لِأَنَّهُ بَيْنَ الْإِيجَازِ وَالِإِطْنَابِ ، وَبَيْنَ الْكِفَايَةِ وَالتَّصْرِيحِ ،
وَبَيْنَ الْإِيجَازِ ^(٤) وَالِإِطْنَاءِ . فَقَالَ : هَذَا بَابُ .

(٣) ثُمَّ نَاوَلَنِي رُقْعَةً بَخِطَّهَ فِيهَا مَطَالِبُ نَفْسَةٍ تَأْتِي عَلَى عِلْمٍ عَظِيمٍ ، وَقَالَ : بَاحِثٌ
عَنْهَا أَبَا سَلِيمَانَ وَأَبَا الْخَيْرِ وَمَنْ تَعَلَّمَ أَنَّ فِي مُجَارَاتِهِ فَائِدَةً مِنْ عَالِمٍ كَبِيرٍ ، وَمُتَعَلِّمٌ
صَغِيرٌ ، فَقَدْ يُوْجَدُ عِنْدَ الْفَقِيرِ بَعْضُ مَا لَا يُوْجَدُ عِنْدَ الْغَنِيِّ ، وَلَا تَخْفِزُ أَحَدًا فَاهٌ
بِكَلِمَةٍ مِنَ الْعِلْمِ ، أَوْ أَطَافَ بِجَانِبٍ مِنَ الْحِكْمَةِ ، أَوْ حَكَّمَ بِحَالٍ مِنَ الْفَضْلِ ؛ فَالْثَّمَنُ
مَعَادِنٌ ، وَحَصَلَ ذَلِكَ كُلُّهُ وَحَرَّرَهُ فِي شَيْءٍ وَجِئْتُ بِهِ ، وَكَانَ فِي الرُّقْعَةِ :

مَا النَّفْسُ ؟ وَمَا كَالُهَا ؟ وَمَا الَّذِي أُسْتَفَادَتْ فِي هَذَا الْمَكَانِ ؟ وَبَأَى شَيْءٌ
بَايَنْتَ الرُّوحَ ؟ وَمَا الرُّوحُ ؟ وَمَا صِفَتُهُ ؟ وَمَا مَنَفَعَتُهُ ؟ وَمَا الْمَانِعُ مِنْ أَنْ تَكُونَ
النَّفْسُ جِسْمًا أَوْ عَرَضًا أَوْ هُمًا ؟ وَهَلْ تَبْقَى ؟ وَإِنْ كَانَتْ تَبْقَى فَهَلْ تَعْلَمُ مَا كَانَ
الْإِنْسَانُ فِيهِ هَاهُنَا ؟ وَمَا الْإِنْسَانُ ؟ وَمَا حَدُّهُ ؟ وَهَلِ الْحَدُّ هُوَ الْحَقِيقَةُ ، أَمْ بَيْنَهُمَا
بَوْنٌ ؟ وَمَا الطَّبِيعَةُ ؟ وَهَلَّا أَغْنَى الرُّوحُ عَنِ النَّفْسِ ، أَوْ هَلَّا أَغْنَتْ النَّفْسُ عَنِ

(١) فِي كِلْتَا الْمَسْجُوتَيْنِ : « لِأَنَّهُ » وَالتَّعْلِيلُ هَا لَامْتَقَضَى لَهُ ؛ وَاعِلُ صَوَابِ الْعِبَارَةِ .
مَا أَثْبَتْنَا . (٢) لَمْ نَجِدْ فِي كِتَابِ اللَّغَةِ الَّتِي بَيْنَ أَبْدِينَا أَشْهَى بِمَعْنَى شَهَى ، أَيْ اشْتَهَى
كَمَا يَفِيدُهُ كَلَامُهُ . وَالَّذِي وَحَدَّثَنَا أَشْهَاهُ بِمَعْنَى أَعْطَاهُ مَا يَشْتَهَى ، لَا بِمَعْنَى اشْتَهَى .
(٣) فِي الْأَصُولِ : « وَالِاسْتِحْقَارِ » . وَهُوَ تَحْرِيفُ صَوَابِهِ مَا أَثْبَتْنَا .
(٤) فِي (١) : الْأَجْزَالُ وَالِإِطْنَابُ ؛ وَفِي (ب) وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ مَطْمُوسَةً الْحُرُوفِ
تَعَذَّرَ قِرَاءَتُهَا ؛ وَالِاسْيَاقُ يَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا أَخْذًا مِنَ الرَّسْمِ الْوَارِدِ فِي النَّسَخِ .

الروح ؟ وهلا كَفَتِ الطَّيِّبَةُ ؟ وما العقل ؟ وما أنحاؤه ؟ وما صَنِيعُهُ ؟ وهل يُعَقِّلُ الْعَقْلُ ؟ وهل تَتَنَفَّسُ النَّفْسُ ! وما مَرَّتَبَتُهُ (أَعْنَى الْعَقْلَ) عند الإله ؟ وهل يَنْفَعِلُ ؟ وهل يَفْعَلُ ^(١) ؟ وإن كان يَنْفَعِلُ وَيَفْعَلُ ^(٢) فَمَسْطُ الْفِعْلِ فِيهِ أَكْثَرُ مِنْ قِسْطِ الْأَنْفَعَالِ ؟ وما الْمَعَادُ الْمَشَارُ إِلَيْهِ ؟ أهو للإنسان ؟ أم لِنَفْسِهِ ؟ أم لهما ؟ وما الْفَرَقُ بَيْنَ الْأَنْفُسِ ، أَعْنَى نَفْسَ عَمْرُو وَزَيْدٍ وَبَكْرٍ وَخَالِدٍ ؟ ثم ما الْفَرَقُ بَيْنَ أَنْفُسِ أَصْنَافِ ^(٣) الْحَيَوَانَ ؟ وهل الْمَلَكُ حَيَوَانٌ ؟ فقد علمت أنه يقال له : حَيٌّ ، وهل فيه حياة ؟ وعلى أَىِّ وَجْهِ يُقَالُ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيٌّ وَالْمَلَكُ حَيٌّ وَالْإِنْسَانُ حَيٌّ وَالْعَرَسَ حَيٌّ ؟ وهل يُقَالُ : الطَّيِّبَةُ حَيَّةٌ ، وَالنَّفْسُ حَيَّةٌ ، وَالْعَقْلُ حَيٌّ ؟ فَإِنَّ هَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ شَاغِلٌ لِقَلْبِي ، وَجَائِمٌ فِي صَدْرِي ، وَمُعْتَرِضٌ بَيْنَ نَفْسِي وَفِكْرِي ؛ وَمَا أَحَبُّ أَنْ أَبْرَحَ بِهِ لِكُلِّ أَحَدٍ ، وَقَدْ بَيَّنَّنْتُهُ ^(٤) فِي هَذِهِ الرُّقْعَةِ ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تَعْرِضَهَا عَلَى أَبِي سُلَيْمَانَ فَاْمْعَلْ ، وَلَسْكَنَ لَا تَدَخُ خَطِيئَتِي عِنْدَهُ ، بَلْ اِنْسَخْهُ لَهُ ، وَحَصِّلْ مَا يُحِبُّكَ بِهِ ، وَيَعْدَعُ لَكَ بِحَقِيقَتِهِ ، وَلِاخْصَصْهُ ، وَزِنْهُ بِلَفْظِكَ السَّهْلِ وَإِفْصَاحِكَ الْبَيِّنِ ، وَإِنْ وَجَبَ أَنْ تُبَاحِثَ غَيْرَهُ فَاْمْعَلْ ؛ فَهَذَا هَذَا ؛ وَإِنْ كَانَ الرَّجُوعُ فِيهِ إِلَى الْكِتَابِ الْمَوْضُوعَةِ مِنْ أَجْلِهِ كَافِيًا ، فَلَيْسَ ذَلِكَ مِثْلَ الْبَحْثِ عَنْهُ بِاللِّسَانِ ، وَأَخَذِ الْجَوَابِ عَنْهُ بِالْبَيَانِ ، وَالْكِتَابُ مَوَاتٌ ، وَنَصِيبُ النَّازِلِ فِيهِ مَنْزُورٌ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ الْمَذَاكِرَةُ وَالْمُنَاطَرَةُ وَالْمُؤَاتَاةُ ^(٥) ، فَإِنْ مَا يُنَالُ مِنْ هَذِهِ أَغْضَى وَأَطْرَأَ ، وَأَهْنَأَ وَأَمْرَأَ ،

(١) في (١) : « يعمل » مكان « يفعل » في كلا الموضعين اللذين تحت هذا الرقم ؛

وهو تصحيف .

(٢) في (ب) : « أصحاب » مكان قوله « أصناف » ؛ وهو خطأ من الناسخ .

(٣) في (ب) : « نثرته » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضاً .

(٤) في نسخة « والموازاة » .

وأجعل هذه الخِدْمَةَ مُقَدِّمَةً على كُلِّ مُهِمٍّ لَكَ ، فَإِنِّي نَاطِرُكَ ، طَامِعًا فِي الْجَوَابِ الْمُقْنَعِ الشَّافِي .

فَعَرَضْتُهَا كَمَا رَسَمَ عَلَى أَبِي سُلَيْمَانَ وَقَرَأْتُهَا [عَلَيْهِ] ، وَتَمَهَّلْتُ فِي إِيرَادِهَا بِخُضْرَتِهِ ، فَلَمَّا فَهَمَهَا وَوَقَفَ عَلَيْهَا سَجَبٌ وَقَالَ : هَذِهِ مَسَائِلُ الْمُتَحَكِّمِينَ ^(١) ، وَطَلَبَاتُ الْمُدَلِّينَ ، وَأَقْتِرَاحَاتُ الْمُقْتَدِرِينَ ، وَمُنْهِيَةُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ .

قُلْتُ : هُوَ كَمَا قُلْتُ أَيُّهَا الشَّيْخُ ، وَلَا بَدَأَ مِنْ جَوَابٍ يُعَرِّضُ عَلَيْهِ يَأْتِي عَلَى بَعْضِ مَأْرَبِ النَّفْسِ ، وَإِنْ لَمْ يَأْتِ عَلَى قَاصِيَةِ مَا فِي الْمَطْلُوبِ ، فَقَالَ كَلَامًا كَثِيرًا وَاسِعًا أَنَا أَخْصِيهِ عَلَى وَجْهِهِ مِنْ طَرِيقِ الْمَعْنَى ، وَإِنْ انْحَرَفْتُ عَنْ أَعْيَانِ لَفْظِهِ ، وَأَسْبَابِ نَظْمِهِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ إِمْلَاءً وَلَا نَسْخًا ، وَاجْتَهَدْتُ أَنْ أَلْزِمَ مَتْنَ الْمُرَادِ ، وَسَمَّيْتُ الْمَقْصُودَ — إِنْ شَاءَ اللَّهُ — [عِزَّ وَجَلَّ] .

(٤) قَالَ : أَمَّا قَوْلُهُ : مَا النَّفْسُ ، فَإِنَّ التَّحْدِيدَ يُعْوِزُ ، وَالرَّسْمَ لَا يَشْفِي ، وَالْوَصْفَ مُقْصَرٌّ عَنِ الْغَايَةِ ، لِأَنَّهَا لَيْسَ لَهَا جِنْسٌ وَلَا فَصْلٌ فَيَنْشَأُ الْحَدُّهُمَا [وَمِنْهُمَا] ؛ وَالْأَسْمُ الشَّائِعُ — أَعْنَى النَّفْسُ — أَخْصَصُ إِلَى الْمَطْلُوبِ ، وَأُخْصِرُ لِلْمَقْصُودِ مِنَ التَّحْدِيدِ ، وَلِهَذَا مَا أَخْتَلَفَ النَّاسُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا فِي حَدِّهَا ؛ فَقَالَ قَائِلٌ : النَّفْسُ رِمَزَاجُ الْأَرْكَانِ . وَقَالَ قَائِلٌ : النَّفْسُ تَأَلَّفُ الْأُسْطَقُصَاتِ ؛ وَقَالَ قَائِلٌ : النَّفْسُ عَرَضٌ ^(٢) مُحَرَّكٌ ^(٣) بِذَاتِهِ . وَقَالَ قَائِلٌ : النَّفْسُ هَوَائِيَّةٌ . وَقَالَ قَائِلٌ : النَّفْسُ رُوحٌ حَارَّةٌ . وَقَالَ قَائِلٌ : النَّفْسُ طَبِيعَةٌ دَائِمَةٌ الْحَرَكَةِ . وَقَالَ قَائِلٌ : النَّفْسُ تَعَامٌ لَجِسْمٍ طَبِيعِيٌّ ذِي حَيَاةٍ . وَقَالَ قَائِلٌ : النَّفْسُ جَوْهَرٌ لَيْسَ بِجِسْمٍ مُحَرَّكٌ

(١) فِي كَلَا الْأَصْلِينَ : « الْمُتَحَكِّمِينَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي كَلَامِ السَّجَتَيْنِ « عَدَدٌ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ السَّكَلَامُ .

(٣) فِي (ب) : « مُتَحَرِّكٌ » .

لِلبَدَن . وعلى هذا ؛ ولعلَّ آخَرِينَ يقولون في تَحْدِيدِهَا وَنَعْتِهَا أَقْوَالاً أُخَرُ لِأَنَّ الْمَلْحُوطَ^(١) بَسِيطَ وَالْمَدْرُوكَ بَعِيدَ ، وَالنَّازِلِينَ كَثِيرُونَ ، وَالْبَاحِثِينَ مُخْتَلِفُونَ ، وَالكَثْرَةُ فَاتِحَةُ الْأَخْتِلَافِ ، وَالْأَخْتِلَافُ جَالِبٌ لِلْحَيْرَةِ ، وَالْحَيْرَةُ خَانِقَةٌ لِلْإِنْسَانِ ، وَالْإِنْسَانُ ضَعِيفُ الْأَسْرِ^(٢) ، مَحْدُودُ الْجُمْلَةِ ، مُحْصُورُ التَّفْصِيلِ ، مَقْصُورُ السَّعْيِ ، مَمْلُوكُ الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ ، غِشَاوُهُ كَثِيفٌ ، وَبَاعُهُ قَصِيرٌ ، وَفَائِئُهُ^(٣) أَكْثَرُ مِنْ مُدْرَكِهِ ، وَدَعْوَاهُ أَحْضَرُ مِنْ بُرْهَانِهِ ، وَخَطْوُهُ أَكْثَرُ مِنْ صَوَابِهِ ، وَسُؤَالُهُ أَظْهَرُ مِنْ جَوَابِهِ ، فَعَلَى هَذَا كُلِّهِ الْأَعْتَرافُ بِهَا — أَعْنِي بِالنَّفْسِ وَبِوَجْدَانِهَا — أَسْهَلُ مِنَ الْفَحْصِ عَنْ كُنْهَيْهَا وَرُؤُوسَاتِهَا .

قال : وَإِنَّمَا صَعُبَ هَذَا لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يُرِيدُ أَنْ يَعْرِفَ النَّفْسَ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ النَّفْسَ إِلَّا بِالنَّفْسِ ، وَهُوَ مُحْجُوبٌ عَنْ نَفْسِهِ بِنَفْسِهِ ؛ وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا فَالْأَمْرُ أَنَّ كُلَّ مَنْ كَانَتْ نَفْسُهُ أَضْفَى وَنُورُهُ أَشْعَى ، وَنَظَرُهُ أَعْلَى ، وَفِكْرُهُ أَثْقَبَ ، وَلَحْظُهُ أَبْعَدَ ، كَانَ مِنَ الشُّكِّ أَنْجَى ، وَعَنِ الشُّبْهِهَةِ أَنْأَى ، وَإِلَى الْيَقِينِ أَقْرَبَ ؛ وَالْإِنْسَانُ ذُو أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ ، مِنْ جُمْلَتِهَا نَفْسُهُ ، فَلِكَثْرَةِ مَا هُوَ بِهِ كَثِيرٌ يَعْجِزُ عَنْ إِدْرَاكِ مَا هُوَ بِهِ وَاحِدٌ ، أَيْ إِنْسَانٌ ، وَكَيْفَ لَا يَكُونُ هَذَا التَّعَوُّتُ حَقًّا ، وَهَذَا الْمَقُولُ صِدْقًا ، وَهُوَ مُرَكَّبٌ فِي مَرْكَبٍ ، وَالنَّفْسُ مُبْسُوطَةٌ ، وَإِنَّمَا فِيهِ جُزْأٌ يَسِيرُ وَنَصِيبٌ قَلِيلٌ مِنْ ذَلِكَ الْبَسِيطِ ، فَكَيْفَ يُدْرِكُ بِجُزْءٍ مِنْهَا كُلَّهَا وَبِقَلِيلٍ مِنْهَا جَمِيعُهَا^(٤) ؛ هَذَا مُتَعَدِّدٌ إِنْ لَمْ يَكُنْ مُحَالًا ، وَبَعِيدٌ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَعْدُومًا ؛

(١) في كلا الأصلين : « المخلوط » ... و « المذكور » ؛ وفي كلتا الكلمتين تصحيف وقلب ، صوابه ما أنبتنا كما يقتضيه السياق .

(٢) الأسر : القوة . وفي (ب) : « الأس » بضم الهمزة وتشديد السين ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا . (٣) في كلا الأصلين « وفائئته » ؛ وهو تحريف .

(٤) وودت هذه الكلمة في كلتا النسختين مهملة الحروف من القبط مطموس بعض حروفها والسياق يقتضى ما أنبتنا .

ويكفي أن تعلم أن النفس قوة إلهية واسطة بين الطبيعة المصروفة للأسطوانات والعناصر المهيمنة، وبين العقل المنير لها، الطالع عليها، الشائع فيها، المحيط بها؛ وكما أن الإنسان ذو طبيعة، لأنارها الظاهرة في بدنه [كذلك هو ذو نفس، لأنارها الظاهرة في آرائه] وأبحاثه، ومطالبه ومآربه؛ وكذلك هو ذو عقل لتمييزه وتصفحه، واختباره وفحصه واستنباطه، وبقينه وشكّه، وعلمه وظنّه^(١)، وهمة ورويته وبديته وذكره، وذهنه وحفظه وفكره، وحكمته وثقته وطمأنينته؛ وكذلك هو ذو اعتراف بالأحد^(٢) الذي لا سبيل إلى جحده، والبراء من هويته، وكيف يجد أثر الجحد، أو يحس بآسية من الشك؟ وسنخه ينبو عن ذلك، وفطرته تأباه، ولهذا النبوء والإباء^(٣) يفزع إليه، ويتوكل عليه، ويطلب الفرج من عنده، ويلتمس الخير من لدنه، فأنظر إلى هذه السلسلة الوثيقة التي لا يفصمها شيء لا في زمان ولا في مكان، ولا في يقظة ولا في منام؛ فهذا هذا؛ وفيه مقنع.

وأما فعل النفس، فقد وضع أنه إثارة العلم من مظانه؛ وأستخلاصه من العقل بشهادته، مع إفادات لها آخر، وإنالات منها جلية عند الإنسان، بها يقال ما يكمل به، وبكماله يجد السعادة، وبسعادته ينجو من شقوته.

وأما قوله: ما الذي استفادت في هذا المكان، فإنها أفادت وما استفادت، (٥) إلا أن تجعل إفادتها للقابل منها استفادة لها؛ وفي هذا تجويز ظاهر، ولا يقال للشمس إذا طلعت على بساط الأرض والعالم: ما الذي استفادت. ولكن

(١) في (ب) : « وفطنه » .

(٢) في كلا الأصلين « بالحد » ؛ وهو تحريف ؛ وسياق الكلام الآتي يقتضي ما أثبتنا . ويريد بالأحد الله تعالى .

(٣) في (١) : « البنون والآباء » ؛ وهو تحريف في كلا اللفظين .

يقال : ما الذى أفادت . فنعلم حينئذ بالبيان أنها أفادت أشياء كثيرة ، صوراً مختلفة ، ومنافع جمة بالقصد الأول ؛ وأما القصد الثانى فأضداد هذه ، وهذا القصد مفروض باللفظ ليكون معيناً على تبليغ الحكمة إلى أهلها .

وأما قوله : بأى شىء باينت النفس الروح فهو ظاهر ، وذلك أن الروح (٦) جسم يضمف ويقوى ، ويصلح ويفسد ، وهو واسطة بين البدن والنفس ، وبه تفيض النفس قواها على البدن ، وقد يحس ويتحرك ، ويأكل ويتألم ؛ والنفس شىء بسيط على الرتبة ، بعيد من الفساد ، منزّه عن الاستحالة .

وأما المانع أن تكون النفس جسماً [فللبساطة التى وجدت للنفس ولم توجد للجسم ؛ وبيان هذا أن كل نعت أطلق على الجسم زهت عنه النفس ، وكل نعت أطلق على النفس نبا عنه الجسم ؛ فذاك كان المانع من ذلك . وقد أتت مذاكرة فى النفس منذ ليالٍ بشرح مغلّ ، وبيان تام ، إلا أن هذا المكان أحوج إلى الإلمام ، ولم يأت على ما فى النفس . وإذا بطل أن تكون النفس جسماً فهى بالأ لا تكون عرضاً أقمن وأخلق ، لأنه لا قوام للعرض بنفسه .

وأما قوله : وهل تبقى ؟ فكيف لا تبقى وهى مبسوطة لا يدخل عليها (٧) ضد ، ولا يدب إليها فساد ، ولا يصل إلى شىء منها بلى . والإنسان إنما يبلى ويفسد ويخلق وينبطل ويموت ويفقد ، لأنه يفارق النفس ، والنفس تفارق ماذا حتى تكون فى حكم الإنسان بشكله ؟ ولو كانت كذلك كانت لعمري تموت وتبلى ، فأما والإنسان بها كان حياً وجب ألا يكون حكمها حكم الإنسان .

وأما قوله : أو هما ، فقد بان أن النفس متى لم تكن جسماً ولا عرضاً على حدة أنها لا تكون أيضاً بهما نفساً ، لأن البينونة التى منعت فى الأول هى

الَّتِي تَمْنَعُ فِي الثَّانِي ، وَلَيْسَتْ النَّفْسُ وَالْعَرَضُ كَالْخَلِّ وَالشُّكْرُ حَتَّى إِذَا جُمِعَ بَيْنَهُمَا كَانَ مِنْهُمَا شَيْءٌ آخَرُ ، لِأَنَّ الْجِسْمَ وَالْجِسْمَ إِذَا اخْتَلَطَا كَانَ مِنْهُمَا شَيْءٌ مَا ، لَهُ قَوَامٌ مَا ، وَإِنَّ ذَلِكَ الْقَوَامَ مُسْتَلٌّ مِنْهُمَا ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ الْبَسِيطُ وَغَيْرُ الْبَسِيطِ ، فَهَذَا هَذَا .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : وَهَلْ تَفْنَى ، وَقَدْ بَانَ أَنَّهَا تَبْقَى وَلَا تَفْنَى ، وَلَيْسَ يَطْرَأُ عَلَيْهَا مَا يُفْنِيهَا ، لِبَسَاطَتِهَا وَبُعْدِهَا مِنَ التَّرَكِيبِ الْعَجِيبِ [الْمَعْرُضِ] لِلتَّحْلُلِ .
وَأَمَّا قَوْلُهُ : وَهَلْ تَعْلَمُ مَا كَانَ فِيهِ الْإِنْسَانُ هَاهُنَا ، وَإِنَّ هَذَا بَعِيدٌ مِنَ الْحَقِّ لِأَنَّهَا قَدْ وَصَلَتْ إِلَى مَعْدِنِ الْكَرَامَةِ وَجَنَّةِ الْخُلْدِ ، فَلَا حَاجَةَ بِهَا إِلَى عِلْمِ الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ الَّذِي لَا تَبَاتَ لَهُ وَلَا صُورَةٌ ، لَغَلَبَةِ الْحَيُولَةِ عَلَيْهِ ، وَتَذَكُّرِ الْحَيُولَةِ حَيُولَةٍ ، وَذَلِكَ دَلِيلُ النِّقْصِ ، وَأَعْتَاضُ الْأَلَمِ ، وَلَوْ أَنَّ إِنْسَانًا نُقِلَ ^(٢) مِنْ كَرْبٍ حَبْسٍ ضَيِّقٍ إِلَى رَوْضٍ بُسْتَانٍ نَاضِرٍ بِهِيجٍ مُوْنِقٍ ، ثُمَّ تَذَكَّرَ مَا كَانَ فِيهِ فِي حَالِ مَا هُوَ عَلَيْهِ لَكَانَ ذَلِكَ مُؤْذِنًا لِنَفْسِهِ ، وَكَارِبًا لِقَلْبِهِ ، وَقَادِحًا فِي رُوحِهِ ، وَآخِذًا مِنْ حُبُورِهِ وَغَبِطَتِهِ ، وَمُذْخِلًا لِلتَّنْفِيسِ عَلَيْهِ فِي نَشْوَتِهِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : وَمَا الْإِنْسَانُ ، فَالْإِنْسَانُ هُوَ الشَّيْءُ الْمَنْظُومُ بِتَدْيِيرِ الطَّبِيعَةِ الْمَادَّةِ الْخُصُوصَةِ بِالصُّوَرِ الْبَشَرِيَّةِ ، الْمُوَيَّدُ بِنُورِ الْعَقْلِ مِنْ قِبَلِ الْإِلَهِ ؛ وَهَذَا وَصْفٌ يَأْتِي عَلَى الْقَوْلِ الشَّائِعِ عَنِ الْأَوَّلِينَ إِنَّهُ حَتَّى نَاطِقٌ مَائِتٌ [أَيْ حَيٌّ] مِنْ قِبَلِ الْحِسِّ وَالْحَرَكَةِ ، نَاطِقٌ مِنْ قِبَلِ الْفِكْرِ وَالتَّمْيِيزِ ، مَائِتٌ مِنْ قِبَلِ السَّيْلَانِ وَالْأَسْتِحَالَةِ ، فَمِنْ حَيْثُ هُوَ حَيٌّ شَرِيكَ الْحَيَوَانِ الَّذِي هُوَ جَنْسُهُ ، وَمِنْ حَيْثُ هُوَ مَائِتٌ هُوَ شَرِيكَ مَا يَتَبَدَّلُ وَيَتَحَلَّلُ ، وَمِنْ حَيْثُ هُوَ نَاطِقٌ هُوَ

٨)

(١) فِي الْأَصُولِ : « وَهَلْ تَبْقَى » ؛ وَهُوَ تَصْغِيفٌ إِذْ قَدْ سَبَقَ هَذَا السُّؤَالُ .

(٢) فِي (ب) : « نَجَا » .

إنسان عاقلٌ حَصيفٌ ، ومن حيث يبلغ إلى مُشاكهة العَلَكِ بقوة الاختيار البَشَرِيَّ ، والنورِ الإلهي ، — أعنى يُنَعَتُ^(١) في حياته هذه التي وَهَبَتْ له بَدْءًا ، بصحة العقيدة وصلاحِ العملِ وصِدْقِ القَوْلِ — هو مَلَكٌ ، فإن لم يكن مَلَكًا فهو جامع لصفاته ، ومالكٌ لِحِلْمَتِهِ ، ولَمَّا كان جنسه مُشتملاً على التفاوتِ الطَّوِيلِ العَرِيضِ ، كان نوعه مُشتملاً على التفاوتِ الطويل العريض ؛ ومن كان نوعه كذلك كانت آحاده كذلك ، وكما أَنَّ الجنسَ يَرْتَقِي إلى نوعٍ كاملٍ ، كذلك النوعُ يَرْتَقِي إلى شَخْصٍ كاملٍ .

وأما قوله : هل الحدُّ هو الحقيقة ، أو بينهما بَوْنٌ ، فإنَّ الحدَّ راجعٌ إلى (٩) واضعه ومُنَقَّصِيهِ^(٢) بدلالة أَنَّهُ بَصْعُهُ وَيُفَصِّلُهُ^(٣) ، ويُحْلِصُهُ وَيُسَوِّيهِ وَيُضْلِحُهُ . فأما الحقيقة فهي الشيء وبها هو ما هو ، حدّه صاحبه أم لم يحدّه ، رَسَمَهُ قاصده أم لم يرسمه ، فليحفظ الحقيقة عَيْنُ الشيء [وموضوع الحدِّ ليس هو عين الشيء] .

وأما قوله : وما الطبيعة ، فهي أيضاً قوةٌ نفسيةٌ ، فإن قلتَ عَقْلِيَّةٌ لم تُبْعِدْ ، (١٠) وإن قلتَ إلهيةٌ لم تُبْعِدْ ، وهي التي تَسْرِي في أثناء هذا العالمِ مُحَرِّكَةٌ وَمُسَكِّنَةٌ ، ومُجَدِّدَةٌ ومُبْلِيَّةٌ ، ومُنْشِئَةٌ ومُبِيدَةٌ ، ومُحْيِيَّةٌ ومُيْتِنَةٌ ، وتصاريفها ظَاهِرَةٌ للاحسّائسِ ، وهي آخِرُ الخُلَفَاءِ في هذا العالمِ ، وهي بالموادِّ أَعْلَى ، والموادِّ لها أَغْشَقُ ؛ وليس لها تَرَقُّى النَّفْسِ في الثَّانِي^(٤) إلى عالمِ الرُّوحِ ، لأنَّهُ لَا كَوْنَ هُنَاكَ وَلَا فَسَادَ ، وَلَوْ رَقِيَتْ إلى هُنَاكَ لَبَقِيَتْ عَاطِلَةً ، وليس كذلك النفسُ ،

(١) في (١) : « يقين » ؛ وفي (ب) : « يقين » ؛ وهو تحريف في كلتا النسختين

ولعل الصواب ما أثبتنا . (٢) في كلتا النسختين « ومقتضيه » ؛ وهو تحريف لا معنى

له في هذا الموضع . (٣) في كلتا النسختين : « ويبطله » . وهو تحريف .

(٤) في الثاني أى في العالم الثاني .

فإن لها في عالمها البَهْجَةَ والنَبْطَةَ ، والجُبُورَ والشُرُورَ ، والدَّوَامَ والتخلُّودَ
والخِلَافَةَ الإلهِيَّةَ ، وهذا هُنَاكَ في مُقَابَلَةِ مَا كَانَ لَهَا هَاهُنَا مِنَ الْفَضَائِلِ الَّتِي لَا يَأْتِي
عَلَيْهَا إِحْصَاءٌ ، وَلَا يَحْصُلُهَا أَسْتِقْصَاءٌ .

(١١) وَأَمَّا قَوْلُهُ : وَهَلَّا أَعْنَى الرُّوحَ عَنِ النَّفْسِ . فَهُوَ يُغْنِي عَنْهَا ، وَلَكِنْ فِي
جِنْسِ الْحَيَوَانِ الَّذِي لَمْ يَكْمُلْ فَيَكُونُ إِنْسَانًا . فَأَمَّا فِي الْإِنْسَانِ فَلَا ، لِأَنَّ
الْإِنْسَانَ بِالنَّفْسِ هُوَ إِنْسَانٌ لَا بِالرُّوحِ ، وَإِمَا هُوَ بِالرُّوحِ حَتَّى تُغْشَبَ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : وَهَلَّا أَعْنَتِ النَّفْسُ عَنِ الرُّوحِ ، فَإِنَّ الرُّوحَ كَالْآلَةِ لِلنَّفْسِ
حَتَّى يَنْفَعِدَ تَدْبِيرُهَا بِوَسَاطَتِهِ فِي صَاحِبِ الرُّوحِ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِعَجْزِ النَّفْسِ ،
وَلَكِنْ لِعَجْزِ مَا يَنْفَعِدُ فِيهِ التَّدْبِيرُ ، وَإِذَا حَقَّقَ هَذَا الرَّمْزُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ عَجْزٌ
لِأَنَّهُ نِظَامٌ مُوجُودٌ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ ، وَصُورَةٌ قَائِمَةٌ عَلَى هَذَا النِّظَامِ ، فَلَيْسَ
لِأَحَدٍ أَنْ يُعَلِّلَ ذَلِكَ بِلَمْ وَلَا بِكَيْفٍ إِلَّا مِنْ طَرِيقِ الْإِفْتِنَاعِ .

(١٢) وَأَمَّا قَوْلُهُ : هَلَّا كَفَّتِ الطَّبِيعَةُ . فَقَدْ كَفَّتْ فِي مَوَاضِعِهَا الَّتِي لَهَا الْوِلَايَةُ
عَلَيْهَا مِنْ قَبْلِ النَّفْسِ ، كَمَا كَفَّتِ النَّفْسُ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَهَا عَلَيْهَا الْوِلَايَةُ مِنْ
قَبْلِ الْعَقْلِ ، كَمَا كَفَّى الْعَقْلُ فِي الْأُمُورِ الَّتِي لَهُ الْوِلَايَةُ عَلَيْهَا مِنْ قَبْلِ الْإِلَهِ ؛ وَإِنْ
كَانَ مَجْمُوعُ هَذَا رَاجِعًا إِلَى الْإِلَهِ فَإِنَّهُ فِي التَّفْصِيلِ مُحْفُوظُ الْخُدُودِ عَلَى أَرْبَابِهَا ؛
وَهَذَا كَالْعَلِكِ الَّذِي لَهُ فِي بِلَادِهِ جَمَاعَةٌ فَيَصْدُرُونَ عَنْ رَأْيِهِ ، وَيَنْتَهَوْنَ إِلَى أَمْرِهِ ،
وَيَتَوَخَّوْنَ فِي كُلِّ مَا يَفْقَدُونَهُ وَيَحْلُوْنَهُ ، وَيَنْقُضُونَهُ وَيُبْرِمُونَهُ ، مَا يَرْجِعُ إِلَى
وَفَاقِهِ ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْهُ وَلَهُ وَبِأَمْرِهِ ، وَقَدْ كَفَاهُ أَوْلَئِكَ الْقَوْمُ ذَلِكَ كُلَّهُ .

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : فَكَيْفَ مَثَلَتْ سِيَاسَةً إِلَهِيَّةً سِيَاسَةً بَشَرِيَّةً ، وَأَيْنَ هَذِهِ
مِنْ تِلْكَ ؟

فالجواب أن البشر المسكين لم يجد هذه السياسة من تلقاء نفسه ولا بما هو به مهين ضعيف عاجز مسكين ؛ بل عما فاض عليه من تلك القوى وتلك الشؤر ، وهو إذا أبرز شيئاً أبرز على مثال تلك ، لأنه قد أعطى القالب ، فقد سهل عليه أن يفرغ فيه ، وهب له الطابع ، فهو يحتج به ؛ وهي على ذلك فهو يجري عليه ، وهذا سوق إلهي وإن كان الأنسياق^(١) بشرية ، ونظم ربوبي وإن كان الانتظام إنسياء ؛ وفي الجملة إحدى السياستين ، أعنى البشرية هي ظل للأخرى ، أعنى الإلهية ، والسفليات مُنْقَذَةٌ مُنْفَعِلَةٌ للعلويات ، والعلويات مُسْتَوِيَاتٌ على السفليات ، بحق العدل وما هو مقتضاها ، ولأن هذه فواعل ، أعنى العلويات ، وتلك فوابعل ، أعنى المنفعلات ، ووجب ذلك لأن الصورة في الفاعل أغلب ، والهيولى في القابل أغلب ، والعالمان متواصلان ، والسياستان متماثلتان ، والسيرتان متعادلتان ، والتدبيران متقابلان ، واسكن التدبير إذا نفذ في السفلى يسمي بشرياً ، وإذا نفذ في العلوى يسمي إلهياً ، وإن كانا في التحقيق إلهيين ، وإنما اختلفا بحسب الصدور والورود ، والفصول والوصول ، والشخص^(٢) والبلوغ ؛ والعادة جارية بأن يشبه الإنسان شيئاً من الأشياء بالشمس والقمر ، ولا يشبه الشمس والقمر بشيء آخر ، لأن للأعلى النقت الأول ، وللأسفل النقت الأزذل ؛ فهذا كما ترى .

وأما قوله : وما العقل ، وما أنحاء ، وما صنيعة . فإن الجواب عن هذا (١٣) لو وقع^(٣) في خلد كثير ، لكان محمولاً على التقصير ، وكذلك فيما تقدم ؛ ولكن

(١) في كلتا النسخين « الاشتياق » بالشين المعجمة ؛ وهو تصحيف .

(٢) يريد بالشخوص هنا الارتمال ، وهو في مقابلة البلوغ .

(٣) في كلتا النسخين « أنه لو وقع » . والظاهر أن قوله « أنه » زيادة من الناسخ .

هذا مكان قد أُفْتُرِحَ فيه الإيجازُ والتَّقريبُ ، وهذان لا يكونان إلا بِحَذْفِ الزَّوائدِ المُفِيدَةِ ، وإلا بَتَفَرِيقِ العَلَائِقِ المُوضَّحَةِ . و بعد ، فالعقل أيضًا قوَّةُ إلهيَّة [أَبْسَطُ من الطَّبيعة قوَّةُ إلهيَّة] أَبْسَطُ من الأسْطَقْسَاتِ ، وكما أَنَّ الأسْطَقْسَاتِ أَبْسَطُ من المركَّباتِ ؛ وعلى هذا حتَّى تَنْتَهِيَ المركَّباتُ إلى مُرَكَّبٍ في الغاية ، كما بلغت المبسوطات إلى مَبْسُوطٍ في النهاية ؛ فَالْتَقَى الطَّرَفَانِ على ما يقال له : كُلٌّ ، فلم يكن بعد ذلك مَطْلَبٌ لا في هَذَا الطَّرَفِ ولا في هَذَا الطَّرَفِ ؛ والعَقْلُ هو خليفة الله ، وهو القابل للفيض الخالص الذي لا شَوْبَ فيه ولا فُذْيَ ؛ وإن قيل : هو نُورٌ في الغاية لم يكن بِبَعِيدٍ ، وإن قيلَ بَأَنَّ أَسْمَهُ مُعْنٍ عن نَفْعِهِ لم يكن بِمُنْكَرٍ ؛ وإِنَّمَا عَجَّرْنَا عن تَحْدِيدِ هَذِهِ البَسَائِطِ لِأَنَّا حَاوَلْنَا عِنْدَ عِلْمِهَا ^(١) أَنْ تَكُونَ في صورة المركَّباتِ أو قَرِيبَةً مِمَّا ، وَأَنْ تَصِيرَ لَنَا أَصْنَافًا نَتَمَسَّلُهَا وَنُوكِّلُهَا ^(٢) ؛ وَهَذَا مِنَّا تَعَجُّرٌ مُرْدُودٌ عَلَيْنَا ، وَخَطَأٌ يَلْزُمُنَا الْأَعْتِدَارُ مِنْهُ إِلَى كُلِّ مَنْ أَحْسَنَ بِهِ مِنَّا ؛ وَيَنْبَغِي أَنْ نَتُوبَ إِلَى اللَّهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْ وَضْفِهِ بِمَا لَا يَلِيقُ بِهِ ، وَمِنْ طَرَحِ الْوَهْمِ عَلَى شَيْءٍ قَدْ حَجَبَهُ عَن مَعَارِفِنَا ، وَرَفَعَهُ عَن عَقُولِنَا ، وَفَصَّرَنَا عَلَى حُدُودِنَا اللَّازِمَةِ لَنَا ، وَأَشْكَالِنَا الْمُشْتَمَلَةِ عَلَيْنَا ؛ هَذَا حَدِيثُ الْعَقْلِ إِذَا لَحُطَ فِي ذِرْوَتِهِ .

فَمَا إِذَا فُحِصَ عَن آثَارِهِ فِي حَضِيضِهِ فَإِنَّهُ تَمَيَّيزٌ وَتَحْصِيلٌ وَتَصْفِيحٌ وَحُكْمٌ ، وَتَصْوِيبٌ وَنَخْطِئَةٌ ، وَإِجَازَةٌ وَإِجَابَةٌ وَإِبَاحَةٌ ؛ وَإِنَّكَ أَيُّهَا السَّامِعُ أَنْ يَكُونَ مِنْهُوْمُكَ مِنْ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ وَالْأَفْعَالِ وَالْحُرُوفِ أَشْيَاءٌ مُتَمَازِرَةٌ فَتَجْعَلَ شَيْئًا وَاحِدًا أَشْيَاءَ ، وَمَنْ كَثُرَ الْوَاحِدُ فَهُوَ أَشَدُّ خَطَأً مِمَّنْ وَحَدَّ الْكَثِيرَ ، لِأَنَّ تَكْثِيرَ

(١) في كلتا المصحفين « علمائها » ؛ وهو تحريف ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٢) في كلتا المصحفين « وتوكل » ؛ وهو تحريف .

الواحد انحطاطاً إلى المرّ كز ؛ وتَوْحِيدَ الكَثِيرِ اسْتِعْلَاءً إلى المُحِيط ، بل يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَحْصُولُكَ مِنْهَا شَيْئاً واحداً لم نَصِلْ إليه إِلَّا بِتَرَادُفِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ ، وَنَصَاحِبِ هَذِهِ الصِّفَاتِ .

وأما انحناؤه فعلى قَدَرٍ ما يقال : فلان عاقل وفلان أعقلُ من فلان ، وفلان في عقله لَوْثَةٌ^(١) ، وفلان ليس بعاقل ؛ وأَصْحَابُ الْعَقْلِ أَنْصِبَاوْهُمْ مِنْهُ مُخْتَلَفَةٌ بِالْقِلَّةِ وَالْكَثَرَةِ ، وَالصَّفَاءِ وَالْكَدَرِ ، وَالْإِبَارَةِ وَالظُّلْمَةِ ، وَالْإِطَافَةِ وَالْكُثَافَةِ ، وَالْحِفَّةِ وَالْخَصَافَةِ ، كَمَا تَجِدُهُمْ مُخْتَلِفِينَ فِي الْجُورِ وَالْأَلْوَانِ وَالْخِلَاقِ بِالطُّوْلِ وَالْقَصْرِ ، وَالْحُسْنِ وَالْقُبْحِ ، وَالْأَعْتِدَالِ وَالْإِنْحِرَافِ ، وَالرَّدِّ وَالْقَبُولِ ، إِلَّا أَنْ هَذَا الْقَبِيلَ يُدْرِكُ بِالْحَسَنِ ، وَبُشْهَدُ نَالِ الْعِيَانِ ، وَيُعَايَنُ الْحَصُورَ ، وَذَلِكَ الْقَبِيلُ مَحْجُوبٌ عَنْ هَذَا كُلِّهِ ، فَلَمْ يَجْرَ أَنْ يَكُونَ الْإِحَاطَةُ بِتَعَاوُتِ مَا عَابَ [عَنَّا] فِي وَزْنِ [الْإِحَاطَةِ]^(٢) | بِنَفَاوُتِ مَا حَصَرَ ، فَإِنَّهُمَا مَا بَيَّانَنَا لِيَأْتِيَا نَكْلَفًا ، بَلْ لِيَخْتَلِفَا ، وَهَذَا التَّعَاوُتُ مُعْتَرَفٌ بِهِ إِذَا اعْتُبِرَ مِنْ خَارِجٍ ، وَذَلِكَ أَنَّكَ تَجِدُ أَصْحَابَ الْمَالِ أَيْضًا يَتَّبَاعِينَ فِي مَقَادِيرِ مَا يَمْلِكُونَ مِنَ الْمَالِ ، وَلَا يَتَمَقَّقُونَ عَلَى مِقْدَارٍ وَاحِدٍ مِنْهُ عَمَدَ حَمَاقَتِهِمْ ، وَلَا يَتَمَقَّقُونَ عَلَى نَوْعٍ وَاحِدٍ أَبْصَا مِنْ أَعْيَانِ الْمَالِ ، لِأَنَّ هَذَا يَمْلِكُ الصَّامِتَ ، وَذَلِكَ يَمْلِكُ النَّاطِقَ ، وَهَذَا يُمَارِسُ الْقَرْ ، وَهَذَا يُمَارِسُ الصُّوفَ ، وَهَذَا يَنْظُرُ فِي الصَّرْفِ ، وَهَذَا يَبِيعُ الْحَيَوَانَ ، وَكُلُّهُمْ صَاحِبُ مَالٍ وَمُبَاشِرٌ لَهُ ؛ وَعَلَى هَذَا الْمَثَالِ أُحْتَذَى أَهْلُ الْعَقْلِ فِي مَطَالِمِهِمْ ، فَصَارَ هَذَا يَمْلِكُ بِعَقْلِهِ غَيْرَ مَا يَمْلِكُ الْآخَرُ ، أَعْنِي أَنَّ هَذَا يَنْظُرُ فِي الْمُنْدَسَةِ ، وَهَذَا فِي الطَّيِّبِ ،

(١) في (١) : « لومه » ووردت هذه الكلمة في (ب) مطبوسة الحروف تتعذر قراءتها ؛ والصواب ما أثبتنا .

(٢) لم رد هذه التعليلة في كلتا النسختين ، والساق يقتضيها .

وهذا في النَّحو ، وهذا في الفقه ؛ والعبارةُ تمنعُ من إشباع هذا المعنى ، وخَصْرِ هذا الفنِّ ، فعلى هذا أنْحَاوهُ ، وإنْهَا لَكثيرةٌ إنْ لم تكن بلا نهاية .

وأما صَنِيعُهُ فهو الحكمُ بقبول الشيء ورَدَهُ ، وتحسينه وتَقْيِيحِهِ ، إذا كان المعروضُ عليه على جهته غيرَ مَوَّةٍ ولا مَعْشُوشٍ ، ولا مُشْتَبِهٍ فيه ولا مَلْبُوسٍ ، فإنْ كان مَوَّهًا اُخْتَلَفَ حُكْمُهُ ، لأنَّ العقلَ يَرَى الباطلَ حقًّا في وقتٍ ، ويرى الحقَّ باطلًا في وقتٍ ، معاذ الله مِنْ هذا ، ذلك لِجِسِّ المَنَقُوصِ ، والدَّهْنِ المَلْبُوسِ ، لأنَّ^(١) العارضُ مَوَّةٌ مَعْرُوضَةٌ على العقلِ ، وحكَمَ له بما بَسَتْجَتُهُ ، إلَّا أنْ يكونَ العارضُ لم يَشْعُرْ بذلك التَّوْفِيهِ ، ولم يَفْطَنَ لذلك الغشِّ ، فحينئذٍ يهديه العقلُ ويُرْسِدُهُ ، ويفتَحُ عاينه ، وَنَمْصَحُ له .

وأما قوله : وهل يُعَقِّلُ العقلُ ، فإنَّ الأولى أنْ يقال : العاقلُ يَعْقِلُ بالعقلِ مَعْقُولَهُ ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ يُقالُ : السَّرَاجُ أَضَاءَ البَيْتِ ، ويُبْعَدُ أنْ يقالَ أَضَاءَ نَفْسِهِ ، لأنَّهُ مُضَيٌّ بِنَفْسِهِ ، فليسَ به فَتْرٌ إلى أنْ يُعْصِيَ نَفْسَهُ ، وإنما أَضَاءَ غَيْرِهِ^(٢) . ولو عَقِلَ العقلُ لَمَقِلَ بالعقلِ ، وهذا إذا اُسْتَمَرَّ كانَ سَرْدُودًا ، ونحن إذا قلنا : عَقَلَ العاقلُ مَعْقُولَهُ ، فإنما نَصِفُهُ بِأَنَّهُ أُنْفَعَلُ أَنْفَعَالِ كَمَلٍ ، والعقلُ يَرَى مِنْ هَذَا الْأَنْفَعَالِ أَلَّا يَتَوَخَّى أَنَّهُ يَعْقِلُ الْإِلَهَ الَّذِي هُوَ به ما هُوَ ، وإنَّه يجوزُ أنْ بَصُرَ^(٣) به أَنْفَعَالٌ لَأَثَقَ به يكونُ عبارةً عن سَوَاقِهِ^(٤) إليه ، وكِبَالِهِ به ، وأَقْتَبَاسِهِ مِنْهُ ، وهذا صِرَاطٌ حَدِيدٌ ، والوَاطِئُ عَلَيْهِ على خَطَرٍ شَدِيدٍ ، والوَثُوفُ

(١) وردت هنا كلمة : « لكن » . في الأصول وهي زيادة من الناسج .

(٢) ورد . وضع هذه القطة في كلتا النسختين : « إلى لأنه أضاءه » ، ولا مقتضى لهذه

العبارة هنا كما يظهر لنا . (٣) في كلتا النسختين « يرض به » بالون مكان الراء ؛ ولم يبين له معنى في هذا الموضع ؛ ولعل الصواب ما أثبتنا أو لعله « يرض به » باللام .

(٤) في كلتا النسختين « سواقه » بالسین وهو تصحيف .

دونه أصدع بالحجة ، وأوضح للعذر ، لأنَّ الإنسان خَوَّازٌ بالطَّبع ، وإن كان جَسُورًا بالنَّفس .

وأما قوله : وهل تَنَفَّسُ النَّفْسُ ، فَإِنَّ أُرِيدَ بِذَلِكَ النَّفْسُ النَّامِيَّةُ (١٤) والحيوانية فهو قريب ، وأما الناطقةُ فَإِنَّ ذَلِكَ يَبْعُدُ مِنْهَا [لأنَّ ذلك التَّنَفُّسُ أَسْتَمْدَادُ شَيْءٍ بِهِ يَكُونُ الشَّيْءُ حَيًّا] أَوْ كَالْحَيِّ ؛ وَالنَّاطِقَةُ غَنِيَّةٌ عَنْ ذَلِكَ .
فإن قيل : فهل نَقَبَسُ مِنَ الْعَقْلِ وَتَسْتَمِدُّ ؟ قيل : هذا لَا يُسَمَّى تَنَفُّسًا ، وَلَيْسَ اللَّفْظُ يُبْعِدُهُ عَنْ الْحَقِيقَةِ تَأْوِيلٌ فِي الْوَضْعِ ؛ وَلَا وَجْهٌ فِي الْأَعْتَمَالِ (١) وَإِدْحَالِ الْعَوَاصِفِ فِي الْمَسْكَنِ الَّذِي يُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى رَفْعِ اللَّبْسِ وَزَوَالِ الْإِشْكَالِ ، مُدْجَاةً فِي الْعِلْمِ [وَخِيَانَةً لِلْحِكْمَةِ] وَجِنَايَةً عَلَى الْمُسْتَنْصَحِ .
وأما مَرَّتَبَتُهُ (٢) عِنْدَ الْإِلَهِ فَقَدْ وَضَحَ بِأَنَّهُ كَالشَّمْسِ تَطْلُعُ فَتُخْفَى ، وَتَضَىءُ فَتَنْفَعُ .

فإن قيل : فَالْعَقْلُ أَيْضًا هَكَذَا ، قيل : الْعَقْلُ أَيْضًا شَمْسٌ أُخْرَى ، وَلَكِنَّمَا تَطْلُعُ عَلَى النَّفْسِ الَّتِي لَيْسَتْ حَاوِيَةً لِلْجِدَارِ وَسَطْحٌ ، وَبَرٌّ وَبَحْرٌ ، وَجَبَلٌ وَسَهْلٌ ، لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ الْعَقْلُ أَشْرَقَ مِنَ النَّفْسِ — لِأَنَّهُ مُسْتَخْلِفٌ لِلنَّفْسِ ، وَالنَّفْسُ خَلِيفَتُهُ — كَانَ إِشْرَاقُهُ أَلْطَفَ ، وَمَنَافِعُهُ فِي إِشْرَاقِهِ أَشْرَفَ ، وَأَيْضًا فَإِنَّ الشَّمْسَ نَجَدُهَا بِالْحَسِّ لَهَا غُرُوبٌ وَطُلُوعٌ . وَتَجَلَّى وَكُسُوفٌ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ الْعَقْلُ ، لِأَنَّ إِشْرَاقَهُ دَائِمٌ ، وَنُورُهُ مُنْتَشِرٌ ، وَطُلُوعُهُ سَرْمَدٌ ، وَكُسُوفُهُ مَعْدُومٌ ، وَتَجَلِّيُّهِ غَيْرُ مَتَوَقَّفٍ (٣)

(١) فِي (ب) : « الْإِحْتِمَالُ » .

(٢) مَرَّتَبَتُهُ ، يَعْنِي الْعَقْلُ .

(٣) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « مَتَوَقَّفٌ » بِالْعَيْنِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

فإن قيل : تَرَى العقلَ يَعَزُبُ عن الإنسان في وَتَرٍ [وَيُثَوِّبُ إليه في وَتَرٍ] . فالجواب أن الوصف الذي كنا نَنَمَتُ^(١) به وَتَدْعُ بَيَّانَهُ لم يَكُنْ لِعَقْلِ زَيْدٍ وَعَمْرُو ، وَبَسْكَرٍ وَخَالِدٍ ، لِأَنَّ ذَلِكَ يُنْعَتُ بِالطَّلُوعِ وَالغُرُوبِ ، وَبِالْحُضُورِ وَالغُيُوبِ ، لِأَنَّهُ هَاهُنَا مَضَافٌ وَمُنْجَازٌ^(٢) ، أَوْ كَالْمُنْجَازِ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ هُوَ ، فَإِنَّهُ هُنَاكَ عَلَى بَهْجَتِهِ النَّاتِمَةِ ، وَسُلْطَانِهِ الْقَاهِرِ ، وَمَلَكَوَتِهِ الْأَفْخِجِ ، وَبَسِيطَةِ الْفَائِقِ^(٣) وَفَضَائِهِ الْعَرِيفِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : وَهَلْ يَنْفَعِلُ ، فَقَدْ سَرَّ السَّكْلَامُ عَلَيْهِ فِي طَيِّ مَا سَرَّ ، وَلَيْسَ لِلتَّكْرَارِ وَجْهٌ ، وَلَا فِي التَّطْوِيلِ عُذْرٌ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : فَيَقْسُطُ الْفِعْلُ أَكْثَرُ ، أَمْ قَسِطُ الْأَنْفِعَالِ ، فَإِنَّ هَذَا يُحِطُّ مِنْ وَجْهَيْنِ ، إِذَا لَحِظَ قَبُولُهُ مِنْ فَيْضِ الْإِلَهِ فَيَقْسُطُ الْأَنْفِعَالُ أَظْهَرَ ، وَإِذَا لَحِظَ فَيْضُهُ عَلَى التَّمَسُّقِ فَيَقْسُطُ الْفِعْلُ فِيهِ أَكْثَرُ ، لِأَنَّهُ بِجُودِهِ عَلَى غَيْرِهِ يُشَاكِكُهُ مَنْ جَادَ عَلَيْهِ بِجُودِهِ ، وَهَذَا الطَّيْفُ جَدًّا .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : وَمَا الْمَعَادُ ، فَمَا أَسْهَلَ مُطَالَبَةَ السَّائِلِ هَذَا الْأَمْرَ الصَّعْبِ الْهَائِلِ ، (١٥) الَّذِي كُلُّ أَمْرٍ مُتَعَلِّقٌ بِهِ ، وَكُلُّ رَجَاءٍ حَائِثٌ حَوْلَهُ ، وَكُلُّ طَمَعٍ مُتَوَجِّهٌُ إِلَيْهِ ، وَكُلُّ شَيْءٍ مَقْصُورٌ عَلَيْهِ ، وَكُلُّ إِنْسَانٍ بِهِ يَهْتِمُّ ، وَكُلُّ مُصْرِّحٍ عَنْهُ يُصْرِّحُ ، وَكُلُّ كَانٍ عَنْهُ يَكْنِي ، وَكُلُّ مَتَرْتِمٍ بِهِ يَحْدُو ، وَكُلُّ لَحْزٍ إِلَيْهِ يُشِيرُ ، وَكُلُّ سَامِعٍ إِلَيْهِ يَطْرَبُ . وَنَرَجِعُ فَنَقُولُ — عَلَى الْعِيِّ وَالْبَيَانِ ، وَعَلَى الزَّحْفِ وَالْعَدْوَانِ — : إِنَّ عَوْدَ النَّفْسِ إِنَّمَا هُوَ تَخْلِيئُهَا لِلْبَدَنِ إِذَا حَانَ وَقْتُ التَّخْلِيَةِ ، إِمَّا لِأَنَّ الْبَدَنَ

(١) فِي (١) : « نَقِمَ » ؛ وَفِي (ب) : « نَقِمَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا السَّكْمَتَيْنِ .

(٢) فِي كِلْتَا السَّكْمَتَيْنِ « وَخُنْخَرًا أَوْ كَالْخُنْخَرِ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلَا الْوَصْفَيْنِ .

(٣) فِي (١) : الْعَائِبُ بِالْعَيْنِ وَالْبَاءُ ؛ وَفِي (ب) : « الْفَائِئِ » بِالْفَاءِ وَالنَّاءِ ؛ وَلَعَلَّ

غيرُ مُحْتَمِلٍ لِمَادَّةِ الْحَيَاةِ ، وَإِنَّمَا لِأَنَّ النَّفْسَ قَدْ أُرْزِمَتْ أَمْرًا آخَرَ ، وَلَا يَتِمُّ لَهَا ذَلِكَ إِلَّا بِتَخْلِيلِهِ هَذَا ؛ وَإِنَّمَا لَهُمَا .

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : فَمَا نَصِيبُ الْإِنْسَانِ مِنْ عَوْدِ النَّفْسِ الَّذِي هُوَ تَخْلِيلُهَا لِلْبَدَنِ وَخُرُوجِهَا عَنْهُ ، وَتَرَكَ اسْتِعْمَالَهَا . فَالْجَوَابُ مِنْ طَرِيقِ التَّمْثِيلِ ، وَالرِّضَا بِالرَّأْيِ الْأَصُوبِ ، وَالْحُكْمِ الْأَخْلَى أَنْ يُقَالَ : لَوْ قِيلَ لِرَجُلٍ مِنْ غُرَضِ النَّاسِ وَامِرٍ أَوْ نَاقِصٍ : إِنَّكَ إِذَا فَارَقْتَ هَذَا الْعَالَمَ بَقِيتَ عَيْنُكَ الْبَاصِرَةَ ، وَأُذُنُكَ السَّامِعَةَ ، هَلْ تَرَى ذَلِكَ نِعْمَةً عَلَيْكَ ، وَإِحْسَانًا إِلَيْكَ ، فَإِنَّ عَيْنَكَ إِذَا بَقِيتْ أَبْصَرْتَ الْعَالَمَ بَعْدَكَ كَمَا كُنْتَ تَبْصُرُهُ وَهِيَ مَعَكَ ، بَلْ تَبْصُرُ أَحْسَنَ مِنْ ذَلِكَ الْإِبْصَارِ ، لِأَنَّهَا كَانَتْ مَعَكَ تَرْمِدُ بِسَبَبِكَ ، وَنَعَشَى مِنْ أَجْلِكَ ، وَرَبَّمَا عَرَضَ لَهَا سُوءٌ بِسُوءِ نَذِيرِكَ ، أَوْ بَاهِقَ رَدَى عَلَيْكَ مِنْ عَشَى أَوْ عَمَى وَخَفَشَ وَعَمَشَ وَعَوَّرَ وَأَقَاتَ ^(١) كَثِيرَةً وَهِيَ آمِنَةٌ بَعْدَكَ مِنْ هَذِهِ الْأَعْرَاضِ الْمَكْرُوهَةِ ، وَالْأَحْوَالِ الدَّاهِيَةِ ^(٢) ، فَإِنَّا نَعْلَمُ حَقًّا وَعَيَانًا أَنَّهُ يَقُولُ : قَدْ رَضِيتُ بَلْ أُنْعَمْتُ هَذَا ، وَمَنْ لِي بِهِ ، أَيْ إِنْ أُعْطِيتُ هَذَا فَمَنْ مِنِّي ^(٣) أَسْمَعُ وَأَبْصُرُ ، وَإِذَا كُنْتُ أَكْرَهُ الدُّنْيَا فِي حَيَاتِي إِذَا فَقَدْتُهُمَا فَكَيْفَ لَا أُحِبُّ الدُّنْيَا إِذَا وَجَدْتُهُمَا ، فَإِنْ كَانَ هَذَا التَّمْثِيلُ وَاقِعًا ، وَهَذَا النَّقَرِيبُ نَاقِعًا ، وَالْحَقُّ فِي تَضَاعُيفِهِ وَاضِحًا ، فَلْيَكُنْ ذَلِكَ مُطَرِّدًا فِي بَقَاءِ نَفْسِ الْإِنْسَانِ الَّتِي بِهَا كَانَ إِنْسَانًا ، وَمِثْلُهَا كَانَ يَنْعَمُ فِي هَذَا الْعَالَمِ ، وَمِثْلُهَا كَانَ يَعْلَمُ وَيَعْرِفُ وَيَحْكُمُ وَيُصِيبُ ، وَيَجِدُ لَذَّةَ اللَّذِيذِ مِنْ بَاحِيَةِ الْعَقْلِ وَالْحَسِّ ، وَمِثْلُهَا كَانَ يَتَمَتَّى بِالْبَقَاءِ وَالْدَّوَامِ وَالْخُلُودِ ،

(١) كَذَا فِي (ب) وَالَّذِي فِي (أ) : « وَذُنُوبَ » ؛ وَهُوَ تَمْدِيدٌ مِنَ الْبَاسِخِ . وَلَمْ يَرِدْ

قَوْلُهُ : « كَثِيرَةً » فِي (ب) . (٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « الدَّاهِيَةُ » ؛ وَهُوَ تَصْغِيرٌ .

(٣) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « مِثْلِي » نَالِئًا وَاللَّامُ ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَاهِمُهُ مَا أَثْبَتَاهُ كَمَا يَقْتَضِيهِ

السِّيَاقُ ، وَأَسْمَعُ وَأَبْصُرُ : وَصِفَانِ لِلتَّفْضِيلِ .

وإنما أمتحال ذلك التَّمَنَّى من أجل كَوْنِهِ وفساده اللَّذِينَ لم يَكُنْ بُدٌّ مِنْ أُنْتِهائهما إلى الفناء الَّذى هُوَ مُفَارَقَةُ النَّفْسِ الجَسَدِ وَتَحْلِيلِهَا لِلْبَدَنِ ، وَنِسْبَةُ نَفْسِ الْإِنْسَانِ إِلَى الْإِنْسَانِ أَوْ كَدَّ وَالصَّقُّ مِنْ نِسْبَةِ الْعَيْنِ إِلَيْهِ ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ بِالنَّفْسِ إِنْسَانٌ ، وَبِالْبَدَنِ حَافِظٌ لَشَكْلِ [الْإِنْسَانِ] ؛ فَإِذَا كَانَ لِلْإِنْسَانِ فِي هَذَا التَّمَثِيلِ فائدةٌ ممتنةٌ وحالةٌ مُحْبوبةٌ هنيئةٌ ، أعنى فِي بقاءِ الْعَيْنِ وَالْأُذُنِ حَتَّى يُبَصَّرَ بِأَحْدَاهَا هَذَا الْعَالَمَ الْمَحْشُوءَ بِالْآوَاتِ ، وَيَسْمَعَ بِالْأُخْرَى مَا يَجْرِى فِيهِ مِنْ صُرُوبِ الْأُسْتِحَالَاتِ ، فَبِالْحَرَى أَنْ يَكُونَ رِضاهُ ببقاءِ النَّفْسِ فِي مَحَلِّ الرُّوحِ وَالْأَمْنِ ، وَمَقَامِ الْكَرَامَةِ وَالسَّكِينَةِ عَلَى حَالِ الْخُلُودِ وَالطَّمَأْنِينَةِ ، إِنَّ هَذَا لَعَجِيبٌ ، وَأَعْجَبُ مِنْ هَذَا الْعَجِيبِ عَقْلٌ لَا يَعْلَقُ بِهِ ، وَرُوحٌ لَا يَهْتَشُّ لِسَمَاعِهِ ، وَنَفْسٌ لَا تَجِدُ حَلَاوَتَهُ ، وَصَدْرٌ لَا تَتَصَدَّعُ طَرَباً عَلَيْهِ ، وَالتَّيَاحُ^(١) إِلَيْهِ ، فَإِنْ مَنْ لَمْ يَشْعُرْ سَهْدَهُ الْعَائِدَةَ ، وَلَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ ، لَعَازِبُ الرَّأْيِ ، ضَعِيفُ الْعَقْلِ ، حَقِيفُ الْمُثْقَالِ ، رَدِىَ الْأَخْتِيَارِ ، قَلِيلُ الْحَنَافَةِ ، سَيِّئُ النَّظَرِ ؛ حَيَوَانٌ خَسِيسٌ ، فِي مَسَلِكِ إِنْسَانٍ رَئِيسٍ ؛ فَقَدْ بَانَ — عَلَى مَذْهَبِ التَّقْرِيبِ — مَا لِمَعَادُ الْمَشَارُ إِلَيْهِ ، وَمَا لِلْإِنْسَانِ مِنْهُ ، وَمَا لِنَفْسِهِ بِهِ .

(١٦).

وَأَمَّا قَوْلُهُ : وَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْأَنْفُسِ ، أَى نَفْسٍ رِيْدٍ وَعَمْرٍو وَبَكْرٍ وَخَالِدٍ ، وَمَا الْفَرْقُ أَنْصَاباً بَيْنَ أَنْفُسِ أَنْصَابِ الْحَيَوَانِ ، فَإِنَّمَا الْفَرْقُ بَيْنَ هَذِهِ الْأَنْفُسِ بِقَدْرِ قِسْطِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَ مِمَّا ، وَهَذِهِ الْأَقْسَاطُ إِذَا اجْتَمَعَتْ تَفَاوَتْ ، وَإِذَا تَفَاوَتْ كَانَتْ مِمَّا نَفْسٌ بَاقِيَةٌ حَيَّةٌ ، وَنَفْسٌ فَايِبَةٌ مَيِّتَةٌ ، أَلَا تَرَى الشَّمْسَ كَيْفَ تَطْلُعُ عَلَى هَذِهِ الْمَوَاضِعِ الْمُخْتَلِفَةِ بِالْعُلُوِّ وَالسُّفْلِ ، وَبِالتَّعَرُّيجِ وَالْإِسْتِقَامَةِ ، وَالْأَشْكَالِ الْكَثِيرَةِ ، يَقُولُ كُلُّ إِنْسَانٍ : مَشْرِقَتِي أَطْيَبُ مِنْ مَشْرِقَةِ فُلَانٍ ،

(١) الْإِتْيَاحُ : الشُّوقُ . وَفِي الْأَصُولِ : « وَارْتِيَا حَا » . وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

وما أشبهَ هذا الكلام ، وطلوعُ الشمس على جميعها طلوعٌ واحد ، ولكن حُظوظَ البقاعِ منها مُختلفة ؛ فليس بِمُنكرٍ [أن يكون] نفسُ زيدٍ أنجى مِن السكدرِ ، وأخلصَ من الآفةِ ، وأوصلَ إلى السعادةِ ؛ ونفسُ بكرٍ على خلافِ ذلك ، ومراتبُ هذه الأنفسِ موفوفةٌ على الإضافاتِ الحاصلةِ لها بأنصابتها ، والأُنصِباءِ المذخورةِ لها بأكتسابها .

فأما أنفسُ أصنافِ الحيوانِ كالفرسِ والحمارِ فإنها أنفسٌ ناقصةٌ غيرُ كاملةٍ ، وهى ضعيفةٌ ، لأنها لم تَجِدْ إلَّا الإحساسَ والحركاتَ ، لم يَشِعْ فيها نورُ النفسِ الشريفةِ ، ولم يَنْبُتْ فيها شُعاعُ العقلِ السَّكريمِ ؛ فَوَجَبَ من هذا الوجهِ أن تكونَ ناعمةً لأندانها ، جاريةً على فسادِها وبُطْلانِها ، لأنَّ الحكمةَ أَنتَهَتْ إلى ذلك الحدِّ في كونِها حَشَوًا لهذا العالمِ وزينةً ومَنافعَ ومباليغَ إلى عابثٍ وأغراضٍ .

وأما قوله : وهل المَلَكُ حيوانٌ ، فقد عَلِمْتَ أَنَّهُ يقالُ له حَيٌّ ، وهذا وَقَفَ (١٧) على الأسماءِ الجاريةِ ، والعاداتِ القائمةِ ، وكأنَّ الحَيَّوانَ إما شاعَ في غيرِ المَلَكِ لما فيه من الحسِّ والحَرَكَةِ والأهْتدَاءِ والتَّصَرُّفِ على ما لاقَ بِمُجْدِيهِ ونَوَعِهِ وشَجْهِهِ ؛ فإما ما بَعُلُوهُ بِزَهِّهِ عن الصِّغَاتِ فلم يُطْلَقْ عليه حيوانٌ ، ولكن يقالُ [: حَيٌّ] لأنَّهُ أَقْرَبُ الأَسْمَاءِ إلى المَعْنَى المُشارِ إليه ، وبهذا التَّقْرِيبِ قيلَ أيضاً لِلَّهِ : إِنَّهُ حَيٌّ ، وَأَنْتَ إِذَا حَدَّدْتَ الْحَيَّ أَوْ الْحَيَاةَ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى أَنْ تَصِفَ اللَّهَ | جَلَّ وَعَلَا | بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ . وفي الجملةِ كُلُّ ما كانَ أُدْخِلَ في البَسَاطَةِ كانَ أُخْرِجَ مِنَ التَّزَكِّيِّ ، وكلُّ ما كانَ أُخْرِجَ مِنَ البَسَاطَةِ كانَ أُدْخِلَ في التَّزَكِّيِّ . فإِذَا المَرْكَبُ الَّذِي ليسَ له مِنَ البَسِيطِ إِلَّا النَّصِيبُ النَّزَرُ ، وَإِلَّا طَئِفُ الْخَيَالِ ، فَاسْمُهُ وَاضِحٌ وَالْإِشَارَةُ إِلَيْهِ سَهْلَةٌ ، وَالْعَيْنُ لَهُ مُدْرِكٌ ، لَأَنَّهُ مُحَاطٌ

بُحْدُودِهِ فِي طَوْلِهِ وَعَرَضِهِ وَغَمَقِهِ .

وَأَمَّا الْمُرْكَبُ الْبَسِيطُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مِنَ التَّرَكِيبِ إِلَّا النَّحِيبُ الْيَسِيرُ ، فَاسْمُهُ غَامِضٌ ، وَالْإِشَارَةُ إِلَيْهِ عَسِيرَةٌ ، وَالْعِيَانُ عَنْهُ مَكْفُوفٌ ؛ وَهَذَا بَابٌ إِذَا حُفِظَ فُهِمَ مِنْهُ شَيْءٌ كَثِيرٌ ، مِمَّا بَقِيَ فِيهِ الْغَلَطُ مِنَ الْإِنْسَانِ بِفِكْرِهِ الرَّدِيِّ ، وَيَنْفَعُ أَيْضًا نَفْعًا بَيِّنًا فِي التَّغَالُطِ الْعَارِضِ بَيْنَ الْمُتَنَاطِرِينَ عَلَى جِهَةِ التَّنَافُسِ وَالتَّنَاضُفِ .

قَالَ أَبُو سَلِيمَانَ : مَنْ حَرَسَ هَذَا التَّغَرَّ أَمِنَ مِنْ جَمِيعِ الْأَعْدَاءِ ، وَمَنْ أَهْمَلَهُ كَانَتْ جِنَايَتُهُ عَلَى نَفْسِهِ بِيَدِهِ أَعْظَمَ مِنْ جِنَايَةِ عَدُوِّهِ الثَّائِرِ مِنْ نَعْرِهِ

وَأَمَّا قَوْلُهُ : عَلَى أَيْ وَجْهِ يَقَالُ لِلَّهِ حَيٌّ وَالْمَلَكِ حَيٌّ وَالْفَرَسِ حَيٌّ ، فَقَدْ دَحَلَ الْجَوَابُ عَنْهُ فِي ضَمَنِ مَا تَشَقَّقَ الْقَوْلُ بِهِ ، وَتَحَقَّقَ الْمَعْنَى عَلَيْهِ فِي حَدِيثِ الْمُرْكَبِ وَالْبَسِيطِ ؛ وَزَيْدٌ هَاهُنَا حَرَوًّا يَكُونُ رَدِيفًا لَمَّا تَقَدَّمَ ، فَنَقُولُ : أَمَّا الْإِنْسَانُ فَإِنَّهُ يَقَالُ لَهُ : حَيٌّ بِسَبَبِ الْحِسِّ وَالْحَرَكَةِ وَمَا يَتَّبِعُهُمَا مِمَّا هُوَ كَالْحَيِّ ، وَكَذَلِكَ الْفَرَسُ وَمَا أَشْبَهَهُ . وَأَمَّا الْمَلَكُ فَلَمَّا كَانَ مَا يَسْتَحِقُّهُ بِبَسَاطَتِهِ مَعْدُومًا عِنْدَنَا ، لَمْ نَقْدِرْ عَلَى شَيْءٍ نَصِفُهُ بِهِ إِلَّا مَا نَصِفُ بِهِ أَنْفُسَنَا بَيْنَنَا ، وَلَوْ كُنَّا فِي عَالَمِ الْمَلَكِ لَعَانَا كُنَّا نَذَرِي بِأَيْ شَيْءٍ يَنْبَغِي أَنْ يُنْعَتَ وَسُمِّيَ وَيُذَكَّرَ وَيُحْكَمَى ، فَإِنْ مَنْ كَانَ مِثْلًا فِي بِلَادِ الصِّينِ فَإِنَّهُ يُسَمَّى الْإِنْسَانُ وَالْفَرَسُ وَالْحِمَارُ وَالْبَقَرُ سَهَا بِتَعَالِمِ أَهْلِهَا بِيَهُمْ ، وَإِذَا كَانَ هَذَا مُعْزِزًا عَلَى مَا تَرَى فِي الْمَلَكِ ، أَعْنَى تَسْمِيَتِهِ الْحَيِّ ، وَنَعْمَتِهِ بِالْحَيَاةِ ، فَاللَّهُ الَّذِي لَا سَبِيلَ لِلْعَقْلِ أَنْ يُذَكِّرَهُ أَوْ يُحِيطَ بِهِ أَوْ يُجِدَهُ وَجَدَانًا أَوْ لَى وَأُخْرَى أَنْ يُمَسِّكَ عَنْهُ عَجْزًا وَأُسْتِخْدَاءً ، وَنَعَاوُلًا وَأُسْتِعْقَاءً ، إِلَّا بِمَا وَقَعَ الْإِذْنُ بِهِ مِنْ جِهَةِ صَاحِبِ الدِّينِ الَّذِي هُوَ مَالِكُ أَرْزَمَةِ الْعُقُولِ وَمُرْشِدُهَا إِلَى السَّعَادَاتِ ، وَوَاقِفُهَا عِنْدَ الْحُدُودِ ، وَزَاحِرُهَا

عَنِ التَّخَطُّى إِلَى مَا لَا يَجُوزُ . فَعَلَى هَذَا قَدْ وَضَحَ أَنَّ الصَّمْتَ فِي هَذَا الْمَسْكَانِ أَغْوَدُ عَلَى صَاحِبِهِ مِنَ التَّنَطُّقِ ، لِأَنَّ الصَّمْتَ عَنِ الْمَجْهُولِ أَنْفَعُ مِنَ الْجَهْلِ بِالْمَعْلُومِ ، وَالتَّنَاطُّهُرَ بِالْعِجْزِ فِي مَوْضِعِهِ كَالْأَسْتِطَالَةِ بِالْقُدْرَةِ فِي مَوْضِعِهَا ، وَلَيْسَ لِلْخَلْقِ مِنْ هَذَا الْوَاحِدِ الْأَحَدِ إِلَّا الْإِنِّيَّةُ وَالْهُوِيَّةُ ، فَأَمَّا كَيْفَ وَلِمَ وَهِيَ فَإِنَّهَا طَائِرَةٌ فِي الرِّيَّاحِ كَمَا تَسْمَعُ وَتَرَى .

وَلَمَّا حَرَّرْتُ هَذِهِ الْجُمْلَةَ وَحَمَلْتُهَا إِلَى الْوَزِيرِ وَقَرَأْتُهَا عَلَيْهِ قَالَ لِي : هَذَا وَاللَّهِ جُهْدُ الْقَلِّ ، وَفِي غَلِيلِي بَقِيَّةٌ مِنَ اللَّهَبِ .

قُلْتُ : أَيُّهَا الْوَزِيرُ ، قَالَ أَبُو سَلِيمَانَ : سَمِعْتُ لَكَ كَلَامًا لَا يَكُونُ فِيهِ كُلُّ الرِّضَا ، فَقُلْتُ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ : إِنَّكَ سَأَلْتَ عَنِ الْعَالَمِ بِأَسْرِهِ ، فَلَا طَاقَةَ لِأَحَدٍ أَنْ يَعْزِضَ عَلَيْكَ الْعَالَمَ بِأَسْرِهِ ، وَلَوْلَا عَجَلَةُ رَسُولِكَ فِي الْمَطَالَبَةِ ، وَإِذْلَالُهُ بِالْإِلْحَاحِ ، وَقَوْلُهُ : الْمُرَادُ التَّقْرِيبُ وَالْإِيْجَازُ ، لَا التَّطَوُّلُ وَالْإِسْنَهَابُ ، لَسَكَانَ الدَّسْنُجُ عَلَى غَيْرِ هَذَا الْمِنْوَالِ ، وَالْعَمَلُ عَلَى غَيْرِ هَذَا الْوَشْيِ . قَالَ : وَمَنِ الْمَعَالِمِ الَّتِي لَيْسَ لَهَا نَاطِرٌ ، وَلَا سَاحِلٌ حَارِبٌ ، أَنْ السَّائِلُ يَحْضُ عَلَى التَّلْخِيسِ الْمَفْهُومِ ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ يَزِيدُ الشَّيْءَ إِغْلَاقًا ، فَإِذَا أُمْتُثِلَ مَا يَرْتَمُ قَالَ : مَا شَفَانِي الْقَوْلُ ؛ وَإِنْ زِيدَ عَلَى ذَلِكَ قَالَ : غَرِقَ الْمُرَادُ فِي حَوَائِثِي التَّكْثِيرِ ؛ فَلَيْسَ لِلْعَالِمِ تَخْلُصٌ مِنْ أَسْتِزَادَةِ الْمُتَعَلِّمِ ، وَلَا عِنْدَ الْمُتَعَلِّمِ شُكْرٌ عَلَى مَبْذُولِ جُهْدِ الْعَالِمِ ، وَهَذَا أَمْرٌ قَدْ تَقَدَّمَتِ الْأَسْتِغَاثَةُ مِنْهُ عَلَى مَرِّ الدُّهُورِ ، وَالْأَوَّلَى فِيمَا لَا حِيلَةَ فِيهِ الرِّضَا بِالْمَيْسُورِ مِنْهُ .

ثُمَّ قَالَ : وَإِنْ أَطَالَ اللَّهُ أَيَّامَ هَذِهِ الدَّوْلَةِ ، وَحَرَسَ عَلَى هَذِهِ الْجَمَاعَةِ الْقَلِيلَةِ النِّعْمَةَ ، أَسْتَأْنِفْنَا نَظْرًا أَبْلَغَ مِنْ هَذَا النَّظَرِ ، بَيَّانٍ أَشْفَى مِنْ هَذَا الْبَيَّانِ ، وَطَرِيقٍ أَوْضَحَ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ — إِنْ شَاءَ اللَّهُ

قال الوزير : والله ما قلتُ قَوْلِي ذاك ، لأنَّ هذا الكلامَ سَهْلٌ ، وهذا المتناوَل قريب ، وهذا المرعى كَثَبٌ ، كَلَّا ، وإني لأظُنُّ بَلَّ أَحَقُّ أَنه ليس في بضائع أصحابنا الذين حَوَّلِي مَنْ يُدْرِكُ هذه المعاني على هذه الصِّفَةِ إذا قُرِئَتْ عليه ، فسكّيف مَنْ^(١) يُفَزَعُ^(٢) في شَرْحِهَا وتهذِيبِهَا إليه .
ثم تَمَطَّى وقال : وأنعّسَاه ، واضْعَفْ مُنْتَاه : ثم فارقتُ المجلس .

الليلة السادسة والثلاثون

(١) وقال — دامت أيتامه — كيف تقولُ عِنْدُ مَهَلِّ الشَّهْرِ شَيْئًا آخَرَ مِنْ لَفْظِهِ ؟
وسكان من الجواب : حَبَكَيَّ العالم : عند هُلُولِ^(٣) الشَّهْرِ ومُسْتَهْلِهِ [وَهَلِهِ]
وإِهْلَالِهِ وأَسْتِهْلَالِهِ .

(٢) قال : ورأيتُ الخاتميَّ يقول : عَشْرُ كَلِمَاتٍ جَاءَتْ وَعَيْبُهَا عَيْنٌ وَلَامُهَا وَآوٌ ، ولم أُورِ شَرْحَهُ لَهَا لِثِقَلِ رُوحِهِ ، ومُعَالَاتِهِ بِنَفْسِهِ ، وكأنَّه لا عِلْمَ إِلَّا عِنْدَهُ ، ولا فائدةَ إِلَّا هِيَ مَعَهُ ، بهلَّ في حِفْظِكَ هذه الكلمات ؟

قلت : لا إلهَ إِلَّا الله ، اليومَ ذَكَرَ الأندلسيُّ هذه الكلماتِ وَعَدَّهَا ، وقد حَفِظْتُهَا ، فقال : هَاتِ يَا مُبَارَكَ ؛ فسكان الجواب : منها البَعُو ، وهو الجِنَاية ، والجَعْمُو ، وهو الطَّيْنُ ، والدَّعُو ، مَصْدَرُ دَعَا دَعَا ، والسَّعُو : السَّعْيُ ، والشَّعُو : هو انْتِفَاشُ الشَّعْرِ ، والصَّعُو : الرَّجُلُ الضَّعِيفُ ، وهو أَيْضًا طَائِرٌ أَصْفَرُ مِنْ العَصْفُورِ ، والقَعُو : مِنَ الْبَكْرَةِ ، واللَّعُو : الحَرِيرِص . والذُّبُّ في بَعْضِ

(١) الظاهر أن « من » زائدة . (٢) وردت هذه الكلمة في (١) مهمة الحروف من النقط ، ووردت في (ب) هكذا « مفرع » .
(٣) لم نجد الهلول فيما راجعناه من كتب اللغة ، ولعل صوابه « هلال » أو لعله من الألفاظ التي انفرد المؤلف بروايتها عن مشايخه .

اللُّغَاتِ ، وَالْمَعْوِ^(١) : الْجَنَىُّ مِنَ الرُّطَبِ ، وَالنَّعْوُ : الشَّقُّ فِي مِشْفَرِ الْبَعِيرِ .
 قال : هَذَا حَسَنٌ ، لَوْ أَتَى بِهِ الْحَاتِمِيُّ لَلَوَى شِدْوَهُ ، وَقَالَ : تَذَحَّ فَقَدْ
 جَاءَ الْأَسَدُ وَغَلَبَ الطُّوفَانُ وَخَرَجَ الدَّجَالُ وَطَلَعَتِ الشَّمْسُ مِنَ الْمَغْرِبِ ،
 مَا بَالُ أَتَحَابِنَا تَعْتَرِيهِمْ هَذِهِ الْخِيَلَاءُ ، وَيَغْلِبُ عَلَيْهِمُ النِّقْصُ ، وَيَسْتَمْكِنُ
 مِنْهُمْ الشَّيْطَانُ .

قلت : قال أَبُو سُلَيْمَانَ : كُلُّ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ حِفْظُ اللَّفْظِ وَتَصَرُّفُهُ
 وَأَمْلِيَّتُهُ وَأَشْكَالُهُ بَعْدَ مَنْ مَعَانَى اللَّفْظِ ؛ وَالْمَعَانَى صَوْنُ الْعَقْلِ ، وَاللَّفْظُ صَوْنُ
 اللِّسَانِ ، وَمَنْ بَعُدَ مِنَ الْمَعَانِي قَلَّ نَصِيْبُهُ مِنَ الْعَقْلِ ، وَمَنْ قَلَّ نَصِيْبُهُ مِنَ
 الْعَقْلِ كَثُرَ نَصِيْبُهُ مِنَ الْحَقِّ ، وَمَنْ كَثُرَ نَصِيْبُهُ مِنَ الْحَقِّ خَفِيَ عَلَيْهِ
 قُبْحُ الذِّكْرِ .

الليلة السابعة والثلاثون

وفال الوزير ليلةً : مَا أَحْوَجَ الْجَبَانَ إِلَى أَنْ يَسْمَعَ أَحَادِيثَ الشُّجْعَانِ !
 (١) وَمَا أَشَدَّ انْتِفَاعَ الضَّيِّقِ النَّفْسِ بِاسْتِمَاعِ أَخْبَارِ السُّكْرَامِ ، لِأَنَّ الْأَحْلَاقَ فِي
 الْخَلْقِ أَعْرَاضُ ، وَالْأَعْرَاضُ مِنْهَا لَازِمٌ وَمِنْهَا لَاصِقٌ .

قال : وَكَانَ^(٢) عِمْسَى بْنُ زُرْعَةَ سَرَدَ عَلَى سَنَةِ سَبْعِينَ ، لِيَالِي كَانَتْ الْأَشْغَالُ
 خَفِيفَةً ، وَالسِّيَاسَةُ بِالْمَاضِي — نَوَّرَ اللَّهُ قَبْرَهُ وَضَرِيحَهُ — عَامَّةً ، وَالنَّظَرُ
 بِالْحُسْنَى شَامِلًا — أَشْيَاءَ فِي الْخُلُقِ أَتَى بِهَا عَلَى عَوْدٍ مَا كَانَ فِي نَفْسِي ، وَذَلِكَ

(١) فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ « وَالْمَعْوِ » بِاللَّامِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفُ صَوَابِهِ مَا أَثْبَتْنَا نَقْلًا
 عَنْ كُتُبِ اللُّغَةِ .

(٢) فِي (١) « وَلَوْ كَانَ » ؛ وَقَوْلُهُ « لَوْ » زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ .

أنه ذَكَرَ الْعَقْلَ وَالْحُمُقَ ، وَالْعِلْمَ وَالْجَهْلَ ، وَالْحِلْمَ وَالشُّخْفَ ، وَالْقَنَاعَةَ وَالشَّرَّهَ ، وَالْحَيَاءَ وَالْفِحْهَ ، وَالرَّحْمَةَ وَالْقَسْوَةَ ، وَالْأَمَانَةَ وَالْخِيَانَةَ ، وَالنَّيْمَةَ وَالْعَفْلَةَ ، وَالتَّقَى وَالْفُجُورَ ، وَالْجُرْأَةَ وَالْجُبْنَ ، وَالتَّوَاضُّعَ وَالْكِبْرَ ، وَالْوَفَاءَ وَالْعَدْرَ ، وَالنَّصِيحَةَ وَالْغِيْثَ ، وَالصِّدْقَ وَالْكَذِبَ ، وَالسَّخَاءَ وَالْبُخْلَ ، وَالْأَنَانَةَ وَالْبَطْشَ ، وَالْعَدْلَ وَالْجَوْرَ ، وَالنَّشَاطَ وَالْكَسَلَ ، وَالنَّسْكَ وَالْفَتْكَ ، وَالْحَقْدَ وَالصَّنْحَ ، وَيَنْبَغِي أَنْ تَزُورَ عَيْسَى وَتَذْكُرَ لَهُ هَذِهِ الْجُمْلَةَ ، وَتَبْعَمَهُ عَلَى إِعَادَةِ حُدُودِهَا ، وَإِشْبَاعِ الْقَوْلِ فِيهَا ، مَعَ إِيجَازٍ لَا يَكُونُ بِهِ مَدْخَلٌ لِلِغَلَالِ ، وَلَا نَفْصِيرٍ عَنْ إِبْصَالِ الْآخِرِ بِالْأَوَّلِ .

فَلَقِيتُ عَيْسَى وَعَرَفْتُهُ الْحَدِيثَ ، وَأَمْلَى مَا رَسَمْتُهُ فِي هَذَا الْجُزْءِ ، وَعَمَرَضْتُهُ عَلَى أُنَى سُلَيْمَانَ ، فَرَضِيهِ بَعْضَ الرِّضَا ، وَلَمْ يَسْخُطْ كُلَّ السَّخْطِ ، وَقَالَ : تَحْدِيدُ الْأَحْلَاقِ لَا يَصِحُّ إِلَّا بِصَرْبٍ مِنَ التَّجَوُّزِ وَالتَّسْمُحِ ، وَدَلَّكَ أَنَّهَا مُتَلَابِسَةٌ تَلَابُسًا ، وَمُتَدَاخِلَةٌ تَدَاخُلًا ، وَالشَّيْءُ لَا يَنْمِيزُ عَنْ غَيْرِهِ إِلَّا بِبَيِّنُونَةٍ وَافِعَةٍ يَظْهَرُ لِلْحَسَنِ اللَّطِيفِ ، أَوْ تَنْصَحُ لِلْعَقْلِ الشَّرِيفِ .

نَحْمُ قَالَ : [أَلَا تَرَى] أَنَّ الْمَسْكِرَ مَشُوبٌ بِالرَّوِيَّةِ ، وَالظَّنَّ مَحْلُوطٌ بِالْوَهْمِ ، وَالذِّكْرَ مَعْنَى بِالْتَّخَيُّلِ ، وَالبَدِيهَةَ جَانِحَةٌ إِلَى الْحِسِّ ، وَالْأَسْتَنْبَاطَ مَوْصُوفٌ بِالْعَوَاصِ ، وَمَا ^(١) هَذَا الْمَعْنَى الَّذِي مَيَّزَ التَّوَاضُّعَ مِنْ شَوْبِ الصَّعَةِ ، أَوْ خَلَّصَ عُلوَّ الْهَمَّةِ مِنْ شَوْبِ الْكِبَرِ ، أَوْ فَرَزَ ^(٢) غِرَّةَ النَّفْسِ مِنْ نَقْصِ الْعُجْبِ ، أَوْ أَبَانَ الْحِلْمَ عَنْ بَعْضِ الضَّعْفِ ؟ ! هَذَا بِالْقَوْلِ رَبَّمَا سَهِّلَ وَأَنْقَادَ ، وَلَكِنْ بِالْعَقْلِ رَبَّمَا عَزَّ وَأَعْتَاصَ ، وَالْأَخْلَاقُ وَالْخِاقُ مُخْتَلِطَةٌ ، فَفِيهَا مَا اخْتَلَطَ قَوِيٌّ

(١) فِي كَلَامِنَا الْمُسَخَّنِينَ : « وَمِنْ هَذَا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي كَلَامِنَا الْمُسَخَّنِينَ « أَوْ قَرَنَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

شديد ، ومنها ما أختلطه ضعيف سهل ، ومنها ما [اختلطه] نصف بين
اللين والشدة ، وهذه ينفع العلاج في بعضها ، وينبئ العلاج عن بعضها ؛
والخزم يقضى بالآ يتهاون بما يقبل العلاج لأجل ما لا يقبل العلاج .

قال : وهذا أيضاً يختلف بحسب المزاج والمزاج ، والإنسان والإنسان ،
ألا ترى أنك لو رمت تحويل البخيل من العرب إلى الجود كان أسهل
عليك من تحويل البخيل من الروم إلى الجود ، والطعم في جبان الترك أن
يتحول شجاعاً أقوى من الطعم في جبان الكرد أن يصير بطلاً .

قال : ومع هذا فوصف الأخلاق بالحدود - وإن كان على ما قدمناه -
نافع جداً ، وإضمها في النفس مضمرة أبداً ، فهذا هذا .

(٢) وأما ما قال أبو علي فإنه هذا .

قيل : ما الحلم ؟ قال ضبط الفكر بكف الغضب .

وقال شيخنا أبو سعيد السيرافي : اعتبره من ناحية الاسم تعطيل لطبعه^(١)
وذلك أن الحلم شريك التحلم ، « فكان الحليم [الذي] يعد فئمين يحلم^(٢) » في
معرض الحليم الذي لا يعاج عليه ولا يكثر له . قال : والتعلم نافع أيضاً ،
وهو أخذ من التعلم ، لأن الثاني أقرب إلى الثاني ، كما أن الأول أقرب
إلى الحقيقة .

(٣) وقيل لعبس : ما العدل ؟ فقال : القسط القائم على التساوي .

وحكى جالينوس قال : إن الناس لشدة حُبهم لأنفسهم يظنون أن لهم
ما يحبون ، فمن أجل ذلك وقعوا في العجب ؛ فينبغي أن تكون محبتك لنفسك

(١) في الأصل « لطيفة » ؛ وهو تحريف صوابه ما أمثنا كما يقتضيه السياق .

(٢) وردت هذه العبارة في كلتا النسختين مضطربة اللفظ لا يفهم المراد منها ، وسباق

السلام يقتضي ما أثبتنا ، كما ورد في (ب) « هو » قبل كلمة « الذي » .

حَقِيقَتِيَّةٌ ، وَبِتَيْمُ ذَلِكَ لَكَ إِذَا أَنْتَ صَيَّرْتَ نَفْسَكَ عَلَى الْحَالِ الَّتِي يَرَى مِنْ
يَرَى أَنَّكَ عَلَيْهَا .

[وَقَالَ : الْمُعْجَبُ] يُحِبُّ نَفْسَهُ أَكْثَرَ مِمَّا يَحَقُّ لَهَا ؛ وَمَا أَحْسَنَ
بِالْإِنْسَانِ أَنْ يُحِبَّ نَفْسَهُ ، وَلَكِنْ بِالْعَدْلِ ، فَإِنْ أَرَادَ أَنْ يُحِبَّهَا جِدًّا فَيَجِبُ
أَنْ يَجْعَلَهَا مِنْ أَهْلِ الْمَحَبَّةِ ، ثُمَّ يُحِبُّهَا مِنْ بَعْدِ .

(٤) قِيلَ : فَمَا الْحَسَدُ ؟ قَالَ : شِدَّةُ الْاِسْمَى عَلَى شَيْءٍ يَكُونُ لغيرِهِ .

(٥) قِيلَ : فَمَا الْكَآبَةِ ؟ قَالَ : إِفْرَاطُ الْحُزَنِ .

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ : الْحُزْنُ وَالْغَمُّ وَالْهَمُّ وَالْاِسْمَى وَالْجُرْعُ وَالْخَوَرُ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ
وَمَنْ تَعَاطَى وَصَفَ أَغْصَانِ شَجَرَةٍ طَالَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَحْطُ بِطَائِلِ ، وَيَكْفَى أَنْ نَعْرِفَ
شَجَرَةَ النَّفَّاحِ مِنْ شَجَرَةِ الشَّمْشِ ، وَشَجَرَةَ الْكُمُثْرِ مِنْ شَجَرَةِ السَّفَرَجَلِ ؛
فَإِنْ عَوَاقِبَ الْمَعَارِفِ نَسَكِرَاتُ ، كَمَا أَنَّ فَوَاحِ الْمَعَارِفِ جَهَالَاتُ .

(٦) قِيلَ : فَمَا الشُّجَاعَةُ ؟ قَالَ : الْإِنْدَامُ فِي مَوْضِعِ الْفُرْصَةِ مِنْ جَمِيعِ الْأُمُورِ

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ : الشُّجَاعَةُ إِذَا كَانَتْ نُطْقِيَّةً^(١) كَانَتْ فُرْصَتُهَا تَعَاطَى
الْحِكْمَةَ وَالِدَوْبَ فِي بُلُوغِ الْغَايَةِ ، وَبَذْلِ الْقُوَّةِ فِي نَيْلِ الْبَغْيَةِ ؛ وَإِذَا كَانَتْ
غَضَبِيَّةً كَانَتْ فُرْصَتُهَا شِفَاءُ الْغَيْظِ إِمَّا مِنْ مُسْتَحِقٍّ ، وَإِمَّا مِنْ غَيْرِ مُسْتَحِقٍّ ، وَإِذَا
كَانَتْ شَهْوِيَّةً كَانَتْ فُرْصَتُهَا التَّحَلِّيُّ بِالْعَقَّةِ النَّامَةِ ، أَعْنَى فِي الْخُلُوةِ وَالْحَمَلِ .
قَالَ لَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى الرُّثْمَانِيُّ الشَّيْخُ الصَّالِحُ : الْعِمَّةُ وَاسِطَةُ
بَيْنِ الْمُقَارَنَةِ وَالْعِصْمَةِ ، وَالْعِصْمَةُ وَاسِطَةُ بَيْنِ الْبَشَرِيَّةِ وَالْمَلَائِكِيَّةِ .

وَحَكِي عِيسَى بْنُ زُرْعَةَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ -- عِنْدَ تَدَانِعِ الْحَدِيثِ -- أَنْ
مُورِسَ قَالَ : ابْنِي لِأَعْجَبُ مِنْ نَاسٍ يَقُولُونَ : كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ النَّاسُ

على رأىٍ واحد ، ومنهاج واحد ، وهذا ما لا يستقيم ولا يقعُ به نظام .
قال : وهب أن يكون الناسُ وكلُّ واحدٍ منهم مَلِكًا يأمرُ وينهى ويُستمعُ
له ويُطاع ، فمن كان المأمورَ المؤتمر ، والمنهى المنتهى ؛ والعاقِلُ الحَصيفُ يعلمُ
أنه لا بدَّ من التفاوت الذى به يكون التصالحُ ، كالعالمِ والمُتعلِّمِ ، والآمرِ والمأمورِ
والصانعِ والمصنوعِ له .

ثم قال عيسى : من توابع الأخلاقِ المذمومة الغضبُ والكذبُ
والجهلُ والجورُ والدناءةُ .

قال أبو سليمان : أمّا الغضبُ فلا يكون مذمومًا إلا إذا أُعْمِلَ في غير أوانِه ،
وعلى غير ما يَأْذَنُ الناموسُ الحقُّ به ؛ وأمّا الكذبُ ففيه أيضًا مَصالحُ ، كما أنَّ
الصدقَ ربّما أفضى إلى كثير من المفاسدِ — وإن كان الصدقُ قد فاز بالوصفِ
الأحسن ، والكذبُ قد وُصِفَ بالنفثِ الأقبَح — فكَمْ كَذِبٍ نَجَى مِنْ شَرِّهِ ،
وَكَمْ صِدْقٍ أَوْقَعَ فِي هَوَّةٍ ، وبقَى الآنَ أنْ نَعْرِفَ الصّدقَ مع أوانِه ومكانِه ،
فَيُؤْتَى بِهِ أَوْ يُهَيَّأَ عَنْهُ ، وكذلك الكذبُ على حَدِّهِ ومِثَالِه .

قال : وأمّا الجهلُ والجورُ والدناءةُ فإنّها أثافي الرذائلِ ، فَيَتَبَنَّى أَنْ
يُذَتَقَى مِنْهَا جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا ، وَلَا يَسْلُكُ أَحَدٌ إِلَى شَيْءٍ مِنْهَا [سَبِيلًا] فَإِنَّهَا أَعْدَامٌ ؛
— هَكَذَا قَالَ — ؛ وَالْعَدَمَ كَرِيهٌ وَمَهْرُوبٌ مِنْهُ ، وَالْوُجُودُ عَلَى أَنْقَاصِ التَّعَوُّتِ
أَنْتُمْ وَأَشْرَفُ مِنَ الْعَدَمِ عَلَى أَزِيدِ الصِّفَاتِ ، وَإِنْ كَانَ لَا زِيَادَةَ فِي الْعَدَمِ إِلَّا مِنْ
طَرِيقِ الْوَهْمِ الْعَارِضِ مَا يَصِحُّ وَمَا لَا يَصِحُّ .

(٧) قيل : فما العُجْبُ ؟ قَالَ وَزَنَ النَّفْسِ بِأَكْثَرِ مِنْ مِثْقَالِهَا .

وَقَالَ أَيْضًا : الْعُجْبُ هُوَ النَّظَرُ فِي النَّفْسِ بَعَيْنِ تَرَى الْقَبِيحَ جَمِيلًا .

ويقال : المَعْجَبُ يدَّعى أَنَّ ما يَنْبَغِي أَنْ يُعْجَبَ مِنْهُ قد حَصَلَ لَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ ؛ فَأَمَّا إِذَا كَانَ ذَلِكَ حَاصِلًا فَالْعُجْبُ لَيْسَ بِعُجْبٍ إِلَّا مِنْ طَرِيقِ الْأَسْمِ ، وَإِلَّا فَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ إِحْسَاسٌ بِالْفَضْلِ الْمَعْشُوقِ ، وَشُعُورٌ بِالْكَامِلِ الْمَوْجُودِ ، وَأُسْتِدْعَاءٌ لِلزَّيَادَةِ مِمَّا صَارَ بِهِ هَكَذَا ، وَأُسْتِعْدَادٌ لِقَبُولِ الْفَيْضِ مِنْ مَعْدِنِهِ بِالْأَخْتِيَارِ الثَّانِي وَالْإِعْتِيَادِ الْأَوَّلِ .

(٨) قيل : فَمَا الْوَفَاءُ ؟ قَالَ قَضَاءُ حَقٍّ وَاجِبٍ ، وَإِجَابُ حَقٍّ غَيْرِ وَاجِبٍ ، مَعَ رِفْقَةٍ أُنْسِيَّةٍ ، وَحَفِظَةٍ مَرْعِيَّةٍ .

(٩) قيل : فَمَا الرَّغْبَةُ ؟ قَالَ : حَرَكَةٌ تَكُونُ مِنْ شَهْوَةٍ يُرْجَى سَهْلُهَا مُنْفَعَةٌ . قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ : الرَّغْبَةُ إِذَا كَانَتْ نُطْقِيَّةً كَانَتْ مَبْعُوثَةً عَلَى الذَّحَلِّ بِالْفَضَائِلِ ، وَإِذَا كَانَتْ سَبْعِيَّةً أَوْ بَهِيمِيَّةً كَانَتْ مُلْهِجَةً بِمُؤَاقَعَةِ أَضْدَادِهَا ^(١) مِنَ الرَّذَائِلِ .

(١٠) وقيل : مَا الْمِهْنَةُ ؟ فَقَالَ : حَرَكَةٌ يَتَعَاطَاهَا الْإِنْسَانُ بِلَا حَفْزٍ وَلَا اسْتِكْرَاهٍ . قَالَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى . الْمِهْنَةُ صِنَاعَةٌ ، وَلِكُنْهَا [إِلَى الدَّلِّ أَقْرَبُ ، وَفِي الضَّعَةِ أَدْخَلَ ، وَالصَّنَاعَةُ مِهْنَةٌ ، وَلِكُنْهَا] رَفَعُ عَنْ تَوَابِعِ الْمِهْنَةِ ، وَفِي الصَّنَاعَاتِ مَا يَتَّصِلُ بِهِ الدَّلُّ أَيْضًا ، وَلَكِنْ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْ جِهَةِ حَقِيقَةِ الصَّنَاعَةِ ؛ وَلَكِنْ مِنْ جِهَةِ الْعَرَضِ الَّذِي بَيْنَ الصَّنَاعَةِ وَالصَّنَاعَةِ ، وَالْمَرْتَبَةِ وَالْمَرْتَبَةِ .

(١١) قيل : فَمَا الْعَادَةُ ؟ قَالَ : حَالٌ يَأْخُذُ بِهَا الْمَرْءُ نَفْسَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكُونَ مَسْنُونَةً يَجْرِي عَلَيْهَا مَجْرَى مَا هُوَ مَأْلُوفٌ طَبِيعِيٌّ .

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ : كَانَ هَذَا الْأَسْمُ لَيْسَ يَخْلُصُ إِلَّا لِمَنْ أَتَى شَيْئًا مَرَارًا ، فَأَمَّا فِي أَوَّلِ ذَلِكَ فَلَيْسَ لَهُ هَذَا النَّعْتُ ، وَإِنَّمَا يَصِيرُ مَأْلُوفًا بِالتَّكْرَارِ ، وَلِهَذَا

(١) أَضْدَادُهَا ، أَيْ أَضْدَادُ الْفَضَائِلِ .

ما صِيغَتِ السَّكَمَةُ مِنْ عَادَ يَعُودُ وَأَعْتَادَ يَعْتَادُ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : طَبِيعِي ، فَعَلَى وَجْهِ التَّشْبِيهِ ، لِأَنَّ الطَّبِيعِيَّ أَشَدُّ رُسُوحًا وَأَثْبَتُ عَرَقًا ، وَأَبْعَدُ مِنَ الْأَنْتِقَاضِ ؛ فَأَمَّا الْعَادَةُ فَكُلُّ ذَلِكَ جَائِزٌ عَلَيْهَا ، وَغَيْرُ مَا تُؤْمَنُ مِنَ الْوُقُوعِ فِيهِ .

قِيلَ : كَمْ الْحَرَكَاتُ ؟ قَالَ : سِتَّةُ أَصْنَافٍ ، أَوَّلُهَا حَرَكَةُ الْأَنْتِقَالِ ، (١٢) وَهِيَ ضَرْبَانِ : إِمَّا حَرَكَةُ الْجِسْمِ بِكُلِّهِ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ ، وَإِمَّا حَرَكَتَهُ بِأَجْزَائِهِ كَالْفَلَاحِ وَالرَّحَى ، وَالثَّانِي حَرَكَةُ الْكَوْنِ ، وَالثَّلَاثُ حَرَكَةُ الْفَسَادِ ، وَالرَّابِعُ حَرَكَةُ الرُّبُوبِ (١) ، وَالْخَامِسُ حَرَكَةُ النِّقْضِ وَالْبَلَى ، وَالسَّادِسُ حَرَكَةُ الْأَسْتِحَالَةِ ، وَهِيَ ضَرْبَانِ : أَمَّا فِي الْجِسْمِ فَمِثْلُ اللَّوْنِ ، وَأَمَّا فِي النَّفْسِ فَمِثْلُ الْغَضَبِ وَالرَّضَا ، وَالْعِلْمِ [وَالْجَهْلِ] (٢) .
وَالثَّقَلَةُ مَكَانِيَّةٌ ، وَالْكَوْنُ وَالْفَسَادُ جَوْهَرِيَّانِ ، وَالْأَسْتِحَالَةُ هَيْئَتِيَّةٌ ، وَالنَّمُوُّ وَالْأَضْمِحْجَالُ (٣) مَكَانِيَّانِ .

قَالَ الْكِنْدِيُّ : وَهَاهُنَا حَرَكَةُ أُخْرَى ، وَهِيَ حَرَكَةُ الْإِبْدَاعِ ، إِلَّا أَنَّ بَيِّنَهَا وَبَيْنَ حَرَكَةِ الْكَوْنِ فَرْقًا ، لِأَنَّ هَذِهِ لَا مِنْ مَوْضِعٍ ، وَحَرَكَةُ الْكَوْنِ مِنْ فُسَادِ جَوْهَرٍ قَبْلَهُ بِجَدُّوْنِهِ ، وَلِذَلِكَ قِيلَ : إِنَّ الْكَوْنَ خُرُوجٌ مِنْ حَالٍ خَاسِيَةٍ إِلَى حَالٍ نَفِيسَةٍ .

قَالَ أَبُو سَلِيمَانَ : حَرَكَةُ الْإِبْدَاعِ عِبَارَةٌ بِسَيْطَةٍ لَا يَجِبُ أَنْ يُفْهَمَ (٤) مِنْهَا

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « الدُّنُو » ؛ وَهُوَ تَصْغِيرٌ . وَالرُّبُوبُ : الرِّيَادَةُ ، وَقَدْ أَثْبَتْنَا هَذِهِ السَّكَمَةَ أَخْذًا مِمَّا يَأْتِي بَعْدَ تَوْضِيحِ هَذِهِ الْحَرَكَاتِ . مِنْ قَوْلِهِ : « وَلِنَمُو » وَإِنَّمَا أَثْبَتْنَا هُنَا الرُّبُوبَ نَالِرَاءَ وَالبَاءَ لِقَرْنِهِ مِنْ حُرُوفِ الْأَصْلِ . (٢) هَذِهِ السَّكَمَةُ أَوْ مَا يَفِيدُ مَعْنَاهَا لَمْ تَرِدْ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ ، وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي اثْبَاتَهَا إِذْ لَا تَنْتَقِظُ الْأَسْتِحَالَةُ إِلَّا بِبَلَى أَوْ مَا يَحَالِفُهُ

(٣) يُشِيرُ بِالْأَضْمِحْجَالِ هُنَا إِلَى مَا سَبَقَ مِنْ حَرَكَةِ النِّقْضِ وَالْبَلَى ؛ وَهِيَ الْخَامِسَةُ

(٤) فِي (ب) : « يَظْهَرُ » مَكَانَ « يُفْهَمُ »

مَعْنَى مُرَكَّب . قال : وإِنَّمَا قُلْتُ [هذا] لِأَنَّ اللَّفْظَ نَظِيرُ اللَّفْظِ فِي أَغْلَبِ الْأَمْرِ ،
وليس المَعْنَى نَظِيرُ المَعْنَى فِي أَغْلَبِ الْأَمْرِ ، واللفظ كله من وادٍ واحد في التركيب
بِلُغَةِ كُلِّ أُمَّةٍ ، والمَعْنَى تَخْتَلَفُ فِي البَسَاطَةِ عَلَى قَدَرِ الْعَقْلِ ^(١) والعقل ، والعَاقِلُ
والعَاقِلُ ، وإِنَّمَا حَرَكَةُ الإِبْدَاعِ مُشَارٌ هَا إِلَى مَقْوِّمِ الْأَشْيَاءِ بِلا كُلْفَةٍ فَاعِلٌ ،
ولا مُعَانَاةٍ صَانِعٌ ، وإِنَّمَا بَدَتْ بِالْمُبْدِعِ مِنَ الْمُبْدِعِ لِلْمُبْدِعِ لَا عَلَى أَنَّ الْبَاءَ
أُلْصَقَتْ بِهِ شَيْئًا ، وَلَا عَلَى أَنَّ [مِنْ] فَصَلَتْ مِنْهُ شَيْئًا ، وَلَا عَلَى أَنَّ اللَّامَ أَضَامَتْ
إِلَيْهِ شَيْئًا ، فَإِنَّ هَذِهِ الْعَلَامَاتِ وَالْأُمَارَاتِ كُلَّهَا مَوْجُودَةٌ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَعَلَّقَتْ
بِالإِبْدَاعِ ، فَلَمْ يَجْزَ أَنْ يُنْعَتَ بِهَا الْمُبْدِعُ ، وَلَوْ جازَ هَذَا السَّكَنَ دَاخِلًا فِيهَا ،
وَمَوْجُودًا هَا ، وَهَذَا بَعِيدٌ جِدًّا . فَلَمَّا جَلَّ عَنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ بِالتَّحْقِيقِ فِي الْإِخْتِيَارِ
وُصِفَتْ بِهَا بِالْإِسْتِعَارَةِ عَلَى الْأَضْطِرَارِ ، لِأَنَّهُ لَا يَدُلُّ لَنَا مِنْ أَنَّ نَذْكُرَهُ وَنَصِفَهُ
وَنَدْعُوهُ وَنَعْبُدُهُ وَنَقْصِدُهُ وَنَرْجُوهُ وَنَخَافُهُ وَنَعْرِفُهُ وَنَنْحُوهُ وَنَطْلُبُ مَا عِنْدَهُ
وَنُؤَاجِهُهُ وَنُكَافِحُهُ ^(٢) ؛ وَهَذِهِ نِعْمَةٌ مِنْهُ عَلَيْنَا ، وَلُطْفٌ مِنْهُ بِنَا ، وَحِكْمَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَنَا
وَإِلَّا كَانَتِ الْعِصْمَةُ تُنْبَتِرُ ، وَالطَّمَعُ يُنْقَطِعُ ، وَالْأَمَلُ يُضْعَفُ ، وَالرَّجَاءُ يَحْزَبُ ،
وَالْأَرْكَانُ تَتَخَلَّجَلُ ، وَالذَّرَائِعُ تَرْتَفِعُ ، وَالْوَسَائِلُ تُنْمَتِنِعُ ، وَالْقَوَاعِدُ تُسَمِّحُ ،
وَالرَّغَبَاتُ تَسْقُطُ ، وَالْجُودُ وَالْكَرَمُ وَالْحِكْمَةُ وَالْقُدْرَةُ وَالْجَبَرُوتُ وَالْمَلَائِكَةُ
تَأْتِي ذَلِكَ ؛ فَصَارَتْ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ سَلَامًا لَنَا إِلَيْهِ ، لَا حَقَاقَتُ يَجُوزُ
أَنْ يُظَنَّ بِهِ شَيْءٌ مِنْهَا ، عَلَى سَبِيلِ ^(٣) السِّيَاحِ الْمَمْدُودِ ، وَالْمِنْهَاجِ الْمَحْدُودِ .
سُقْتُ كَلَامَ عِيسَى فِي تَصْنِيفِ الْحَرَكَاتِ مِنْ أَجْلِ هَذِهِ الْفِقْرَةِ الَّتِي كَانَتْ
مُخَفِوْظَةً فِي حَرَكَةِ الإِبْدَاعِ ، فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ لِلْقَوْمِ فِي هَذَا الْبَابِ حَيْرَةً عَارِضَةً

(١) فِي (ب) عَلَى قَدَرِ الْأَمْطِ ؟ وَفِيهِ تَدْبِيلٌ مِنَ النَّاسِخِ . (٢) الْمَسْكَخَةُ : الْمَوَاجِهُةُ
وَالْمَلَاخَةُ . (٣) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « لَا عَلَى - بَيْل » الْحُ وَقَوْلُهُ « لَا » زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ كَمَا يُلَوِّحُ لَنَا .

أوراكدة ، لا يَسْتَطِيعُونَ التَّفَعُّيَ عنها ، ولا يَقْدِرُونَ على البراءة منها . للضلال الذي قد لَزِمَهُم ، والأصنام التي قد تَرَبَّعتْ في نُفُوسِهِمْ ، والأمثلة التي قد خَالَطَتْ عُمُومَهُمْ ، والأفئدة التي اسْتَضَجَبُوهَا مِنْ إِيحْسَاسِهِمْ ؛ والقائل هذا ينبغي أن يتحرى وَيَتَلَبَّثَ حَتَّى يَعْرِى مِنْ هذه الأشياء وَيَتَرَيَّث ؛ لئِنْ شِئْنَا أَضْمَنُ لَهُ أَنْ يَصِحَّ تَوْحِيدُهُ ، وَيَتِمَّ تَجْرِيدُهُ ؛ وإلى التوحيد تنتهي الفلسفة بأجزائها الكثيرة ، وأبوابها المختلفة ، وطُرُقها المتشعبة .

وَأَنَا أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ صِنَاعَةٍ لَا تُحَقِّقُ التَّوْحِيدَ وَلَا تَدُلُّ عَلَى الْوَاحِدِ وَلَا تَدْعُو إِلَى عِبَادَتِهِ ، وَالْأَعْتَرافِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ ، وَالْقِيَامِ بِحُقُوقِهِ ، وَالْمَصِيرِ إِلَى كَنَفِهِ ، وَالصَّبْرِ عَلَى قَضَائِهِ ، وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِهِ ، وَوَجَدْتُ أَرْبَابَ هَذِهِ الصَّنَاعَاتِ ، أَغْنَى الْهَنْدَسَةَ وَالطَّبَّ وَالْحِسَابَ وَالْمُوسِيقَى وَالْمَنْطِقَ وَالتَّنْجِيمَ مُعْرِضِينَ عَنْ تَجَشُّمِ هَذِهِ الْغَايَاتِ ، بَلْ وَجَدْتُهُمْ تَارِكِينَ الْإِلْمَامَ بِهَذِهِ الْحَقَائِقِ ، وَهَذِهِ آفَةٌ نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ مِنْهَا ، وَالْعَافِيَةَ مِنْ عَوَاقِبِهَا ؛ وَالسَّلَامَ .

قيل : ما التَّام ؟ قال : بلوغُ الشيءِ الحَدَّ الَّذِي مَا فَوْقَهُ ^(١) إِفْرَاطٌ ، وَمَا (١٣) دُونَهُ تَقْصِيرٌ .

قال أبو سليمان : التَّامُ أَلْيَقُ بِالْمَحْسُوسَاتِ ، وَالْكَامِلُ أَلْيَقُ بِالْأَشْيَاءِ الْمَعْقُولَةِ . قال : وليست هذه الْفَتْيَا مَنَى جَازِمَةً ، وَلَا عَنْ الْعَرَبِ الْعَرِيبَةِ مَرْوِيَّةً ، وَلَكِنْ إِذَا لَحَظْنَا الْمَعْنَى مُحْتَلِفَةً ، طَلَبْنَا لَهَا أَسْمَاءَ مُحْتَلِفَةً ، لِيَكُونَ ذَلِكَ مَعُونَةً لَنَا فِي تَحْدِيدِ الْأَشْيَاءِ أَوْ فِي وَصْفِ الْأَشْيَاءِ مِنْ ^(٢) طَرِيقِ الْإِتْنَاعِ الْكَافِ ^(٣) .

(١) ما فوقه ، أى الذى فوقه . وكذلك أيضاً « وما دونه » .

(٢) ورد فى كلتا النسختين « إلا من طريق » وقوله « إلا » زيادة من الناسخ كما يلوح لنا .

(٣) و كلتا النسختين « الكافى » والياء زيادة من الناسخ .

للجَدَلِ وَالتَّهْمَةِ ، أَوْ مِنْ طَرِيقِ الْبُرْهَانِ الْقَاطِعِ بِالْحُجَّةِ ، الرَّافِعِ لِلشَّبهَةِ ، أَوْ مِنْ طَرِيقِ التَّقْلِيدِ الْجَارِي عَلَى السَّنَنِ وَالْعَادَةِ .

قال : ولهذا [إذا] قيل : ما أتمَّ قَامَتَهُ ! كان أحسن ، وإذا قيل : ما أكملَ نَفْسَهُ ! كان أجمل .

قيل له : هل يَتَسَاوَى الْكَوْنُ وَالْفَسَادُ فَيَتَقَيَّ الشَّيْءُ عَلَى مَا هُوَ بِهِ ؟ فقال : أمَّا على الحقيقة فلا ؛ ولكن^(١) على السَّعَةِ ، لأنَّ الْكَوْنَ متصل بالفساد ، إلا أنهما يخفيان في مَبَادِيهِمَا حتى إذا أُمِنْدَ الْآنَ^(٢) فصارا آناً^(٣) واحداً فَيُتَبَذَرُ بَانَ الْكَوْنُ مِنَ الْفَسَادِ ، وبان الْفَسَادُ مِنَ الْكَوْنِ ، وهذا بالأَعْبَارِ الْحِسِّيَّةِ ؛ فأما الْعَقْلُ فَيَرْتَفِعُ عَنْ هَذَا ، لَأَنَّهُ يَعْلَمُ حَقِيقَةَ الشَّيْءِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ ، وَلَا يَقْبَلُ مِنَ الْحِسِّ حُكْماً ، وَلَا يَخْتَكِمُ إِلَيْهِ أَبَداً .

وإنما الْحِسُّ عَامِلٌ مِنْ عُمَالِ الْعَقْلِ . وَالْعَامِلُ يَجُورُ مَرَّةً وَيَعْدِلُ مَرَّةً ، فأما الَّذِي هَذَا هُوَ عَامِلُهُ فَهُوَ الَّذِي يَتَعَقَّبُهُ ، فَإِنْ وَجَدَهُ جَائِزاً أَبْطَلَ قَضَاءَهُ ، وَإِنْ وَجَدَهُ عَادِلاً أَمْصَى حُكْمَهُ ، ومتى أُسْتَشِيرَ الْحِسُّ فِي قَضَايَا الْعَقْلِ فَقَدْ وُضِعَ الشَّيْءُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ، ومتى أُسْتَشِيرَ الْعَقْلُ فِي أَحْكَامِ الْحِسِّ فَقَدْ وُضِعَ الشَّيْءُ فِي مَوْضِعِهِ .

قيل : فما الصُّورَةُ ؟ قال : الَّتِي هِيَ^(٣) يَخْرُجُ الْجَوْهَرُ إِلَى الْفُتُورِ عِنْدَ اُعْتِقَابِ الصُّورِ إِيَّاهُ .

(١) في (ب) : «أما» مكان «ولكن» ؛ وهو خطأ من الناسخ لا يستقيم به الكلام إذ لا جواب لأمّا بعد ذلك .

(٢) في (ب) : «الآن» . . . أبا واحداً ؛ وفي (أ) : «الآن» . . . «أناء واحداً» ؛ وهو تحريف في كلتا النسختين .

(٣) في (ب) : «لها» ؛ وهو تحريف .

قال أبو سليمان : هذه العُتْيَا جُزْأِيَّة ، الصُّورُ أَصْنَافٌ : إلهيَّةٌ وَعَقْلِيَّةٌ ،
وَمَلَكَئِيَّةٌ وَطَبِيعِيَّةٌ ، وَأَسْطَقْسِيَّةٌ وصناعيَّة ، وَنَفْسِيَّةٌ وَلَفْظِيَّةٌ ، وَبَسِيطَةٌ
وَمُرَكَّبَةٌ ، وَمُزْوَجَةٌ وصاريَّةٌ ، وَبَقْطِيَّةٌ وَنَوْمِيَّةٌ ، وَغَائِبِيَّةٌ وشاهِدِيَّةٌ .

ثم اندفع فقال : أما الصُّورَةُ الْإِلَهِيَّةُ — وهى أعلاها فى الرُّتَبَةِ والحَقِيقَةِ . وهى (١٦)
أَبْعَدُ مِمَّا فى التَّحْصِيلِ إِلَّا بِمَعُونَةِ اللَّهِ تَعَالَى — فلا طَرِيقَ إِلَى وَصْفِهَا وَتَحْدِيدِهَا
إِلَّا عَلَى التَّقْرِيبِ ، وذلك أَنَّ الْبَسَاطَةَ تَغْلِبُ عَلَيْهَا ، إِلَّا أَنَّهَا مَعَ ذَلِكَ تُرْتَمَسُ
بِأَنَّ يُقَالَ : عِى الَّتِى تَجَلَّتْ بِالْوَحْدَةِ ، وَتَبَتَّتْ بِالْدَّوَامِ ، وَدَامَتْ بِالْوُجُودِ .

وأما الصُّورَةُ الْعَقْلِيَّةُ فهى شَقِيقَةُ تِلْكَ ، إِلَّا أَنَّهَا دُونَهَا لَا (١٧) بِالْأَنْحِطَاطِ
الْحَسِّ ، وَلَكِنْ بِالْعُرْتَبَةِ اللَّغْظِيَّةِ ، وَلَيْسَ بَيْنَ الصُّورَتَيْنِ فَضْلٌ إِلَّا مِنْ نَاحِيَةِ
النَّعْتِ ، وَإِلَّا فَالْوَحْدَةُ شَائِعَةٌ وَغَالِبَةٌ وَشَامِلَةٌ ، لَكِنْ الصُّورَةُ الْإِلَهِيَّةُ نَاحِظَةٌ
لِأَخْطَا ، وَلَا يُلْفَظُ بِوَصْفِهَا لَفْظًا ، لِمُسَاكَنَتِهَا الصُّورَةَ النَّفْسِيَّةَ ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ
أَمْكَنَ أَنْ تُرْتَمَسَ فَيُقَالَ : هِى الَّتِى تُهْدِى إِلَى الْمَاقِلِ ثَلَاثًا ، فِى الْحُكْمِ ، وَثِقَةٍ
بِالْقَضَاءِ ، وَطُمَأْنِينَةٍ لِلْعَاقِبَةِ ، وَجَزْمًا بِالْأَمْرِ ، وَدُخُوضًا لِلْبَاطِلِ ، وَبِهِنْجَةٍ لِلْحَقِّ
وَنُورًا لِلصِّدْقِ .

وَالْفَرْقُ بَيْنَ الصُّورَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَالصُّورَةِ الْعَقْلِيَّةِ أَنَّ الصُّورَةَ الْإِلَهِيَّةَ تَرِدُ عَلَيْكَ
وَتَأْخُذُ مِنْكَ ، وَالصُّورَةَ الْعَقْلِيَّةَ تَصِلُ إِلَيْكَ مُتْعَطِيكَ ، فَالْأَوَّلَى بِقَهْرٍ وَقُدْرَةٍ ،
وَالثَّانِيَّةُ بِرَفَقٍ وَلَطَافَةٍ ؛ وَتِلْكَ تَحْضُبُكَ عَنْ لِمَ وَكَيْفَ ، وَهَذِهِ تَفْتَحُ عَلَيْكَ لِمَ
وَكَيْفَ ، وَتِلْكَ لَا تُنْجَحِ وَلَا تُطْلَبُ ، وَهَذِهِ يُسْعَى إِلَيْهَا ، وَيُسْأَلُ عَنْهَا وَتُوجَدُ ،
وَأَنْوَارُ الصُّورَةِ الْإِلَهِيَّةِ بَرُوقٌ تَمُرُّ ، وَأَنْوَارُ الصُّورَةِ الْعَقْلِيَّةِ شُمُوسٌ تُسْتَنِيرُ ؛ وَتِلْكَ
إِذَا حَصَلَتْ لَكَ بِالْخُصُوصِيَّةِ لَا نَصِيبَ لِأَحَدٍ مِنْهَا ، وَهَذِهِ إِذَا حَصَلَتْ لَكَ فَأَنْتَ

(١) فى كلتا النسختين : «دونها بالانحطاط» بسقوط «لا» النافية ؛ والسياق يقتضى إثباتها .

وغيرك شرع فيها ؛ وتلك للصّون والحفظ ، وهذه للبذل والإفاضة .

وأما الصورة الفلكيّة فداخله تحت الرّسم بالعرض ، ولوهم فيها أثر كثير ، ولأنّها مأخوذة من الجسم الأعظم صارت مشاكستها مقسومة بين البسيط الذى لا ترّكيب فيه البتّة ، وبين المركّب الذى لا يخلو من التّركيب البتّة ؛ ولهذا صار تأثير الفلك فى المتحرّكات عنه أشدّ من تأثر الفلك عن المتحرّك له ، وكأنّه أول [محرّك] متحرّك ؛ وليس هكذا ^(١) ما علّا عنه .

والفلك بما هو جسم منقوص الصورة ، وبما هو دائم الحركة شريف الجواهر .

وأما الصورة الطّبيعيّة فتعلّقها بالمادّة القابلة لآثارها بحسب أستعدادها لها ، فلذلك ما هى مزرحة عن الدّرجة العليا ، وعشقها للقابل منها أشدّ من عشقها للمفيض عليها ، ولهذا أيضاً كانت منافعها مزوجة ، ومضارّها بحتة ^(٢) ، وهى تجمع بين الحكمة والبله ، وبين الجيد والرّدى ، ولو سألناها لم أنتِ ضارّة نافعة ؟ لقات : بعمدت ، فلما بعمدت صوّبت وصعدت .

وسمّيت أبا النّفيس يقول فى وصف الطّبيعة كلاماً له رونق فى النّفس ^(٣) وأنا أصل هذه الجملة .

قال : أيتها الطّبيعة ، ما الذى أقول لك ، وبأى شىء أوأخذك ، وكيف أوّجه العتب عليك ؟ ! فإنك قد جمعت أموراً منكرّة ، وأحوالاً عسيرة ،

(١) كذا فى (ب) والذى فى (١) « وليس هذا قاعلاً عنه » . ولا يخفى ما فى هذه العبارة من التحريف .

(٢) فى كلتا السّخنين « نجية » ؛ وهو تصحيف ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٣) فى (ب) « فى السم » .

لَا يَنِي نِظَامُكَ فِيهَا بِأَنْتِمَارِكَ عَلَيْهَا ، وَلَكِ بَوَادِرُ ضَارَّةٍ ، وَغَوَائِلُ خَفِيَّةٌ تَبْدُو مِنْكَ ، وَتَغُورُ فِيكَ ، وَتَرْجِعُ إِلَيْكَ ، حَتَّى إِذَا قُلْنَا فِي بَعْضِهَا : إِنَّكَ حَكِيمَةٌ ، قُلْنَا فِي بَعْضِهَا : إِنَّكَ سَفِيهَةٌ ، فَالْبَلَهَ مِنْكَ مَخْلُوطٌ بِالْيَقِظَةِ ، وَالْأُسْتِقَامَةُ فِيكَ عَائِدَةٌ بِالْأَعْرَاجِ ، وَفِيكَ فَطَانُوعٌ وَزَانِعٌ ، وَقَوَارِعُ وَبَدَائِعُ ، لِأَنَّ حَرَكَاتِكَ تَسْتَنِي مَرَّةً أَسْتِنَا نَاعُشَقِينَ عَلَيْهِ ، وَتُحَيِّينَ مِنْ أَجْلِهِ ، وَتَرْبِغُ أُخْرَى زِينًا تُمَقِّينَ عَلَيْهِ ، وَتُبْغِضِينَ بِسَبَبِهِ ، وَرَبَّمَا كَانَتْ حَرَكَتُكَ نَقْضًا لِلْبِنَاءِ الْحَكْمِ ، وَالصُّورَةِ الرَّائِعَةِ وَالنِّظَامِ الْبَهِيِّ ، وَرَبَّمَا كَانَتْ بِنَاءً لِمُتَّقِضٍ ، وَتَجْدِيدًا لِلْبَالِي وَإِصْلَاحًا لِلْعَاسِدِ ، حَتَّى كَأَنَّكَ عَابِثَةٌ بِلَا قَصْدٍ ، عَائِثَةٌ عَلَى عَمْدٍ ، وَعَلَى جَمِيعِ صِفَاتِكَ مِنَ الْوَاصِفِينَ لَكَ لَمْ يَعْلَمْ ^(١) مَنْ ظَنَّ ، وَلَا رَأَى مَنْ تَخَيَّلَ ، وَلَا بَعْدَ لَفْظٍ مِنْ تَأْوِيلٍ ، وَلَا حَالٍ مَعْنَى عَنْ تَوْهْمٍ ، وَلَا أَسْفَرَ حَقٌّ عَنْ بَاطِلٍ ، وَلَا تَمَيَّزَ بَيَانٌ عَنْ تَمْوِيهِ ، وَلَا وَضَحٌ نُصْحٌ مِنْ غِشٍّ ، وَلَا سَلَمٌ ظَاهِرٌ مِنْ تَنَافُضٍ ، وَلَا خَلَّتْ دَعْوَى مِنْ مُعَارِضٍ ، فَهَذَا وَأَشْبَاهُهُ وَاجْهَتْكَ بِخِطَابِي ، وَعَرَضَتْ عَلَيْكَ مَا فِي نَفْسِي ، فَبَالَّذِي أَنْتَ بِهِ قَائِمَةٌ ، وَبَالَّذِي أَنْتَ بِهِ مَوْجُودَةٌ ، وَبَالَّذِي أَنْتَ لَهُ مُنْقَلَبَةٌ وَإِلَيْهِ مُنْسَاقَةٌ ، إِلَّا خَبَرْتُ نِي عَنْكَ ، وَشَفِيتُ غَلِيلِي مِنْكَ ، وَنَعَمْتُ لِي غَيْبَ شَأْنِكَ ، وَجَعَلْتُ الْخَبَرَ عَنْكَ كَعِيَانِكَ ، وَإِنَّمَا صَرَعْتُ إِلَيْكَ هَذَا الضَّرْعَ ، وَعَرَضْتُ عَلَيْكَ هَذَا الْوَجَعَ ، لِأَنَّكَ جَارَتِي وَصَاحِبَتِي ، وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ حِجَابٌ إِلَّا مَا هُوَ عَدُوٌّ مِنْكَ أَوْ مَنِيٌّ ، أَغْنَى بِمَا هُوَ مِنْكَ لُطْفَ سِحْرِكَ ، وَخَفَاءَ سِرِّكَ ، وَأَغْنَى بِمَا هُوَ مَنِيٌّ مَا أَعْجَزُ عَنْ أَسْتِغْنَائِهِ وَاسْتِصَاحِهِ إِلَّا بِقُوَّةِ الْإِلَهِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ إِحْرَكَتِكَ فِي أَفَانِينَ تَصْرُثُكَ ، وَأَعَاجِيبَ عَدْلِكَ وَتَحْيُفِكَ .

(١) عبارة (١) « لَمْ نَرِ أَعْلَمَ مِنْ ظَنِّ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

وكان إذا بَلَغَ هذا الحدَّ وما شاكَلَه أَخَذَ في كلامٍ كالجوابِ عَلَى طريقِ التَّأْنِيسِ والتَّسْلِيَةِ والأُسْتِرَاحَةِ ، وهذا بالواجب ، لأنَّ الإنسانَ بسببِ أغراضِهِ الجبُولَةِ ، وَعَوَارِضِهِ الفَاجِئَةِ البَاغِيَةِ مِنَ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ يَفْتَقِرُ مُتَقَارًا شَدِيدًا إلى هَذِهِ التَّمَعُّوتِ الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا ؛ وَهَذَا كالدَّاءِ والدَّوَاءِ ! وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَهَكَّمَ فَيَقُولُ : هَلَّا أُرْتَفَعَ الدَّاءُ أَصْلًا فَيُسْتَفْتَى عَنِ الدَّوَاءِ جُمْلَةً ، وَهَلَّا وَقَعَ الدَّوَاءُ أَوَّلًا عَلَى الدَّاءِ وَنَفَاهُ وَصَرَفَهُ . فَإِنَّ هَذَا كَلَامٌ مَدْخُولٌ ، مِنْ عَقْلِ كَلِيلٍ ، وَلَعَمْرِي إِنَّ مَنْ جَهِلَ التَّسْمِيَةَ الإِلَهِيَّةَ فِي الْأَزَلِ ^(١) بِحَسَبِ شَهَادَةِ الْعَقْلِ لَعَبٍ بِهِ الْوَسْوَاسُ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ ، وَظَنَّ أَنَّ الْأَمْرَ لَوْ كَانَ نَخْلَافَ مَا هُوَ عَلَيْهِ كَانَ أَوْلَى وَأَتَمَّ وَأَوْثَقَ وَأَحْكَمَ ، يَا وَيْحَهُ ! مَنْ أَيْنَ يُوجِبُ هَذَا الْحُكْمُ ؟ وَبِأَيِّ شَيْءٍ يُثَبِّتُ هَذَا الْقَضَاءَ ؟ وَكَيْفَ يَثْبِقُ بِهِذَا الْوَهْمِ .

وكان يقول أيضاً إِنَّ الطَّيِّعَةَ نَقُولُ : أَمَا قُوَّةٌ مِنْ قُوَى الْبَارِي ، مُوَكَّلَةٌ بِهِذِهِ الْأَجْسَامِ الْمُسَخَّرَةِ حَتَّى أَنْتَصِرَفَ فِيهَا نَغَايَةُ مَا عِنْدِي مِنَ النَّقْشِ وَالتَّخْوِيرِ وَالْإِضْلَاحِ وَالْإِفْسَادِ الَّذِينَ لَوْلَاهُمَا لَمْ يَكُنْ لِي أَثَرٌ فِي شَيْءٍ ، وَلَا لَشَيْءٍ أَثَرٌ مِنِّي ، وَكَانَ وَجُودِي وَعَدَمِي سَوَاءً ، وَحُضُورِي وَغِيَابِي وَاحِدًا ، وَلَوْ بَطَلَتْ نَظَلَّ بِطِلَانِي مَا أَنَا بِهِ ، وَهَذَا زَائِفٌ مِنَ الْقَوْلِ ، وَخَطَلٌ مِنَ الرَّأْيِ ، وَتَحَكُّمٌ مِنَ الظَّنِّ ؛ وَلَوْ أُخْتِمَ لِإِرَادُ كُلِّ مَا كَانَ يَتَنَفَّسُ بِهِ هَذَا الشَّيْخُ فِي حَالِ نَشَاطِهِ وَأَنْفِيَّاضِهِ لَكَانَ ذَلِكَ سَمَرًا دَامِيًا مَسِيحًا ، وَمَشَرَعًا وَاسِعًا ، وَلَيْكِنَّ ذَلِكَ مَتَعَدَّرٌ لِعَجْزِي عَنِ الْوَفَاءِ بِهِ ، وَلِأَنَّ هَذِهِ الرِّسَالَةَ تَتَقَلَّصُ عَنْهُ ، وَإِنَّمَا أُجُولُ فِي هَذِهِ الْأَكْنَافِ لِإِكْنَانِي بِالْحِكْمَةِ كَيْفَ دَارَتْ الْعِبَارَةُ بِهَا وَأَمْسَكَنْتِ الْإِشَارَةُ إِلَيْهَا ، لَا عَلَى التَّقْصِي لَهَا وَبُلُوغِ الْغَايَةِ مِمَّا ، وَمَنْ يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ ؟ وَمَنْ يُحَدِّثُ

(١) وَ (١) « الْأَوَّلُ » وَفِي (ب) « الْأَوَّلُ » ، ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

نفسه بذلك ؟ العالم أبعدُ غَوْرًا وأعلى قُلَّةً وأثقلُ وزناً وأحدُ غَرْبًا وألطفُ
أعْرَاضًا وأكثفُ أجْرامًا وأعجبُ تَرْكيبًا وأغربُ بَسَاطَةً من أن يأتى عليه
إنسانٌ واحد ، وكلُّ مَنْ^(١) كان في مَسْكِهِ ، وإن بَلَغَ الغَايَةَ في دِقَّةِ الدَّهْنِ
وحُسْنِ البَيَانِ وبَلَاغَةِ اللَّعْظِ ، أَسْتَنْبَاطِ الغَامِضِ في حَاضِرِهِ^(٢) وغَايَةِ ؛ هذا
مالا يَتَوَهَّمُهُ الْعَقْلُ^(٣) .

وإنا أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ هَذِهِ الدَّعْوَى ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُلْهِمَنِي الشُّكْرَ عَلَى مَا فَتَحَ
وَشَرَحَ ، وَهَدَى إِلَيْهِ وَمَنَحَ ، وَأَطْلَعَ عَلَيْهِ وَنَدَحَ^(٤) ، إِنْ الشُّكْرَ قَرَعُ لِبَابِ
الْمَزِيدِ ، وَالْمَزِيدَ بَاعَثُ عَلَى الشُّكْرِ الْجَدِيدِ ، وَالشُّكْرُ — وَإِنْ خَلَصَ
بِالْعَرِفَانِ ، وَجَرَى بِصُرُوبِ الْبَيَانِ عَلَى اللِّسَانِ — فَإِنَّهُ يَقْصُرُ عَنْ تَوَاتُرِ النِّعْمَةِ
بَعْدَ النِّعْمَةِ ، وَتَظَاهُرِ الْعَائِدَةِ بَعْدَ الْفَائِدَةِ .

وَأَمَّا الدُّورَةُ الْأُسْطُقُوسِيَّةُ فَهِيَ لِأَمْحَةٍ لِكُلِّ ذِي حِسٍّ^(٥) بِالتَّنَاطُلِ الْمَوْجُودِ^(٢٠)
فِيهَا ، وَالتَّبَايُنِ الْآخِذِ بِنَصِيْبِهِ مِنْهَا ، وَلَهَا أَنْقِسَامٌ إِلَى آحَادِهَا ، أَعْنَى أَنَّ صُورَةَ
الْمَاءِ مُبَايِنَةٌ لِّصُورَةِ الْهَوَاءِ ، وَكَذَلِكَ صُورَةُ الْأَرْضِ مُخَالِفَةٌ لِّصُورَةِ النَّارِ ،
فَتَجَدِيدُهَا بِمَا يَقَرَّرُهَا مَعَ غَوْصِهَا فِي كُلِّ أُسْطُقُسٍ شَدِيدٍ ، وَاللَّعْظُ لَا يَصْفُو ،
وَالْمُرَادُ لَا يَمَازُ .

(١) في ب « ما » مكان « من » وفي (أ) « مسألة » مكان « مسكة » ؛ وهو تحريف في
كَلَامِ الْأَطْنِ . والمسك : الحلد . ويريد به هنا الشكل ، أى كل من أشبهه وشاكله . أو يريد
به من كان محسوسا في جسمه مقيدا بمادته .

(٢) في كلتا النسختين « في آخره » مكان قوله : « في حاضره » ؛ وهو تحريف .
وفي (أ) و « عاينه مكان » « غايبه » الوارد في (ب) وهو ما اخترناه ليتقابل الوصفان .

(٣) في كلتا النسختين « إلا عقل » وفي قوله « إلا » تحريف ظاهر .

(٤) ندح الشيء : وسَّعَهُ ؛ وفي كلتا النسختين : و « قدح » بالالف ؛ وهو تحريف .

(٥) في كلتا النسختين : « حسن » ؛ وهو تحريف .

(٢١) وأما الصورةُ الصَّنَاعِيَّةُ فهي أَبْيَنُ من ذَلِكَ ، لأنها مع غَوْصِهَا في مادَّتِهَا بارزةٌ لِلْبَصَرِ والسمْعِ ولجميع الإحساس ، كصورة السرير والكرسي والباب والخاتم وما أشبه ذلك .

(٢٢) وأما الصورةُ الدَّمَسِيَّةُ فهي رَاجِعَةٌ إلى العِلْمِ والعَرِفَةِ وتَوَافُيهما فيما يُحَقِّقُهُمَا أَوْ يَخْدُمُهُمَا^(١) وهي شقيقةٌ للصورة العقلية بالحق .

(٢٣) وأما الصورةُ البَسِيطَةُ فلاخْتِلَافَ مراتب البسيط ما يعزُّ رسمُها إلا بالإيماء إليها ، فإنَّ لِحَقِّ هذا الإيماء سامِعُهُ فذلك ، وإلا فلا طَمَعُ في عِبَارَةٍ شافيةٍ عنها ،

(٢٤) وأما الصورةُ المركَّبةُ فهي بَادِيَةٌ لِلْحِسِّ بَأَثَارِ الطَّبِيعَةِ في مادَّتِهَا ، وبَادِيَةٌ أَيْضًا لِلنَّفْسِ بَأَثَارِ الْعَقْلِ في سَيِّجِهِ عَلَيْهَا ، وكما أَنَّ بين البسيط والبسيطِ فَرْقًا يَكَادُ البسيطُ يَكُونُ به مُرَكَّبًا ، كذلك بين المركَّبِ والمركَّبِ فَرْقٌ يَكَادُ المركَّبُ يَكُونُ به بَسِيطًا ؛ وهذه جُمْلَةٌ تَفْسِيرُهَا مُعَوِّزٌ .

(٢٥) وأما الصورةُ المَعْرُوجَةُ فهي أُخْتُ الصورةِ المركَّبةِ ، وكذلك الصورةُ الصَّافِيَّةُ أُخْتُ الصورةِ البَسِيطَةِ ، وليس هذا تَمَازُجًا في اللفظ والالفاظ ، إذ كانتا مُتَصَاحِبَتَيْنِ^(٢) ولم تكونا مُعَانِدَتَيْنِ .

(٢٦) وأما الصورةُ اليَقَظِيَّةُ فهي مَجْمُوعَةٌ من الإحساس ، لجريانها^(٣) على وجدان المشاعر كلها ، وما لها وبها .

(٢٧) وأما الصورةُ النَوْمِيَّةُ فهي أَيْضًا مَتَمِيزَةٌ عن أُخْتِهَا ، أعنى اليَقَظِيَّةِ ، لأنها إغْضَاءُ عَيْنٍ وَمَتَحُ غَيْبٍ ، أعنى أَنَّ النَّائِمَ قد حِيلَ بَيْنَهُ وبين مِثَالَاتِ الإحساسِ

(١) في (أ) «لوعدهما» ؛ وهو تحريف .

(٢) في كلتا النسختين : «إذا كانا متصاحبين» الخ وهو تحريف .

(٣) في كلتا النسختين «وجريانها» بالواو ؛ وهو تحريف .

وَعَوَارِضُ السَّكُونِ وَالْفَسَادِ ، وَفُتِحَ عَلَيْهِ بَابٌ إِلَى وَجْدَانِ شَيْءٍ آخَرَ يَجْرِي كَطَلِّ الشَّخْصِ مِنَ الشَّخْصِ ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ وَادِي الطَّبِيعَةِ أَوْ مِمَّا إِلَى آثَارِ الْأَخْلَاطِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ وَادِي النَّفْسِ أَوْ مِمَّا إِلَى نَضْبِ التَّمَائِيلِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ وَادِي الْعَقْلِ صَرَّحَ مُحَقِّقُ الْغَيْبِ فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ إِمَّا بِالتَّقْرِيبِ وَإِمَّا بِالتَّهْدِيدِ أَعْنَى إِمَّا بِوُقُوعِهِ عَقِيبَ ذَلِكَ ، وَإِمَّا بَعْدَ مُهْلَةٍ .

وَأَمَّا الصُّورَةُ الْغَائِبِيَّةُ وَالشَّاهِدِيَّةُ فَقَدْ أَتَصَلَ الْكَلَامُ فِي شَرْحِهَا بِمَا تَقَدَّمَ (٢٨) مِنْ حَدِيثِ الصُّورَةِ الْيَقِظِيَّةِ وَالْمَوْمِيَّةِ ، وَالْعِبَارَةُ عَنِ الشَّاهِدِ مَقْصُورَةٌ عَلَى وَجْدَانِ الْمَشَاعِرِ ، وَالْعِبَارَةُ عَنِ الْغَائِبِ مَقْصُورَةٌ عَلَى مَا نَعْلَقُ^(١) عَلَى الْمَشَاعِرِ ، وَفِي الْغَائِبِ شَاهِدٌ هُوَ الْمُلْحُوظُ^(٢) مِنَ الْغَائِبِ ، وَفِي الشَّاهِدِ غَائِبٌ هُوَ الْمَبْجُوثُ عَنْهُ فِي الشَّاهِدِ ، فَالشَّاهِدُ غَائِبٌ بَوَجْهِهِ ، وَالْغَائِبُ شَاهِدٌ بَوَجْهِهِ ، حَتَّى إِذَا اسْتَجْمَعَا لَكَ كُنْتَ بَهُمَا فِي شِعَارِهِمَا . وَالْإِلَهِيُّونَ مِنَ الْفَلَاسِفَةِ هُمُ الَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ هَذَيْنِ النِّعَتَيْنِ ، وَعَلَوْا هَاتَيْنِ الذَّرْوَتَيْنِ ، فَتَوَحَّدُوا عِنْدَ ذَلِكَ بِخَصَائِصِهِمْ ، وَانْسَلَخُوا عَنْ نِقَائِصِهِمْ ، فَلَوْ قُلْتَ : مَا هَؤُلَاءِ^(٣) بِشَرٍّ كُنْتَ صَادِقًا .

وَلَقَدْ أَحْسَنَ الَّذِي قَالَ فِي وَصْفِ الْعِصَابَةِ حَيْثُ وَصَفَ فَقَالَ :

فِينَا وَفِيكَ طَبِيعَةٌ أَرْضِيَّةٌ تَهْوِي بِنَا أَبَدًا لِشَرٍّ^(٤) قَرَارِ
لِسُكَّهَا مَقْصُورَةٌ مَأْسُورَةٌ مَغْلُوبَةُ السُّلْطَانِ فِي الْأَخْرَارِ
خُسُوفُهُمْ مِنْ أَجْلِهَا تَهْوِي بِهِمْ وَنُفُوسُهُمْ تَسْمُو سُمُومُ النَّارِ

(١) فِي بِ الْمَوْجُودَةِ فِيهَا هَذِهِ الْعِبَارَةُ وَحْدَهَا دُونَ (أ) «تَعْلَقُ مِنْ» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ

(٢) فِي بِ الْمَوْجُودَةِ فِيهَا هَذِهِ الْعِبَارَةُ وَحْدَهَا دُونَ (أ) «الْمُلْحُوظُ» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي (أ) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا هَذَا السَّكَلَامُ وَحْدَهَا دُونَ بِ «هَؤُلَاءِ مَا يَبْعَثُ» ؛ وَفِيهَا

تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ وَقَعَا مِنَ النَّاسِخِ كَمَا لَا يَحِقُّ .

(٤) فِي (أ) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا هَذَا الشَّعْرُ وَحْدَهَا دُونَ (ب) «لِنَشْرِ» ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

لولا مُنَازَعَةُ الْجُسُومِ نُفُوسَهُمْ نَعَذَّتْ بِسَوَرَتِهَا مِنَ الْإِفْطَارِ
عَرَفُوا لِرُوحِ اللَّهِ فِيهِ فَضْلًا مَا قَدْ آثَرُوا مِنْ صَالِحِ الْأَثَارِ
فَتَمَزَّهُوا وَتَكَّرَمُوا وَتَعَظَّمُوا عَنْ لُؤْمِ طَبْعِ الطَّيْنِ وَالْأَحْجَارِ
نَزَعُوا إِلَى الْبَحْرِ الَّذِي مِنْهُ أَتَتْ أَرْوَاحُهُمْ وَسَمَوْا عَنِ الْأَغْوَارِ
وهذا وَصْفٌ بَلِغٌ بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْقَوْمِ (١) ؛
فَأَمَّا مَا وَرَاءَ هَذَا فُهُنَاكَ خَبْرٌ ثَقِيٌّ (٢) بِمَا قَرَّرَ وَقَالَ .

(٢٩) وأما الصُّورَةُ اللَّمَّظِيَّةُ فَهِيَ مَسْمُوعَةٌ بِالْآلَةِ الَّتِي هِيَ الْأُذُنُ ، فَإِنْ كَانَتْ عَجْمَاءُ
فَلَهَا حُكْمٌ ، وَإِنْ كَانَتْ نَاطِقَةً فَلَهَا حُكْمٌ ، وَعَلَى الْحَالَيْنِ فَهِيَ بَيْنَ مَرَاتِبٍ ثَلَاثَ :
إِمَّا أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنْهَا تَحْسِينُ الْإِبْهَامِ ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنْهَا تَحْقِيقُ الْإِبْهَامِ ،
وَعَلَى الْجَمِيعِ فَهِيَ مَوْفُوقَةٌ عَلَى خَاصٍّ مَالَهَا فِي بُرُوزِهَا مِنْ نَفْسِ الْقَائِلِ ، وَوُضُوعِهَا
إِلَى نَفْسِ السَّامِعِ ؛ وَلِهَذِهِ الصُّورَةُ بَعْدَ هَذَا كَلَمَةِ مَرَاتِبَةٍ أُخْرَى إِذَا مَارَجَهَا اللَّحْنُ
وَالِإِيقَاعُ بِصِنَاعَةِ الْمَوْسِيقَارِ ، فَاتَّهَتْ حِينَئِذٍ نِعْطِي أُمُورًا ظَرِيفَةً ، أَعْنَى أَنَّهَا نَلَذُّ
الْإِحْسَاسَ ، وَتُلْهَبُ الْأَنْفَاسَ ، وَتَسْتَدْعِي الْكَاسَ وَالطَّاسَ ، وَتُرْوِّحُ الطَّعْمَ ،
وَتُنْعِمُ الْبَالُ ، وَتَذْكُرُ بِالْعَالَمِ (٣) الشَّوْقِ إِلَيْهِ ، الْمُتَلَهِّفِ عَلَيْهِ .
هَذَا مُنْتَهَى كَلَامِهِ عَلَى مَا عُلِقَ الْخِفَظُ وَلِقِنَهُ الدَّهْنُ ؛ وَلَوْ كَانَ مَأْخُذًا عَنْهُ
بِالْإِمْلَاءِ لَكَانَ أَقْوَمَ وَأَحْكَمَ ، وَلَكِنَّ السَّرْدَ بِاللِّسَانِ ، لَا يَأْتِي عَلَى جَمِيعِ الْإِمْكَانِ
فِي كُلِّ مَكَانٍ ، فَهَذَا هَذَا .

قال الوزير : هذا بابٌ في غاية الإيفاء والاستيفاء ، ومن يتحكَّك بالاعتراض

(١) في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام دون (ب) «القول» مكان «القوم» ؛
وهو تحريف فيما يظهر لدا .

(٢) في (١) التي ورد فيها هذا الكلام وحدها دون (ب) «حرسه» ؛ مكان قوله :
« خبر ثقة » وهو تحريف لا يفهم له معنى . (٣) أعلته يريد بالعالم : عالم الروح

عليه فقد صغى^(١) ، وأبدى صدقته بالهت ، ودل من عقله على الدخل^(٢) ، ومن أخلاقه على الخل^(٣) ؛ لقد وهب الله لهذا الرجل مقاماً عالياً ، ولا عجب فانه معروض بهذا عما فاته .

وقال : أنشدني في الحمر شيئاً غريباً ، فأنشدته :

وَمُورِدِ الْوَجَنَاتِ يَخْ طُرُ حِينَ يَخْطُرُ فِي مُورِدِ
يَسْقِيكَ مِنْ جَفْنِ اللَّجَبِ إِذَا سَقَاكَ دُمُوعَ عَسَجَدِ
حَتَّى تَقْطُنَّ الشَّمْسَ تَنْ زِلْ أَوْ تَقْطُنَّ الْأَرْضَ تَصْعَدِ
فَإِذَا سَقَاكَ بَعَيْنُهُ وَفِيهِ ثَمَّ سَقَاكَ بِالْيَدِ
حَيَّاكَ بِالْيَاقُوتِ تَحْ مَت الدَّرِّ مِنْ فَوْقِ^(٤) الزَّبْرِ جَدِ

قال : أحسنت والله ؛ هات زيادةً : فقلتُ

وَعَذْرَاءُ^(٥) تَرْغُو حِينَ يَضُرُّهَا الْفَحْلُ كَذَا الْبَكْرِ تَنْزُوحِينَ يَفْتَضُّهَا الْبَعْلُ
تَدِيرُ عِيُونًا فِي جُفُونٍ كَانَمَا حَمَالِقُهَا بِيضٌ وَأَحْدَاقُهَا نُجْلُ
كَأَنَّ حَبَابَ الْمَاءِ حَوْلَ إِنَائِهَا شَدُورُ^(٦) وَدُرٌّ لَيْسَ بَيْنَهُمَا فَصْلُ

(١) صغى : مال .

(٢) في (١) التي ورد فيها هذا الكلام وحدها دون (ب) « الرجل » ؛ وهو تصحيف والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(٣) في (١) التي ورد فيها هذا الكلام وحدها دون (ب) « الحال » ؛ وهو تصحيف ؛ والسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٤) في (١) التي ورد فيها وحدها دون ب هذا الشعر ما نصه :

حيّاك بالياقوت فو * ق الدر من تحت الزبرجد

وهو تبديل من الناسخ صواب ما أثبتنا . إذ الحمر المشبهة بالياقوت إنما تكون تحت الحب المشبه بالدر ؛ وكلاهما فوق الكأس المشبهة بالزبرجد .

(٥) يريد بالعذراء : البكر من الحمر . ويريد بالفعل : الماء الذي تخرج به .

(٦) في (١) التي ورد فيها هذا الشعر وحدها « أناسا شذود » وهو تحريف في كلنا الكلمتين .

تَوَهَّمْتُهَا فِي كَأْسِهَا فَكَأْنَمَا تَوَهَّمْتُ شَيْئًا لَيْسَ يُذَكِّرُهُ الْعَقْلُ
إِذَا اشْتَبَكَتْ رِجْلَايَ مِنْ سَوْرَةِ الْكَرَى دَرَجْتُ إِلَيْهَا مِثْلَ مَا يَذْرُجُ الطُّفْلُ
وَأَنْشَدْتُ لآخر:

وَكَمْ عَائِبٍ لِلْخَمْرِ لَوْ أَنَّ أُمَّهُ تَبُولُ مُدَامًا لَمْ يَزَلْ يَسْتَبِيلُهَا
وَلآخر:

خَلِيلِي لَوْ مَانِي ^(١) عَلَى الْخَمْرِ أَوْ دَعَا فَلَنْ تَجِدَا عِنْدِي عَلَى الْلَوْمِ مَطْمَعَا
وَشُبًّا ^(٢) سَنَا نَارِ لَعْلٍ نَدِيمَنَا بَنْجَرَانٍ أَنْ يَلْقَى سَنَاهَا فَيَتَّبِعَا
فَمَا رَاعِنَا إِذْ أُوتِدَتْ فَوْقَ رُبُوبَةٍ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا رَاكِبَانِ قَدْ أَوْضَعَا
فَهَشًّا إِلَيْنَا نَمُ قَالَا : أَلَا أَنْعَا مَسَاءَ فَقُلْنَا : دَامَ ذَاكَ لَنَا مَعَا
وَأَنْشَدْتُ لآخر:

سَقَوْنِي وَقَالُوا لَا تُغْنٍ وَلَوْ سَقَوَا جِبَالَ شَمَامٍ ^(٣) مَا سَقَوْنِي لَغَنَّتْ
وَأَنْشَدْتُ أَيْضًا :

الكَأْسُ لَا تَذَرِي وَلَا الْخَمْرُ مِنْ أَيْ شَيْءٍ عُجِّلَ الشُّكْرُ
أَسْكَرَنِي مِنْ قَبْلِ شُرْبِي لَهَا مِنْ دَابُّهُ الْإِعْرَاضُ وَالْهَجْرُ
قَلْتُ لَهُ وَالْخَمْرُ فِي كَأْسِهِ ^(٤) كَأْنَهَا فِي كَفِّهِ بَذْرُ

(١) في (١) التي ورد فيها هذا الشعر وحدها «أوماني» ؛ وهو تحريف .

(٢) في (١) « وسنا » بالسين والنون ؛ وهو تصحيف .

(٣) شمام : جبل إبلهلة له رأسان يسميان ابني شمام ؛ ويضرب بهما المثل في الاجتماع

وعدم الفرة .

(٤) عبارة (١) التي ورد فيها هذا الشعر وحدها « في كفه » كَأْنَهَا فِي كَأْسِهِ ؛

وهو خطأ من الناسخ ؛ وسياق المعنى يقتضي ما أفتتنا . إذ العروف تشبيه الكأس بالبر ،
لانتبيه الحُر .

أَنْتَ لَعْمَرِي الْحَرُّ يَا سَيِّدِي لَيْسَ الَّذِي سَقَيْتَنِي الْخَمْرُ
آخِر :

تركت النبيذ لأهل النبيذ فـ **خـ** ازارَ لى الله في تركه
وقد كنتُ قَدْماً به مُعْجَباً أَرْوَحُ وَأَغْدُو إِلَى سَفْكِهِ ^(١)
فقال : قد جَرَى هذا أيضاً على التَّام . اختَمَ مجلسنا بدُعاء الصُّوفِيَّة .

فقلتُ : سَمِعْتُ ابْنَ سَمْعُونِ يَدْعُو فِي الْجَامِعِ فِي آخِرِ مَجْلِسِهِ وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ ^(٣١)
اجْعَلْ قَوْلَنَا مَوْصُولاً بِالْعَمَلِ ، وَعَمَلَنَا مُحَقَّقاً لِلْأَمَلِ ، وَلَا تُضَايِقْنَا فِيمَا نَتَحَوَّلُ بِهِ ،
وَنَتَقَلَّبُ لَكَ فِيهِ ، وَكَنَّفَ عَلَيْنَا بِسِرِّكَ ، وَسَوَّغَنَا بِرِّكَ ، وَأَلْهِمْنَا شُكْرَكَ ،
وَحَفِّفْ عَلَيْنَا فِي ذِكْرِكَ ، وَأَخْصُصْهَا بَعْدَ ذَلِكَ بِمَا هُوَ أَلْيَقُ بِذَلِكَ ؛ اللَّهُمَّ اسْمَعْ
وَاسْتَجِبْ وَتَقَرَّبْ . وَأَنْصَرَفْتُ .

الليلة الثامنة والثلاثون

وَجَرَى لَيْلَةً بِمَحْضَرَةِ الْوَزِيرِ — أَعْلَى اللَّهِ كَلَّتَهُ ، وَأَدَامَ غَيْبَطَتَهُ ، وَوَالَى
رِغْمَتَهُ — أَحَقُّ مَنْ دُعِيَ لَهُ ، وَأَشْرَفُ مَنْ بُوْهِىَ بِهِ ، وَأَكْلُ مَنْ شُوْهِدَ فِي
عَصْرِهِ — حَدِيثُ ابْنِ يَوْسَفَ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ غَثَائَتِهِ وَرَثَائَتِهِ ، وَعِيَارَتِهِ ^(٢)
وَحَسَّاسَتِهِ ،

فقلتُ له : عِنْدِي حَدِيثٌ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْوَزِيرَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ ، عَارِفٌ بِهِ . ^(١)

(١) في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الشعر «بتكه» بالباء والتاء مكان قوله «سفكه»
ولم نجد له معنى يناسب السياق ؛ ولعل الصواب ما أثبتنا إذ المعروف تشبيه الحر بالدم المسفوك ؛
وقد جاء هذا كثيراً في الشعر .

(٢) في (١) التي ورد فيها هذا الكلام وحدها دون (ب) «وعبارته» بالياء الموحدة ؛
وهو تصحيف .

قال : ما ذاك ؟ قلت : حَدَّثَنِي أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْقَاضِي التَّنُوخِيُّ قَالَ : كُنْتُ فِي الصُّحْبَةِ إِلَى هَمْدَانَ سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِّينَ ، وَكُنَّا جَمَاعَةً وَفِينَا ابْنُ حَرَنْبَارٍ ^(١) أَبُو مُحَمَّدٍ ، وَكَانَ فِي جَنْبِهِ ابْنُ يُوسُفَ ، فَاتَّفَقَ أَنَّ عَضُدَ الدَّوْلَةِ — بِرِجْدِ اللَّهِ مَضْجَعَهُ — قَالَ لِابْنِ شَاهَوَيْهَ : سِرْ إِلَى ابْنِ حَرَنْبَارٍ ^(٢) وَقُلْ لَهُ : يَنْبَغِي أَنْ تَسِيرَ إِلَى الْبَصْرَةِ وَإِنَّا نَجْعَلُ لَكَ فِيهَا مَعُونَةً ، فَقَدْ طَالَ مُقَامُكَ عِنْدَنَا ، وَتَوَالَى تَبَرُّؤُنَا بِكَ ، وَتَبَرُّؤُكَ بِنَا ، وَلَيْسَ لَكَ بِحَضْرَتِنَا مَا تُحِبُّهُ وَتَقْتَرِحُهُ ، وَالسَّلَامَةُ لَكَ فِي بُعْدِكَ عَنَّا قَبْلَ أَنْ يُفْضِيَ ذَلِكَ إِلَى تَغْيِيرِنَا . وَكَلَامًا فِي هَذَا النَّوعِ .

قال : وَنَفَذَ أَبُو بَكْرٍ وَمَعَهُ آخَرُ مِنَ الْمَجْلِسِ يَشْهَدُ التَّبْلِغَ وَالْأَدَاءَ ^(٣) ، وَيَسْمَعُ الْجَوَابَ وَالْأَبْدَاءَ — عَلَى رَسْمٍ كَانَ مَعَهُودًا فِي مِثْلِ هَذَا الْبَابِ — فَلَقِيَ ابْنَ حَرَنْبَارٍ ^(٤) وَشَافَهُ بِالرَّسَالَةِ عَلَى التَّمَامِ ؛ فَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ لَمَّا سَمِعَ : الْأَمْرُ لِلْمَلِكِ ، وَلَا خِلَافَ عَلَيْهِ ؛ وَلَعَمْرِي إِنَّ النَّاسَ يَجْدُودُهُمْ يَذَلُّونَ حُطُوطَهُمْ ، وَبِحُطُوطِهِمْ يَسْتَدِيمُونَ جُدُودَهُمْ ؛ وَلَوْ وَفَّقْتُ مَا كَانَ عَجِيبًا ، فَقَدْ نَالَ مَنْ هُوَ أَنْقَصُ مِنِّي ، وَبَلَغَ الْمَنَى مَنْ أَنَا أَشْرَفُ ^(٥) مِنْهُ ، وَلَكِنَّ الْمَقَادِيرَ غَالِبَةٌ ، وَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ عَنْهَا مَرْتَحَلٌ ؛ وَقَدْ قِيلَ : مَنْ سَاوَرَ الدَّهْرَ غُلِبَ ، وَلَكِنْ أَيُّهَا الشَّيْخُ لِي حَاجَةٌ : أَحِبُّ أَنْ تُبَلِّغَ الْمَلِكَ كَلِمَةً عَنِّي . قَالَ : هَاتِيهَا ؛ قَالَ : تَقُولُ لَهُ : أَنَا صَائِرٌ إِلَى مَا رَسَمْتَ ، وَمُمْتَثِلٌ مَا أَمَرْتَ ، بَعْدَ أَنْ تَقْضِيَ لِي وَطْرًا فِي نَفْسِي ، قَدْ تَقَطَّعَ عَلَيْهِ نَفْسِي ، وَذَلِكَ أَنْ تَتَقَدَّمَ بِمُقَامِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ يُوسُفَ بَيْنَ اثْنَيْنِ فَيَضْمَعَانِي مَائَتَيْنِ ، وَيَقُولَانِ لَهُ : إِذَا لَمْ تَبْذُلْ جَاهَكَ لِمَتَلَهِّفَ ، وَلَا عِنْدَكَ فَرَجٌ لِمَكْرُوبٍ ،

(١) كَذَا وَرَدَ هَذَا الْإِسْمُ فِي الْأَصُولِ وَلَمْ تَقَفْ عَلَى تَصْحِيحِهِ ؛ وَلَعَلَّ الصَّوَابَ فِيهِ ابْنُ حَرْبَارٍ ، فَإِنَّ هَذَا مِنْ أَسْمَائِهِمْ .

(٢) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا هَذَا الْكَلَامُ وَحْدَهُمَا « وَالْآرَاءَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « أَشْفَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

ولا برئ لضعيف ، ولا عطاء لسائل ، ولا جائزة لشاعر ، ولا مرعى لمنتجع ، ولا مأوى لضعيف ، فلم نحاطب بسيدنا ، وتقبل لك اليد ، ويقام لك إذا طلعت ؟؟ قال ابن شاهويه : فقبل أن لقيت الملك أفصح^(١) له الذي كان معي مشرفاً على . فلما دخلت الدار عرفت ، فقال : على به ، فخرته وابن يوسف قاعد بين يديه على رسمه . فقال لى : هات الجواب عما نفذت فيه ؛ فقلت : الجواب عندك ، فقال : ما أعجب هذا ! أنت حملت الرسالة وأطالب غيرك بالجواب ؟ قال : فتلويت حياءً من ابن يوسف ، فقال : هات يا هذا الحديث بفصه ، والله لا أنعم إلا به ، ما هذا التواني والتكاسل ، فكرهت اللجاج ، فسرذته على وجهه ، ولم أغادر منه حرفاً ، وابن يوسف يتقدم في إهابه^(٢) ، وبتغير^(٣) وجهه عند كل لعظة تمر به ، فأقبل عليه الملك وقال : كيف ترى يا أبا القاسم الكيس ؟ فقال : يا مولانا ، إنما أنا أفضى الحاجة بك ، فإذا لم تقضها كيف أكون ؟ فإن الحوائج كلها إليك .

قال : صدقت ، أنا لا أفضى حاجة لك ، لأنك لا تقصد بها وجه الله ، ولا تنبغي بها مكرمة ، ولا تحفظ بها مروءة ، وإنما ترتشى عليها ، وتصانع بها ، وتجعنى باباً من أبواب تجارتك وأرباحك ، ولو كنت أعلم أنك تقضى حاجة لله أو لمكرمة أو لرحمة ورقة لكان ذلك سهلاً على ، وخفيفاً عندي ، لكنك معرُوف المذهب في الطمع والحيلة ، وجرت النار إلى قرصك ، وشرهك في جميع أخوالك ؛ وليس الذنب لك ، ولست لمن رآك إنساناً وأنت كلب .

(١) في كلا الأصلين « ما أفصح » . و « ما » زيادة من الناسخ .

(٢) في ب « في ثيابه » ؛ وهو تحريف .

(٣) في (١) « يتميز » .

وَصَدَقَ — صَدَّقَ اللَّهُ قَوْلَهُ — فَإِنَّهُ كَانَ أَحْسَنَ خَلْقِ اللَّهِ ، وَأَتَمَّنَ النَّاسَ ،
وَأَفْذَرَ النَّاسَ ، لَا مَنَظَرَ وَلَا مَخْبَرَ .

وكانت أمُّهُ مُغَنَّبَةً مِنْ أَهْلِ الْبَيْضَاءِ ، وَأَبُوهُ مِنْ أَسْقَاطِ النَّاسِ ، وَنَشَأَ مَعَ
أَشْكَالِهِ ، وَكَانَ فِي مَكْتَبِ^(١) الرَّبِّضِيِّ عَلَى أَحْوَالٍ فَاخِشَةٍ ؛ وَوَرَّقَ زَمَانًا ، ثُمَّ
إِنَّ الزَّمَانَ نَوَّهَ بِهِ ، وَنَبَّهَ عَلَيْهِ ، وَمِثْلُ هَذَا يَكُونُ ، وَالْأَيَّامُ ظُهُورٌ وَبُطُونٌ ؛
وَكَمَا يَسْقُطُ الْفَاضِلُ إِذَا عَانَدَهُ الْجَدُّ ، كَذَلِكَ يَرْتَفِعُ السَّاقِطُ إِذَا سَاعَدَهُ الْجَدُّ ،
فَهَذَا هَذَا ؛

وقال : ما كان هذا الحديثُ عندي ، وإِنَّهُ لَمِنَ الْغَرِيبِ .

ثم قال : كَيْفَ خَبَرْتُكَ فِي الْفِتْنَةِ الَّتِي عَرَضَتْ وَانْتَشَرَتْ ، وَتَفَاقَتْ
(٢) وَتَعَاطَمَتْ ؟ .

وكان من الجواب : خَبَرْتُ مِنْ شَهِدٍ أَوَّلَهَا ، وَغَرِقَ فِي وَسْطِهَا ، وَنَجَا فِي آخِرِهَا .
قال : حَدَّثَنِي فَإِنَّ فِي رِوَايَتِهِ وَسَمَاعِهِ تَبْصِرَةً وَتَعْجَبًا ، وَزِيَادَةً فِي التَّجَرُّبَةِ .
وقد قيل : تَجَارِبُ الْمُتَقَدِّمِينَ ، مَرَايَا^(٢) الْمُتَأَخِّرِينَ ، كَمَا يُبْصَرُ فِيهَا مَا كَانَ ،
يُتَبَعَرُّ بِهَا فِيمَا سَيَكُونُ ، وَالشَّاعِرُ قَدْ قَالَ :

وَالدَّهْرُ آخِرُهُ شِبْهُهُ بِأَوَّلِهِ نَاسٌ كَنَاسٍ وَأَيَّامٌ كَأَيَّامِ

وَلَيْسَ مِنْ حَادِثَةٍ مَاضِيَةٍ إِلَّا وَهِيَ تُعَرِّفُكَ الْخَطَأَ وَالصَّوَابَ مِنْهَا لِتَسْكُونَ عَلَى
أَهْمِيَةٍ فِي أَخْذِكَ وَتَرْكِكَ ، وَإِقْدَامِكَ وَنُكُولِكَ ، وَتَقْبُضِكَ وَبَسْطِكَ ، وَهَذَا
وَإِنْ كَانَ لَا يَبْقَى كُلُّ الْوَقَايَةِ ، فَإِنَّهُ لَا يُبْقَى فِي التَّهْلُكَةِ كُلِّ الْإِنْقَاءِ

(١) فِي ب «مكتب» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَفِي (١) «الرمضى» بِالْمِيمِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ أَيْضًا .

(٢) فِي (١) «مرأى» ، وَفِي ب «مرامى» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ .

كان أوَّلَ هذه الحادثة الفظيعة البَشِعة الَّتِي حَيَّرَتِ العقولَ وولَّهَتِ الألبابَ ،
وسافَرَ عنها التوفيقَ ، وأستولى عليها الخِذلانُ ، وعُدِمَت فيه البصائرُ ، شَيْءٌ كَلَّا
شَيْءٌ ، وإذا أرادَ اللهُ [تعالى ذكره] أن يُعْظِمَ صَغِيرًا فَعَلَّ ، وإذا شاءَ أن يُصَغِّرَ
عَظِيمًا قَدَّرَ ، لَهُ الخَلْقُ والأمرُ ، ولا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ، ولا رَادَّ لِقَضَائِهِ ، ولا صَارِفَ
لِقُدْرِهِ ؛ وقُدْرَةُ الإنسانِ محدودةٌ ، وأستطاعتهُ مُتَنَاهِيَةٌ ، وأختيارُهُ قَصِيرٌ ، وطاقتهُ
مَعْرُوفَةٌ ؛ وكلُّ ما جاوزَ هذا الحدَّ وهذا^(١) التَّنَاهَى فهو الذي يَجْزِي على الإنسانِ
شَاءَ أَوْ أَبَى ، كَرِهَ أَوْ رَضِيَ ، وهَاهُنَا يُفْزَعُ إلى اللهِ مِنْ نازِلِ المَكْرُوهِ ،
وَحَادِثِ المَحْذُورِ .

وَذَلِكَ أَنَّ الرُّومَ تَهَايَجَتِ على المُسْلِمِينَ ، فسَارَتِ إلى نَصِيبِينَ بِجَمْعٍ عَظِيمٍ
زَائِدٍ على مَاعُودٍ على مَرِّ السَّنِينَ ، وكانَ هذا في آخِرِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ ، نَخَفَ^(٢)
النَّاسُ بِالْمَوْصِلِ وما حَوْلَهَا ، وَأَخَذُوا في الاِْتِحْدَارِ على رُغْبٍ قُدِفَ في قُلُوبِهِمْ ،
ليَكُونَ سَبَبًا لما صارَ إليه [الأمر] ؛ وما جَ النَّاسُ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ واضْطَرُّوا ،
وَتَقَسَّمَ هذا المَوْجُ والاضْطرابُ بينِ الخاصَّةِ والعامةِ ؛ وصارَتِ العامةُ طائِفَتَيْنِ ،
طائِفَةٌ تَرِيقُ للدينِ ولما دَهَمَ المُسْلِمِينَ ، وتَسْتَعِظُ ذَلِكَ فَرَقًا مما يُنْتَهَى إليه ، بعدَ
ما يُؤْتَى عليه ؛ وطائِفَةٌ وَجَدَتْ فُرْصَتَهَا في العَيْثِ والفسادِ ، والنَّهْبِ والقَارَةِ
بِوَساطَةِ التعصُّبِ للمَذْهَبِ .

وافْتَرَقَتِ الخاصَّةُ أيضًا فِرْقَتَيْنِ : فِرْقَةٌ أَحَبَّتْ أن تَكُونَ لِلنَّاسِ حَاجَةً^(٣)
لِلإِسْلَامِ ، ونُهوِضُ إلى الغَزْوِ ، وأنْبِيعاتُ في نُصْرَةِ المُسْلِمِينَ ، إذ قد أَضْرَبَ

(١) في «ب» ؛ «وهو» ؛ وهو تحريف .

(٢) في (١) «غلق» ؛ وهو تحريف .

(٣) في ب «حيا» ؛ وهو تحريف .

السُّلْطَانُ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ ، لِأَنَّهُمَا كَه فِي الْقَصْفِ وَالْعَرْفِ ، وَإِعْرَاضِهِ عَنِ الْمَصَالِحِ الدِّينِيَّةِ ، وَالْخَيْرَاتِ السِّيَاسِيَّةِ ؛ وَطَائِفَةٌ اخْتَارَتِ السَّكُونَ وَالْإِقْبَالَ عَلَى مَا هُوَ أَحْسَمُ لِمَادَّةِ الْوُتُوبِ وَالْهَيْبِجِ ، وَأَقْطَعَ لَشَغَبِ الشَّاعِبِ ، وَأَقْعُ خِلَافِ الْمَتَّهَمِ ؛ فَإِنَّ الْأَخْتِلَافَ إِذَا عَرَضَ خَفِيَ مَوْضِعُ الْأُتْفَاقِ ، وَالْتَبَسَ الْأَمْرُ عَلَى الصَّغَارِ وَالْكِبَارِ ؛ وَنَمَثَلَ هَذَا فَتَحَتِ الْبِلَادَ ، وَمِلَكَّتِ الْخُصُوفَ ، وَأَزَيَّتِ النَّعَمَ ، وَأَرَبَقَتِ الدَّمَاءَ ، وَهَتَكَتِ الْحَارِمَ ، وَأَبِيدَتِ الْأُمَمَ ؛ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ وَمِمَّا قَرَّبَ مِنْ [سُخْطِ] اللَّهِ ؛ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا كَثُرَ بَوَاعِيهِ ، وَفَرَّقَ نَوَائِثَهُ ^(١) .

وَلَمَّا أُشْتَعَلَتِ النَّائِرَةُ ، وَأُشْتَعَلَتِ النَّائِرَةُ ، صَاحَ النَّاسُ : النَّفِيرَ النَّفِيرَ ، وَالْإِسْلَامَ ، وَالْمُحَمَّدَ ، وَاصْوَامَهُ ، وَاصْلَاتَهُ ، وَاحْجَاهُ ، وَاغْزَوَاهُ ، وَأَسْرَاهُ ، فِي أَيْدِي الرُّومِ وَالطُّغَاةِ . وَكَانَ عِزُّ الدَّوْلَةِ قَدْ خَرَجَ فِي ذَلِكَ الْأَوَانِ إِلَى الْكُوفَةِ لِلصَّيْدِ ، وَلِأَعْرَاضٍ غَيْرِ ذَلِكَ ؛ فَاجْتَمَعَ النَّاسُ عِنْدَ الشُّيُوخِ وَالْأُمَاثِلِ وَالْوُجُوهِ الْأَشْرَافِ وَالْعُلَمَاءِ ، وَكَانَتِ النَّيَّةُ ^(٢) بَعْدُ حَسَنَةً ، وَلِلنَّاسِ فِي ظِلِّ السُّلْطَانِ مَبِيتٌ وَمَقِيلٌ ، يَسْتَغْذِرُونَ وَرَدَهُ ، وَيَسْتَسْنِهُ لُونُ صَدْرِهِ ، وَعَجَّجُوا وَضَجُّوا ، وَقَالُوا : اللَّهُ اللَّهُ ، انْظُرُوا فِي أَمْرِ الضُّعَفَاءِ وَأَحْوَالِ الْفُقَرَاءِ ؛ وَأَغْضَبُوا اللَّهَ وَلَدِينَهُ ؛ فَإِنَّ هَذَا الْأَمْرَ إِذَا تَقَاعَمَ تَعَدَّى ضَعْفَاءَنَا إِلَى أَقْوِيَانَا ، وَبَطَلَ رَأْيُ كِبَرَانَا فِي تَنْبِيرِ صُغَرَانَا ؛ وَالتَّدَارُكُ وَاجِبٌ ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ ، إِنْ لَمْ تَذُبْ عَنْهُ غَلَبَ الْكُفَرُ ؛ وَهُوَ الْأَمْنُ وَالسَّكُونُ إِنْ لَمْ يُحْفَظَا ، فَهُوَ الْخُوفُ وَالْبَلَاءُ وَذَهَابُ الْحَرْثِ وَالنَّسْلِ ،

(١) فِي كَلَامِ النَّسَخَيْنِ «نَوَائِثُهُ» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفُ صَوَابِهِ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يَقْتَضِيهِ السِّيَاقُ . وَنَوَائِثُ الْأَمْرِ : مَشِيرَاتُ دِينِهِ وَمَظْهَرَاتُ خَفِيهِ .

(٢) فِي (١) «الْتِقَاءُ» وَفِي ب «الْبَقِيَّةُ» وَفِي (١) «تَعَدُّ» مَكَانَ قَوْلِهِ «بَعْدُ» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ

وَفَضِيحَةُ الْوَلَدِ وَالْأَهْلِ . فَسَكَنَ الْمَشَايخُ مِنْهُمْ ، وَطَيَّبُوا أَنْفُسَهُمْ ، وَقَوَّوْا مِنْهُمْ
وَوَعَدُوهُمْ أَنْ يَرْتَمُوا ^(١) فِيهِ مُتَّفِقِينَ ، وَيَجْتَمِعُوا عَلَيْهِ بِحَثَدِينَ ، وَيَسْتَخِيرُوا اللَّهَ
ضَارِعِينَ ؛ وَانصَرَفَ النَّاسُ عَنْهُمْ ، وَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ : أَبُو تَمَّامَ الزَّيْنَبِيُّ ، وَمُحَمَّدُ
ابْنُ صَالِحِ بْنِ شَدِّبَانَ ، وَابْنُ مَعْرُوفِ الْقَاضِي ، وَأَبْنُ غَسَّانِ الْقَاضِي ، وَأَبْنُ
مُكْرَمَ ، — وَكَانَ مِنْ كِبَارِ الشُّهُودِ فِي سُوقِ ^(٢) يَحْيَى — وَأَبْنُ أَيُّوبَ الْقَطَّانِ
الْعَدْلُ ، وَأَبُو بَكْرٍ الرَّازِيُّ الْفَقِيهَ ، وَعَلِيُّ بْنُ عَيْسَى ، وَالْعَوَّامِيُّ صَاحِبُ الزَّيْبَرِيِّ ^(٣) ،
وَابْنُ رُبَاطٍ شَيْخُ الْكَرَّخِ ، وَنَائِبُ الشَّيْعَةِ ^(٤) وَلِسَانُ الْجَمَاعَةِ ، وَابْنُ آدَمَ
التَّاجِرِ ^(٥) ، وَالشَّالُوسِيُّ أَبُو مُحَمَّدٍ ، وَغَيْرُهُمْ مِمَّنْ يَطُولُ ذِكْرُهُمْ ؛ وَتَشَاوَرُوا
وَتَفَاوَضُوا ، وَقَلَّبُوا الْأَمْرَ ، وَشَعَبُوا الْقَوْلَ ؛ وَصَوَّبُوا وَضَعَدُوا ، وَقَرَّبُوا وَبَعَدُوا ^(٦) ،
وَالْتَأَمَّ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَخْرُجَ طَائِفَةٌ وَرَاءَ الْأَمِيرِ بِخَتِيَارٍ إِلَى الْكُوفَةِ وَتَلْقَاهُ
وَتُعْرِفَهُ ^(٧) مَا قَدْ شَمِلَ مَدِينَةَ السَّلَامِ مِنَ الْأَهْتَامِ ؛ وَأَنَّ الْخَوْفَ قَدْ غَلَبَهُمْ ،
وَأَنَّ الذُّعْرَ قَدْ مَآكَهُمْ ؛ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ : لَوْ كَانَ لَنَا خَلِيفَةٌ أَوْ أَمِيرٌ أَوْ نَاطِرٌ
سَائِسٌ لَمْ يُفَضَّ الْأَمْرُ إِلَى هَذِهِ الشَّنَاعَةِ ؛ وَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَطِيعَ اللَّهِ إِنَّمَا وَلَاهُ
مَا وَرَاءَ بَابِهِ لِيَتَّقِظَ فِي لَيْلِهِ ، مُتَفَكِّرًا فِي مَصَالِحِ الرِّعَايَا ، وَيُنْقِذَ فِي نَهَارِهِ أَمْرًا
وَنَاهِيًا مَا يَعُودُ بِمَرَاشِدِ الدِّينِ ، وَمَنَافِعِ الدَّانِينَ وَالْقَاصِينَ ^(٨) وَإِلَّا فَلَا طَاعَةَ ؛

(١) فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ « يَرْتَمُوا » بِالْثَاءِ وَسُقُوطِ الْهَمْزِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ ،

(٢) سُوقٌ يَمْعِي كَانَتْ فِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ بَغْدَادَ ، كَانَتْ بَيْنَ الرِّصَافَةِ وَدَارِ الْمَلِكَةِ ؛
وَهِيَ مَنسُوبَةٌ إِلَى يَمْعِي بْنِ خَالِدِ الْبَرْمَكِيِّ ؛ وَهِيَ مَحَلَّةُ ابْنِ حُجَّاجِ الشَّاعِرِ الْمَعْرُوفِ .

(٣) فِي ب « الزَّهْرَى » مَكَانَ « الزَّيْبَرِيِّ » .

(٤) فِي (أ) وَنَائِبُ السَّبْعَةِ وَفِي (ب) « بَابُ الشَّيْعَةِ » . وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ .

(٥) فِي ب « الشَّاعِرُ » .

(٦) فِي (أ) « وَقَعَدُوا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٧) فِي ب « وَتَعْلَمُهُ » ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا .

(٨) كَذَا فِي ب . وَالَّذِي فِي (أ) « الْوَارِدِينَ وَالْقَاصِدِينَ » ؛ وَمَا أَثْبَتْنَاهُ أَوَّلَى بِالسِّيَاقِ ..

وكلاماً على هذا الطابع ، وفي هذا النسخ ؛ فاتفق جماعة على صريمة الرأي في الحركة إلى الكوفة ، منهم أبو كعب الأنصارى ، وأبو الحسن مذرّة القوم ، وعلى ابن عيسى ، والعمّامى ، وابن حسان القاضي صاحب الوتوف ، وأبو أحمد الجرجاني القاضي البليغ ، وابن سيار القاضي أبو بكر ، وأبو بكر الرازى .

وأما جعل ، فإنه ذكر ما به من وجع النقرس ، وأستعفى
وأما أبو سعيد السيرافى فإنه ذكر ضعفاً وسناً ، وقال : أنا^(١) أعين في هذه الذائبة بإقامة رجل جليل مزاح العلة بالفرس والسلاح ، وقعد الجمل الغفير ، وسارت الجماعة إلى الكوفة ، ولحمت عن الدولة في التصيّد ، وانتظرنه ؛ فلما عاد قامت في وجهه واستأذنت في الوصول إليه على خلوة وسكون بال وقلة شغل ؛ فلم يلتفت إليهم ، ولا عاج عليهم — وكان وافر الحظّ من سوء الأدب ، قليل التحاشى من أهل الفضل والحكمة — ثم قيل له : إن القوم وردوا في مهم لا يجوز التغافل عنه ، والإمساك دونه ، فأذن^(٢) لهم بين المغرب والعتمة ، فجلسوا بحضرته كما اتفق من غير ترتيب ، فقال : تكلموا .

فقال أبو الوفاء المهندس لأبى بكر الرازى : تكلم أيها الشيخ ، فإنك رضا الجماعة ، ومقنع العصابة .

فقال أبو بكر : الحمد لله الذى لا موهبة إلا منه ، ولا بلوى إلا بقضائه ، ولا مفرغ إلا إليه ، ولا يسر إلا فيما يسره ، ولا مصلحة إلا فيما قدره ؛ له الحكم وإليه المصير ، وصلى الله على سيدنا محمد رسوله المبعوث ، إلى الوارث والموروث ؛ أما بعد ، فإن الله [تعالى] قد حصّ على الجهاد ، وأمر بإعزاز الدين ،

(١) في (١) « لنا » ، وهو تحريف

(٢) في ب « فأمر » .

والذَّبُّ عن الحرِّيم والإسلام والمسلمين ، في الدهر الصالح ، والزمان المطمئن ؛ فكيف إذا اضطرب الحبْلُ وانتكشت مَرِيرَتُهُ ، وأبرزَ مَصُونُهُ ، وعُرِّيَ حَرِيمُهُ بالأسباحة ؛ ونيلَ جانبِهِ بالضَّيم ، وضُفِعَ مَنَارُهُ بالرَّغَم ، وقُصِدَ رُكْنُهُ بالهَدم ، وأنت أيها^(١) المولى من وراء سُدَّةِ أمير المؤمنين المطيعِ لله . والحاملُ لأعباءِ مُهَمَّاتِهِ ، والناهِضُ بأثقالِ نَوَائِيهِ وأَحْدَائِهِ ؛ والمَفْرَعُ إِلَيْكَ ، والمُعَوَّلُ عَلَيْكَ ، فإنْ كَانَ مِنْكَ حِجٌّ وَتَشْمِيرٌ فما أَقْرَبَ الفَرَجَ ممَّا قد أَظْلَمَ وَأَزْعَجَ ، وإنْ كَانَ مِنْكَ تَوَانٌ وتَقْصِيرٌ فما أَصْعَبَهُ مَنْ خَطَبَ ؟ وما أَبْعَدَهُ مَنْ شَغَبَ !! وقد جِئْنَاكَ نَحْقَقُ عِنْدَكَ مَا بَلَغَكَ مِنْ تَوَسُّطِ هَذِهِ الطَّاغِيَةِ أَطْرَافِ المَوْصِلِ وما والاها ، وأنَّ النَّاسَ قد جَلَّوْا عَنْ أَوْطَانِهِمْ ، وَفُتِنُوا فِي أَدْيَانِهِمْ^(٢) وَضَعُفُوا عَنْ حَقِيقَةِ إِيْمَانِهِمْ ؛ للرَّغْبِ الَّذِي أَذْهَلَهُمْ ، والخَوْفِ الَّذِي وَهَلَهُمْ ؛ وإِنَّمَا هُمْ بَيْنَ أَطْفَالِ صِغَارٍ ، وَإِنْسَاءِ ضِعَافٍ ، وشيوخٍ قد أَخَذَ الزَّمَانُ مِنْهُمْ ، فَهُمْ أَرْضٌ لِكُلِّ وَاطِئٍ ، وَنَهْبٌ لِكُلِّ يَدٍ ؛ وَشَبَابٌ لَا يَقْفُونَ لِعَدُوِّهِمْ لِقْلَةَ سِلَاحِهِمْ ، وَسُوءٌ تَأْتِيهِمْ^(٣) فِي المِقْرَاعِ والدَّفَاعِ ؛ وَنَحْنُ نَسْتَمْلِكُ أَنْ تَتَوَخَّى فِي أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يَزِلُّكَ عِنْدَهُ ، وَيَكُونُ لَكَ فِي ذَلِكَ دُخْرٌ مِنْ شَفَاعَتِهِ وَبَخْتِيَارِ مَطَرِهِ .

ثم اندفع على بن عيسى فقال : أيها الأمير ، إن الصغير يتدارك قبل أن يكبر ، فكيف يجوز ألا يستقبل بالجد والاجتهاد وهو قد عسا وكبر . والله إن^(٤) بنا إلا أن يظن أهل الجبل وأذربيجان وخراسان أنه ليس لنا ذاب

(١) كذا في ب . وعبرة (١) « وأنت أمير الأمير المولى ما وراء سيده » ، ولا يخفى ما فيها من اضطراب .

(٢) في (١) « ديارم » ؛ وهو تحريف .

(٣) كذا في ب ؛ والذي في (١) بأسهم ؛ وهو تحريف إذ أن سوء البأس في هذا الموضع مما يعمد لا ما يمايب . (٤) « إن » في هذا الموضع نافية بمعنى « ما » .

عن حَرَمِنَا ، ولا ناصِرٍ لِدِينِنَا ، ولا حافظٌ لِمَيْصَنَتِنَا ، ولا مُفَرِّجٌ لِكُرْبَتِنَا ،
ولا مَنْ يَهْمُهُ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِنَا ، فَاَللّٰهُ اللهَ لَا تَجُرَّنَّ عَلَيْنَا شِمَاتَهُمْ بِنَا ،
وَحُذْ بِأَيْدِينَا بِقُوَّتِكَ وَحُسْنِ نِيَّتِكَ ، وَحَمِيدِ طَوْبِ بَيْتِكَ ، وَغَرْكَ وَسَلْطَانِكَ ،
وَأُولِيَانِكَ وَأَعْوَانِكَ ، وَأُكْتُبْ قَبْلَ هَذَا إِلَى عُدَّةِ الدَّوَلَةِ بِمَا يَبْعَثُهُ عَلَى حِفْظِ
أَطْرَافِهِ ، وَحِرَاسَةِ أَكْنَافِهِ ، مَعَ اسْتِطْلَاعِ الرَّأْيِ مِنْ جِهَتِكَ ، وَمُطَالَعَةِ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِرَأْيِكَ وَمَشُورَتِكَ .

نم رفع الأنصاري رأسه وقال : ليس في تَكْرِيرِ السَّكَلَامِ — أطال الله
بقاء الأمير — فائدةٌ كبيرة ، وَلَنْ كَانَ الْإِيْجَازُ فِي هَذَا الْبَابِ لَا يَكْفِي ،
فَالْإِطْنَابُ فِيهِ أَيْضًا لَا يُغْنِي ، وَاللهُ لَوْ نَهَضَتْ بِنَا وَنَحْنُ أَحْرَاضُ^(١) كَمَا تَرَى
لَا نَقْلَبُ مَحْضَرَةً^(٢) بِكَفِّ ، وَلَا تَرْمِي دُخْرُوجَةً^(٣) بَيْدٍ ، وَلَا نَعْرِفُ سِلَاحًا إِلَّا
بِالاسْمِ ، لَمْ نَهْضَا وَسِرْنَا تَحْتَ رَابِتِكَ ، وَتَصَرَّفْنَا بَيْنَ أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ ، وَدَبَبْنَاكَ
بَارِزًا وَاحِدًا ضَنْبًا ، وَبَعَثْنَا عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ أَحْدَانَنَا وَأَوْلَادَنَا الَّذِينَ رَبَّنَاكُمْ
بِنِعْمَتِكَ ، وَخَرَجْنَا فِي أَيَّامِكَ ، وَأَدَخَرْنَا لِلنَّوَازِلِ إِذَا قَامَتْ ، وَالْحَوَادِثِ إِذَا
تَرَاكَتْ ، فَإِنْ كَانَ فِي الْمَسَالِقَةِ قَلَّةٌ فَخُذْ مِنْ مُوسِرِنَا وَمَنْ لَهُ فَضْلٌ فِي حَالِهِ ،
فَإِنَّهُ يُفَرِّجُ عَنْهُ طَاعَةً لَكَ ، وَطَمَعًا فِيمَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الثَّوَابِ .

(١) في ب «أحراض» بالصاد ؛ وهو تصحيف . والأحراض : جمع حرض بالتحريك
وهو الكال الممي والمشراف على الهلاك .

(٢) في (١) «محضرة» ، الحاء المهملة ؛ وفي ب «محضرة» بالحاء المهملة والاضاد المعجمة
وهو تصحيف في كلتا النسختين . والمحضرة : ما يتوكل عليه من عصا ونحوها .

(٣) في كلتا النسختين «مخروجة» وهو تحريف إذ لم نجد له معنى ياسب السياق ولعل
صوابه ما أثبتنا . والمخروجة : ما يدرجه الجعل من البندق . أو لعله حذوكة بالتحريك
يقال تراموا بالحدج وهو الحنظل الصغير .

وقال العوامي^(١) : والله ما سُمِّيتَ لِلدَّوْلَةِ عِزًّا ، إِلَّا لِأَنَّ اللَّهَ — تعالى — قد ذَخَرَكَ لِلْمُسْلِمِينَ كِزًّا ، وجعل لهم على يَدَيْكَ وبتدبيرك راحةً وفوزًا ، ولم يُعَرِّضْكَ لِهَذِهِ الْفَادِحَةِ إِلَّا لِأَيُّخُصَّكَ بِانْفِرَاجِهَا [عَلَى يَدِكَ] وَيُقْبِىَ لَكَ بِهَا ذِكْرًا بِطَبَقِ الْأَرْضِ وَيُمْلَغَ أُمَرَاءُ خُرَّاسَانَ وَمِصْرَ وَالْحِجَازِ وَالْيَمَنِ فَيُصِيبُهُمُ الْخَسَدُ عَلَى مَا هَيَأُ^(٢) اللَّهُ لَكَ مِنْهَا .

وَنَظَرَ بَحْتِيَارٌ إِلَى ابْنِ حَسَّانِ الْقَاضِي — وكان مُنْبَسِطًا مَعَهُ لِقَدِيمِ خِدْمَتِهِ — فَقَالَ : أَيُّهَا الْقَاضِي ، أَنْتَ لَا تَقُولُ شَيْئًا ؟ قَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، وَمَا الْقَوْلُ وَعِنْدَكَ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءُ ، وَالْمَصَاقِعُ الْأَلْبَاءُ ؛ وَإِنْ سِرَّاجِي لَا يَزِدُّهُرْفِي شَمْسِهِمْ ، وَإِنْ سَحَابَتِي لَا تَبِلُ عَلَى بُلَالِهِمْ^(٣) : وَقَدْ قَالُوا فَأَنْعَمُوا^(٤) ، وَجَرَوْا^(٥) فَأَمَعْنُوا ، وَلَيْسَ قُدَّامَهُمْ إِمَامٌ ، وَلَا وَرَاءَهُمْ أَمَامٌ ؛ لَكِنِّي أَقُولُ : مَا جَشَعْنَا إِلَيْكَ هَذِهِ السَّكَلَفَ إِلَّا لِأَنَّا نُنْظَرُ عَلَى ضَعْفِ أَرْكَانِنَا وَعُلُوِّ أَسْنَانِنَا^(٦) ، وَقَلَّةِ أَعْوَانِنَا^(٧) ، لِأَنَّا^(٨) رَأَيْنَاكَ أَهْلًا لِلنَّظَرِ فِي أَمْرِنَا ، وَالْأَهْتِمَامِ بِحَالِنَا ، وَبِمَا يَعُودُ نَفْعُهُ عَلَى صَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا .

فَقَالَ عِزُّ الدَّوْلَةِ : مَا زُوِيَ عَنِّي مَا طَرَقَ هَذِهِ الْبِلَادَ ، وَلَقَدْ أَشْرَفْتُ عَلَيْهِ ، وَفَكَرَّرْتُ فِيهِ ، وَمَا أَحْبَبْتُ تَجَشُّمَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ . وَمَا أَعْجَبَنِي

(١) في كلتا النسختين « العراق » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا أخذاً مما سبق .

(٢) في (ب) « وهب » مكان قوله « هياً » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضاً .

(٣) البلال بكسر الباء وضمة اللام : الماء .

(٤) أنعموا : جودوا .

(٥) في (أ) « وحرروا » ؛ وهو تحريف .

(٦) في كلتا النسختين « شأنا » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما أن في (أ)

وحدها « وغلوا » بالعين المعجمة مكان المهملة ؛ وهو تصحيف أيضاً .

(٧) في (أ) « لإخواننا » ؛ وهو تحريف .

(٨) في كلتا النسختين « لسننا » ؛ وهو تحريف ، فإن الاستدراك هنا غير مفهوم :

هذا التفرُّيعُ مِنَ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ ، وما كَانَ يَجُوزُ لِي أَنْ أَنْعَسَ عَلَى هَذِهِ
الْكَارِثَةِ ، وَأَنْعَمَ بِالْعَيْشِ مَعَهَا ، وَلَمْ عَمَرِي إِنَّ الْغَفْلَةَ [عَلَيْنَا] أَغَابَ ، وَالسَّهْوَ
مِينَا أَعْمَلَ ، وَلَكِنْ فِيمَا رَكِبْتُمُوهُ ^(١) مَتْنِي تَهَجُّجِي شَدِيدٌ ، وَتَوْبِيخُ فَاحِشٍ ، وَإِنَّ
هَذَا الْمَجْلِسَ لِمَا يُتَهَادَى حَدِيثُهُ بِالزَّائِدِ وَالنَّاقِصِ ، وَالْحَسَنِ وَالْقَبِيحِ ، وَإِنَّكُمْ
لَتَظُنُّونَ أَنَّكُمْ مَظْلُومُونَ بِسُلْطَانِي عَلَيْكُمْ ، وَوَلَا يَتَنَبَّأُ بِأُمُورِكُمْ ؛ كَلَّا ، وَلَكِنْ
كَمَا تَسْكُونُونَ يُؤَلَّى عَلَيْكُمْ ؛ هَكَذَا قَوْلُ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ مِينَا وَمَيْكُمْ ؛ وَاللَّهُ لَوْ لَمْ
تَكُونُوا أَشْبَاهِي لَمَّا وَلِيْتُمْكُمْ ، وَلَوْ لَا ^(٢) أَنِّي كَوَّاحِدٍ مِنْكُمْ ، لَمَّا جُمِلْتُ قِيَمًا
عَلَيْكُمْ ؛ وَلَوْ خَلَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا بِغَيْبِ نَفْسِهِ لَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يَسْمَعُ وَعَظُ غَيْرِهِ ، وَتَهَجُّجِي
سُلْطَانِهِ ؛ أَيُّظُنُّ هَذَا الشَّمِخَ أَبُو بَكْرٍ الرَّازِيُّ أَنَّنِي غَيْرُ عَالِمٍ بِنَفَاقِهِ ، وَلَا عَارِفٍ
بِمَا يَشْتَمَلُ عَلَيْهِ مِنْ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ؛ يَتَلَقَّانِي بِوَجْهِ صُلبٍ وَلِسَانٍ هَذَّارٍ يَرَى
مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ يَعِظُ الْحَجَّاجَ بْنَ يُونُسَ ، أَوْ وَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ
يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ ، أَوْ ابْنُ السَّمَاكِ يُرْهِبُ الْفُجَّارَ ؛ هَذَا قَبِيحٌ ، وَلَوْ سَكَتُ عَنْ هَذَا
لَكَانَ عِيًّا وَعَجْزًا ؛ جَزَى اللَّهُ أَمَا عَبْدُ اللَّهِ شَيْخَنَا خَيْرًا حِينَ جَلَسَ ، وَكَذَلِكَ
أَحْسَنَ اللَّهُ عَنَّا مَكْفَاةً أَبِي سَمِيدٍ السَّيْرَافِي ، فَإِنَّهُ لَوْ عَلِمَ أَنَّ فِي مُسَاعَدَتِكُمْ
رُشْدًا لَمَّا تَوَقَّفَ ؛ وَأَمَّا أَنْتَ يَا أَنَا الْحَسَنُ — يُرِيدُ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى — فَوَاحَقْ أَبِي
إِنِّي لِأَحِبُّ لِقَاءَكَ ، وَأُوْرِرُ قُرْبَكَ ، وَلَوْلَا مَا يَبْلُغُنِي مِنْ مُلَازِمَتِكَ لِمَجْلِسِكَ ،
وَتَدْرِيسِكَ لِمُخْتَلِفَتِكَ ^(٣) ، وَإِكْبَابِكَ عَلَى كِتَابِكَ فِي الْقُرْآنِ ، أَعْلَمْتُكَ عَلَى
زَمَانِكَ ، وَلَا أَسْتَكَثِّرْتُ مِمَّا قَلَّ حَظِّي مِنْهُ فِي هَذِهِ الْحَالِ الَّتِي أَنَا مَذْمُوعٌ

(١) فِي (١) «رَأَيْتُمُوهُ مِنْ» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي (١) «وَلَوْ أَنِّي» ؛ وَلَا يَسْتَفِيمُ بِهِ الْمَعْنَى .

(٣) الْمُخْتَلَفَةُ : الدِّينُ يَتَمَلَّوْنَ مِنْهُ .

إليها ، فإنها وازعةٌ على هوى النفس ، وطاعةُ الشيطان ، ومنازعةُ الأكفاء ،
وجمعُ المال ، وأخذه من حيثُ يجبُ أو لا يجبُ ، وتفريقه فيمن يستحقُّ
ومن لا يستحقُّ ، وإلى الله أفزعُ في قليلٍ أمرى وكثيره . إذا شئتم .

قال لى أبو الوفاء — وهو الذى شرح لى المجلس من أوله إلى آخره — :
لقد شاهدتُ من عنز الدولة فى ذلك المجلس المنصور^(١) فى جدّه وشهامته ، وثباتِ
قلبه وقوّةِ لسانه ، مع بحجٍ لذيدٍ ولثقةٍ خلوة .

قال : ولقد قلتُ له بعد ذلك : أيُّها الأمير ، ما ظننتُ أنك إذا خلعتُ ردائك
ونزعتَ حذاءك تقول ذلك المقال ، وتجولُ ذلك المجال ، ونفال ذلك المزال ،
لقد أنصرفَ ذلك الرهطُ على هيبةٍ لك شديدة ، وتعظيمٍ بالغ ، ولقد تداووا
لفظك ، وتتبعوا معانيك ، وتشاخوا^(٢) على نظمك ، وقالوا : ما ينبغى لأحدٍ أن
يسىء ظنّه بأحدٍ إلا بعدَ الخبرة والعيان ، وإلا بعدَ الشهادة والبيان ؛ ألهذا
يقال له مُتَخَلِّفٌ أو ناقصٌ ؟ لله درّه من شخص ! والله أبوه من نقي مدرّه !

ولما بلغَ هذا المجلسُ الذين قعدوا عن المسير إليه — أغنى عن الدولة —
حمداً لله تعالى ، وعلموا أنَّ الخيرة كانت قرينة اختيارهم .

قال الوزير : قرأتُ ما دونه الصابى أبو إسحاق فى (التاجي) فما وجدتُ
هذا الحديث فيه . قلتُ : لعله لم يقع إليه ، أو لعله لم يرَ التطويل به ، أو لعله لم
يستخفَ ذكرَ عنز الدولة على هذا الوجه . قال : هذا ممكن ؛ فهل سمعتَ فى
أيام الفتنَةِ بغريبة ؟

(١) يريد بالمنصور أبا جعفر الخليفة العباسي المعروف .

(٢) تشاخوا على نظمك ، أى أن كلا منهما ضمن بما يحفظه منه على صاحبه ، وفى (ب) <

> وتسايموا ؛ وهو تحريف .

قلتُ : كلُّ ما كُتِبَ فيه [كان] غريبًا بديعًا ، عجيبًا شنيعًا ، حَصَلَ لَنَا مِنْ الْعَيَّارِينَ قَوَادٍ ^(١) ، وَأَشْهُرُهُمْ ^(٢) ابْنُ كَبْرَوَيْهِ ، وَأَبُو الدُّودِ ^(٣) ، وَأَبُو الذُّبَابِ ، وَأَسْوَدُ الزُّبَيْدِ ، وَأَبُو الْأَرْضَةِ ^(٤) ، وَأَبُو النَّوَابِجِ ، وَشُنَّتِ الْغَارَةُ ، وَاتَّصَلَ النَّهْبُ ، وَتَوَالَى الْحَرِيقُ حَتَّى لَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا الْمَاءُ مِنْ دِجْلَةٍ ، أَغْنَى الْكَرْخَ .

فَمِنْ غَرِيبٍ مَا جَرَى أَنَّ أَسْوَدَ الزُّبَيْدِ كَانَ عَبْدًا يَأْوِي إِلَى قَنْطَرَةٍ ^(٥) الزُّبَيْدِ وَيَلْتَقِطُ النَّوَى وَيَسْتَطِيعُ مَنْ حَصَرَ ذَلِكَ الْمَسْكَانَ بِلَهْوٍ وَلَعِبٍ ، وَهُوَ عُرْيَانٌ لَا يَتَوَارَى إِلَّا بِخُرْقَةٍ ، وَلَا يُؤْبَهُ لَهُ ، وَلَا يُبَالَى بِهِ ، وَمَعْنَى عَلَى هَذَا دَهْرٌ ، فَلَمَّا حَلَّتِ النَّفَرَةُ ^(٦) أَغْنَى لَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ ، وَفَشَا الْمَرْجُ وَالْمَرْجُ ، وَرَأَى هَذَا الْأَسْوَدُ مِنْ هُوَ أَضْعَفُ مِنْهُ قَدْ أَخَذَ السَّيْفَ وَأَعْمَلَهُ ، طَلَبَ سَيْفًا وَشَحَدَهُ ، وَهَبَ وَأَغَارَ وَسَلَبَ ، وَظَهَرَ مِنْهُ شَيْطَانٌ فِي مَسَكِ إِنْسَانٍ ، وَصَبَّحَ وَجْهُهُ ، وَعَذَّبَ لَفْظُهُ ، وَحَسَّنَ جِسْمَهُ وَعُشِقَ وَعَشِقَ ، وَالْأَيَّامُ تَأْتِي بِالْغَرَائِبِ وَالْعَجَائِبِ ، وَكَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ يَقُولُ فِي مَوَاعِظِهِ : الْمُعْتَبَرُ كَثِيرٌ ، وَالْمُعْتَبَرُ قَلِيلٌ . فَلَمَّا دُرِيَ قَائِدًا وَأَطَاعَهُ

(١) في (١) « قول » ؛ وهو تحريف .

(٢) في (ب) « وأسماءهم » .

(٣) في كلتا النسختين « وابن الرود » بالراء ؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا إذ هو المناسب لأسماء هؤلاء الذين ذكروا .

(٤) كذا في (١) والذي في (ب) « أبو الأرمي » .

(٥) في كلتا النسختين « الربد » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا نقلًا عن كتاب بغداد للأستاذ لوسترانج Le Strange ؛ ولعلهم كانوا يبيعون الزبد عند هذه القنطرة ، فأضيفت إليه . وهي قنطرة البطريق أيضا . وفي ياقوت قنطرة رحي البطريق ، وهي على نهر الصرارة .

(٦) في (١) « حلف الخنصرة » وفي (ب) « حلب البقرة » ؛ وهو تحريف في

كلتا النسختين .

رِجَالٌ وَأَعْطَاهُمْ وَفَرَّقَ^(١) فِيهِمْ ، وَطَلَبَ الرَّأْسَةَ عَلَيْهِمْ ، صَارَ جَانِبُهُ لَا يُرَامُ ، وَحِمَاهُ لَا بُضَامُ .

فَمِمَّا ظَهَرَ مِنْ حُسْنِ^(٢) خُلُقِهِ — مَعَ شَرِّهِ^(٣) وَأَعْنَتِهِ ، وَسَفْكِهِ لِلدَّمِّ ، وَهَتِكِهِ لِلحُرْمَةِ ، وَرُكُوبِهِ لِلْفَاحِشَةِ ، وَتَمَرُّدِهِ عَلَى رَبِّهِ الْقَادِرِ ، وَمَالِكِهِ الْقَاهِرِ — أَنَّهُ اشْتَرَى جَارِيَةً كَانَتْ فِي النَّخَّاسِينَ عِنْدَ الْمُوَصِّلِيِّ بِأَلْفِ دِينَارٍ ، وَكَانَتْ حَسَنَاءَ جَمِيلَةٍ ، فَلَمَّا حَصَلَتْ عِنْدَهُ حَاوَلَ مَهَا حَاجَتَهُ ، فَاِمْتَنَعَتْ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهَا : مَا تَكْرَهِينَ مِنِّي ؟ قَالَتْ : أَكْرَهُكَ كَمَا أَنْتَ . فَقَالَ لَهَا : فَمَا تُحِبِّينَ ؟ قَالَتْ : أَنْ تَبْعَنِي ، قَالَ لَهَا : أَوْ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ أُعْتِقُكَ وَأَهْبُ لَكَ أَلْفَ دِينَارٍ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، فَأَعْتَقَهَا وَأَعْطَاهَا أَلْفَ دِينَارٍ بِحَضْرَةِ الْقَاضِي أَبِي الدَّقَاقِ عِنْدَ مَسْجِدِ أَنْ رَغَبَانَ^(٤) فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ نَفْسِهِ وَهَيْئَتِهِ وَسَمَاعَتِهِ ، وَمِنْ صَبْرِهِ عَلَى كَلَامِهَا ، وَتَرْكِ مُكَافَأَتِهَا عَلَى كَرَاهَتِهَا ، فَلَوْ قَتَلَهَا مَا كَانَ أَتَى مَا لَيْسَ مِنْ فِعْلِهِ فِي مِثْلِهَا .

قَالَ الْوَزِيرُ : هَذَا وَاللَّهِ طَرِيفٌ ، فَمَا كَانَ آخِرُ أَمْرِهِ ؟ قُلْتُ : صَارَ فِي جَانِبِ أَبِي أَحْمَدَ الْمُوسَوِيِّ وَحِمَاهُ ، ثُمَّ سَيَّرَهُ إِلَى الشَّامِ فَمَلَكَ بِهَا .

قَالَ : وَكَيْفَ سَلِمَتْ فِي هَذِهِ الْحَالَاتِ ؟ قُلْتُ : وَمَتَى سَلِمَتْ ؟ جَاءَتْ النَّهَابَةُ إِلَى بَيْنِ السُّورَيْنِ^(٥) وَشَنُّوا الْغَارَةَ ، وَأَكْتَسَحُوا مَا وَجَدُوا فِي مَنْزِلِي مِنْ ذَهَبٍ وَثِيَابٍ وَأَثَاثٍ ، وَمَا كُنْتُ ذَاخِرُهُ مِنْ تَرَاثِ الْعُمَرِ ؛ وَجَرَدُوا السَّكَاكِينَ

(١) فَرَّقَ فِيهِمْ ، أَيْ فَرَّقَ الْأَعْطِيَةَ فِيهِمْ .

(٢) فِي (١) « مِنْ خُلُقِهِ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي (١) « شَرُّهُ » ؛ وَالْهَاءُ الْأُولَى رِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِجِ .

(٤) مَسْجِدُ ابْنِ رَغَبَانَ فِي غَرْبِ بَغْدَادَ . وَالَّذِي فِي (١) ابْنُ رَغَبَانَ بِالْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ ؛

وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٥) إِلَى بَيْنِ السُّورَيْنِ ، أَيْ إِلَى هَذِهِ الْحُلَّةِ الْمُسَمَّاةِ بِهَذَا الْاسْمِ فِي بَغْدَادَ .

على الجارية في الدَّارِ يطالبونها بالمال ، فَأُشْقَتْ مَرَارَتُهَا ، وَدُفِنَتْ فِي يَوْمِهَا ،
[وَأُسْمِيَتْ] وما أَمْلَكَ مع الشيطان فَبَجْرَةٍ^(١) ، ولا مع الغراب نَقْرَةٍ .

أَيُّهَا الشَّيْخ — وَقَكَ اللَّهُ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِكَ ، وَكَانَ لَكَ فِي كُلِّ مَقَالِكَ
وَمَعَالِكَ — إِمَّا نَثَرْتُ بِالْقَلَمِ مَا لَاقَ بِهِ ؛ فَأَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِي كَانَ يَجْرَى بَيْنِي
وَبَيْنَ الْوَزِيرِ فَسَكَانٌ عَلَى قَدَرِ الْحَالِ وَالْوَقْتِ [وَالْوَاجِبِ] ؛ وَالْأَتَسَاعُ يَتَّبَعُ
الْقَلَمَ مَا لَا يَتَّبَعُ اللِّسَانَ ، وَالرَّوْيَةُ^(٢) تَتَّبَعُ الْخَطَّ مَا لَا تَتَّبَعُ الْعِبَارَةَ ، وَمَا كَانَ
قَصْدِي فِيْمَا أَعْرَضَهُ عَلَيْكَ ، وَأُلْقِيَهُ إِلَيْكَ ، أَنْ يَبْقَى الْحَدِيثُ بَعْدِي وَبَعْدَكَ ،
لَمْ أَجِدْ بُدًّا مِنْ نَنْمِيقِ يَزْدَانُ بِهِ الْحَدِيثَ ، وَإِصْلَاحِ يَحْسُنُ مَعَهُ الْمَغْزَى ،
وَتَكْلُفِ يَبْلُغُ الْمُرَادَ الْغَايَةَ ، فَلْيَقُمْ الْعُذْرُ عِنْدَكَ عَلَى هَذَا الْوَصْفِ ، حَتَّى يَزُولَ
الْعَتَبُ ، وَيُسْتَحَقَّ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ .

الليلة التاسعة والثلاثون

(١) وقال الوزير ليلية : يعجبني الجوابُ الحاضر ، واللفظُ النادر ، والإشارة
الحُلُوَّةُ ، والحركة الرَضِيَّةُ ، والنِّعْمَةُ الْمُتَوَسِّطَةُ ، لَا نَازِلَةً إِلَى قَعْرِ الْحَلْقِ ،
وَلَا طَافِحَةً عَلَى الشِّفَةِ .

فَسَكَانٌ مِنَ الْجَوَابِ : اقْتِرَاحُ الشَّيْءِ عَلَى الْكَمَالِ سَهْلٌ ، وَلَكِنْ وَجْدَانُهُ

(١) فِي (١) « نَحْوُهُ » . وَفِي (ب) « نَحْرُهُ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا الْمَسْنُونِ صَوَابُهُ
مَا أَثْبَتْنَا ، أَيْ لَا أَمْلَكَ مَا أُجْرَ بِهِ جُرَّةٌ وَاحِدَةٌ مَعَ الشَّيْطَانِ . وَيَشْتَهَوْنَ الْعَجَلَةَ فِي السَّجُودِ بِتَقَرُّ
الْغَرَابِ ، فَيُرِيدُ بِالْعِبَارَةِ الثَّانِيَةِ أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ سَجْدَةً مُسْتَعْجِلَةً مَعَ الْعَرَابِ تَشَبُّهُهُ بِقَرَّةٍ مِنْ نَقَرَاتِهِ .
وَيُرِيدُ بِالْعِبَارَتَيْنِ أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ عَمَلًا خَبِيثًا وَلَا طَائِبًا مَهْمَا فَلَا . هَذَا مَا يُلَوِّحُ لَنَا مِنْ مَعْنَى هَاتَيْنِ
الْعِبَارَتَيْنِ .

(٢) فِي الْأَصُولِ : « وَالرَّقُّ بِهِ يَنْسَعُ الْخَطَّ مَا لَا يَنْسَعُ الْح » وَهُوَ تَحْرِيفٌ ؛ وَسَبَّاقُ
الْكَلَامِ يَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا .

على ذلك صَعَب ، لَأَنَّ التَّعَمُّيَّ صَفْوُ النَّفْسِ الْحَسِّيَّةِ ، وَنَيْلُ الْمَتَعَى فِي الْفُرْصَةِ ^(١) الْمَحْشُورَةِ بِالْحَيْلُولَةِ .

وقد قال المدائني : أحسنُ الجواب ما كان حاضراً مع إصابة المعنى وإيجاز اللفظ وبلوغ الحجة .

وقال أبو سليمان شارحاً لهذا : أمّا حضور الجواب فليَكُنْ الظَّاهِرُ عند الحاجة ، وأمّا إيجاز اللفظ فليَكُنْ صافياً من الحشو ، وأمّا بلوغ الحجة فليَكُنْ حَسْماً للمُعَارَضَةِ .

قال : ما أحسن ما وشَّحَ هذه الفقرة بهذه الشذرة !

وحَكَى المدائني قال : قال مسألهُ بنُ عبْدِ المَلِك : ما مِنْ شَيْءٍ يُؤْتَاهُ الْعَبْدُ بعد الإيمان بالله أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ جَوَابٍ حَاصِرٍ ، فَإِنَّ الْجَوَابَ إِذَا تُعَقِّبَ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَقَعٌ .

وحَكَى المدائني بإسناده عن عبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ حَوْسَبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَعَمْرُؤُا بِنِ الْأَهْتَمِ التَّعَمُّيُّ : أَخْبَرَنِي عَنْ الزُّبْرِقَانِ بنِ نَدْرٍ ، فَقَالَ : مُطَاعٌ فِي أَذْنِيهِ ، شَدِيدُ الْعَارِضَةِ ، مَانِعٌ لِمَا وَرَاءَ ظَهْرِهِ . فَقَالَ الزُّبْرِقَانُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّهُ لَيَعْلَمُ مِنِّي أَكْثَرَ مِنْ هَذَا ، وَلَكِنَّهُ حَسَدَنِي ، فَقَالَ عَمْرُو : أَمَّا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ لَزَمِرٌ ^(٢) الْمُرْوَةُ ، ضَيِّقُ الْمَطْنِ ، لَثِيمُ الْخِلَالِ ، أَتَحَقُّقُ الْوَالِدِ ، وَمَا كَذَبْتُ فِي الْأَوَّلَى ، وَلَقَدْ صَدَقْتُ فِي الْآخِرَى ، وَلَقَدْ رَضِيتُ فَقُلْتُ أَحْسَنَ مَا عَلِمْتُ ، وَسَخِطْتُ فَقُلْتُ أَسْوَأَ مَا عَلِمْتُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ” إِنَّ مِنَ الْبَيَّانِ لَسِحْرًا وَإِنَّ مِنَ الشُّعْرِ لَحِكْمًا “ .

(١) في (١) « في العرصة » ؛ وفي (ب) « في العرض » وهو تحريف فيهما .

(٢) في كلتا النسختين « رمس » بالنون ؛ وهو تحريف ؛ وزمر المروءة : قليلها .

وقال أبو سليمان : السِّحْرُ بالقَوْلِ الأَعْمِّ والرَّسْمِ المُفِيدِ على أَرْبَعَةِ أَضْرُبٍ :
 سِحْرٌ عَقْلِيٌّ ، وهو ما بَدَرَ من الكلام المَشْتَمِلِ على غريب المعنى في أىِّ فنٍّ
 كان ؛ وسِحْرٌ طَبِيعِيٌّ ، وهو ما يَظْهَرُ مِنْ آثار الطبيعة في العنَاصِرِ المُتَهَيِّئَةِ ^(١)
 والموادِّ المُسْتَجِيبَةِ ^(٢) وسِحْرٌ صِنَاعِيٌّ ، وهو ما يَوجَدُ ^(٣) بِخَفَّةِ الحَرَكَاتِ المَبَاشِرَةِ ،
 وتَصْرِيفِهَا في الوُجُوهِ الخَفِيَّةِ عن الأبصار المُحَدِّثَةِ ، وسِحْرٌ إلهِيٌّ وهو ما يَبْدُو
 من الأنفُسِ السَّكْرِيَّةِ الطَّاهِرَةِ بِاللَّفْظِ مَرَّةً ، وبالفِعْلِ مَرَّةً : وَعَرَضَ كُلٌّ وَاحِدٍ
 من هذه الصُّرُوبِ واسِعٍ ، وكلُّ حَذَقٍ ومَهَارَةٍ وبلوغٍ قَاصِيَةٍ في كُلِّ أَمْرٍ
 هو سِحْرٌ ، وصاحبُه ساحِرٌ .

وقال المدائني : نظرَ ثابت بنُ عبد الله بن الزُّبَيْرِ إلى أهل الشام فَشَتَمَهُمْ ،
 فقال له سَمِيدُ بنُ عُثْمَانَ بنِ عَمَّانَ ، أَشَتَمَهُمْ لِأَنَّهُمْ قَتَلُوا أَبَاكَ ؟ فقال :
 صَدَقْتَ ، ولَسَكُنَّ المَهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ قَتَلُوا أَبَاكَ .

وقال عبدُ المَلِكِ بنُ مَرْوَانَ لِثَابِتِ بنِ عبد الله بن الزُّبَيْرِ : أَبُوكَ كَانَ
 أَعْلَمَ بِكَ حِينَ شَتَمَكَ ، فقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَتَدْرِي لِمَ كَانَ يَشْتُمُنِي ؟
 إِنِّي سَهِمْتُهُ أَنْ يُقَاتَلَ بِأَهْلِ مَكَّةَ وَأَهْلِ الْمَدِينَةِ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَنْصُرُهُمَا ،
 وَقُلْتُ لَهُ ، أَمَّا أَهْلُ مَكَّةَ فَأَخْرَجُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
 وَأَخَافُوهُ ، ثُمَّ جَاؤَا إِلَى الْمَدِينَةِ فَأَخْرَجَهُمْ مِنْهَا وَشَرَّدُوهُمْ .

فَعَرَّضَ بِالْحَكَمِ بنِ أَبِي الْعَاصِ — وَهُوَ جَدُّ عَبْدِ الْمَلِكِ — وَكَانَ النَّبِيُّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نَفَاهُ .

(١) ورد في (ب) هذان اللفطان « المتهيئة والمستجيبة » مبهمة حروفهما من القبط
 تتعذر قراءتهما .

(٢) في (١) يؤخذ .

وأما أهل المدينة فخذلوا عثمان حتى قُتل بينهم ، لم يروا أن يذفعوا عنه . فقال له عبد الملك : لَعَاكَ اللَّهُ .

وقال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد لمعاوية : أما والله لو كنت بمكة لعلمت ، فقال معاوية : كنت أكون ابن أبي سفيان ينشق عن الأبطح ، وكنت أنت ابن خالد منزلك أجياد ، أغلده مدرة ، وأسفله ديرة .

وقال المدائني : قال ابن الضحاك بن قيس الفهري^(١) لهشام بن عبد الملك قبل أن يملك — وهو يومئذ غلام شاب — يابن الخلائف — لم تطيل شعرك وقصصك ؟ قال أكرهه أن أكون كما قال الشاعر :

فصيرُ القميصِ فاحشٌ عندَ بيتهِ وشرُّ غراسٍ في قرْبشٍ مُرْكَبًا^(٢)
قال : وهذا الشعر لأبي خالد^(٣) مروان بن الحكم ، هجأ به الضحاك ابن قيس :

وحسكى أيساً ، قال : مرَّ عطاء بن أوى^(٤) صيفي بعبد الرحمن بن حسان ابن ثابت وعطاء على فرس له ؛ فقال له عبد الرحمن : يا عطاء ، لو وجدت زمّام زقّ الخمر خاليًا ما كنت تَضْمَعُ به ؟ قال : كنت آتى به دور بني النجّار فأعرّفه فإبه ضالة من ضوالهم ، فإن عرفوه^(٥) وإلا فهو لك لم يعددك ، ولكن

(١) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « المعرى » ، وهو محريف .

(٢) المركب : الأصل والنبت . وفي (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « فركبا » وهو محريف لا معنى له . وفيها أيضا « فراش » مكان « غراس » ؛ وهو محريف .

(٣) لم نخذ في الكتب التي بين أيدينا أن أبا خالد كنية لمروان بن الحكم .

(٤) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة : قال ابن عطاء مر ابن صيفي . وفي العبارة اضطراب طاهر لا يستقيم به المعنى ، كما لا يخفى .

(٥) حذف الجواب هنا للعلم به وهو « فهو لهم » .

أَخْبَرَنِي أَيُّ جَدِّكَ أَكْبَرُ ، أَمْ ثَابِتٌ ؟ قَالَ : لَا أَدْرِي . قَالَ : وَلِمَ يَمْنَعُكَ ^(١) مَا فِي كَفَانِ الرِّجَالِ وَأَنْتَ لَا تَدْرِي أَيُّ جَدِّكَ أَكْبَرُ ؟ بَلْ مُرْبِعَةٌ أَكْبَرُ مِنْ ثَابِتٍ ، وَقَدْ تَزَوَّجَهَا قَبْلَهُ أَرْبَعَةٌ كُلُّهُمْ يَأْتَاهَا بِمِثْلِ دِرَاعِ الْبَكْرِ ، ثُمَّ يُطَلِّقُهَا عَنْ قَلْبِي ؟ فَقَالَ لَهَا نِسْوَةٌ مِنْ قَوْمِهَا : وَاللَّهِ يَا مُرْبِعَةُ إِنَّكَ لَجَمِيلَةٌ ، فَمَا بَالُ أَزْوَاجِكَ يُطَلِّقُونَكَ ؟ قَالَتْ : يُرِيدُونَ الضَّيْقَ ضَيِّقَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ .

وَحَكِي أَيْضًا قَالَ : قَالَ أَبُو السَّعَرِ : بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسِيرُ إِذْ رَفَعَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَبُرْ أَبِي سَعِيدٍ بْنِ الْعَاصِ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : لَعَنَّ اللَّهُ صَاحِبَ هَذَا الْقَبْرِ ، فَإِنَّهُ كَانَ يُكَذِّبُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، فَقَالَ [خَالِدُ بْنُ] ^(٢) أُسَيْدٍ — وَهُوَ فِي الْقَوْمِ — : لَا بَلْ لَعَنَّ اللَّهُ أَبَا قُحَافَةَ فَإِنَّهُ كَانَ لَا تَقْرَى الصِّيفَ ، وَلَا يَمْنَعُ الضَّيْمَ ، وَلَا يُقَاتِلُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ” إِذَا سَبَّيَ الْمُشْرِكُونَ فَعَمَّوْهُمْ بِالسَّبِّ ، وَلَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ فَإِنَّ سَبَّ الْأَمْوَاتِ يُغْضِبُ الْأَحْيَاءَ ؟ “

فَالْمُحَمَّدُ بْنُ عُمَارَةَ : فَمَا كَرْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ مِنْ وَلَدِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ ، فَعَرَفَهُ ، فَقَالَ : فِيهِ زِيَادَةٌ لَيْسَتْ عِنْدَكُمْ ، قَالَتْ : وَمَا هِيَ ؟ فَقَالَ : قَالَ خَالِدُ بْنُ أُسَيْدٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا يَسْرُئِي أَنَّكَ فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ وَأَنَّ أَبَا قُحَافَةَ وَلَدُهُ . فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ، وَقَالَ : ” لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ فَإِنَّ سَبَّهُمْ يُغْضِبُ الْأَحْيَاءَ “ .

(١) فِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا وَحْدَهَا هَذِهِ الْقِصَّةُ : « يَنْهَيْكَ » ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) هَذِهِ التَّكْمِلَةُ الَّتِي بَيْنَ مَرْبِعِينَ لَمْ تَرَدْ فِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا وَحْدَهَا هَذِهِ الْقِصَّةُ وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي لِبَيِّنَاتِهَا إِذْ أُنْ أُسَيْدًا أَنَا خَالِدٌ لَمْ يَكُنْ مَعَ الْقَوْمِ .

وَحَكَى قَالَ : رَمَى عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ الْفَزَارِيُّ إِلَى عُرَامِ بْنِ شَتِيرٍ ^(١) بِخَاتَمٍ لَهُ
فِضَّةً — وَقَدْ زُوِّجَ — فَعَقَدَ عَلَيْهِ عُرَامٌ سَيْرًا وَرَدَّهُ إِلَى ابْنِ هُبَيْرَةَ . أَرَادَ ابْنُ
هُبَيْرَةَ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

لَقَدْ زَرِقْتُ عَيْنَاكَ يَا ابْنَ مُلَعَنٍ كَمَا كُلُّ ضَبٍّ مِنَ الْاُثْمِ أَرْزَقُ
وَعَرَّضَ لَهُ عُرَامٌ بِقَوْلِ ابْنِ دَارَةَ :

لَا نَأْمَنَنَّ فَزَارِيَا خَلَوْتَ بِهِ عَلَى قَلْوَصِكَ وَأَكْتُبَهَا بِأَسْيَارٍ ^(٢)
وَقَالَ الْمَدَائِنِيُّ : وَكَانَ ابْنُ هُبَيْرَةَ يُسَافِرُ هَلَالٍ ^(٣) بِنِ مُكَمَّلِ النَّمِيرِ ،
فَتَقَدَّمَتْ بَغْلَةُ النَّمِيرِ بِغَلَّةِ ابْنِ هُبَيْرَةَ . فَقَالَ : غَضٌّ مِنْ بَغْلَتِكَ . فَالْتَفَتَ
إِلَيْهِ النَّمِيرِ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، إِنَّهَا مَكْتُوبَةٌ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ ابْنُ هُبَيْرَةَ :
فَغَضَّ الطَّرَفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ وَلَا كَعْبًا بَلَغْتَ وَلَا كِلَابًا ^(٤)
وَأَرَادَ النَّمِيرِيُّ قَوْلَ سَالِمِ بْنِ دَارَةَ :

لَا نَأْمَنَنَّ فَزَارِيَا خَلَوْتَ بِهِ عَلَى قَلْوَصِكَ وَأَكْتُبَهَا بِأَسْيَارٍ
وَقَالَ الْوَلِيدُ الْعَنْبَرِيُّ ^(٥) : سَرَّتْ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي نُمَيْرٍ عَلَى مَجْلِسٍ لَهُمْ ،
فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : أَيْتَهَا الرِّسْجَاءُ ^(٦) . فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ : يَا بَنِي نُمَيْرٍ ، وَاللَّهِ مَا أَطَقْتُمْ

(١) كَذَا فِي تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ طَبِيعُ أَوْرُوبَا ، وَالَّذِي فِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا وَحْدَهَا
هَذِهِ الْقِصَّةُ « شَنِير » بِالضَّمِّ ، وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٢) ١ كَتَبَهَا بِأَسْيَارٍ ، أَيْ أَحْزَمَ حَيَاءَهَا إِثْلًا يَنْزِي عَلَيْهَا .

(٣) فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ « سَبَانُ بْنُ مَكَمَلٍ » . وَفِي نَهَايَةِ الْأَرْبِ أَبُو بِنِ طَبِيَّانٍ ، وَفِي
كِتَابِ السَّكَايَةِ وَالتَّعْرِيفِ لِلشَّعَائِبِ « شَرِيكَ بْنُ مُحَمَّدٍ » .

(٤) الْبَيْتُ لَجَرِيرٍ .

(٥) فِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا وَحْدَهَا هَذِهِ الْقِصَّةُ « الْغَيْدَى » ، وَلَمْ نَجِدِ الْغَيْدَى
هَذَا فِي أَسْمَاءِ الرِّوَاةِ ، وَالَّذِي وَجَدْنَاهُ فِي أَسْمَائِهِمُ الْوَلِيدُ الْعَبْرِيُّ كَمَا فِي تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ .

(٦) فِي نَهَايَةِ الْأَرْبِ سَرَّتْ امْرَأَةٌ مِنَ الْعَرَبِ بِمَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ بَنِي نُمَيْرٍ ؛ وَهُوَ أَنْسَبُ .

(٧) الرِّسْجَاءُ : الَّتِي خَفَّ لَحْمُ أَلْبَنِهَا وَوَرَكِيهَا .

اللهَ وَلَا أَطْعَمُ الشَّاعِرَ : قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ (قُلِ الْمُؤْمِنِينَ يَفْعَلُونَ مِنْ آبْصَارِهِمْ)
وقال الشاعر :

فَنُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ وَلَا كَعْبًا بَلِغْتَ وَلَا كِلَابًا

وقال : مرَّ الفرزدقُ بخالد بن صفوان بن الأهم ، فقال له خالد : يَا أَبَا وِراس ،
مَا أَنْتَ الَّذِي لَمَّا رَأَيْتَهُ أَكْبَرْتَهُ وَقَطَعْتَ أَيْدِيَهُنَّ . فقال لَهُ الْفَرَزْدَقُ : وَلَا أَنْتَ
الَّذِي قَالَتِ الْفَتَاةُ لِأَبِيهَا فِيهِ : (يَا أَبْتَ اسْتَأْجِرْهُ إِنْ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ
الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) .

قال : ودخل يزيدُ بنُ مُسْلِمٍ على سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَكَانَ مُضَفَرًّا
نَحِيمًا ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ : عَلَى رَجُلٍ أَجْرَكَ رَسَنَكَ ^(١) وَسَلَطَكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ لَعْنَةُ
اللهِ . فقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّكَ رَأَيْتَنِي وَالْأَمْرُ عَنِّي مَدْبَرٌ ، فَلَوْ رَأَيْتَنِي وَهُوَ
عَلَى مُقْبِلٍ لَأَسْتَعْظَمْتَ مِنِّي يَوْمَئِذٍ مَا اسْتَضَفَرْتَ الْيَوْمَ . قَالَ : فَأَيْنَ الْحَجَّاجُ ؟ قَالَ
يَجِيئُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ أَيْبِكَ وَأَخِيكَ ، فَضَعُهُ حَيْثُ شِئْتَ .

وقال عُبَادُ بْنُ زِيَادٍ : كُنْتُ عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ إِذْ أَتَاهُ أَبُو يَوْسُفَ
حَاجِبُهُ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَذِهِ بُثَيْنَةٌ . قَالَ : أُمُ بَثَيْنَةٌ جَمِيلٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ،
قَالَ أَدْخِلْهَا ، فَدَخَلَتْ أَمْرَأَةً أَدَمَاءَ طَوِيلَةً يُعْلَمُ أَنَّهَا كَانَتْ جَمِيلَةً ، فَقَالَ لَهُ
يَا أَبَا يَوْسُفَ أَلْقِ لَهَا كُرْسِيًا ، فَأَلْقَاهُ لَهَا ، فَقَالَ لَهَا عَبْدُ الْمَلِكِ ، وَيْحَكَ مَا رَجَا
مِنْكَ جَمِيلٌ ، قَالَتْ : الَّذِي رَجَتْ مِنْكَ الْأُمَّةُ حِينَ وَلَّتْكَ أُمْرَهَا .

وقال ، سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانٍ : إِنَّ رَهْطًا مِنَ الْأَنْصَارِ دَخَلُوا عَلَى
مُعَاوِيَةَ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، قُرَيْشٌ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْكُمْ لَهْمُ ، فَإِنْ يَكُنْ

(١) أَجْرَكَ رَسَنَكَ ، أَيْ تَرَكَكَ وَشَأْلَكَ تَفْعَلُ مَا تَشَاءُ . وَالرَّسُ الْمَقْدُودُ تَقَادُ بِهِ الدَّابَّةُ .

ذَلِكَ لِقَتْلِي أَحَدٌ ، فَقَدْ قَتَلْتُمْ يَوْمَ بَدْرٍ مِثْلَهُمْ ؛ وَإِنْ يَكُنْ لِإِمْرَةٍ ^(١) فَوَاللَّهِ مَا جَعَلْتُمْ لِي إِلَى صَلَاتِكُمْ سَبِيلًا ؛ خَذَلْتُمْ عُثْمَانَ يَوْمَ الدَّارِ ، وَقَتَلْتُمْ أَنْصَارَهُ يَوْمَ الْجَمَلِ ، وَصَلَّيْتُمْ بِالْأَمْرِ يَوْمَ صِفِّينَ . فَتَسْكَلُّمَ رَجُلٍ مِنْهُمْ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمَّا قَوْلُكَ « إِنْ يَكُنْ لِقَتْلِي أَحَدٌ » فَإِنْ قَتَلْنَا شَهِيدَ وَحْيِنَا تَائِقَ ^(٢) ، وَأَمَّا ذِكْرُكَ الْإِمْرَةَ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِالصَّبْرِ عَلَيْهَا . وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا خَذَلْنَا عُثْمَانَ ، فَإِنَّ الْأَمْرَ فِي عُثْمَانَ إِلَى قَتْلَتِهِ ^(٣) ؛ وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا قَتَلْنَا أَنْصَارَهُ يَوْمَ الْجَمَلِ فَذَلِكَ مَا لَا نَعْتَذِرُ مِنْهُ ، وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا صَايَبْنَا بِالْأَمْرِ يَوْمَ صِفِّينَ ، فَإِنَّمَا كُنَّا مَعَ رَجُلٍ لَمْ نَأْلِهِ خُبْرًا ، فَإِنْ لُمْتَنَا فَرُبَّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ .

ثم قام هو وأصحابه يجرُّ ثوبَهُ مُغَضَّبًا ، فقال معاوية : رُدُّوهُم ، وَرُدُّوا فِتْرَتَهُمْ حَتَّى رَضُوا ، ثُمَّ أَنْصَرَفُوا وَأَقْبَلَ مُعَاوِيَةُ عَلَى رَهْطٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا فَرَّخَ مِنْ مَنَاطِقِهِ حَتَّى ضَاقَ بِي مَجْلِسِي .

قال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان : دَخَلَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ بِنُ عِبَادَةٍ مَعَ قَوْمٍ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى مُعَاوِيَةَ . فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، لِمَ تَطْلُبُونَ مَا قَبِلِي ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُمْ قَلِيلًا مَعِيَ ، كَثِيرًا عَلَيَّ ، وَلَقَدْ قَتَلْتُمْ جُنْدِي ^(٤) يَوْمَ

(١) في (١) التي ورد فيها وحدها دون (ب) هذا الكلام « لدهره » ؛ وهو تحريف ، صوابه ما أثبتنا كما يؤخذ مما يأتي بعد في جواب الأنصار من قولهم : وأما ذكرُكِ الإمرة الخ . ويريد بالأمرة أنه لا يوليهم الأعمال .

(٢) تائق أي إلى أن يستشهد . وفي (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة وردت تلك الكلمة مهملة الحروف من القبط ولعل الصواب ما أثبتنا أو لعل صوابها « مائت » .

(٣) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « قلنا » ؛ وهو تحريف .

(٤) في (١) « جدي » ؛ وهو تحريف .

صَفِينِ حَتَّى رَأَيْتُ الْعَمَايَا تَلْمِظِي فِي أَسِنَّتِكُمْ^(١) ، وَهَجَوْتُمُونِي^(٢) بِأَشَدِّ مِنْ وَخْزِ الْأَشَافِي^(٣) حَتَّى إِذَا أَقَامَ اللَّهُ مَا حَاوَلْتُمْ مِثْلَهُ^(٤) ، قُلْتُمْ : ارْزَعْ فِينَا وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ هَيْهَاتَ ، ”أَبَى الْحَقِيقِينَ الْعِدْرَةَ“^(٥) ، فَقَالَ قَيْسٌ : نَطْلُبُ مَا قَبْلَكَ بِالْإِسْلَامِ السَّكَافِي بِهِ اللَّهُ لَا سِوَاهُ ، لَا بِمَا تَمُتُّ بِهِ إِلَيْكَ الْأَحْزَابُ ، وَأَمَّا عِدَاؤُنَا لَكَ فَلَوْ شِئْتَ كَفَفْنَا عَنْكَ ؛ وَأَمَّا هَجَاؤُنَا إِيَّاكَ فَقَوْلُ زُرْلُ بِاطْلُهُ ، وَيَدْبُتُ حَقَّهُ ، وَأَمَّا قَتْلُنَا جُنْدَكَ يَوْمَ صَفِينٍ فَإِنَّا كُنَّا مَعَ رَجُلٍ نَرَى أَنْ طَاعَتَهُ طَاعَةُ اللَّهِ ؛ وَأَمَّا أَسْتِقَامَةُ الْأَمْرِ لَكَ وَعَلَى كُرْهِهِ كَانِ مِنَّا ، وَأَمَّا وَصِيَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِينَا ، فَمَنْ آمَنَ بِهِ رَعَاهَا ؛ وَأَمَّا قَوْلُكَ ”أَبَى الْحَقِيقِينَ الْعِدْرَةَ“ ، فَلَيْسَ دُونِ اللَّهِ يَدٌ تَحْجُزُكَ ؛ فَشَأْنُكَ . فَقَامَ مُعَاوِيَةُ وَدَخَلَ ، وَخَرَجَ قَيْسٌ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ حَالِدٍ الْقَرَشِيُّ : دَخَلَ زُرْعُ بْنُ الْحَارِثِ السَّكَلَانِيُّ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَعِنْدَهُ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ وَأُمِّيَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدٍ ، فَقَالَ زُرْعُ : لَوْ كَانَ لِعَبْدِ اللَّهِ سَخَاءٌ مُضْعَبٌ وَكَانَ لِمُضْعَبٍ عِبَادَةٌ عَبْدُ اللَّهِ لَسَكَّانَا مَا شَاءَ الْمُتَمَنَّى . فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : مَا كَانَ سَخَاءٌ

(١) فِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا وَحْدَهَا هَذِهِ الْقِصَّةُ « وَلِهَجَوْتُمُونِي » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي (١) « الْأَثَنَانِ » بِالثَّاءِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا وَحْدَهَا هَذِهِ الْقِصَّةُ « مِثْلَهُ » بِالثَّاءِ ؛ وَهُوَ تَحْصِيفٌ ،

وَالْتَصْحِيحُ عَنِ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ ج ٢ ص ١٤٦ طَبْعُ بُولَاقٍ .

(٤) وَرَدَتْ هَذِهِ الْعِمَارَةُ فِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا وَحْدَهَا هَذِهِ الْقِصَّةُ « بِأَيِّ الْحَقِيقِينَ

الْعِدْرَةِ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ كَمَا تَرَى ، وَالتَّصْحِيحُ عَنْ جَمْعِ الْأَمْثَالِ ، وَالْحَقِيقِينَ : اللَّابِنُ الْحَقُّونَ

وَالْعِدْرَةُ : الْعَذْرُ . وَأَصْلُهُ أَنْ رَجُلًا نَزَلَ بِقَوْمٍ فَاسْتَسْقَاهُمْ لَبِئًا ، فَاعْتَلَوْا عَلَيْهِ وَزَعَمُوا أَنْ لَا لِبْنَ

عِندَهُمْ ، وَكَانَ اللَّابِنُ مُحَقِّقًا فِي وَطْأَتِ عِندِهِمْ ، فَقَالَ هَذَا الْمَثَلُ ؛ وَهُوَ مِثْلُ يَضْرِبُ لِلْكَاذِبِ الَّذِي

يَعْتَذِرُ وَلَا عَذْرَ لَهُ . يَقُولُ : إِنَّ اللَّابِنَ الْحَقُّونَ لَدَيْكُمْ يَكْذِبُكُمْ فِي عِذْرِكُمْ . وَالَّذِي فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ

« أَبَى الْحَبِيرِ الْعِدْرَةَ » .

مُضْغَبٌ إِلَّا لَعِبًا ، وَلَا كَانَتْ عِبَادَةُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَّا عَمَلًا ، وَلَسَكُنْ لَوْ كَانَ لِلضَّحَّاكِ
أَبْنِ قَيْسٍ مِثْلُ رَجَالِ مَرْوَانَ لَكَانَتْ قَيْسُ أَرْبَابًا بِالشَّامِ ، فَقَالَ زُفَرٌ : لَوْ كَانَتْ
لِمَرْوَانَ صُحْبَةُ الضَّحَّاكِ لَكَانَ ؛ فَقَالَ عَبْدُ الْعَلَكِ ، وَاللَّهِ مَا أَحْبَبُّ لَهُ مِثْلَ صُحْبَتِهِ
وَمَضْمَرِهِ ، فَقَالَ خَالِدٌ : لَوْلَا أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا يُبَصِّرُ مَرْعَى ^(١) لَمَا تَرَكَكَ
وَالْكَلَامَ . فَقَالَ زُفَرٌ : إِرْبَعَا ^(٢) عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَدَعَانَا وَخَلِيعَتَنَا وَاسْحَبَا ذُبُولَكُمَا
عَلَى خِيَانَةِ خُرَّاسَانَ وَسِجِسْتَانَ وَالْبَصْرَةَ .

وقال المدائني : غَابَ مَوْلَى لِلزُّبَيْرِ عَنِ الْمَدِينَةِ حَيْفًا ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ
قُرَيْشٍ لَمَّا رَجَعَ : أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ أَتَيْتَ قَوْمًا يُبَغِّضُونَ طَلْعَتَكَ ، وَفَارَقْتَ قَوْمًا
لَا يُحِبُّونَ رَجْعَتَكَ . قَالَ الْمَوْلَى : وَلَا أَنْعَمَ اللَّهُ مِمَّنْ قَدِمْتُ عَلَيْهِ عَيْنًا ، وَلَا
أَخْلَفَ اللَّهُ عَلَى مَنْ فَارَقْتُ بُخَيْرَ .

قال المدائني : كَانَ مَرْثَدُ بْنُ حَوْشَبٍ عِنْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْعَلَكِ ، فَجَرَى
بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ كَلَامٌ حَتَّى تَسَابَا ، فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : وَاللَّهِ مَا أَنْتَ بِأَبْنِي ، قَالَ :
وَاللَّهِ لَأَنَا أَشَبُّهُ بِكَ مِنْكَ بِأَبِيكَ ، وَلَأَنْتَ كُنْتَ أَغْيَرَ عَلَى أُمِّي مِنْ أَبِيكَ
عَلَى أُمِّكَ . فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ : قَاتِلَكَ اللَّهُ ، إِنَّكَ لِأَبْنُهُ .

وَسَابَّ مَرْثَدُ أَخَاهُ ثُمَامَةَ ، فَقَالَ لَهُ ثُمَامَةُ : يَا حَلَقِي ^(٣) ، فَقَالَ لَهُ مَرْثَدُ :

(١) يشير خالد بهذه العبارة إلى قول زفر بن الحارث .

وقد ببت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزارات النفوس كما هيا

وهذا البيت من أبيات قاهارفر حين فرّ بعد وقعة مرج راهط التي قتل فيها الضحّاك
وانتصر فيها مروان ، وكان زفر من أصحاب الضحّاك .

(٢) إربعا : يخاطب خالدًا وأخاه أُمّية .

(٣) يتهمة بداء قبيح ؛ ويقال أنا أن حلقيه إذا تداولتها الحمر وأصابها داء في رحمها .
والحلاق في الأتّان ألا تشبهم من السفاد .

يا حَبِيثَ ، أُنْسَانِي مُسَابَةَ الصَّبَّانِ ، فوالله إِنَّكَ لَا بُدَّ ، ولقد غَابَنِي حَوْشِبَ
على أُمِّكَ ، وقد أَلَحَّحْتَهَا بِكَ ^(١) .

وقال أَنُ عُمَيْشَ الْمَنْثُوفِ ^(٢) لَا بُدَّ شَاكِرِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ : لَوْ قَصَّرْتَ
قَمِيصَكَ ، قال له : مَا يَضُرُّكَ مِنْ طَوْلِهِ . قال : نَدَّوْسُهُ فِي الطَّيْنِ ، قال وما
يَنْفَعُكَ مِنْ دَوْسِهِ .

وقال : كَانَ عَلَى نَبَالَةٍ ^(٣) رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالَ لِرَجُلٍ مِنْ بَاهِلَةَ ، مَنْ
الَّذِي يَقُولُ :

إِنْ كُنْتَ تَرْحُو أَنْ تَمَالَ غَنِيمَةً فِي دُورِ بَاهِلَةَ بْنِ يَعْفَرَ فَأَرْحَلْ
قَوْمَ فَتَيْمَةَ أَشْهُمَ وَأَبُوهُمْ لَوْلَا قَتِيلُهُ أَصْبَحُوا فِي مَجْهَلِ
فقال الْبَاهِلِيُّ : مَا أَدْرِي غَيْرَ أَنِّي أَظُنُّهُ الَّذِي يَقُولُ :

يَا شَدَّةَ مَا شَدَدْنَا غَيْرَ كَاذِبَةٍ عَلَى سَخِينَةَ لَوْلَا اللَّيْلُ وَالْحَرَمُ ^(٤)
قال : وَسَكَلَمُ بْنُ ظُبْيَانَ التَّيْمِيُّ يَوْمًا وَأَكْثَرَ ، فَقَالَ لَهُ مَالِكُ بْنُ مُسْتَعِمٍ ،

(١) يتضح من الفصّة أن مرثدا وعامة أحوال لأب وبذلك يستقيم الكلام .

(٢) كذا في تاريخ الطبري طبع أوربا . والذي في (١) التي وردت فيها وحدها هذه
الفصّة « المنشوق » ؛ وهو تحريف .

(٣) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه الفصّة : « تأييده » مكان قوله : « يا شدة » .
و « على سجيّة » مكان قوله « على سجيّة » ؛ وهو تحريف في كلتا الكلمتين صوابه ما أثبتنا
بفلا عن الأعاني ج ١٩ ص ٧٦ طبع بولاق . والبيت لحداش بن زهير ، والسجيّة : طعام يتجدد
من الدقيق وهو دون العصيدة في الرقة وفوق الحساء ، وهو انب لقريش كانت تعبّر به
لكثرة اتحادهم لهذا الطعام . وهذا البيت من أبيات أربعة وردت في الأعاني في خبر طويل
فاظفره ثم . وهما ذى الأبيات الثلاثة بعد هذا البيت :

إد يتقيها هشام بالولسد ولو أنا ثقفا هشاما شالت الحدم
بين الأراك وبين المرج ببطهم ررق الأسمة في أطرافها السهم
فان سمعتم بنعيش سالك شرفا وبطن مر فأخفوا الحرس واكتنموا

إيها أبا مَطر^(١) فإن للقوم في الكلام نصيباً ، فقال : والله ما إليك جئتُ ،
ولو أن بكراً بن وائل اجتمعت في بيتٍ بَقالٍ لَأَتَيْتُهُمْ . فقال له مالك ،
إما أنت سَهْمٌ من سِهَامٍ كِنَايَتِي . فقال أن طَبَيَّان : أنا سَهْمٌ من سِهَامٍ
كِنَايَتِكَ ؟ فوالله لو قتُ فيها لَطَلَتْهَا ، ولو قعدتُ فيها لخرَقَتْهَا ، وإني والله
ما أَرَاكَ تَنْتَهَى حَتَّى أَرْمِيكَ بِسَهْمٍ لَمْ يُرَشْ^(٢) ، تَذْبُلُ به شَفَتَاكَ ، وَيَحِفُّ
لَهُ رُبُقُكَ

وقال رجلٌ للأخنف : بأي شَيْءٍ سُدَّتْ تَمِيمَا ؟ فوالله ما أنت بأَجْوَدَهم
ولا أَشَجَعَهُم ولا أَجَمَلِهِم ولا أَشَرَّهُم ، قال : بخلافٍ ما أنت فيه . قال : وما
خلافُ ما أنا فيه ؟ قال : تَرَكِي ما لَا تَعْنِينِي من أُمُورِ الناسِ كما عَنَّاكَ مِنْ
أَمْرِي ما لَا يَعْنِيكَ .

وَوَفَدَ عَلَيْهِمْ مِنْ خَالِدِ الْهُجَيْمِيِّ عَلَى هِشَامٍ وَعِنْدَهُ الْأَبْرَشُ [الكلبي] ،
فقال له الْأَرَشُ الْكَلْبِيُّ : يَا أَخَا بَنِي الْهُجَيْمِ ، مَنْ الْقَائِلُ :

لَوْ يَسْمَعُونَ بِأَكْثَلَةٍ أَوْ شَرِبَةٍ بُعْثَانِ أَصْبَحَ جَمْعُهُمْ بُعْثَانِ
أَلَاكُمْ يَقُولُهُ ؟ قال : نعم ، لنا بقُولُهُ ، وَلَكِنَّكُمْ يَأْمَعُشَرُ كَلْبٌ تُعْبِرُونَ^(٣) النِّسَاءَ ،
وَتَجْزُونَ^(٤) الشَّاءَ ، وَتَكْدِرُونَ الْعَطَاءَ ، وَتَوْحِرُونَ الْعِشَاءَ ، وَتَبِيعُونَ الْمَاءَ .

(١) في (١) «لأنها أنا فطر» ، وهو تحريف ، وقد أثبتنا هذه الكنية عن الكامل
للمرد . والذي في (ب) إنما ينتظر القوم .

(٢) يقال راس السهم يرشه إذا وضع عليه الريش ليكون أسرع له . ويرد هذا سهماً
من القول .

(٣) تعبرون النساء أي تتركهن ختانهن . يقال امرأة مبرة إذا طال بظرها . وفي
الأصل تعبرون بالياء المثناة وهو تحريف .

(٤) في كلتا النسختين «وتحرون» ؛ وهو تحريف ؛ وأصل صوابه ما أثبتنا .

فَصَحَّحَكَ هِشَامٌ ، فَلَمَّا خَرَجَا قَالَ الْأَرَشُ : يَا أَخَا بَنِي الْهُجَيْمِ ، أَمَا كَانَتْ عِنْدَكَ بَقِيَّةٌ ؟ قَالَ : بَلَى ، لَوْ كَانَ عِنْدَكَ بَقِيَّةٌ .

قَدَّمَتْ امْرَأَةٌ زَوْجَهَا إِلَى زِيَادٍ نُمَازَعَهُ ، وَقَدْ كَانَتْ سِنُّهُ أَعْلَى مِنْ سِنِّهَا فَجَعَلَتْ تَعِيبَ زَوْجَهَا وَتَقَعُ فِيهِ ، فَقَالَ زَوْجُهَا : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنْ شَرَّ شَطَرِي الْمَرْأَةُ آخِرُهَا ، وَخَيْرَ شَطَرِي الرَّجُلُ آخِرُهُ ، الْمَرْأَةُ إِذَا كَبُرَتْ عَقَمَتْ رَحِمُهَا وَحَدَّ لِسَانُهَا ، وَسَاءَ خُلُقُهَا ، وَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَبُرَتْ سِنُّهُ اسْتَحْكَمَ رَأْيُهُ وَكَثُرَ حِلْمُهُ وَقَلَّ جَهْلُهُ .

وَقَالَ أَغْشَى هَمْدَانَ لِأَمْرَأَةٍ : إِنَّكَ لَسَاسَةُ الْمُثَقَّبَةِ ، سَرِيَّةُ الْوَنَبَةِ ، حَدِيدَةُ الرُّكْبَةِ ، فَقَالَتْ : وَاللَّهِ إِنَّكَ لَسَرِيعُ الْإِرَاقَةِ ، بَطِيءُ الْإِفَاقَةِ ، قَلِيلُ الطَّاقَةِ ^(١) ، فَطَلَّقَهَا ، وَقَالَ :

تَقَادَمَ عَنْهُ ذِكُّ أُمِّ الْجَلَالِ وَطَاشَتْ نِبَالُكَ عِنْدَ الْفَصَالِ
وَقَدْ بُوَّتْ ^(٢) حَبْلُكَ وَأَسْتَنْقِي بَأْنَى طَرَحْتُكَ ذَاتَ الشِّمَالِ ^(٣)
وَأَنْ لَا رُجُوعَ وَلَا تُكْذِبِي بِنَ مَا حَنَنْتِ ^(٤) النَّيْبُ إِثْرَ الْفَصَالِ
قَالَ الْغِلَابِيُّ عَنْ غَيْرِهِ : قَالَ رَجُلٌ لِأَمْرَأَةٍ : أَمَا إِنَّكَ مَا عَلِمْتُ لَسْتُ لِسَؤْلٍ مُنْعَمَةٍ ، جَرُوعٌ هَلَمَّةٌ ، تَمْشِيَنَّ الدَّفْقَ ^(٥) وَتَقْعِدِينَ الْهَبْنَقَةَ ، فَقَالَتْ أَمَا وَاللَّهِ

(١) فِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا وَحْدَهَا هَذِهِ الْقِصَّةُ « الطَّاعَةُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي رِوَايَةٍ : خَشِيَ حَنْبِكَ .

(٣) وَرَدَ هَذَا الشَّطْرُ فِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا هَذِهِ الْأَبْيَاتُ :

* بِأَنْ فَرَسْتُكَ دَابَّ النَّبَالِ *

وَهُوَ تَصْحِيفٌ لَا مَعْنَى لَهُ . وَالتَّصْوِيبُ عَنْ شِعْرِ أَعْشَى هَمْدَانَ الْمَطْبُوعِ فِي أَوْرَبَا ضَمَّنَ شِعْرَ الْأَعْشَيْنِ .

(٤) فِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا وَحْدَهَا هَذِهِ الْأَبْيَاتُ « مَا حَبِيتَ لِلنَّبْتِ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

وَالْتَصْحِيفُ عَنْ شِعْرِ أَعْشَى هَمْدَانَ الْمَطْبُوعِ فِي أَوْرَبَا ضَمَّنَ شِعْرَ الْأَعْشَيْنِ . وَالْيَبُّ جَمْعُ نَابٍ ، وَهِيَ الْمَسْنَةُ مِنَ الْبَيَاقِ .

(٥) يُقَالُ مَشَى الدَّفْقَ كَزَمْكِي إِذَا مَشَى مُسْرِعًا . وَجَلَسَ الْهَبْنَقَةَ ، إِذَا جَلَسَ مَزْهُورًا أَوْ جَلَسَ مُتَرَبِّعًا مَادًّا لِاحْدَى رِجْلَيْهِ وَتَرَبِّعَهُ .

إِنْ كَانَ زَادِي مِنْكَ لَهْدِيَّةً^(١) ، وَإِنْ كَانَتْ حُطَوْتِي مِنْكَ لَحَذِيَّةً^(٢) ، فَإِنَّكَ لِأَبْنِ حَبِيشَةِ يَهُودِيَّةٍ .

وقال المدائني : قَبَضَ كِسْرَى أَرْضًا لِرَجُلٍ مِنَ الدَّهَقِينَ ، وَأَقْطَعَهَا الْبَحْرَجَانُ^(٣) ، فَقَدِمَ صَاحِبُ الْأَرْضِ مُتَظَلِّمًا ، فَأَقَامَ بَبَابَ كِسْرَى ، وَرَكِبَ كِسْرَى يَوْمًا ، فَقَعَدَ لَهُ الرَّجُلُ عَلَى طَرِيقِهِ يُكَلِّمُهُ ، فَلَمَّا حَازَاهُ شَدَّ عَلَيْهِ حَتَّى صَكَّ بِصَدْرِهِ رُكْبَتَهُ ، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى فَخْذِهِ ؛ وَتَوَقَّفَ لَهُ كِسْرَى وَكَلَّمَهُ ، فَقَالَ لَهُ : أَرْضُكَ كَانَتْ لِأَجْدَادِي وَرِثَتُهَا مِنْ آبَائِي قَبَضَتْهَا فَأَقْطَعْتُهَا الْبَحْرَجَانُ ؟ أُرَدُّهَا عَلَيْكَ ، فَقَالَ لَهُ كِسْرَى : مُذْ كُنْتُ هَذِهِ الْأَرْضُ فِي أَيْدِي أَجْدَادِكَ وَأَبَائِكَ ؟ فَذَكَرَ دَهْرًا طَوِيلًا ، فَقَالَ لَهُ كِسْرَى : وَاللَّهِ لَقَدْ أَكَاثَمُوهَا دَهْرًا طَوِيلًا ، فَمَا عَلَيْكَ فِي أَنْ تَدَّعَهَا فِي يَدِ الْبَحْرَجَانِ عَارِيَةً سُنِّيَّاتٍ يَسْتَمْتِعُ بِهَا ثُمَّ يَرُدَّهَا عَلَيْكَ ، فَقَالَ . أَيُّهَا الْعَلَّامُ ، قَدْ عَلِمْتُ حُسْنَ بِلَاءٍ بِهِزَامِ جُورٍ فِي طَاعَتِكَ ، أَهْلُ الْبَيْتِ ، وَمَا كُفَّاكُمْ مِنْ حَدِّ عَدُوِّكُمْ وَدَفَعَهُ عَنْكُمْ كَيْدَ التَّرْكِ وَحُسْنَ بِلَاءٍ أَبَائِهِ قَبْلَ ذَلِكَ فِي طَاعَةِ آبَائِكَ ، فَمَا كَانَ عَلَيْكَ لَوْ أَعَزَّنَهُ مُلْكُكَ سُنِّيَّاتٍ يَسْتَمْتِعُ بِهِ ثُمَّ يَرُدُّهُ إِلَيْكَ ؟ فَقَالَ كِسْرَى : يَا بَحْرَجَانُ ، أَنْتَ رَمَيْتَنِي بِهَذَا السَّهْمِ أُرَدُّدُ عَلَيْهِ أَرْضَهُ [فَرَدَّهَا] .

قال رجل من القحاطنة^(٤) لرجل من أبناء الأعاجم : مَا يَقُولُ الشَّعْرُ مِنْكُمْ

(١) تريد بهذه العبارة أن ما ناله من طعام لدى زوجها يشبه الهدية في ندرته وازدهانه باطعامها كما يزدده صاحب الهدية بما أهدي وأن زوجها يرى أن إطعامها غير واجب بل هو من قبيل الهدية . هذا ما يلوح لنا من معنى هذه العبارة إن لم يكن فيها محريف .

(٢) في الأصل « تحذية » ولعل الصواب ما أثبتنا . والحذية : من معانيها القسمة من العيمة أي أنه كان يعطيها القليل مما يعن . وقد تكون الحذية بالجيم والذال ومعناها القطعة من الكساء تحت السرج أي الشيء النافه . (٣) يريد بالبحرجان هنا صاحب سفن كسرى ورئيس الملاحين ، وهي كلمة فارسية معناها النوتي ، كما في المعجم الفارسي الانجليزي لاستاينجاس . (٤) في (١) القحاطبة وفي (ب) وردت هذه الكلمة مهملة الحروف من القحط

إلا من كانت أمُّه زنى مَها رَجُلٌ مِنَّا فَنَزَعَ إِلَيْنَا . فقال له الثَّنَوِيُّ ، وكذلك كلُّ مَنْ [لم] يَقل الشَّعْرَ مِنْكُمْ فَإِنَّمَا زَنَى بِأُمِّهِ رَجُلٌ مِنَّا فَحَمَلَتْ بِهِ ، فَنَزَعَ إِلَيْنَا ، فَمِنْ ثَمَّ لَمْ يَقُلْ الشَّعْرَ .

وقال رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْعَجَمِ : رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنِّي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَلَمْ أَرِ فِيهَا ثَنَوِيًّا . فقال له الثَّنَوِيُّ : أَصَدَّ مَدَّتَ الْغُرْفَ ؟ قال : لا . قال : فَمِنْ ثَمَّ لَمْ تَرَهُمْ ، هُمْ فِي الْغُرْفِ .

قال ابنُ عِيَّاشٍ : مَا قَطَعَنِي إِلَّا رَجُلٌ مِنْ فُرَيْسٍ مِنْ آلِ أَبِي مُعَيْطٍ ، وَكَانَ مَاجِنًا ^(١) سَارِبَ خَمْرٍ ، وَذَلِكَ أَنِّي وَفَّقْتُ عَلَى بَيَانِ التَّبَيُّنِ ^(٢) الَّذِي أُتِيَ بِهِ ابْنُ هُبَيْرَةَ الْفَزَارِيُّ فَأَمَرَ بِصَلْبِهِ ، وَقَالَ لِي : مَا وَقُوفُكَ هَاهُنَا يَا أَبَا الْجَرَّاحِ ؟ قُلْتُ : أَنْظِرْ إِلَى هَذَا الشَّقِيِّ الَّذِي يَقُولُ : إِنَّهُ نَبِيٌّ ؛ قَالَ : وَمَا أَتَى بِهِ فِي نَبَوِيَّتِهِ ؟ قُلْتُ : بِتَحْلِيلِ الْخَمْرِ وَالزُّنَا — وَأَنَا أُعَرِّضُ بِهِ — فَقَالَ : لَا ، وَاللَّهِ لَا يَقْبَلُ ذَلِكَ مِنْهُ حَتَّى يُبْرِئَ الْأَكْمَهَ وَالْأَنْرَصَ .

قال المدائنيُّ : ابنُ عِيَّاشٍ أَبْرَصٌ .

وقال : دَخَلَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّوْلِيُّ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ رِيَادٍ — وَهُوَ يَهْزَأُ بِهِ — [اَمْسَيْتَ يَا أَبَا الْأَسْوَدِ الْعَشِيَّةَ جَمِيلًا فَلَوْ عَلَّقْتَ تَمِيمَةً تَنْفِي

(١) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « ما حاربا » وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٢) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة : « ابن بيان » . ولم نَحْدِثْ فِيهَا رَاحِمَتَهُ مِنَ السَّكَبِ ، وَلَعَلَّ الصَّوَابَ مَا أَثْبَتْنَا فَقُلْنَا عَنْ السَّكَامِلِ لِابْنِ الْأَثِيرِ ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْفَرِّ ، وَعَيُّونَ الْأَخْبَارِ . وَبَيَّنَّا هَذَا ، هُوَ ابْنُ سَمْعَانَ التَّمِيمِيَّ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ قَالَ بِحَقِّ الْقُرْآنِ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْمَقَالَتِ الرَّائِعَةِ وَكَانَ يَقُولُ إِنَّهُ الْمَشَارُ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ دَعَالِي : هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ .

(٣) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « أَرَى » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَالَّذِي وَحَدَّثَنَا فِي السَّكَبِ أَنَّ الَّذِي صَلَبَ بَيَانًا هَذَا هُوَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ لَا ابْنَ هُبَيْرَةَ الْفَزَارِيَّ وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ ١١٩ هـ

سها عنك العين ؟ فعرف أنه يهزأ به | فقال : أصلح الله الأمير —
 أَفَنَى الشَّبَابَ الَّذِي فَارَقْتُ بِهِ جَنَّتَهُ مَرُّ الْجَدِيدِينَ مِنْ آتٍ وَمُنْطَلِقٍ
 لَمْ يَتْرُكْ كَالِي فِي طُولِ اخْتِلَافِهِمَا شَيْئًا تُخَافُ عَلَيْهِ لَدَغُهُ ^(١) الْحَدَقِ
 وَقَالَ الْمَدَائِنِيُّ وَقَعَ بَيْنَ الْعُرْيَانِ بْنِ الْهَيْثَمِ النَّخَعِيِّ وَبَيْنَ بِلَالِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ
 ابْنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ كَلَامٌ بَيْنَ يَدَيَّ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ ^(٢)
 وَخَالِدٌ يَوْمُئِذٍ عَلَى الْعِرَاقِ — وَكَانَ مَتَحَامِلًا عَلَى بِلَالٍ ، وَكَانَ الْعُرْيَانُ عَلَى شُرْطَةِ
 خَالِدٍ — فَقَالَ الْعُرْيَانُ لِبِلَالٍ : إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَنَا بِأَبْيَضِ الرَّاحَتَيْنِ ، وَلَا مُنْتَشِرِ
 الْمَنْخَرَيْنِ ، وَلَا أَرْوَحِ الْقَدَمَيْنِ ، وَلَا مُحَدِّدِ الْأَسْنَانِ ، وَلَا جَعْدٍ قَطَطٍ ، فَقَالَ
 بِلَالٌ : يَا عُرْيَانُ أَتَعْنِينِي ^(٣) بِهَذَا ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، وَلَكِنْ كَلَامٌ يَتَلَوُّ بَعْضُهُ
 بَعْضًا . فَقَالَ بِلَالٌ : يَا عُرْيَانُ ، أَتُرِيدُ أَنْ تَشْتُمَ أَبَا بُرْدَةَ وَأَشْتُمَ أَبَاكَ ، وَتَشْتُمَ
 أَبَا مُوسَى وَأَشْتُمَ جَدَّكَ ، هَذَا وَاللَّهِ مَا لَا يَكُونُ ، فَقَالَ الْعُرْيَانُ : إِنِّي وَاللَّهِ
 مَا أَجْعَلُ أَبَا مُوسَى فِدَاءَ الْأَسْوَدِ ، وَلَا أَبَا بُرْدَةَ فِدَاءَ الْهَيْثَمِ ، فَمَثَلِي وَمَثَلُكَ
 فِي ذَلِكَ كَمَا قَالَ مَسْكِينُ الدَّارِمِيِّ ^(٤) :

أَنَا مِسْكِينٌ لِمَنْ أَنْكَرَنِي وَلِمَنْ يَعْرِفُنِي جِدُّ نَطِقٍ ^(٥)
 لَا أَبِيعُ النَّاسَ عِرْصِي إِنِّي لَوْ أَبِيعُ النَّاسَ عِرْصِي لَنَفَقُ

(١) في رواية « لدعة » .

(٢) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « القشيري » ؛ وهو تصحيف .

(٣) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « استعن » ؛ وهو تحريف إذ

لا يناسب معناه سياق الكلام .

(٤) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « الدائي » ؛ وهو تحريف .

(٥) ورد هذا البيت في (١) التي ورد فيها وحدها هذان البيتان :

أيا مسكين لمن تعرفي ولمن تبادر لي حد نطق

وهو تحريف ؛ والتصحيح عن الأعاني في ترجمة مسكين الدارمي .

قال المدائني: جرى بين وكيع بن الجراح وبين رجل من أصحابه كلامٌ في معاوية واختلفا، فقال الرجل لوكيع: ألم يبلغك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعنَ أباسفيان ومعاوية وعتبة فقال: "لعن الله الراكب والقائد والسائق"، فقال وكيع: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أبشما عبيد دعوتُ عليه فأجعلُ ذلك (له أو عليه) رَحْمَةً"؛ فقال الرجل: أنيسرُك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعنَ والدَيْك فكان ذلك لهما رَحْمَةً. فلمَ يَحْرُ إليه جواباً. تَكَلَّمَ صَغَصَمُهُ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ فَعَرِقَ، فقال: وبَهْرَكَ الْقَوْلُ يَا صَغَصَمَةُ؟ فقال: إن الجيادَ نَضَّاحَةٌ بِالْمَاءِ.

هكذا قال لنا السَّيرافي، وقد قرأتُ عليه هذه الفِقْرَ كُلَّهَا، وإنما جَمَعْتُهَا للوزير بعد إخكامها وروايتها.

قال عليُّ بنُ عبدِ الله: شَهِدْتُ الْحَجَّاجَ خَارِجاً مِنْ عِنْدِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، فقال له خالدُ بنُ يزيدَ بنِ مُعَاوِيَةَ: إلى متى تَقْتُلُ أَهْلَ الْعِرَاقِ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ؟ فقال: إلى أنْ يَكْفُؤُوا عَنْ قَوْلِهِمْ فِي أَبِيكَ: إِنَّهُ كَانَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ.

قال المدائني: أَسَرَّتْ مُزَيْنَةُ حَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ — وَكَانَ قَدْ هَاجَهُمُ — فَقَالَ: مُزَيْنَةُ لَا يَرَى فِيهَا خَطِيبٌ وَلَا فَلَسِجٌ يُطَافُ بِهِ خَضِيبٌ أَنْاسٌ تَهْلِكُ الْأَخْسَابُ فِيهِمْ يَرَوْنَ التَّيْسَ يَعْدِلُهُ الْحَبِيبُ

فَأَتَتْهُمْ الْخَزْرَجَ يَفْتَدُونَهُ؛ فَقَالُوا^(١): نَقَادِيهِ بَتَيْسٌ؛ فَغَضِبُوا وَقَامُوا؛ فَقَالَ لَهُمْ حَسَّانُ: يَا إِخْوَتِي خَذُوا أَخَاكُمْ وَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَخَاهُمْ.

وقال المدائني: فَرَّقَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بَيْنَ مَنْظُورِ بْنِ أَبَانَ وَبَيْنَ أَمْرَاتِهِ —

(١) فقالوا، أي أسروه، وهم بنو مزينة.

وكان خَلَفَ عليها بعد أبيه — فتزوَّجها طلحةُ بنُ عبدِ الله ، فلقِيَهِ منظور ، فقال له : كيف وَجَدْتَ سُورِي ؟ فقال : كما وَجَدْتَ سُورَ أَبِيكَ . فَأَفْجَمَهُ .

وقال حَاطِبُ بنُ أَبِي بَلْتَعَةَ : بعَثَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُعَوِّقِ مَلِكِ الْإِسْكََنْدَرِيَّةِ ، فَأَنبَأْتُهُ بِكِتَابِ رَسُولِ اللهِ — صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — وَأَبْلَغْتُهُ رِسَالَتَهُ ؛ فَصَحَّكَ ثُمَّ قَالَ : كَتَبَ إِلَيَّ صَاحِبُكَ أَنْ أَتْبِعَهُ عَلَى دِينِهِ ، فَمَا يَمْنَعُهُ — إِنْ كَانَ نَبِيًّا — أَنْ يَدْعُوَ اللهُ أَنْ يَسْلُطَ عَلَى الْبَحْرِ فَيُغْرِقَنِي فَيَكْتَفِي مَوُوتِي وَيَأْخُذَ مُلْكِي ؟ قُلْتُ : فَمَا صَنَعَ عِيسَى إِذَا أَخَذَتْهُ الْيَهُودُ بِرَبْطِهِ فِي حَبْلٍ وَحَلَقُوا وَاسْطَ رَأْسِهِ ، وَجَعَلُوا عَلَيْهِ إِكْلِيلَ شَوْكٍ ، وَحَمَلُوا خَشَبَتَهُ الَّتِي صَلَبُوهَ عَلَيْهَا عَلَى عُنُقِهِ ، ثُمَّ أَخْرَجُوهُ وَهُوَ يَنْبُكِي حَتَّى نَصَبُوهَ عَلَى الْخَشَبَةِ ، ثُمَّ طَعَنُوهَ حَيًّا بِحَرْبَةٍ حَتَّى مَاتَ ؛ هَذَا عَلَى زَعْمِكُمْ ، فَمَا مَنَعَهُ أَنْ يَسْأَلَ اللهُ فَيُنْجِيَهُ وَيُهْلِكَهُمْ فَيَكْفِي مَوُوتَهُمْ وَيُظْهَرَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ عَلَيْهِمْ ؟ وَمَا مَنَعَ بَعْثِي بَنَ زَكَرِيَّا حِينَ سَأَلَتْ امْرَأَةُ الْمَلِكِ الْمَلِكَ أَنْ يَقْتُلَهُ وَقَتْلَهُ ، وَبَعَثَ رَأْسَهُ إِلَيْهَا حَتَّى وَضَعَ بَيْنَ يَدَيْهَا أَنْ يَسْأَلَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَنْجِيَهُ وَيُهْلِكَ النَّاسَ ؟ فَأَقْبَلَ عَلَى جُلَسَائِهِ وَقَالَ : إِنَّهُ وَاللهِ الْحَكِيمُ ، وَمَا يَخْرُجُ الْحَكِيمُ إِلَّا مِنَ عِنْدِ الْحُكَمَاءِ .

قال المَدَائِنِيُّ : أَبْطَأَ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ الْجَنْنِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا قَبْلَهُ ^(٣) — وَهُوَ عَلَى خُرَاسَانَ — وَكَانَ يَقَالُ لِلرَّجُلِ : زَامِلُ بْنُ عَمْرٍو مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ ، فَدَخَلَ عَلَى الْجَنْنِيدِ يَوْمًا فَقَالَ : أَصْلَحَ اللهُ الْأَمِيرَ ، قَدْ طَالَ أَنْتِظَارِي ، فَإِنْ رَأَى الْأَمِيرُ أَنْ يَضْرِبَ لِي مَوْعِدًا أَصِيرُ إِلَيْهِ فَعَلَّ . فَقَالَ : مَوْعِدُكَ الْحَشَرُ ؛ فَخَرَجَ زَامِلٌ مُتَوَجِّهًا إِلَى أَهْلِهِ ؛ وَدَخَلَ عَلَى الْجَنْنِيدِ بَعْدَ ذَلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللهُ الْأَمِيرَ .

أَرِحْنِي بِخَيْرٍ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ فَاعِلًا وَإِلَّا فَمِعَادٌ كَمِعَادِ زَامِلٍ
 قال : وَمَا فَعَلَ زَامِلٌ ؟ قال : لِحَقِّ بَاهِلِهِ . فَأُتِرِدَ الْجَنِيدُ فِي أَثَرِهِ بِرِيدًا ،
 وَبَعَثَ بُعْهَدَهُ إِلَى السَّكُورَةِ ^(١) الَّتِي يُدْرِكُ بِهَا ، [فَأُدْرِكُ] ^(٢) بَنِيْسَانُورَ ، فَتَزَلُّهَا .
 وَامْتَدَحَ رَجُلٌ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — بِشِعْرِ ، فَأَمَرَ لَهُ بِشَيْءٍ ؛
 فَقِيلَ ^(٣) : أَنْعِطِي عَلَى كَلَامِ الشَّيْطَانِ ؟ فَقَالَ : أَبْتَغِي الْخَيْرَ لِنَفْسِي الشَّرِّ .

قال المدائني : أَتَى الْعَبْدَانِيَّ حَمَّادُ بْنُ أَبِي حَنِيفَةَ وَقَدْ مَلَأَ عَيْنَهُ كُحْلًا
 قَدْ ظَهَرَ مِنْ مَحَاجِرِ عَيْنِهِ ، وَعِنْدَ حَمَّادٍ حَمَامَةٌ . فَقَالَ لَهُ حَمَّادُ : كَأَنَّكَ أُمْرَأَةٌ
 نَفْسَاءُ . قَالَ : لَا ، وَلَكِنِّي نَكَلِي . قَالَ : عَلَى مَنْ ؟ قَالَ : عَلَى أَبِي حَنِيفَةَ .
 وَقَالَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ لِيَحْيَى ^(٤) : إِنْ ابْنَتُكَ تَسْكُو تَزَوِجُكَ وَتَزْعُمُ
 أَنَّهُ ^(٥) يَبُولُ فِي دِثَارِهِ ^(٦) . قَالَ : هُوَ يَبُولُ مِنْهَا فِيمَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ دِثَارِهِ ^(٦) .
 وَقَالَ مُعَاوِيَةُ : هَذَا عَقِيلٌ نَعْمُهُ أَبُو لَهَبٍ . فَقَالَ عَقِيلٌ : هَذَا مُعَاوِيَةُ نَعْمَتُهُ
 سَمَاءُ الْخَطْبِ .

قال : وَدَخَلَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ فَقَارَبَ فِي خَطْوِهِ ، فَقَالَ
 أَبُو جَعْفَرٍ : كَبُرَتْ سِنَّكَ يَا مَعْنُ . قَالَ : فِي طَاعَتِكَ . قَالَ : وَإِنَّكَ لَجَلْدٌ .
 قَالَ : عَلَى أَعْدَائِكَ . قَالَ : إِنَّ فِيكَ لَبَقِيَّةً . قَالَ : هِيَ لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

(١) بعث بعده إلى السكورة ، أي بعث إلى السكورة التي يدرك بها يؤمنه . يقال
 أعهد إذا أمسه وكفله . (٢) لم ترد هذه الكلمة في (١) التي وردت فيها وحدها
 دون (ب) هذه القصصة ؛ وسياق الكلام يقتضي إثباتها .

(٣) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « فقال » ؛ وهو خطأ ؛ أو لعل
 اسم الغائل قد سقط من النسخ كما يظهر لنا .

(٤) يريد يحيى بن الحكم أخا مروان . (٥) أنه أي زوجها .

(٦) في (١) التي وردت فيها وحدها دون (ب) هذه القصة « داره » ؛ في كلا الموضعين

وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

قال المنصور لسُفْيَانِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْمُهَاجِّيِّ ، مَا أُسْرَعَ النَّاسَ إِلَى قَوْمِكَ ؟

قال سُفْيَانُ :

إِنَّ الْعَرَانِينَ^(١) تَلْقَاهَا مُحَسَّدَةً وَلَنْ تَرَى لِلثَّامِرِ النَّاسِ حُسَادًا

فقال : صدقت .

قال المدائني : حضر قوم من قُرَيْشٍ مجلس معاويةَ وفيهم عمرو بن العاص وعبد الله بن صفوان بن أمية الجمحي وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ؛ فقال عمرو : احمداوا الله يا معشر قُرَيْشٍ إدا جعل والي أموركم من يُغْضَى^(٢) على القذى ، ويتصامم عن العوراء ، ويجر ذيلَه على الخدائع . قال عبد الله بن صفوان : لو لم يكن هذا لمشينا إليه الصراء ودبنا^(٣) له الخمر ، وقلبنا له ظهر المجن ، ورجونا أن يقوم بأمرنا من لا يطعمك مال مضر .

وقال معاوية : يا معشر قُرَيْشٍ ، حَتَّى مَتَى لَا تُنْصِفُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ .

فقال عبد الرحمن بن الحارث : إن عمرًا وذوي عمرو أسدوك علينا وأسدونا عليك ، ما كان لو أغضيت على هذه ؟ فقال : إن عمرًا لي ناصح ، قال أطعمنا^(٤) ما أطعمته ، ثم خذنا بمثل نصيحته ، إنك يا معاوية تُضرب عوام قُرَيْشٍ بأياديك في خواصها كأنك ترى أن كرامها جازوك^(٥) دون لثامها ،

(١) عرابين القوم : عليهم ، تشبها بعرابين الأنوف .

(٢) في نسخة : « يقصى على الهدى » .

(٣) في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام دون ب « ووهنا له الحى » مكان « ودبنا له الخمر » ؛ وهو تحريف من الناسج صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق ، يقال : معى إلى خصمه الضراء ودب إليه الخمر بفتح الحاء والميم إذا مشى إليه مستخفيا ليختله . والصراء : الشجر الملتف : والخمر : ما وارك من جرف ونحوه .

(٤) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « مد » ؛ وهو تحريف .

(٥) كذا في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة . وجاروك ، أى جروا معك فيما تريد . وفي بعض السكتات حاربوك . يريد أنه يطغى كرامهم خوفا منهم واتقاء لحربهم .

وَأَيْمُ اللَّهِ إِنَّكَ لَتَفْرَعُ^(١) مِنْ إِنْاءٍ يُعْمَرُ فِي إِنْاءِ صَعْمٍ ، وَلَكَأَنَّكَ بِالْحَرْبِ قَدْ حُلَّ
عِقَالُهَا ثُمَّ لَا تُنْظِرُكَ . فقال معاوية : يا براح^(٢) ما أحوَجَ أهلكَ إليك . ثم
أَنشَدَ معاوية :

أَغَرَّ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ تَشَايَعُوا عَلَى سَفَهٍ ، مِمَّا الْحَيَا وَالتَّكْرُمُ ؟
وقال المدائني : كان عمرو بنُ الزُّبَيْرِ عند عبدِ الملك بنِ مروانَ يحدثُه —
وعنده الحجاج بنُ يوسف — فقال له عُرْوَةُ فِي بَعْضِ حَدِيثِهِ : قال أبو بكر
— نَعَى عبدُ اللَّهِ بنُ الزُّبَيْرِ — فقال الحجاج : أعند أمير المؤمنين بكُنَى ذلك
الفاسق ؟ لا أَمَّ لك . فقال عُرْوَةُ : أَلَيْ تَقُولُ هَذَا لَا أَمَّ لك ؟ وَأَنَا أُنُّ مَجَائِزَ
الْجَنَّةِ خَدِيجَةَ وَصَفِيَّةَ وَأَسْمَاءَ وَعَائِشَةَ ؟ بَلْ لَا أَمَّ لك أَنْتَ يَا نَ الْمُسْتَفْرِمَةَ^(٣)
بِعِجْمِ زَيْبِ الطَّائِفِ .

وقال : لَمَّا صَنَعَ هِشَامُ بن عبدِ المَلِكِ بَغْيِلَانَ الوَاعِطِ مَا صَنَعَ قَالَ لَهُ
رَجُلٌ : مَا ظَلَمَكَ اللَّهُ وَلَا سَلَطَ عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا وَأَنْتَ مُسْتَحِقٌّ ؛ فَقَالَ
غَيْلَانُ : قَاتَلَكَ اللَّهُ ، إِنَّكَ جَاهِلٌ بِأَصْحَابِ الْأَخْدُودِ .

قال عمرو بنُ العاص : أَعْجَبَتْنِي كَلِمَةُ مِنْ أَمَةٍ ، قُلْتُ لَهَا وَمَعَهَا طَبَقٌ :
مَا عَلَيْهِ يَا جَارِيَّةُ ؟ قَالَتْ : فَلَمْ غَطَّيْنَاهُ إِذَا .

وَقَعَ ابْنُ الزُّبَيْرِ فِي مُعَاوِيَةَ ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ فَأَخْبَرَهُ مُعَاوِيَةَ بِبَعْضِهِ ، فَقَالَ :
أَتَى عِلِمَتَ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : أَمَا عِلِمَتُ أَنْ ظَنَّ الْحَكِيمَ كِهَانَةً .

(١) كذا ورد قوله : « اتفرعر » في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة ؛ ولم يتبين له معنى .
(٢) كذا ورد قوله : « يا براح » في الأصل ؛ ولم يتبين له معنى .
ولعل صوابه يا نزاح أى يا كثير النزوح عن أهله كما يدل عليه نفية العبارة . (٣) المستفرمة
بعجم ربيب الطائف : عبارة كان عبد الملك بن مروان قد شتم بها الحجاج و بعض كتبه إليه .
وبجم الربيب : نواه . ويريد أن أمه كانت تستفرم به أى تضعه في فرجها ليضيق .

وقيل لعمَرَ بن عبدِ العَزِيزِ : ما تَقُولُ في عَليٍّ وعُثْمَانَ وفي حَرْبِ الجَعَلِ وصِفَتَيْنِ ؟ قال : نلِكَ دِمَاءُ كَفَّ اللهُ يَدَيَّ عَنْهَا ، فإِنَّا أَكْرَهُهُ أَنْ أَغْمِسَ لِسَانِي فِيهَا .

وقال : طَلَّقَ أَبُو الخِنْدِفِ امْرَأَتَهُ أُمَّ الخِنْدِفِ ، فقالت له : يا أبا الخِنْدِفِ طَلَّقْتَنِي بَعْدَ خَمْسِينَ سَنَةً ، فقال : مَالِكٌ ^(١) عِنْدِي ذَنْبٌ غَيْرُهُ .

وقال : لقي جَرِيرَةُ الأَخْطَلِ فقال : يا مَالِكُ ، ما فَعَلْتَ خَنَازِيرُكَ ! قال : كَثِيرَةٌ فِي مَرَجٍ أَفْيَحٍ ، فَإِنْ شِئْتَ قَرَيْنَاكَ مِنْهَا ، ثُمَّ قال الأَخْطَلُ : يا أَبَاخَزْرَةَ ما فَعَلْتَ أَعْنَازُكَ ؟ قال كَثِيرَةٌ فِي وادٍ أَرْوَحَ ، فَإِنْ شِئْتَ أَتْرَيْنَاكَ ^(٢) عَلى بَعْضِهَا .

وقال الشَّعْبِيُّ : ذَكَرَ عَمْرُو بْنُ العَاصِ عَلِيًّا فقال : فِيهِ دُعَابَةٌ ، فبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا فقال : زَعَمَ ابْنُ النَّابِغَةِ أَنِّي تَلْعَابَةٌ تَمْرَاحَةٌ ذُو دُعَابَةٍ أُعَاسُ وَأُمَاسُ ؛ هَيْهَاتَ ، يَمْنَعُ مِنَ العِمَاسِ وَالْمِرَاسِ ذِكْرُ المَوْتِ وَخَوْفُ البَغْتِ والحِسَابِ وَمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ فِي هَذَا عَنِ هَذَا لَهُ وَاغِظْ وَزَاجِرْ ، أَمَا وَشَرُّ القَوْلِ السَّكْذِبُ — إِنَّهُ لَيَمْدُ يُخَفِّفُ ، وَيُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ البَاسِ فَإِنَّهُ زَاجِرٌ وَأَمْرٌ مَا لَمْ تَأْخُذِ السِّیُوفُ سِهامَ الرِّجَالِ ، فَإِذَا كَانَ ذَاكَ فَأَعْظُمُ مَكِيدَتِهِ فِي نَفْسِهِ أَنْ يَمْنَحَ القَوْمَ أَسْتَه .

قال المَدائِنِيُّ : بَعَثَ المُفَضَّلُ [الصَّبَّيَّ] إِلَى رَجُلٍ بِأُضْحِيَّةٍ ، ثُمَّ لَقِيَهُ فقال : كَيْفَ كَانَتْ أُضْحِيَّتُكَ ؟ فقال : قَلِيلَةُ الدَّمِّ . وَأَرَادَ قَوْلَ الشَّاعِرِ : وَلَوْ ذُبِحَ الصَّبَّيُّ بِالسَّيْفِ لَمْ تَجِدْ مِنَ اللَّوْمِ لِلصَّبَّيِّ لَحْمًا وَلَا دَمًا

(١) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة : « تبالك » .

(٢) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة : « أقريناك » بالقاف والراء ؛

وهو تصحيح صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

وقال المَدَائِنِيُّ : مَرَّ عَقِيلُ بْنُ أُنَى طَالِبٍ عَلَى أَخِيهِ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ
السلام ومعه نيس ، فقال له على : إِنَّ أَحَدَ ثَلَاثَتِنَا أَحَقُّ . فقال عَقِيلُ : أَمَّا
أَنَا وَبَيْسَى فَلَا .

وَكَلَّمَ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ حُرَّانَ يَوْمًا فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ لَهُ حُرَّانُ : لَا أَكْثَرُ
اللَّهُ فِينَا مِثْلَكَ . فقال عَامِرُ : لَكِنْ أَكْثَرُ اللَّهُ فِينَا مِثْلَكَ ، فقال له القوم :
يَا عَامِرُ ، يَقُولُ لَكَ حُرَّانُ مَا لَا تَقُولُ مِثْلَهُ ؟ فقال : نَعَمْ يَكْسَحُونَ طُرُقَنَا ،
وَيَحْوُكُونَ ^(١) ثِيَابَنَا ، وَيَخْرُزُونَ خِفَافَنَا . فَقِيلَ لَهُ : مَا كُنَّا نَرَى أَنَّكَ تَعْرِفُ
مِثْلَ هَذَا ، قَالَ : مَا أَكْثَرَ مَا نَعْرِفُ مِمَّا لَا تَنْظُرُونَ بِنَا .

وقال : مَرَّ جَرِيرُ بْنُ عَطِيَّةٍ عَلَى الْأَخْوَصِ وَهُوَ عَلَى بَغْلٍ ، فَأَدَلَّى الْبَغْلُ
فَقَالَ الْأَخْوَصُ : بَغْلُكَ يَا أَبَا حَزْرَةَ عَلَى خَمْسِ قَوَائِمٍ . قَالَ جَرِيرُ : وَالْخَامِسَةُ
أَحَبُّ إِلَيْكَ .

وَمَرَّ جَرِيرٌ بِالْأَخْوَصِ ^(٢) وَهُوَ يَفْسُقُ بامرأة وَنَشِدُ :

يَقْرُؤُ بَعِيْنِي مَا يَقْرُؤُ بَعِيْنَهَا وَأَحْسَنُ شَيْءٍ مَا بِهِ الْعَيْنُ قَرَّتْ
فَقَالَ لَهُ جَرِيرُ : فَإِنَّهُ يَقْرُؤُ بَعِيْنَهَا أَنْ تَقْعَدَ عَلَى مِثْلِ ذِرَاعِ الْبَكْرِ ، أَفَتَرَاكَ
تَفْعَلُ ذَلِكَ ؟

فَقَالَ الْوَزِيرُ : مَنْ رَأَيْتَ مِنَ الْكِبَارِ ^(٣) كَانَ يَحْفَظُ هَذَا الْفَنَّ وَلَهُ فِيهِ
غَزَاوَةٌ وَأَنْبَعَاثٌ وَجَسَارَةٌ عَلَى الْإِيرَادِ . قُلْتُ : أَبْنُ عَبَّادٍ عَلَى هَذَا ، وَيَبْلُغُ مِنْ قُوَّتِهِ
أَنَّهُ يَفْعَلُ ^(٤) أَشْيَاءَ شَبِيهَةً بِهَذَا الضَّرْبِ عَلَى مَنْ حَضَرَ ، فَقَالَ : الْكَذِبُ لَا خَيْرَ

(١) فِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا وَحْدَهَا هَذِهِ الْقِصَّةُ : « وَبِجَوْلُون » ؛ وَلَا يَحْفَى مَا فِيهَا
مِنْ تَحْرِيفٍ طَاهِرٍ .

(٢) عِبَارَةٌ بـ « وَبِجَوْلُون » وَهُوَ يَفْسُدُ « ثُمَّ ذَكَرَ الْبَيْتَ .

(٣) فِي بـ « الْكِتَابِ » . . (٤) فِي (١) « يَنْقُلُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ

فيه ، ولا حَلَاوَةَ لِرَاوِيهِ ، ولا قَبُولَ عِنْدَ سَامِعِيهِ .

وقال : أُرْسِلَ بِلَالُ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ إِلَى أَبِي عَلَقَمَةَ فَأَتَاهُ ، فَقَالَ : أَنْتَ دَرَى لَأَيَّ شَيْءٍ أُرْسِلْتُ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، لَتَضُنَّعَ بِي خَيْرًا . قَالَ : أَخْطَأْتُ وَلَكِنْ لِأَسْئَةٍ بِكَ . فَقَالَ : أَمَّا إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ لَقَدْ حَكَّمِ الْمُسْلِمُونَ حَكَمَيْنِ ، وَسَخَّرَ أَحَدَهُمَا بِالْآخِرِ . فَقَالَ الْوَزِيرُ : أَيْقَالَ سَخَّرَ بِهِ ؟ فَكَانَ الْجَوَابُ أَنَّ أَمَّا زَيْدٌ حَكَاهُ ، وَصَاحِبَ التَّضَنُّعِ قَدْ رَوَاهُ ؛ وَسَخَّرَ مِنْهُ أَيْضًا كَلَامٌ ، وَإِنَّمَا يُقَالُ هُوَ أَفْصَحُ ، لِأَنَّهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَّا فَكَلَامُهَا جَائِزٌ .

وقال حَمْزَةُ بْنُ بَيْضِ الْخَنْقِ لِلْفَرَزْدَقِ : يَا أَبَا فِرَاسٍ ، أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ تَسْمِقَ الْخَيْرَ أَمْ يَسْمِقُكَ ؟ قَالَ : مَا أُرِيدُ أَنْ أُسْمِقَهُ وَلَا أَنْ يَسْمِقَنِي ، بَلْ نَكُونُ مَعًا . وَلَكِنْ حَدَّثَنِي أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ : أَنْ تَدْخُلَ مَنْزِلَكَ فَتَجِدَ رَجُلًا عَلَى حِرٍّ أُمَّكَ ، أَوْ تَجِدَهَا قَابِضَةً عَلَى فُؤَادِ الرَّجُلِ . فَأَوْحَمَهُ .

فَلَمَّا فَرَأَتْ الْجُزْءَ فِي ضُرُوبِ الْجَوَابِ الْمَفْجَمِ . قَالَ : مَا أَفْتَحَ^(١) هَذَا النُّوعَ مِنَ الْكَلَامِ لِأَبْوَابِ^(٢) الْبَدِيهِةِ ؟ وَأَبْعَثَهُ لِرَوَاقِدِ الذَّهْنِ ؟ وَمَا يَتَفَاضَلُ النَّاسُ عِنْدِي بِشَيْءٍ [أَحْسَنَ]^(٣) مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْفَوَائِقِ الرَّوَاقِ ، مَا أَحْسَنَ مَا جَمَعْتَ وَأَتَيْتَ بِهِ .

الليلة الأربعون

وقال مَرَّةً أُخْرَى : حَدَّثَنِي عَنْ أَعْتِقَادِكَ فِي أَبِي تَمَّامٍ وَابْنِ بَرَكِيَّةٍ ، فَكَانَ (١)

(١) كَذَا فِي ب . وَالَّذِي فِي (١) « مَا أَصَحَّ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي ب « الْأَنْوَاءُ » ؛ وَهُوَ خَطَأٌ مِنَ النَّاسِ .

(٣) هَذِهِ الْكَلِمَةُ أَوْ مَا يَفِيدُ مَعَهَا لَمْ تَرُدْ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ ، وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِيهَا ،

لِإِذْ لَا تَمُوتُ الْمُبَارَةُ بِدُونِهَا .

الجواب : إن هذا الباب مُخْتَلَفٌ فيه ، ولا سبيل إلى رَفْعِهِ ، وقد سَبَقَ هذا من الناس في الفَرَزْدَقِ وَجَرِيرٍ وَمِنْ قَبْلِهِمَا فِي زُهَيْرٍ وَالنَابِغَةِ حَتَّى تَسْكُمَ عَلَى ذَلِكَ الصِّدْرُ الْأَوَّلُ ، مع علوِّ مَرَاتِبِهِمْ فِي الدِّينِ وَالْعَقْلِ وَالْبَيَانِ ، لَكِنْ حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْعَرُوصِيُّ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدِ قَالَ : سَأَلَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ أَبِي تَمَّامٍ وَابْحَثْرَى ؛ فَقُلْتُ : أَبُو تَمَّامٍ يَفْعَلُوا عُلُوءًا رَفِيعًا ، وَيَسْقُطُ سُقُوطًا قَبِيحًا ، وَابْحَثْرَى أَحْسَنُ الرَّجُلَيْنِ نَمَطًا ، وَأَعْدَبَ لَفْظًا ؛ فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ :

قَدْ كَانَ ذَلِكَ ظَنِّي فَعَادَ ظَنِّي يَقِينَا

فَقُلْتُ : وَهَذَا أَيْضًا شِعْرٌ . فَقَالَ : مَا عَلِمْتُ .

فَقَالَ : هَذِهِ حِكَايَةٌ مَمِيدَةٌ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ الْمَتَقَدِّمِ ، وَحُكْمٌ بَلُوحٌ مِنْهُ الْإِنْصَافُ ، وَفَدَا غَنَى هَذَا الْقَوْلُ عَنْ خَوْضٍ كَثِيرٍ .

(٢) وَدَعَا ؛ مِنْ أَيْنَ دَخَلَتِ الْأَمَةُ عَلَى أَصْحَابِ الْمَذَاهِبِ حَتَّى أَفْتَرَقُوا هَذَا الْأَفْتِرَاقَ ، وَتَبَايَنُوا هَذَا التَّبَايُنَ ، وَخَرَجُوا إِلَى التَّكْفِيرِ وَالنَّفْسِيقِ وَابْإِحَةِ الدِّمِ وَالْمَالِ وَرَدِّ الشَّهَادَةِ وَإِطْلَاقِ اللِّسَانِ بِالْجُرْحِ وَبِالْقَذَعِ وَالتَّهَاجُرِ وَالتَّقَاطُعِ ؟ .

فَكَانَ الْجَوَابُ : إِنَّ الْمَذَاهِبَ فُرُوعُ الْأَدْيَانِ ، وَالْأَدْيَانُ أَصُولُ الْمَذَاهِبِ ، فَإِذَا سَأَغَ (١) الْأَخْتِلَافُ فِي الْأَدْيَانِ — وَهِيَ الْأَصُولُ — وَلَمْ لَا يَسُوعُ فِي الْمَذَاهِبِ وَهِيَ الْفُرُوعُ .

فَقَالَ : وَلَا سَوَاءَ (٢) ، الْأَدْيَانُ اخْتَلَفَتْ بِالْأَنْبِيَاءِ ، وَهِيَ أَرْبَابُ الصِّدْقِ وَالْوَحْيِ الْمَوْثُوقِ بِهِ ، وَالْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى الصِّدْقِ ؛ وَلَيْسَ كَذَلِكَ الْمَذَاهِبُ .

فَقِيلَ : هَذَا صَحِيحٌ ، وَلَا دَافِعَ (٣) لَهُ ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَتْ الْمَذَاهِبُ نَتَائِجَ

(١) فِي ب « شَاع » ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا .

(٢) فِي (أ) وَلَا سَمَاءَ ؛ وَهُوَ تَعْرِيفٌ إِذْ لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ سِيَاقُ الْكَلَامِ

(٣) فِي (أ) « وَلَا رَافِعَ » ؛ وَهُوَ تَعْرِيفٌ

الآراء ، والآراء ثمرات العقول ، والعقول منائح الله للعباد ، وهذه النتائج مُخْتَلَفَةٌ بالصِّفاء والكَدْر ، وبالسَّكال والنَّقْص ، وبالقِلَّة والكثْرَة ، وبالخفاء والوضوح ؛ وَجَبَ أَنْ يَجْرِيَ الْأَمْرُ فِيهَا عَلَى مَنَاهِجِ الْأَدْيَانِ فِي الْأَخْتِلَافِ وَالْإِفْتِرَاقِ ، وَإِنْ كَانَتْ تِلْكَ مَنُوطَةً بِالنَّبُوءَةِ ؛ وَبَعْدَ ، فَمَا دَامَ النَّاسُ عَلَى فِطَرٍ كَثِيرَةٍ ، وَعَادَاتٍ حَسَنَةٍ وَقَبِيحَةٍ ، وَمَنَاشِئَ مَحْمُودَةٍ وَمَذْمُومَةٍ ، وَمُلَاحَظَاتٍ قَرِيبَةٍ وَبَعِيدَةٍ ، فَلَا بَدَّ مِنَ الْأَحْتِلَافِ فِي كُلِّ مَا تُخْتَارُ وَيُجْتَنَبُ ، وَلَا يَجُوزُ فِي الْحِكْمَةِ أَنْ يَقَعَ الْأُتْفَاقُ يَمَّا جَرَى يَجْرَى الْمَذَاهِبِ وَالْأَدْيَانِ ؛ أَلَا تَرَى أَنَّ الْأُتْفَاقَ لَمْ يَحْصُلْ فِي تَفْضِيلِ أُمَّةٍ عَلَى أُمَّةٍ ، وَلَا فِي تَفْضِيلِ بَلَدٍ عَلَى بَلَدٍ ، وَلَا فِي تَقْدِيمِ رَجُلٍ عَلَى رَجُلٍ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الْأَمْرِ إِلَّا التَّعَصُّبُ وَاللَّجَاجُ وَالْهَوَى وَالْمَحْكُ وَالذَّهَابُ مَعَ السَّاقِ إِلَى النَّفْسِ وَالْمُوَافِقُ [لِلْمَزَاجِ] وَالْخَفِيفُ عَلَى الطَّبَاعِ وَالْمَالِكُ لِلْقَلْبِ ، لَكَانَ كَأَمِّيًا بَالِغًا بِالْإِنْسَانِ كُلِّ مَبْلَغٍ .

وشَيْخُنَا أَبُو سُلَيْمَانَ يَقُولُ كَثِيرًا : إِنَّ الدِّينَ مَوْضُوعٌ عَلَى الْقَبُولِ وَالتَّسْلِيمِ ، وَالْمُبَالَغَةِ فِي التَّعْظِيمِ ^(١) وَلَيْسَ فِيهِ « لَمْ » وَ « لَا » وَ « كَيْفَ » إِلَّا بِقَدَرٍ مَا يُؤَكِّدُ أَصْلَهُ وَشَدُّ أَرْزِهِ ، وَيَنْبَغِي عَارِضَ الشَّوْءِ عَنْهُ ، لِأَنَّ مَا زَادَ عَلَى هَذَا يُوهِنُ [الْأَصْلَ] بِالشَّكِّ ، وَتَقْدَحُ فِي الْفَرْعِ بِالتَّهْمَةِ .

قال : وهذا لَا يَخْصُ دِينًا دُونَ دِينٍ ، وَلَا مَقَالَةً دُونَ مَقَالَةٍ ، وَلَا نِحْلَةً دُونَ نِحْلَةٍ ، بَلْ هُوَ سَارٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ فِي كُلِّ حَالٍ فِي كُلِّ رِمَانٍ ، وَكُلِّ مَنْ حَاوَلَ رَفَعَ هَذَا فَقَدْ حَاوَلَ رَفَعَ الْفِطْرَةَ وَنَفَى الطَّبَاعَ وَقَلْبَ الْأَصْلِ ، وَعَكَسَ الْأَمْرَ ؛ وَهَذَا غَيْرُ مُسْتَطَاعٍ وَلَا مُمَكِّنٍ ؛ وَقَدْ قِيلَ : « إِذَا لَمْ يَكُنْ مَا تُرِيدُ فَأَرِدْ مَا يَكُونُ » .

(١) فِي كِلْتَا السَّخْنَيْنِ « وَالتَّعْظِيمِ » بِالْوَاوِ ؛ وَهُوَ تَخْرِيفُ صَوَابِهِ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يَتَضَمَّنُهُ السِّيَاقُ .

وقال لنا القاضى أبو حامد المروزي : أنا منذ أربعين سنة أجتهد مع أصحابنا البصريين في أن أصحح عندهم أن بغداد أطيّب من البصرة ، وأنا اليوم في كلامي معهم كما كنت في أوّل كلامي لهم ، وكذلك حالهم معي ، وهذا هذا . أنظر إلى فصل ومرعوش — وهما من سقط الناس وسفلتهم — كيف ألحج الناس بهما وبالتعصب لهما حتى صار جميع من ببغداد إما مرعوشيا وإما فصليا .

ولقد أجتاز ابن معروف وهو على قضاء القضاة بباب الطاق فتعلّق بهض هؤلاء المجان بلجام بغلته ، وقال : أيها القاضى ، عرفنا ، أنت مرعوشي أم فصلي ، فتجبر وعرف ما نحت هذه الكلمة من السفه والفتنه ، وأنّ التخاص بالجوّاب الرّفيق أجدى عليه من العنف والخرق وإظهار السطوة ؛ فالتفت إلى الحرّاني — وكان معه وهو من الشهود — فقال : يا أبا القاسم ، نحن في محلة من ؟ قال : في محلة مرعوش ؛ فقال ابن معروف : كذلك نحن — عافاك الله — من أصحاب محلتنا لانختار على اختيارهم ؛ ولا نتميّز فيهم . فقال العيّار : امش أيها القاضى في ستر الله ؛ مثلك من تعصب للجيران .

فقال الوزير — أحسن الله توقيقه — هذا كله تعصب وهوى وتمأحك^(١) . ونكلف . قيل : هذا وإن كان هكدا فهو داخل فيما عداه من حديث الدين والمذهب والصناعة والبلد .

قال أبو سليمان : ولمصلحة عامة نهى عن المراء والجدل [في الدين] على عادة المتكلمين ، الذين يزعمون أنهم ينهرون الدين^(٢) ، وهم في غاية العداوة

(١) في (١) « وتماسك » ؛ وهو تحريف .

(٢) في ب « الجدل » مكان « الدين » ؛ وهو خطأ من الناسخ .

للإسلام والمسلمين ، وأبعدُ الناس من الطُّمأنينة واليقين .

ثم حدث فقال :

اجتمعَ رَجُلَانِ : أحدهما يقول بقولِ هِشَام ، والآخَرُ يَقُولُ بقولِ الجَوَالِيقِي ؛ فقال صَاحِبُ الجَوَالِيقِي لصاحب هِشَام : صِفْ لِي رَبَّكَ الَّذِي تَعْبُدُهُ ، فوصَّفه بأنه لا يد له ولا جارحة ولا آلة ولا لسان ، فقال الجوالِيقِي : أيسرك أن يكون لك وَلَدٌ بهذا الوصف ؟ قال : لا ، قال : أما تستحي أن نصفَ رَبَّكَ بصفةٍ لا تَرْضَاهَا لَوَلَدُكَ ؟ فقال صاحبُ هِشَام : إنَّكَ قد سمعتَ ما نقول ، صِفْ لِي أَنْتَ رَبَّكَ ؛ فقال : إنَّه جَعْدٌ فَطَطَ فِي أَنْفِ القاماتِ وَأَحْسَنَ الصُّورِ والقَوَامِ . فقال صاحبُ هِشَام ^(١) : أيسرك أن تكونَ لك جاريةٌ بهذه الصِّمَّةِ تَطَوُّهَا ؟ ! قال : نعم ، قال : أما تستحي من عبادة من نُحِبُّ مُبَاضَعَةً مثله ؟ ! وذلك لَأَنَّ مَنْ أَحَبَّ مُبَاضَعَتَهُ فقد أَوْقَعَ الشَّهْوَةَ عليه .

فقال : هذا من شؤم الكلام ونسكد الجدَل ، ولو كان هُناكَ دِينٌ لكان لا يدورُ هذا في وَهْمٍ ^(٢) ولا يَنْطِقُ بِهِ لِسَانٌ .

وَحَكِي أَيْضًا قال : أُبْتَلِي غُلَامٌ أَعْجَمِيٌّ بَوَجَعٍ شَدِيدٍ ، ففعل يَتَأَوَّهُ وِيَتَلَوَّى وَيَصِيحُ . فقال له أبوه : يَا بُنَيَّ أَصْبِرْ وَأَحْمَدِ اللَّهَ تَعَالَى . فقال : ولماذا أَحْمَدُهُ ؟ قال لأنه أَبْتَلَاكَ بهذا ؛ فَأَشْتَدَّ وَجَعُ الغُلَامِ وَرَفَعَ صَوْتُهُ بِالتَّأَوُّهِ أَشَدَّ مِمَّا كَانَ ، فقال له أبوه : وَلِمَ أَشْتَدَّ جَزَعُكَ ؟ فقال : كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ غَيْرَ اللَّهِ أَبْتَلَانِي بهذا فَكُنْتُ أَرْجُوهُ أَنْ يُعَايِنَنِي مِنْ هَذَا الْبَلَاءِ وَيَعْصِرَ فَنِي عَنِّي ، فَأَمَّا إِذْ كَانَ هُوَ

(١) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه العبارة « الجوالِيقِي » مكان « هِشَام » ، وهو خطأ من الناسخ ؛ والسياق يقتضي ما أثبتنا . وعارة ب « فقال له » ثم ذكر كلامه .
(٢) في ب « في حاطر » والمعنى سقيم عليه أيضا .

الَّذِي أُبْتَلَانِي بِهِ فَمَنْ أَرْجُو أَنْ يُعَافِيَنِي ؟ فَإِلَّا أَنْ أَشْتَدَّ جَزَعِي ، وَعَظُمَتْ مُصِيبَتِي . قَالَ : وَلَوْ عَلِمَ أَنَّ الَّذِي أُتْلَاهُ هُوَ الَّذِي أُسْتَصْلَحُهُ بِالْبَلَاءِ لَيَكُونُ إِذَا وَهَبَ لَهُ الْعَافِيَةَ شَاكِرًا لَهُ عَلَيْهَا بِحَسٍّ صَحِيحٍ وَعِلْمٍ تَامٍّ لَكَانَ لَا يَرَى مَا قَالَهُ وَتَوَهَّمَهُ لِأَزْمَا .

وَحَكَمِي أَيْضًا أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْعَجَمِ حَجَّ وَتَعَلَّقَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ فَطَافَ يَدْعُو وَيَقُولُ : يَا مَنْ خَلَقَ السَّبَاعَ الصَّارِيَةَ وَالْهَوَامَّ الْعَادِيَةَ ، وَسَلَّطَهَا عَلَى النَّاسِ ، وَضَرَبَهُمْ بِالزَّامَانَةِ وَالْعَمَى وَالْفَقْرَ وَالْحَاجَةَ ؛ فَوَثَبَ النَّاسُ عَلَيْهِ وَسَبُّوهُ وَزَجَرُوهُ وَقَالُوا : أَدْعُ اللَّهَ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى . فَأُظْهِرَ لَهُمُ النَّدَامَةُ ، وَالتَّعَارُفُ ^(١) فَخَلَّوْا عَنْهُ بَعْدَ مَا أَرَادُوا الْوَرِيعَةَ بِهِ ، فَرَجَعَ وَتَعَلَّقَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ ، وَجَعَلَ يُنَادِي : يَا مَنْ لَمْ يَخْلُقِ السَّبَاعَ الضَّارِيَةَ ، وَلَا الْهَوَامَّ ، وَلَا سَلَّطَهَا عَلَى النَّاسِ ، وَلَمْ يَصْرِبِ النَّاسَ بِالْأَوْجَاعِ وَالْأَسْقَامِ . فَوَثَبُوا [عَلَيْهِ] أَيْضًا وَقَالُوا لَهُ : لَا تَقُلْ هَذَا يَا أَبْنَاءَ اللَّهِ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ؛ فَقَالَ : مَا أَذْرِي كَيْفَ أَعْمَلُ ؟ إِنْ قُلْتُ : إِنَّ اللَّهَ خَالِقُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَتَبَتُّمْ عَلَى ؛ وَإِنْ قُلْتُ : [إِنَّ اللَّهَ] لَمْ يَخْلُقْهَا وَتَبَتُّمْ عَلَى . فَقَالُوا : هَذَا يَنْبَغِي أَنْ تَعْلَمَهُ بِقَلْبِكَ وَلَا تَدْعُ اللَّهَ بِهِ .

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ : وَهَذَا أَيْضًا مِنْ شَوْمِ الْكَلَامِ وَشُبْهِ الْمُتَكَلِّمِينَ الَّذِينَ يَقُولُونَ : لَا يَجُوزُ ^(٢) أَنْ يُعْتَقَدَ شَيْءٌ بِالتَّقْلِيدِ ، وَلَا بُدَّ مِنْ دَلِيلٍ ، نَحْمُ يَدُلُّونَ وَيَحْتَلِفُونَ ، نَحْمُ يَرْجِعُونَ إِلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ الْأَدِلَّةَ مُتَكَافِئَةٌ .

وَكَانَ ابْنُ الْبِقَالِ يَجْهَرُ بِهَذَا الْقَوْلِ ، فَقُلْتُ لَهُ مَرَّةً : لِمَ مِلْتَ إِلَى هَذَا الْمَذْهَبِ ؟ فَقَالَ : لِأَنِّي وَجَدْتُ الْأَدِلَّةَ مُتَدَايِمَةً فِي أَنْفُسِهَا ، وَرَأَيْتُ أَصْحَابَهَا

(١) عبارة (١) « وفارق مجلوا عنه » ؛ وهو تحريف . والتعارف : التقارب والمداينة .

(٢) كذا في (١) والذي في ب « لا يحب » . ولعلها محرفة عن « لا يحب » بالباء للجھول .

يُزَخَّرُ فُؤُوسُهَا وَيَمُوءُ هُونُهَا لَتُقْتَمَلَ مِنْهُمْ ، وَكَانُوا كَأَحْبَابِ الزُّيُوفِ الَّذِينَ يَغُشُّونَ
النَّقْدَ لِيَنْفُتِقَ عِنْدَهُمْ ، وَتَدُورُ الْمُعَالِطَةُ ^(١) بَيْنَهُمْ . فَقُلْتُ لَهُ : أَمَّا تَعْرِفُ أَنَّ الْحَقَّ
حَقٌّ وَالْبَاطِلَ بَاطِلٌ ؟ قَالَ : بَلَى ، وَلَسَكُنْ لَا يَتَّبِعِينَ ^(٢) أَحَدُهُمَا مِنَ الْآخِرِ . قُلْتُ :
أَفَلَا نَهْ لَا يَتَّبِعِينَ لَكَ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ تَعْتَقِدُ أَنَّ الْحَقَّ بَاطِلٌ وَأَنَّ الْبَاطِلَ حَقٌّ ؟
قَالَ : لَا أَجِبُ ، إِلَى حَقٍّ أَعْرِفُهُ بَعَيْنِيهِ فَأَعْتَقِدُ أَنَّهُ بَاطِلٌ ، وَلَا أَجِبُ ، أَيْضًا إِلَى
بَاطِلٍ أَعْرِفُهُ بَعَيْنِيهِ فَأَعْتَقِدُ أَنَّهُ حَقٌّ ، وَلَسَكُنْ لَمَّا أَلْتَبَسَ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ وَالْبَاطِلُ
بِالْحَقِّ قُلْتُ : إِنَّ الْأَدِلَّةَ عَلَيْهِمَا وَلَهُمَا مَتَكَافِئَةٌ ، وَإِنِهَا مَوْقُوفَةٌ عَلَى حِذْقِ الْحَازِقِ
فِي نُصْرَتِهِ ، وَضَعْفِ الدَّعِيفِ فِي الذَّبِّ عَنْهُ . قُلْتُ وَكَأَنكَ قَدْ رَجَعْتَ عَنْ
أَعْتِرَاؤِكَ بِالْحَقِّ أَنَّهُ حَقٌّ ، وَبِالْبَاطِلِ أَنَّهُ بَاطِلٌ . قَالَ : مَا رَجَعْتُ . قُلْتُ
وَكَأَنكَ تَدْعِي الْحَقَّ حَقًّا مُجْمَلَةً وَالْبَاطِلَ بَاطِلًا مُجْمَلَةً مِنْ غَيْرِ أَنْ تُمَيِّزَ بِالتَّفْصِيلِ .
قَالَ : كَذَا هُوَ . قُلْتُ : فَمَا نَفْعُكَ ^(٣) بِالْأَعْتِرَافِ بِالْحَقِّ وَأَنَّهُ مُتَمَيِّزٌ عَنِ الْبَاطِلِ
فِي الْأَصْلِ ، وَأَنْتَ لَا تُمَيِّزُ بَيْنَهُمَا فِي التَّفْصِيلِ ؟ قَالَ : وَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا نَفْعِي
مِنْهُ . قُلْتُ وَلِمَ لَا تَقُولُ : الرَّأْيُ أَنْ أَقِفَ وَلَا أَحْكَمْ عَلَى الْأَدِلَّةِ بِالتَّسْكَافِ ، لِأَنَّ
الْبَاطِلَ لَا يُقَاوِمُ الْحَقَّ ، وَالْحَقَّ لَا يَتَشَبَّهُ بِالْبَاطِلِ ، إِلَى أَنْ يَفْتَحَ اللَّهُ بَصَرِي
فَأَرَى الْحَقَّ حَقًّا فِي التَّفْصِيلِ ، وَالْبَاطِلَ بَاطِلًا عَلَى التَّحْصِيلِ ، كَمَا رَأَيْتُهُمَا فِي الْجُمْلَةِ ،
وَأَنَّ الَّذِي فَتَحَ بَصَرِي عَلَى ذَلِكَ فِي الْأَوَّلِ هُوَ الَّذِي غَضَّ بَصَرِي عَنْهُ فِي
الثَّانِي ؟ قَالَ : يَنْبَغِي أَنْ أَنْظُرَ فِيمَا قُلْتُ . فَقُلْتُ : أَنْظُرْ إِنْ كَانَ لَكَ نَظَرٌ ،
وَلَا تَتَكَلَّفَ النَّظَرَ مَا دَامَ بِكَ عَمَى أَوْ عَشَا أَوْ رَمَدَ .

(١) كَذَا فِي (١) وَالَّذِي فِي ب « الْمَعَالِمَةُ » .

(٢) فِي كَلَامِ النُّسَخَتَيْنِ « بَيْنَ » بِسُقُوطِ « لَا » ؛ وَالصَّوَابُ مَا أَثْنَيْتُ كَمَا يُؤْخَذُ مِمَّا يَأْتِي بَعْدَ .

(٣) فِي (١) « نَفْعٌ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

وحكى لنا أبو سليمان قال : وصَفَ لنا بعضُ النَّصَارَى الْجَنَّةَ فقال : ليس فيها أَكْلٌ ولا شُرْبٌ ولا نِكَاح . فَسَمِعَ ذَلِكَ بعضُ الْمُتَكَلِّمِينَ فقال : ما تصف إلاَّ الْحُزْنَ وَالْأَسْفَ وَالْبَلَاءَ .

وقال أبو عيسى الْوَرَّاقُ — وكان من خُذَّاقِ الْمُتَكَلِّمِينَ — إِنَّ الْأَمْرَ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّ الْمَأْمُورَ لَا يَفْعَلُهُ سَعْيِهِ ، وقد عَلَّمَ اللَّهُ مِنَ الْكُفَّارِ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ، فَلَيْسَ لَأَمْرِهِمْ بِالْإِيمَانِ وَجْهٌ فِي الْحِكْمَةِ .

قال أبو سليمان : أُنْظِرْ كَيْفَ ذَهَبَ عَلَيْهِ السَّرُّ فِي هَذِهِ الْحَالِ ، مِنْ أَيْنَ أَتَوْا ، وَكَيْفَ لَزِمَتْهُمْ الْحِجَّةُ .

وقال أبو عيسى أَيْضاً : الْمُعَاقِبُ الَّذِي لَا يَسْتَصْلِحُ بِعُقُوبَتِهِ مِنْ عَاقِبَتِهِ ، وَلَا يَسْتَصْلِحُ بِهِ غَيْرُهُ ، وَلَا يَشْفِي غَيْظَهُ بِعُقُوبَتِهِ جَائِرٌ ، لِأَنَّهُ قَدْ وَضَعَ الْعُقُوبَةَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا . قال : لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَسْتَصْلِحُ أَهْلَ النَّارِ وَلَا غَيْرَهُمْ ، وَلَا يَشْفِي غَيْظَهُ بِعُقُوبَتِهِمْ ، فَلَيْسَ لِلْعُقُوبَةِ وَجْهٌ فِي الْحِكْمَةِ . هَذَا عَرَضُ كِتَابِهِ الَّذِي نَسَبَهُ إِلَى الْغَرِيبِ الْمَشْرِقِيِّ .

وقال أبو سَعِيدٍ الْخَضْرَمِيُّ — وكان من خُذَّاقِ الْمُتَكَلِّمِينَ بِبَغْدَادَ ، وَهُوَ الَّذِي تَظَاهَرَ بِالْقَوْلِ بِتَكَاثُرِ الْأَدْلَةِ — إِنَّ كَانَ اللَّهُ عَدْلًا كَرِيمًا جَوَادًا عَلِيمًا رَءُوفًا رَحِيمًا فَإِنَّهُ سَيُصَيِّرُ جَمِيعَ خَلْقِهِ إِلَى جَنَّتِهِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ جَمِيعًا عَلَى اخْتِلَافِهِمْ يَجْتَهِدُونَ فِي طَلَبِ مَرْضَاتِهِ ، فَيَهْرُبُونَ مِنْ وَقَعِ سُخْطِهِ بِقَدْرِ عِلْمِهِمْ وَمَبْلَغِ عَقُولِهِمْ ، وَإِنَّمَا تَرَكَوْا أَتْبَاعَ أَمْرِهِ لِأَنَّهُمْ خُدِعُوا ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الْبَاطِلُ بِأَسْمِ الْحَقِّ ؛ وَمَثَلُهُمْ فِي ذَلِكَ مَثَلُ رَجُلٍ حَمَلَ هَدِيَّةً إِلَى مَلِكٍ ، فَعَرَضَ لَهُ فِي الطَّرِيقِ قَوْمٌ شَانَهُمُ الْخِدَاعَ وَالْمَكْرَ وَالْأَسْتِلَالَ^(١) ، فَنَصَبُوا لَهُ رَجُلًا ، وَسَمَّوْهُ بِاسْمِ الْمَلِكِ

UNIVERSITY (١) فِي «الاسترسال» وَفِي «الاسترسال» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلَا النِّسْخَتَيْنِ .

الَّذِي كَانَ قَصْدَهُ ، فَسَلَّمَ الْهَدِيَّةَ إِلَيْهِمْ ؛ فَمَالِكُ الَّذِي قَصْدَهُ إِنْ كَانَ كَرِيمًا فَإِنَّهُ يَغْذِرُهُ وَيَرْحُمُهُ وَيَزِيدُ فِي كَرَامَتِهِ وَبِرِّهِ حِينَ يَقِفُ عَلَى قِصَّتِهِ ؛ وَهَذَا أَوَّلَى بِهِ مِنْ أَنْ يَغْضَبَ عَلَيْهِ وَيُعَاقِبَهُ .

وقال أبو سليمان : ذكروا أَنَّ رَجُلًا رَأَى قَوْمًا يَتَنَظَّرُونَ ، فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ فَرَأَاهُمْ مُخْتَلِفِينَ ، فَأَقْبَلَ عَلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ فَقَالَ : أَتُلْزِمُنِي أَنْ أَقُولَ بِقَوْلِكَ وَأَنَا لَا أَعْلَمُ أَنَّكَ مُحِقٌّ ؟ فَإِنْ قُلْتَ : نَعَمْ ، قُلْتُ لَكَ : إِنْ بَعْضَ جُلُوسَاتِكَ يَدْعُونِي إِلَى مَخَالَفَتِكَ وَأَتْبَاعِهِ ، وَلَيْسَ عِنْدِي عِلْمٌ بِالْمُحِقِّ مِنْكُمْ ؛ وَإِنْ أَلْزَمْتَنِي أَنْ أَتَّبِعَ كَلَامَكُمْ هَذَا مُحَالٌ ، وَإِنْ قُلْتَ : لَا يَلْزَمُكَ أَنْ تَتَّبِعَنِي وَلَا غَيْرِي إِلَّا بَعْدَ الْعِلْمِ بِالْمُحِقِّ مِنْكُمْ ، لَمْ يَخْلُ الْعِلْمُ بِذَلِكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِعْلِي أَوْ فِعْلَ غَيْرِي ، فَإِنْ كَانَ الْعِلْمُ وَمِلَا لَغَيْرِي فَقَدْ صِرْتُ مُضْطَرًّا ، وَلَا أَسْتَوْجِبُ عَلَيْهِ حَمْدًا وَلَا ذَمًّا [وَإِنْ كَانَ الْفِعْلُ لِي] فَمَنْ أَعْظَمُ جَهَالَةٍ مِمَّنْ يَفْعَلُ مَا يَلْزِمُهُ الْأَمْرُ وَالنَهْيُ بِهِ ، وَإِنْ قَصَرَ صَبْرُهُ ذَلِكَ إِلَى الْعَطَبِ وَالْهَلَاكِ ، مَعَ أَنْ هَذَا الْقَوْلُ يُؤَدِّي إِلَى أَنْ أَكُونَ أَنَا الْمَعْتَرِضُ عَلَى نَفْسِي ، لِأَنَّهُ إِذَا يَلْزَمُنِي ذَلِكَ إِذَا عَلِمْتُ أَنِّي أَقْدِرُ أَنْ أَعْلَمَ وَأَلَا أَعْلَمَ .

وَحَكَى لَنَا أَيْضًا قَالَ : سَأَلَ عِنْدَنَا رَجُلٌ مِنَ الْمُتَحَيِّرِينَ بِسَجِسْتَانَ فَقِيلَ لَهُ : [مَا دَلِيلُكَ عَلَى صِحَّةِ مَقَالَتِكَ ؟ فَقَالَ لِادَّلِيلِ وَلَا حُجَّةٍ . فَقِيلَ لَهُ] : وَمَا الَّذِي أَحْوَجَكَ إِلَى هَذَا ؟ قَالَ : لِأَنِّي رَأَيْتُ الدَّلِيلَ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ وُجُوهِ ثَلَاثَةٍ : إِمَّا مِنْ طَرِيقِ النُّبُوَّةِ وَالْآيَاتِ ، وَإِنْ كَانَ إِنَّمَا يَثْبُتُ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ فَلَمْ أَشَاهِدْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ ثَبَتَ عِنْدِي مَقَالَتُهُ .

وَأَمَّا أَنْ يَكُونَ يَثْبُتُ بِالْكَلَامِ وَالْقِيَاسِ فَإِنْ كَانَ إِذَا يَثْبُتُ بِذَلِكَ فَقَدْ

رَأَيْتُنِي مَرَّةً أُخْصِمُ وَمَرَّةً أُخْصَمُ ، وَرَأَيْتُنِي أَعْجِزُ عَنِ الْحِجَّةِ فَأَجِدُهَا عِنْدَ غَيْرِي ، وَأَتَذَنَّبُهُ إِلَيْهَا مِنْ تَلَقُّاءِ نَفْسِي بَعْدَ ذَلِكَ ، فَيَصْبَحُ عِنْدِي مَا كَانَ بَاطِلًا ، وَيَفْسُدُ عِنْدِي مَا كَانَ صَحِيحًا ؛ فَلَمَّا كَانَ هَذَا الْوَصْفُ عَلَى مَا وَصَفْتُ لَمْ يَكُنْ لِي أَنْ أَقْضِيَ لشيءٍ بِصَحَّةٍ مِنْ هَذِهِ الْجَهَةِ ، وَلَا أَقْضِيَ عَلَى شيءٍ بِفَسَادٍ لِعَدَمِ الْحِجَّةِ .

وإِذَا أَنْ تَكُونُ ثَبَتَتْ بِالْأَخْبَارِ عَنِ السُّكُتِ فَلَمْ أَجِدْ أَهْلَ مِلَّةٍ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنْ غَيْرِهِمْ ، وَلَمْ أَجِدْ إِلَى تَصْدِيقِ كُلِّهِمْ سَبِيلًا . وَكَانَ تَصْدِيقُ الْفِرْقَةِ الْوَاحِدَةِ دُونَ مَا سِوَاهَا جَوْزًا ، لِأَنَّ الْفِرْقَ مُتَسَاوِيَةٌ فِي الدَّعْوَى وَالْحُجَّةِ وَالذَّبِّ وَالنُّصْرَةِ . فَقِيلَ لَهُ : فَلِمَ تَدِينُ بِدِينِكَ هَذَا الَّذِي أَنْتَ عَلَى شِعَارِهِ وَحِلَّتِيهِ ، وَهَذِيهِ وَهَيْئَتِهِ ؟

فَقَالَ : لِأَنَّ لَهُ حُرْمَةً لَيْسَتْ لغيرِهِ ، وَدَاكَ أُنَى وَلِدْتُ فِيهِ ، وَنَشَأْتُ عَلَيْهِ ، وَتَشَرَّبْتُ حَلَاوَتَهُ ، وَأَلِفْتُ عَادَةَ أَهْلِهِ ، وَكَانَ مَثَلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ دَخَلَ خَانًا يَسْتَظِلُّ فِيهِ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ وَالسَّمَاءُ مُصْحِيَّةٌ ، فَأَدْخَلَهُ صَاحِبُ الْخَانِ بَيْتًا مِنَ الْبُيُوتِ مِنْ غَيْرِ تَخَبُّرٍ وَلَا مَعْرِفَةٍ بِصَلَاحِهِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ نَشَأَتْ سَحَابَةٌ فَمَطَرَتْ جَوْدًا ، وَوَكَّفَ الْبَيْتُ ، فَنَظَرَ إِلَى الْبُيُوتِ الَّتِي فِي الْفُنْدُقِ فَرَأَاهَا أَيْضًا تَسْكِفُ ، وَرَأَى فِي صَحْنِ الدَّارِ رَذَغَةً ، فَفَكَّرَ أَنْ يُقِيمَ مَسْكَانَهُ وَلَا يَتَنَقَّلُ إِلَى بَيْتٍ [آخِر] وَيَرْبَحَ الرَّاحَةَ ، وَلَا يُطَاطَخَ رِجْلَيْهِ بِالرَذَغَةِ وَالْوَحْلِ الَّذِينَ فِي الصَّحْنِ ؛ وَمَالَ إِلَى الصَّبْرِ فِي بَيْتِهِ ، وَالْمُقَامِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ ، وَكَانَ هَذَا مَثَلِي ، وَلِدْتُ وَلَا عَقْلَ لِي ، ثُمَّ أَذْخَلَنِي أَبُوَايَ فِي هَذَا الدِّينِ مِنْ غَيْرِ خَبَرِهِ مِنِّي ، فَلَمَّا فَتَشْتُ عَنْهُ رَأَيْتُ سَبِيلَهُ سَبِيلَ غَيْرِهِ ، وَرَأَيْتُنِي فِي صَبْرِي

عليه أَعَزَّ مِنِّي فِي تَرْكِهِ ، إِذْ كُنْتُ لَا أَدْعُهُ وَأُمِيلُ إِلَى غَيْرِهِ إِلَّا بِأَحْتِيَارٍ مِنِّي
لِذَلِكَ ، وَأُتْرَقَ لَهُ عَلَيْهِ ؛ وَلَسْتُ أُجِدُّ لَهُ حُجَّةً إِلَّا وَأَجِدُ لَغَيْرِهِ عَلَيْهِ مِثْلَهَا .

وَحَكَّى لَنَا ابْنُ الْبَقَالِ — وَكَانَ مِنْ دُهَاقِ النَّاسِ — قَالَ : قَالَ ابْنُ
الْهَيْثَمِ : جُمِعَ بَيْنِي وَبَيْنَ عُثْمَانَ بْنِ خَالِدٍ ، فَقَالَ لِي : أَحِبُّ أَنْ أُنَظِرَكَ
فِي الْإِمَامَةِ ؛ فَقُلْتُ : إِنَّكَ لَا تُنَظِرُنِي ، وَإِنَّمَا تُشِيرُ عَلَيَّ ؛ فَقَالَ : مَا أَعْمَلُ
ذَلِكَ ، وَلَا هَذَا مَوْضِعُ مَشُورَةٍ ، وَإِنَّمَا اجْتَمَعْنَا لِلْمُنَظَرَةِ ؛ فَقَاتُ لَهُ : فَإِنَّا
قَدْ اجْتَمَعْنَا عَلَى أَنْ أَوْلَى النَّاسِ بِالْإِمَامَةِ أَفْضَلُهُمْ . وَتَدَسَّعْنَا الْقَوْمُ الَّذِينَ بُتِّدَرَغَ فِي
فَضْلِهِمْ ، وَإِنَّمَا يُعْرَفُ فَضْلُهُمْ بِالنَّقْلِ وَالْخَبَرِ ؛ فَإِنْ أَحْبَبْتَ سَلَّمْتُ لَكَ مَا تَرْوِيهِ
أَنْتَ وَأَهْلُ مَذْهَبِكَ فِي صَاحِبِكَ ، وَتَسَلَّمْتُ لِي مَا أَرْوِيهِ أَنَا وَبِرِّقَتِي فِي صَاحِبِي ،
ثُمَّ أُنَظِرُكَ فِي أَيِّ الْفَضَائِلِ أَغْلَى وَأَشْرَفَ ؛ قَالَ : لَا أُرِيدُ هَذَا ، وَذَلِكَ أَنِّي
أُرْوِي مَعَ أَصْحَابِي أَنَّ صَاحِبِي رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُصِيبُ وَيُخْطِئُ ، وَيَعْلَمُ
وَيُجْهَلُ ؛ وَأَنْتَ تَقُولُ فِي صَاحِبِكَ : إِنَّهُ مَقْصُومٌ مِنَ الْخَطَا ، عَالِمٌ بِمَا يَحْتَاجُ
إِلَيْهِ . فَكَيْفَ أَرْضَى هَذِهِ الْجُمْلَةَ ؟ قُلْتُ : وَأَقْبَلُ كُلَّ شَيْءٍ تَرْوِيهِ أَنْتَ
وَأَصْحَابُكَ فِي صَاحِبِي مِنْ سَمْدٍ أَوْ ذَمٍّ ، وَتَقْبَلُ أَنْتَ كُلَّ شَيْءٍ أَرْوِيهِ أَنَا
وَأَصْحَابِي فِي صَاحِبِكَ مِنْ سَمْدٍ أَوْ ذَمٍّ ؛ قَالَ : هَذَا أَقْبَحُ مِنَ الْأَوَّلِ ، وَذَلِكَ
أَنِّي وَأَصْحَابِي تَرْوِي أَنَّ صَاحِبِكَ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ فَاضِلٌ ، وَأَنْتَ وَأَصْحَابُكَ تَرْوُونِ
أَنَّ صَاحِبِي كَافِرٌ مُنَافِقٌ ؛ فَكَيْفَ أَقْبَلُ هَذَا مِنْكَ وَأُنَظِرُكَ عَلَيْهِ ؟

قَالَ ابْنُ الْهَيْثَمِ : فَلَمْ يَنْبَقْ إِلَّا أَنِّي أَقُولُ : دَعَّ قَوْلَكَ وَقَوْلَ أَصْحَابِكَ ،
وَأَقْبَلُ قَوْلِي وَقَوْلَ أَصْحَابِي ؛ قَالَ : مَا هُوَ إِلَّا ذَاكَ ؛ قُلْتُ : هَذِهِ مَشُورَةٌ ، وَلَيْسَتْ
مُنَظَرَةً . قَالَ : صَدَقْتَ .

وَحَكَمِي لَنَا الزُّهَيْرِيُّ قَالَ : سَأَلَ رَجُلٌ آخَرَ فَقَالَ : أَتَقُولُ إِنَّ اللَّهَ نَهَانَا أَنْ نَعْبُدَ إِلَهَيْنِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ قَالَ : [وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ إِلَهًا وَاحِدًا ؟] قَالَ : نَعَمْ ؛ قَالَ : فَالْأَتْنَانِ اللَّذَانِ نَهَانَا عَنْ عِبَادَتِهِمَا مَعْقُولَانِ هَكَذَا ؟ وَأَشَارَ بِإصْبَعَيْهِ ، قَالَ : نَعَمْ ؛ قَالَ : فَالْوَاحِدُ الَّذِي أَمَرَنَا بِعِبَادَتِهِ مَعْقُولٌ هَكَذَا ؟ وَأَشَارَ بِإصْبَعٍ وَاحِدَةٍ ؛ قَالَ : لَا ؛ قَالَ : فَقَدْ نَهَانَا عَمَّا يُعْقَلُ وَأَمَرَنَا بِمَا لَا يُعْقَلُ وَهَذَا يُعْلَمُ مَا فِيهِ فَأَنْظِرْ حَسَنًا .

وَحَكَمِي لَنَا الزُّهَيْرِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ الْأَخْشَادِ قَالَ : تَنَاظَرَ رَجُلَانِ فِي وَصْفِ الْبَارِي سُبْحَانَهُ ، وَاشْتَدَّ بَيْنَهُمَا الْحَدَالُ ، فَتَرَضَا بِأَوَّلِ مَنْ يَطْلُعُ عَلَيْهِمَا وَيَحْكُمُ بَيْنَهُمَا ، وَطَلَعَ أَعْرَابِيٌّ ، فَأَجْلَسَاهُ وَقَصَا قِصَّتَهُمَا ، وَوَصَفَا لَهُ مَذْهَبَيْهِمَا ؛ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ لِأَحَدِهِمَا — وَكَانَ مُشَبَّهًا — : أَمَّا أَنْتَ فَتَصِفْ صَمًا ، وَقَالَ لِلثَّانِي : وَأَمَّا أَنْتَ فَتَصِفْ عَدَمًا ، وَكِلَاكُمَا تَقُولَانِ عَلَى اللَّهِ مَا لَمْ تَعْلَمَا .

وَقَالَ لَمَّا الْأَنْصَارِيُّ بْنُ كَعْبٍ : قَالَ أُنُ الطَّحَّانِ الضَّرِيرُ الْبَصْرِيُّ — وَكَانَ يَقُولُ بِقَوْلِ جَهْمٍ — : إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بَدَّلَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ الْمُؤْمِنِينَ حَسَنَاتٍ ، مَسِينْدُمُونَ عَلَى مَا قَصَرُوا فِيهِ مِنْ نَتَاوُلِ اللَّذَاتِ ، وَقَضَاءِ الْأَوْطَارِ بِالشَّهَوَاتِ ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَتَوَقَّعُونَ الْعِقَابَ ، فَتَالُوا النَّوَابَ ؛ وَكَانَ يَتَلَوُّ عِنْدَ هَذَا الْحَدِيثِ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : (فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) .

وَحَكَمِي لَنَا ابْنُ الثَّلَاجِ قَالَ ، قَالَ أَبُو عُثْمَانَ الْأَدِمِيُّ : إِنَّ الْجَنَّةَ لَا سَاتِرَ فِيهَا ، وَذَلِكَ لِأَنَّ كُلَّ سَاتِرٍ مَانِعٌ ، وَكُلَّ مَانِعٍ آفَةٌ ، وَلَيْسَتْ فِي الْجَنَّةِ آفَةٌ ، وَلِهَذَا رُوِيَ فِي الْحَدِيثِ : إِنَّ الْحُورَ يَرَوْنَ مُنْخَسِرًا مِنْ وَرَاءِ سَبْعِينَ حُلَّةً

سَوَى مَا تَحْتَ ذَلِكَ مِنَ اللَّحْمِ وَالْعَظْمِ ، كَالسَّلَكِ فِي الْيَاقُوتِ ؛ فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ :
الْجَنَّةُ إِذَا أُولَى مِنَ الْحَمَامِ ، إِذْ قِيلَ : بُئْسَ الْبَيْتُ الْحَمَامُ ، يُدْهَبُ الْحَيَاءُ ،
وَيُبْدَى الْعَوْرَةُ .

وَحَكَى لَنَا ابْنُ رِبَاطٍ السَّكُوفِيُّ — وَكَانَ رَئِيسَ الشَّيْعَةِ بِبَغْدَادَ ، وَلَمْ أَرِ
أَنْطَقَ مِنْهُ — قَالَ : قِيلَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ — عَلَيْهِ السَّلَامُ —
مِنْ أَيْنَ جَاءَ اخْتِلَافُ النَّاسِ فِي الْحَدِيثِ ؟ فَقَالَ : النَّاسُ أَرْبَعَةٌ : رَجُلٌ مُنَافِقٌ
كَذَبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَعَمِّدًا ، فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مُنَافِقٌ
مَا صُدِّقَ ^(١) وَلَا أُخِذَ عَنْهُ . وَرَجُلٌ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ
قَوْلًا أَوْ رَأَى يَفْعَلُ فِعَالًا ثُمَّ غَابَ وَنُسِخَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ أَوْ فِعْلِهِ ، فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ نُسِخَ
مَا حَدَّثَ وَلَا عَمَلَ بِهِ ، وَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ نُسِخَ مَا قِيلُوا مِنْهُ وَلَا أَخَذُوا
عَنْهُ . وَرَجُلٌ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ قَوْلًا فَوَهِمَ فِيهِ ،
فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ وَهِمٌ مَا حَدَّثَ وَلَا عَمَلَ بِهِ . وَرَجُلٌ لَمْ يَكْذِبْ وَلَمْ يَهْمَ ، وَشَهِدَ
وَلَمْ يَغِبْ .

قَالَ : وَإِنَّمَا دَلَّ بِهَذَا عَلَى نَفْسِهِ ، وَلِهَذَا قَالَ : كُنْتُ إِذَا سُئِلْتُ أُجِيبْتُ ،
وَإِذَا سَكَتُ أُبْتَدِئْتُ .

وَحَكَى لَنَا ابْنُ زُرْعَةَ النَّصْرَانِيُّ قَالَ : قِيلَ لِلْمَسِيحِ : مَا بَالُ الرَّجُلَيْنِ
يَسْمَعَانِ الْحَقَّ فَيَقْبَلُهُ أَحَدُهُمَا وَلَا يَقْبَلُهُ الْآخَرُ ؟ فَقَالَ : مَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ الرَّاعِي
الَّذِي يَصُوتُ بَغْنَمِهِ فَتَأْتِيهِ هَذِهِ الشَّاةُ بِبَنَدَانِهِ ، وَلَا تَأْتِيهِ هَذِهِ .

قَالَ أَبُو سَلِيمَانَ : هَذَا جَوَابٌ مَبْتُورٌ ، وَلَيْسَ لَهُ سَتَنٌ ، وَلَعَلَّ التَّرْجُمَةَ قَدْ

(١) كَذَابٌ فِي (ب) . وَالَّذِي فِي (أ) : « مَا حَدَّثَ » .

حات عليه ، والمعنى أنحرف عن الغاية ؛ وليس يجوز أن يكون حال الإنسان كيف كان حال الشاة في إجابة الداعى وإبائها^(١) ، فإن له دواعى وموانع عقلية [وحسية] .

فقال الوزير : هذا أيضاً باب قد مضى مُستوفى ، ما الذى سمعت اليوم ؟ فقلت : رأيت ابن رمويه فى دَعْوَةٍ ، وترامى الحديث فقال : رأيت اليوم الوزيرَ شديدَ العُبوس ، أهو هكذا أبداً ، أم عَرَضَ له هذا على بَخْتى ؟ فقال ابنُ جَبَلَةٍ : لعله كان ذاك لسبب ، وإلا فالبشرُ غالبٌ على وجهه ، والبشاشةُ مألوفةٌ منه . فقال ابن رمويه : ما أحسنَ ما قال الشاعر :

أخو البشرِ محمودٌ على حُسنِ بشرِهِ ولن يَعمَدَ البَغضاءُ مَنْ كان عابِسا
فقال على بنُ محمد — رسولُ سِجِسْتان — : ما أدرى ما أنتمُ فيه ، ولكن يقال : ما أَرْضَى الغَضبان ، ولا أَسْتَعِظَ السلطان ، ولا مَلَكَ الإخوان ؛ ولا اسْتَلَّت الشَّخْنا ، ولا رُفِعَت البَغضاء ؛ ولا تَوَقَّى المحذور ، ولا اجْتَلَبَ السرور ؛ بمثل البشرِ والبرِّ ، والهديةِ والعطيةِ .

وقال الوزير : هاتِ مُلْحَعةَ المجلس^(٢) .

فكان الجواب : قال أبو هَمام ذاتَ يوم : لو كان النخلُ لا يَحْمَلُ بعضُهُ إلا الرُّطَب ، وبعضُهُ [إلا] البُسْر ، وبعضُهُ إلا الخلال^(٣) ، وكنا متى

(١) كذا فى (١) . والذى فى (ب) : « وإنيانه » ؛ وهو تحريف .

(٢) فى (ب) : « الدواعى » مكان قوله : « المجلس » .

(٣) الخلال بفتح الحاء : البسر إذا اخضر واستدار

تَمَاوَلْنَا مِنَ الشُّمْرَاحِ بُشْرَةً خَلَقَ اللَّهُ مَسْكَنَهَا بُشْرَتَيْنِ ، مَا كَانَ بِذَلِكَ بَأْسَ .
ثم قال : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، لَوْ كُنْتُ تَمَنَيْتُ بِدَلِّ نَوَاقِ التَّمْرِ زُبْدَةً
كَانَ أَصُوبَ .

وسأل الوزيرُ : هل يقال في النساءِ رَجُلَةٌ ؟ (٣)

فكان الجواب : حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ السَّيرَافِيُّ قَالَ : كَانَ يُقَالُ فِي عَائِشَةَ
بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا] : « كَانَتْ رَجُلَةً الْعَرَبُ » ، وَإِنَّمَا
ضَاعَتْ هَذِهِ الصِّفَةُ عَلَى سَرِّ الْأَيَّامِ بِغَلَبَةِ الْمُجْهَمَانِ ؛ فَقَالَ : إِنَّهَا وَاللَّهِ لَكَذَلِكَ ،
وَلَقَدْ سَمِعْتُ مَنْ يَقُولُ : كَانَ يُقَالُ : لَوْ كَانَ لِأَيِّهَا ذَكَرٌ مِثْلُهَا لَمَا خَرَجَ
الْأَمْرُ مِنْهُ .

قال : هل تَحْفَظُ مِنْ كَلَامِهَا شَيْئًا ؟ فقلتُ : لَهَا كَلَامٌ كَثِيرٌ فِي الشَّرِيعَةِ ،
وَالرِّوَايَةُ عَنْهَا شَائِعَةٌ فِي الْأَحْكَامِ ، وَلَقَدْ نَطَقَتْ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهَا بِمَا حُفِظَ وَأُذِيعَ ،
لَكِنِّي أَحْفَظُ لَهَا مَا قَالَتْهُ لَمَّا قُتِلَ عِثْمَانُ .

خَرَجْتُ وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ ، وَعَلَى فِيهِمْ ، فَقَالَتْ : أَقْتَلِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
عِثْمَانَ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ؛ قَالَتْ : أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُمْ إِلَى تَشْدِيدِ الْحَقِّ وَتَأْكِيدِهِ
أَحْوَجَ مِنْكُمْ إِلَى مَا نَهَضْتُمْ إِلَيْهِ ، مِنْ طَاعَةِ مَنْ خَالَفَ عَلَيْهِ ؛ وَلَكِنْ كَلَّمَا
زَادَكُمْ اللَّهُ حِمَّةً فِي دِينِهِ ، أَزْدَدْتُمْ تَثَاقُلًا عَنْ نُصْرَتِهِ طَمَعًا فِي دُنْيَاكُمْ ؛ أَمَّا
وَاللَّهِ لَهَدَمُ النِّعْمَةِ أَيْسَرُ مِنْ بُنْيَانِهَا ، وَمَا الزَّيَادَةُ إِلَيْكُمْ بِالشُّكْرِ ، بِأَسْرَعَ
مِنْ زَوَالِ النِّعْمَةِ عَنْكُمْ بِالْكَفْرِ ؛ أَمَا لَنْ كَانَ فَنِي أَكُلُهُ ، وَاخْتَرَمَ أَجَلُهُ ،
إِنَّهُ لَهْزَرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مَرَّتَيْنِ ، وَمَا عَلِمْنَا [خَلْقًا]
تَرْوِجُ أَبْتَنَى نَبِيٍّ غَيْرِهِ ؛ وَلَوْ غَيْرُ أَيْدِيكُمْ قَرَعَتْ صِفَاتَهُ لَوُجِدَ عِنْدَ تَلْغِي

الحربِ مَجْرَدًا^(١) ، وَلِسُيُوفِ النَّصْرِ مَتَقَلِّدًا ، وَلِسَكَنَها مِثْنَةٌ قُدِحَتْ بِأَيْدِي
الظُّلَمَةِ ؛ أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ حَاطَ الْإِسْلَامَ وَأَكَدَهُ ، وَعَضَدَ الدِّينَ وَأَيَّدَهُ ؛ وَلَقَدْ
هَدَمَ اللَّهُ بِهِ صَيَاصِيَ أَهْلِ الشِّرْكِ ، وَوَقَمَ^(٢) أَرْكَانَ الْكُفْرِ ؛ لِلَّهِ الْمُصِيبَةُ بِهِ ،
مَا أَبْجَعَهَا ! وَالْفَجِيعَةُ بِهِ مَا أَوْجَعَهَا ! صَدَعَ وَاللَّهِ مَقْتَلُهُ صِفَاةَ الدِّينِ ، وَثَلَمَتْ
مَصِيبَتُهُ ذِرْوَةَ الْإِسْلَامِ ؛ تَبًّا لِقَاتِلِهِ ، أَعَاذَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ التَّلْبُسِ بِدَمِهِ ،
وَالرِّضَا بِقَتْلِهِ .

فقال الوزير : ما أفصحَ لسانها ، وأشجعَ جَنَانِها ، في ذلك المحفل الذي
يَتَبَلَّبَلُ فيه كلُّ قَلْقُلٍ^(٣) !

وَرَوَيْتُ أَيْضًا أَنَّهُا قَالَتْ : مَسْكَارُمُ الْأَخْلَاقِ عَشْرُ : صِدْقُ الْحَدِيثِ ، وَصِدْقُ
الْبَأْسِ^(٤) ، وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ ، وَبَذْلُ الْمَعْرُوفِ ، وَالتَّدَمُّمُ لِلجَّارِ ،
وَالْتَّدَمُّ لِلصَّاحِبِ ، وَالْمُسْكَافَاةُ بِالصَّنَائِعِ ، وَقِرَى الضَّيْفِ ، وَرَأْسُهُنَّ الْحَيَاءُ .
فقال : وَاللَّهِ لَكُنَّهَا نِعَمَاتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مَا كَانَ أَشْهَمَهَا ،
وَأَعْلَى نَظَرَهَا ، وَأَبْيَنَ جَوَابَهَا !!

(٤) وَحَدَّثَنِي أَنَّ أَمْرَأَةً تَطَلَّعَتْ إِلَى مُسْلِمٍ بْنِ قُتَيْبَةَ بَخْرَاسَانَ ، فزَبَرَها ،
وَلَمْ يَنْظُرْ فِي قِصَّيْهَا ؛ فَقَالَتْ لَهُ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَعَثَكَ إِلَى خُرَاسَانَ لِنَتْنَطُرُ
هَلْ تَنْتَبِهُ خُرَاسَانُ بِعَامِلٍ أَمْ لَا ؛ فَقَالَ لَهَا مُسْلِمٌ : اسْكُنِي وَيْلَكَ ، فظَلَامَتُكَ
مَسْمُوعَةٌ ، وَحَاجَتُكَ مَقْضِيَّةٌ .

(١) في (١) : « متحركا » ؛ وهو تحريف .

(٢) وقم أركان الكفر : كسرها وأذلها .

(٣) القلقل : السريع الحفيف المعوان .

(٤) في (١) : « الناس » بالنون . ووردت هذه الكلمة في (ب) لا نقط فيها

ولعل الصواب ما أثبتنا .

وقال مسلم : ما وَخَزَ قَلْبِي قَطُّ شَيْءٌ مِثْلُ قَوْلِ هَذِهِ الرَّأَةِ ، وَلَقَدْ آلَيْتُ
أَلَّا أَسْتَهِينَ بِأَحَدٍ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُتَى .

وشبيهه بهذا قول الْمُعَلَّى بْنِ أَيُّوبَ : رَأَيْتُ فِي دَارِ الْمَأْمُونِ إِنْسَانًا
فَأُزْدَرِيَّتُهُ ، فَقُلْتُ : لِأَيِّ شَيْءٍ تَصْلُحُ أَنْتَ ؟ عَلَى غَيْظٍ مِنِّي وَتَغَضُّبٍ ؛ فَقَالَ :
أَنَا أَصْلُحُ لِأَنْ يَقَالَ لِي : هَلْ يَصْلُحُ مِثْلُكَ لِمَا أَنْتَ فِيهِ أَوْ لَا . قَالَ : فَوَاللَّهِ
مَا وَقَرْتُ كَلِمَتَهُ فِي أُذُنِي حَتَّى أَظْلَمَ عَلَى الْجُلُوءِ وَنَكِرْتُ نَفْسِي .

وكان عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ إِذَا كَانَ لَهُ خَصِيٌّ وَرَضِيَ أَنْ يُحْجَبَ
عَنْ نِسَائِهِ ، وَقَالَ : هُوَ رَجُلٌ وَإِنْ قُطِعَ مِنْهُ مَا قُطِعَ ، وَرَبَّمَا أُجْتَزَأَتْ أَمْرَأَةٌ
بِمِثْلِهَا ، وَلِلْعَيْنِ حَظُّهَا .

قال عبد الرحمن بن سعيد القرشي : كَانَ لَهُشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ خَصِيٌّ
يُقَالُ لَهُ خَالِدٌ ، وَكَانَ وَصِيْدًا تَأْخُذُهُ الْعَيْنُ ، مَدِيدَ الْقَامَةِ ، نَحْمًا أَبْيَصَ ، وَأَمْرًا
هَشَامٌ مَسْلَمَةٌ بِالْغُدُوِّ عَلَيْهِ ، فَعَدَا ، فَقِيلَ : اسْتَأْذِنْ لِأَخِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ ،
فَأَسْتَخَفَّ وَقَالَ كَلِمَةً سَمِعَهَا مَسْلَمَةٌ ، فَحَقَّقَهَا عَلَيْهِ ، فَلَمَّا دَخَلَ مَسْلَمَةٌ إِلَى هَشَامٍ
لَمْ يَزَلْ يُذَاكِرُهُ شَيْئًا ، وَيُشِيرُ عَلَيْهِ حَتَّى حُطَّ عَنْ رُؤُسِهِ وَجَلَسَا عَلَى الْبِسَاطِ
وَمَسْلَمَةٌ فِي ذَلِكَ يَرْمُقُ الْخَصِيَّ مَتَى يَمُرُّ بِهِ ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَرَّ مُعَمَّمًا بِعِمَامَةٍ
وَشَيْءٍ ؛ فَقَالَ مَسْلَمَةٌ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَيُّ فِتْيَانِنَا هَذَا ؟ قَالَ : غَفَرَ اللَّهُ لَكَ
يَا أَبَا سَعْدٍ ، هَذَا خَالِدُ الْخَصِيِّ ؛ قَالَ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَضَمَّةٌ مِنْ هَذَا
خَيْرٌ مِنْ مُجَامَعَةِ رَجُلٍ ، فَقَلِقَ هَشَامٌ وَجَعَلَ يَتَصَوَّرُ حَتَّى قَامَ مَسْلَمَةٌ ، ثُمَّ أَمَرَ
بِالْخَادِمِ فَأَخْرَجَ مِنَ الرُّصَافَةِ ، فَاتَّصَلَ بِبَعْضِ بَنِيهِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ هَشَامٌ ، إِنِّي
نَحِيَّتُهُ لِمَا بَلَغَكَ ، فَجَفَاهُ ، فَلَحِقَ الْخَادِمُ بِالنَّفَرِ .

(٥)

وَجَرَى حَدِيثُ النَّفْسِ وَأَنَّهَا كَيْفَ تَعْلَمُ الْأَشْيَاءَ ، فَقِيلَ : النَّفْسُ فِي الْأَصْلِ عَلَّامَةٌ ، وَالْعِلْمُ صُورَتُهَا ؛ لِسَكْنِهَا لَمَّا لَا بَسَتْ الْبَدَنَ ، وَصَارَ الْبَدَنُ بِهَا إِنْسَانًا ، اعْتَرَضَتْ حُجُبٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ صُورَتِهَا كَشِيفَةٌ وَلَطِيفَةٌ ، فَصَارَتْ تَخْرِقُ الْحُجُبَ بِكُلِّ مَا أُسْتَطَاعَتْ ، لِتَصِلَ إِلَى مَا لَهَا مِنْ غَيْبِهَا ، فَصَارَتْ تَعْلَمُ الْمَاضِيَ بِالْأَسْتِخْبَارِ وَالتَّعَرُّفِ وَالبَحْثِ وَالْمُسْئَلَةِ وَالتَّنْقِيرِ ، وَتَعْلَمُ الْآتِيَ بِالتَّائِقِ وَالتَّوَكُّفِ وَالتَّبَشِيرِ وَالْإِنْذَارِ ، وَتَعْلَمُ الْحَاضِرَ بِالتَّعَارُفِ^(١) وَالْمُشَاهَدَةِ وَمَجَالِ الْحِسِّ ؛ وَهَذِهِ الْمَعْلُومَاتُ كُلُّهَا زَمَانِيَّةٌ ، وَلِهَذَا انْقَسَمَ بَيْنَ الْمَاضِي وَالْآتِي وَالْحَاضِرِ .

فَإِنَّمَا مَا هُوَ فَوْقَ الزَّمَانِ فَإِنَّهَا تَعْلَمُهُ بِالمَصَادِقَةِ الْخَارِجَةِ مِنَ الزَّمَانِ ، الْعَالِيَةِ عَلَى حَاضِرِ^(٢) الدَّمَرِ ، وَهَذِهِ عِبَارَةٌ عَنْ وَجْدَانِهَا ، لِمَا لَهَا فِي غَيْبِهَا بِالْحَرَكَةِ اللَّائِقَةِ بِهَا ، أَعْنِي الْحَرَكَةَ الَّتِي هِيَ فِي نَوْعِ الشُّكُونِ ، وَأَعْنِي هَذَا السُّكُونِ الَّذِي هُوَ فِي نَوْعِ الْحَرَكَةِ ؛ وَلَمَّا قُدِّمَ الْأَسْمُ الْخَاصُّ هَذَا الْمَعْنَى ، وَلَمْ يُعْرَفْ فِي الْإِخْبَارِ وَالْأَسْتِخْبَارِ إِلَّا مَا كَانَ مَأْلُوفًا بِالزَّمَانِ ، أُلْتَبَسَتْ الْعِبَارَةُ عَنْهُ بِاعْتِمَادِ الشُّكُونِ فِيمَا يُلْحَظُ مِنْهُ الْحَرَكَةُ ، وَأَعْتِمَادِ الْحَرَكَةِ فِيمَا يُلْحَظُ مِنْهُ الشُّكُونِ ، فَصَارَ هَذَا الْجُزْءُ^(٣) كَأَنَّهُ نَاقِضٌ وَمُنْقُوضٌ ، وَهَذَا لِجَدْبِ^(٤) مَحَلِّ الْحِسِّ مِنْ نَبْتِ^(٥) الْعَقْلِ ، وَخِصْبِ^(٦) مَرَادِ الْعَقْلِ بِكُلِّ مَا عُلِقَ بِالْمَوْجُودِ أَلْحَقَ .

(١) كذا وردت هذه الكلمة في الأصول ولا معنى للتعارف هنا .

(٢) في (ب) : « حصن » .

(٣) في (ب) : « الخبر » مكان قوله : « الجزء » .

(٤) في (أ) : « الجزء » مكان قوله : « الحدب » .

(٥) في (أ) : « نبث » . وقد وردت هذه الكلمة في (ب) مبهلة الحروف من النقط .

(٦) كذا في (ب) . والذي في (أ) : « وخصت مواد العقل » ؛ وما أثبتناه هو

ما يقتضيه سياق الكلام .

فقال الوزير : ما أَعْلَى نَجْدَ هذا الكلام ! وما أَعْمَقَ غَوْزَهُ ! وإني لأَعْدِرُ كلَّ مَنْ قَابَلَ هذا المسموعَ بالردِّ ، وأَعْتَزُّ عَلَى قائله بالتكبر ؛ ولَعَمْرِي إِذَا تَعَايَتِ الأشياءُ بالأسماءِ والصفاتِ ، وعَرَضَ العَجْزُ عن إِبَانَتِهَا بِحَقَائِقِ الألقابِ ، حَارَ العقلُ الإنسانيُّ ، وحَيَّرَ الفهمُ الحسِّيُّ ، وأَسْتَحَالَ المِزَاجُ البَشَرِيُّ وتَهَافَتَ التركيبُ الطَّيْنِيُّ ، وقَدَّرَ الناظرُ في هذا الفنِّ ، والباحثُ عن هذا المستمكنِّ ، أنه حارِمٌ ، وأنَّ الحِلْمَ لا ثَمَرَةَ له ، ولا جَدْوَى منه .

وهذا كلُّه هَكَذَا ما دَامَ مَقِيصاً إلى الأمورِ القائمةِ ^(١) بشهادةِ الإحساسِ ؛ فإِذَا صَفَا الناظرُ ، أَغْنَى نَاطَرَ العقلِ مِنْ قَدَى الحَسِّ ، فَإِنَّ المَطْلُوبَ يَكُونُ حَاضِراً أَكْثَرَ مما يَكُونُ غَيْرُهُ ظاهراً مُسْتَبَاناً ؛ وَلَيْسَتْ شَهَادَةُ العَبْدِ كَشَهَادَةِ المَوْلَى ، وَلَا نُورُ الشَّمْسِ كَنُورِ القَمَرِ .

قال : أَنَشِدْنِي أُبَيَّاتاً غَرِيبَةً جَزَلَةً ، مَا أَنَشَدْتُ [لَهُدْنَةَ العُدْرِي] : (٦)

سَأَوِي إِلَى خَيْرٍ فَقَدَ فَاتِي الصَّبَا	وصِيحَ بَرِيْعَانِ الشَّجَبَابِ فَنُقِرَّا
أُمُورٌ وَأُلُوانٌ وَحَالٌ تَقَلَّبَتْ	بَنَّا وَزَمَانٌ عُرْفُهُ قَدْ تَفَكَّرَّا
أُصِيبْنَا بِمَا لَوْ أَنَّ سَلَمَى أَصَابَهُ	تَسَهَّلَ مِنْ أَرْكَانِهِ مَا تَوَعَّرَّا
وإِنْ نَتَجُّ مِنْ أَهْوَالٍ مَا خَافَ قَوْمُنَا	عَلَيْنَا فَإِنَّ اللَّهَ مَا شَاءَ يَسَّرَّا
وإِنْ غَالَنَّا دَهْرٌ فَقَدْ غَالَ قَبْلُنَا	مُلُوكَ بَنِي نَضْرٍ وَكِسْرَى وَقِيصَرَّا
وَذِي نَيْرَبٍ ^(٢) قَدْ عَابَنِي لَيْمَالَانِي	مَاعِيَا مَدَاهُ عَنْ مَدَايِ فَأَقْصَرَّا

(١) في نسخة : « القائمة » مكان « القائمة » .

(٢) النيرب : الحقد . والذي في (أ) : « نيرب » . وفي (ب) : « سرب » ؛ وهو تحريف في كلنا اللسختين .

فَإِنْ بِكَ دَهْرٌ نَالَنِي فَأَصْـ____ابَنِي بَرِيْبٌ فَمَا تُشَوِيْ (١) الحوادثُ مُعْشَرًا
وَلَسْتُ إِذَا الضَّرَاءُ نَابَتْ بِجُبَّيْ (٢) وَلَا جَزَعٌ إِنْ كَانَ دَهْرٌ تَغَيَّرَا
مَقِيلٌ : مَا الْجُبَّيْ ؟ فَقَالَ : الْجُبَّانُ .

قال أبو سَعِيدٍ : حَكَى الْعُلَمَاءُ إِنَّ فَلَانًا جُبَّيًّا ، إِذَا نَسَكَلَ .

وقال : مَا أَمْتَنَ هَذَا الْكَلَامُ ، وَالطَّفَ هَذَا الْجَدَدُ ! وَمَا أَبْعَدُهُ مِنْ تَلْفِيْقِ
الصَّرُورَةِ ، وَهُجْنَةِ التَّكَلُّفِ ، لَوْلَا أَنَّ سَامِعَهُ رَبُّمَا تَطَيَّرَ بِهِ ، وَأَسْكَمَرَ عَلَيْهِ .

(٧) فَمَكَانَ الْجَوَابِ : قَدْ مَرَّ فِي الْقَالَ وَالزَّجْرِ وَالطَّيْرَةِ وَالْأَعْتِيَاْفِ مَا إِذَا
يُحَقِّقُ لَمْ يُمَجِّعْ عَلَى مِثْلِ هَذَا الْأَسْتِشْعَارِ ؛ وَلَعَزَمَرَى إِنْ الْمَذْكُورَ وَالْمَسْمُوعَ
إِذَا كَانَ حَسَنًا وَجَمِيلًا وَمَحْبُوبًا وَمُتَمَعِّي ، كَانَ أَخَفَّ عَلَى الْقَلْبِ ، وَأَخْطَأَ
بِالنَّفْسِ ، وَأَعْبَثَ بِالرُّوحِ ؛ وَكَذَلِكَ (٣) إِذَا كَانَ ذَلِكَ عَلَى الضَّدِّ ، فَإِنَّهُ يَكُونُ
أَزْوَى لِلْوَجْهِ ، وَأَكْرَبَ لِلنَّفْسِ ؛ وَلَسَكَنَّ الْأُمُورَ فِي الْخَيْرَاتِ وَالشَّرُورِ لَيْسَتْ
فَاشِيَةً مِنَ الطَّيْرَةِ وَالْعِيَامَةِ ، وَلَا جَارِيَةً عَلَى هَذِهِ الْحُدُودِ الْمَعْرُومَةِ ، وَهِيَ عَلَى
مَقَاصِدِهَا الَّتِي هِيَ غَايَاتُهَا ، وَمُتَوَجِّهَاتُهَا الَّتِي هِيَ نَهَايَاتُهَا ؛ وَإِنَّمَا هَذِهِ الْأَحْلَاقُ
عَارِضَةٌ لِلنِّسَاءِ وَأَشْبَاهِ النِّسَاءِ ، وَمَنْ بِنَيْتِهِ (٤) ضَعِيفَةٌ ، وَمَادَّتُهُ مِنَ الْعَقْلِ
طَفِيفَةٌ ، وَعَادَتُهُ الْجَارِيَةُ سَخِيفَةٌ ؛ وَإِلَّا فَبَأَى بُرْهَانٍ صَحَّ أَنَّ الْكَلَامَ الطَّيِّبَ
يَجْلِبُ الْمَحْبُوبَ وَيَكُونُ عِلَّةً لَهُ ؟ وَأَنَّ اللَّفْظَ الْحَبِيثَ يَجْلِبُ الْمَكْرُوهَ وَيَكُونُ

(١) تشوى : تحطى .

(٢) في (١) : « محببا » . وفي (ب) : « محبا » ؛ وهو تحريف في كلتا النسختين
صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٣) كان الأولى أن يقول « ولا كذلك » أو « وليس كذلك » أو « وعكس ذلك »
فإن الآتي بعد ليس كالأذي ذكره قبل .

(٤) كذا في (ب) . والذي في (١) : « نفسه »

عِلَّةٌ لَهُ ؟ ! هَذَا خَوَرٌ فِي طَبَاعِ قَائِلِهِ ، وَتَأَثُّتٌ ^(١) فِي غُنْصُرِ مُسْتَشْعِرِهِ ؛ وَلَوْ سَلَكَ الْعُلَمَاءُ وَالْبَصَرَاءُ هَذَا الطَّرِيقَ فِي كُلِّ حَالٍ وَفِي كُلِّ أَمْرٍ لَادَّى ذَلِكَ إِلَى فُسَادِ عَالَمٍ ؛ وَآثَرُ ^(٢) مَا فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِنَّمَا أُعْجِبَهُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا لَا يُعَوَّلُ عَلَيْهِ ، وَإِنْ سَاءَ مِنْهُ شَيْءٌ لَا يَحْطُ بِإِلِيهِ ، بَلْ يَكُونُ تَوَكُّلُهُ عَلَى رَبِّهِ فِي مَسَرَّتِهِ وَمَسَاءَتِهِ ، أَكْثَرَ مِنْ تَفَرُّدِهِ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ ، فِي اخْتِيَارِهِ وَتَسْكُرَتِهِ ، وَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى عَقْلِ رَصِينٍ ، وَهَيْمَةٍ ^(٣) صَاعِدَةٍ ، وَشَكِيمَةٍ شَدِيدَةٍ ؛ وَلَيْسَ يَوْجَدُ هَذَا عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ ، وَلَا يُصَابُ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ .

فقال الوزير : قد أخذت المسئلة بحَقِّهَا ، والمستزيد منها ظالم ، والزائد عليها متكلف .

وقال أيضاً : أريدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ ابْنِ فَارِسٍ أَبِي الْفَتْحِ — فَقَدْ كُنْتُ ^(٤) عِنْدَهُ بِقَرْمِيسِينَ أَيَّامًا — وَمَا وَضَحَ لَكَ مِنْ تَقْدُّمِهِ وَأَخْرَجِهِ فِي صِنَاعَتِهِ وَبِضَاعَتِهِ ؟

فكان من الجواب : إِنَّهُ شَيْخٌ فِيهِ مَحَاسِنُ وَمَسَاوِيٌ ، إِلَّا أَنَّ الرُّجْحَانَ لَمَّا يُدْزَمُ بِهِ لَا لَمَّا يُحْمَدُ عَلَيْهِ ، فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ لَهُ خِبْرَةً بِالتَّصَرُّفِ ، وَهُنَاكَ ^(٥) أَيْضًا قِسْطٌ مِنَ الْعِلْمِ بِأَوَائِلِ الْهَنْدَسَةِ ، وَتَشَبُّهُ ^(٦) بِأَنْصَابِ الْبَلَاغَةِ ، وَمُذَاكَرَةُ

(١) فِي كِلْتَا السَّخْتَيْنِ : « وَتَأَثُّتٌ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي كِلْتَا السَّخْتَيْنِ : « وَآثَرٌ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَاهُ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يَفْتَضِيهِ السِّيَاقُ .

(٣) عِبَارَةٌ (١) : « وَهَيْمَةٌ مُتَبَاعِدَةٌ » مَكَانَ قَوْلِهِ : « وَهَيْمَةٌ صَاعِدَةٌ » ؛ وَمَعْنَاهَا

لَا يَنَاسِبُ سِيَاقَ الْكَلَامِ هُنَا .

(٤) قَرْمِيسِينَ بَلَدٌ قَرِبَ الدِّينُورِ بْنِ هَمْدَانَ وَحُلُوانَ .

(٥) فِي (١) : « وَهَذَا » مَكَانَ « وَهَناكَ » ؛ وَهُوَ خَطَأٌ مِنَ النَّاسِ .

(٦) فِي (١) : « وَنَسَبَةٌ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

فِي الْمَجَارِلِ صَالِحَةً ؛ إِلَّا أَنْ هَذَا كَلِمَةٌ مَرْدُودَةٌ بِالرَّعُونَةِ وَالْمَسْكِرِ ^(١) وَالْإِبْهَامِ وَالْخِصَّةِ
وَالْكُذْبِ وَالغَيْبَةِ ؛ وَقَدْ كَانَ قَرِيبُهُ بَقَرْمِيسِينَ يَظُنُّ بِهِ خَيْرًا ، وَيَلْحَظُهُ
بَعِينَ مَا ؛ فَلَمَّا سَبَّرَهُ ذَمُّهُ وَكَرِهَ أَنْ يُعَاجِلَهُ بِالْعَرْفِ لئَلَّا يُحْكَمَ عَلَى اخْتِيَارِهِ
بِالْخَطَا ، وَعَلَى تَصَرُّفِهِ بِالْهَوَى . وَلِلْكُتُبَاءِ وَذَوِي الْقُدْرَةِ زَلَّاتٌ فَاحِشَةٌ ،
وَمَعَالَتٌ مُوَحِشَةٌ ، وَلَكِنْ لَيْسَ لَهُمْ [عَلَيْهَا] مَعِيَرٌ لِلْخَوْفِ مِنْهُمْ ؛ فَلَمَّا
تَمَادَى قَلِيلًا وَجَّهَ ابْنُ وَصِيفٍ حَتَّى صَرَفَهُ ^(٢) وَقَيَّدَهُ [بَعْدَ مَا وَبَّخَهُ وَفَنَدَهُ]
وَهَا هُوَ ذَا أُلْقَى هَهُنَا لَا يُقْبَلُ بِقَبْصَةٍ ^(٣) ، وَلَا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ بِلَحْظَةٍ ، وَمَعَ ذَلِكَ
يَظُنُّ أَنَّ مَقَرَّ الدَّوْلَةِ إِلَى نَظَرِهِ كَفَقَرِ الْمُدْنَفِ إِلَى عَافِيَتِهِ .

وله مع طاهر بن محمد بن إبراهيم شرار ^(٤) وقبقة ^(٥) ، وتنديد وشنعة .

وحدثني ابنُ أحمد أمسي أن ابنَ فارسَ شارِعٌ في أمورٍ حبيبة ، وعازِمٌ
على أشياء قبيحة ، ومُصَرَّبٌ بين أقوامٍ ضَمَّتْهُمُ الْأَلْفَةُ ، واستَحْكَمَتْ بَيْنَهُمُ
الثَّقَّةُ ، وَخَلَصُوا ^(٦) حَفَظَةَ الدَّوْلَةِ ، وَحَرَسًا لِلنِّعْمَةِ ، وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ
مَا بَقِيَهُمْ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بَأَنْفُسِهِمْ ، وَمَا أَخَوْنِي عَلَى إِخْوَانِنَا الَّذِينَ بِهِمْ عَذَبٌ

(١) في كلتا النسختين : « والفكر » ؛ وهو تحريف .

(٢) كذا في (ب) . والذي في (أ) : « صربة » .

(٣) في كلتا النسختين : « لا يقبل قبضة » ؛ وهو تحريف في كلتا السكتين .
والقبضة : ما أخذ بأطراف الأصابع ، كما سبق ذلك في تفسير المؤلف لهذا اللفظ نقلًا عن
بعض اللغويين في الجزء السابق من هذا الكتاب . ويريد بهذه العبارة أنه رخيص :

(٤) شرار ، أي مشاركة بتشديد الراء . وفي نسخة : « سرار » بالسين المهملة .

(٥) من معاني القبقة : الهدير ، وصوت أنياب المحل ، والحق ؛ فدلله يريد ما تنيده
هذه المعاني من أن بينهما مفاضلة وملاحاة وخسومة . وفي (أ) : « وفننة » مكان « وقبقة »
« وتنديل » مكان « وتنديد » ؛ وهو تحريف في كلا اللفظين .

(٦) في كلتا النسختين : « وحصلوا » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق

شُرْبُنَا ، وَأَمِنْ سِرْبُنَا ، كَفَانَا اللَّهُ فِيهِمْ وَكَفَاهُمْ فِينَا كُلَّ مَسْكُورِهِ .

فقال : هو أَضْيَقُ مَبْعَرًا ، وَأَقْمَأُ مَنَظَرًا ، وَأَذَلُّ نَاصِرًا مِنْ ذَلِكَ ؛ وَاللَّهُ لَوْ نَفَخْتُ عَلَيْهِ لَطَارَ ، وَلَوْ هَمَمْتُ بِهِ لَبَارَ .

وَأَمَّا مَا قَلَّتْ لِي أَيُّهَا الشَّيْخُ^(١) إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ تَكْتُبَ رِسَائِلَكَ إِلَى الْوَزِيرِ ، حَتَّى أَقِفَ عَلَى مَقَاصِدِكَ فِيهَا ، وَأُسْتَبِينَ رَاعَتَكَ وَتَرْتِيبَكَ^(٢) بِهَا ؛ فَإِنَّا أَفْعَلُ ذَلِكَ فِي هَذِهِ الْوَرَقَاتِ ، وَلَمْ أَكْتُبْ فِي طَوِيلِ هَذِهِ الْمُدَّةِ مَعَ هَذِهِ الْأَحْوَالِ الْعَجَبِيَّةِ إِلَّا رُفْعَتَيْنِ وَرِسَالَتَيْنِ ؛ وَأَمَّا الرُّقْعَةُ الْوَاحِدَةُ فَإِنَّهَا تَضَمَّنَتْ حَدِيثَ الْخَادِمِ وَمَا عَزَمَ عَلَيْهِ ، وَقَدْ شَافَهُتُكَ بِهِ ؛ وَأَمَّا الْأُخْرَى فَحَوَتْ حَدِيثَ ابْنِ طَاهِرٍ وَصَاحِبِ الرُّصَاوَةِ ، وَقَدْ سَمِعْتَهُ مِنِّي .

رسالتان كتب بهما المؤلف إلى الوزير

أما الرسالة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . اللَّهُمَّ حَلِّنِي بِالتَّوْفِيقِ ، وَأَيِّدْنِي بِالنُّصْرَةِ ، وَأَقْرِنْ مُنْطِقِي بِالسَّدَادِ ، وَاجْعَلْ لِي مِنَ الْوَزِيرِ وَزِيرَ الْمَمَالِكِ عُقْبَى فَارِجَةً^(٣) مِنَ الْغَمِّ ، وَخَاتَمَةً مُوَصُولَةً بِالنَّجَاحِ ، فَإِنَّكَ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرٌ ، وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ .

كَانَتْ وَصَلْتُ إِلَى مَجْلِسِ الْوَزِيرِ ، وَفُزْتُ بِالشَّرَفِ مِنْهُ ، وَخَدِمْتُ دَوْلَتَهُ ، وَعَلَاهُ مِنْ صَدْرِي بِخَبِيرَتِهِ ، وَمِنْ فَوَادِي بِمَحِيزَتِهِ ، وَتَصَرَّفْتُ مِنَ الْحَدِيثِ

(١) يريد بالشيخ أبا الوفاء المهدس .

(٢) في كلنا اللسختين : « برأبك » مكان « براءتك » . وفي (١) : « وقرنتك

مكان « وترتيبك » .

(٤) في (١) : « نازحة » ؛ وهو تحريف .

بِإِذْنِهِ فِي شُجُونِهِ وَفُنُونِهِ ، كُلُّ ذَلِكَ آمِلًا فِي جَدْوَى أَخْذُهَا ، وَحُظُورَةِ أَخْطَى
بِهَا ، وَزُلْفَى أُمَيْسُ مَعَهَا ، وَمَثَالَةِ أُحْسَدُ عَلَيْهَا ؛ فَتَقَبَّلَ ذَلِكَ كُلَّهُ ، وَوَعَدَ عَلَيْهِ
خَيْرًا وَلَمْ يَزَلْ أَهْلُهُ ، وَانْقَلَبَتْ إِلَى أَهْلِ مَسْرُورًا بِوَجْهِ مُسْفِرٍ ، وَحُجْمًا طَلَقَ ،
وَطَرْفٍ عَازِمٍ^(١) ، وَأَمَلٍ قَدَسَدًا مَا بَيْنَ أَفْقِ الْعِرَاقِ إِلَى صَنْعَاءِ الْيَمَنِ ، حَتَّى إِذَا
قُلْتُ لِلنَّفْسِ : هَذَا مَعَانُ الْوَزِيرِ وَمَعْمَرُهُ ، وَجَنَابُهُ وَمَحْضَرُهُ ، [فَانْشَرِحِي
مُسْتَفْتِحَةً ، وَتِيَمِّنِي مَقْتَرِحَةً ، وَأُطْمِئِنِّي رَاضِيَةً مَرْضِيَةً ، لَا كِدْرَةَ الشُّرْبِ ،
وَلَا مَذْعُورَةَ السَّرْبِ] ، حَصَلْتُ مِنْ ذَلِكَ الْوَعْدِ وَالضَّمَانِ ، عَلَى بَعْضِ فَعَالَاتِ
الزَّمَانِ ؛ وَلَا عَجَبَ فِي ذَلِكَ مِنَ الزَّمَانِ هُوَ بِمَثَلِهِ مَلِيٌّ ، وَلَهُ فَعُولٌ . وَبَقِيَتْ
مَحْمُولًا بَيْنِي وَبَيْنَ إِذْكَارِهِ — قَرَنَ اللَّهُ سَاعَاتِهِ بِسَاعَاتِهِ ، وَوَصَلَ عِزَّهُ^(٢)
يَوْمَهُ بِسَعَادَةِ غَدِهِ ؛ وَغَدَهُ بِامْتِدَادِ يَدِهِ — حَيْرَانَ لَا أَرِيشَ وَلَا أُرَى ، ثُمَّ
رَفَعْتُ نَظْرِي ، وَسَدَدْتُ خَاطِرِي ، وَفَضَلْتُ الْحِسَابَ لِي وَعَلَى ؛ فَوَضَّحَ الْعِذْرُ
الْمَبِينُ ، الْمَانِعُ مِنْ اسْتِرَادَةِ الْمُسْتَزِيدِينَ ، وَذَلِكَ أَنِّي رَأَيْتُ أَعْبَاءَ الْوِزَارَةِ تَوُودُ^(٣)
سِرَّهُ ، وَتُتَعَبُ^(٤) بِآلِهِ ، وَالْمَمْلُوكَةَ تَفْزَعُ وَلَهْيَ عَلَيْهِ ، وَتُلْقَى بِجَرَاهِهَا^(٥) لَهُ
بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَالِدَوْلَةَ تَسْتَمِدُّهُ التَّدْبِيرَ الثَّاقِبَ ، وَالرَّأْيَ الصَّائِبَ ، سِوَى أُورِ
فِي خِلَافِ ذَلِكَ لَا يَجْرُرُهَا رَسْمُ رَاسِمٍ ، وَلَا يَقَرُّهَا قَسْمُ قَاسِمٍ ، وَلَا يَنْحَوِيهَا
وَهْمُ وَارِهِم ، وَلَا يَعْوِزُهَا سَهْمُ مُسَارِهِم ، وَهُوَ يَخْطُرُ فِي حَوَاشِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ ،

(١) كذا وردت هذه الكلمة في الأصول وأعلمها تحريف إذ لم يبين معنى وصف
الطرف بهذا الوصف .

(٢) في (ب) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام : « عن » مكان « عز » ؛ وهو
تحريف .

(٣) في (ب) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام : « تود » ؛ وهو تحريف .

(٤) في (ب) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام : « وتستعين » مكان « وتتع » ؛
وهو تحريف .

(٥) في (ب) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام : « بجرانها » ؛ وهو تصحيف .

متأبطاً بواهظ الأنفال ، مفتتحاً عويص الأفعال^(١) ، سايح الطرف ، مسيح الصدر ، بساماً على العلات ، غير مُكترث بهالك وهات ، يتلقى ما أعيا من ذلك باللي^(٢) ، وما أشكل بالإيضاح ، وما عسر بالتدبير ، وما فسَد بالإصلاح ، وما أرق بالعنق ، وما خرق بالرتق ، وما خفي بالتكشيف ، وما بدا بالتصريف ، وما أود بالتشقيف ، وما لبس بالتعريف ، حتى أجمع على هَوَاهُ قاصيها ودانيها ، وجري على مُرَادِهِ خافِئها وباديها ، واستجاب لأمره أبيها ومُنقادها ، وأتلف بلفظه نادرها ومُعْتَادُهَا ؛ ولَمَّا تَيَقَّنْتُ^(٣) ذلك كله وقتلته خُبْرًا ، أمسكت عن إذكاره — نفس الله مُدَّتْهُ — سالف عهده ، ومتقدّم وعده ، عالمًا بأنَّ أَسْرَهَا^(٤) مرعى عنده في صدر الكرم ، ومكتوب لديه في صحيفة الحمد ، وثابت قبيله في ديوان الحسنى .

ولكن كان ذلك الأمتنان^(٥) على رَغْمٍ مَنَى^(٦) ، لأنى قتلت في أنثائهم بين جنبي قلباً مغرور الرجاء ، ومنزور العزاء ، على عوارض لم تسنح في خلدي ، ولم أعقد على شيء منها يدي .

فالحمد لله الذي جعل معاذي إلى الوزير الكريم ، البرّ الرحيم ، والمِنَّة لله الذي جعلني من عفاة جوده ، وناشئة عرفه ، وواردى عده ، وقادحى زنده ،

(١) في الأصول «الأفعال» ؛ وهو تصحيف .

(٢) في كلتا النسختين : « بالكي » بالكاف ؛ وهو تحريف لا معنى له ها . ولعل صوابه ما أثبتنا .

(٣) في الأصل « نفث » ؛ وهو تحريف .

(٤) في كلتا النسختين : « ايسرها » ؛ والياء زيادة من الناسخ .

(٥) كذا وردت هذه الكلمة في الأصول ؛ ولا معنى للامتنان ها ، ولعل صوابه الكمان أو « الإمساك » أو ما يفيد ذلك أخذاً من قوله قبل : فأمسكت عن إذكاره .

(٦) في (١) على زعم من أبى فلبث إلى أنباه . مكان قوله على رَغْمٍ مَنَى لأنى قتلت في أنثائه .

وَمُقْتَبِسَى نُورِهِ ، وَمُضْطَلَى نَارِهِ ، وَحَامِلِي نِعْمَتِهِ ، وَطَائِلِي خِدْمَتِهِ ، وَجَعَلَ خَاصَّتِي وَخَالِصَتِي مِنْ بَيْنِهِمْ رَوَايَةَ مَنَاقِبِهِ بِاللِّسَانِ الْأَبِينِ ، وَنَشَرَ فُضَائِلِهِ بِالثَّمَاءِ الْأَحْسَنِ ، وَذَكَرَ آيَاتِهِ بِاللَّفْظِ الْأَفْصَحِ ، وَالْأَحْتِجَاجَ لِسَدَادِ آرَائِهِ بِالْمَعْنَى الْأَوْضَحِ ؛ فَلَا زَالَ الْوَزِيرُ — وَزِيرُ الْمَالِكِ — مَمْدُوحًا فِي أَطْوَارِ الْأَرْضِ عَلَى أَلْسِنَةِ الْأَدْبَاءِ وَالْحِكَمَاءِ ، وَفِي نَوَادِي الرُّؤَسَاءِ وَالْعُظَمَاءِ ، مَا آبَ آئِبٌ ^(١) ، وَغَابَ غَائِبٌ ، بِمَنَّةٍ وَلُطْفِهِ .

قَدْ نَادَيْتُ الْوَزِيرَ حَيًّا سَامِعًا ، وَخَيْرًا جَامِعًا ، وَهَرَزْتُ مِنْهُ صَارِمًا قَاطِعًا ، وَشِهَانًا سَاطِعًا ، وَاسْتَسْقَيْتُ مِنْ كَرَمِهِ سَحَابًا هَاطِلًا ، وَنُقَاخًا ^(٢) سَائِلًا ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُجَنِّبَنِي مَرَارَةَ الْحَمِيَّةِ ، وَحَسْرَةَ الْإِحْفَاقِ ، وَعَذَابَ التَّسْوِيفِ ، فَقَدْ تَلَطَّفْتُ بِالسَّخْرِ الْحَلَالِ ، وَالْعَذْبِ الرَّزْزَالِ ، جُهْدَ الْمُقَلِّ الْمُحْتَالِ ، وَهُوَ أَوْلَى بِمَجْدِهِ ، فِي تَذْيِيرِ عِبْدِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

هَذَا آخِرُ الرِّسَالَةِ الْأُولَى .

وَحَضَرَ وَصُولَهَا إِلَيْهِ بِهِرَامٌ — لَعْنَهُ اللَّهُ — وَتَكَلَّمَ بِمَا يَشْبَهُ نَذَالَتَهُ وَخِسَّتَهُ وَتَنَبَّأَ نَبِيَّتَهُ ، فَمَا كُنْتُ آمِنُهُ ^(٣) ؛ وَمَا أَشَدَّ إِشْفَاقِي عَلَى هَذَا الْوَرِيرِ الْخَطِيرِ مِنْ شَوْمِ نَاصِيَةِ بُهْرَامٍ ، وَغِلِّ صَدْرِهِ ، وَقَلَّةِ نَصِيحَتِهِ ، وَلَوْمِ طَبْعِهِ ، وَخُبْنِ أَصْلِهِ ، وَسُقُوطِ فَرْعِهِ ، وَدَمَامَةِ مَنْظَرِهِ ، وَلَآمَةِ مُخْبَرِهِ ؛ حَرَسَ اللَّهُ الْعِبَادَ مِنْ شَرِّهِ ، وَطَهَّرَ الْبِلَادَ مِنْ عُرِّهِ وَضُرِّهِ .

وَأَمَّا الرِّسَالَةُ الثَّانِيَّةُ فَهِيَ الَّتِي كَانَتْ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ بَعْدَ اسْتِثْنَائِي إِيَّاهُ

(١) فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ : « وَغَلَبَ غَالِبٌ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا الْكَلِمَتَيْنِ .

(٢) وَرَدَ هَذَا الِاعْظُ بِالْيَاءِ وَالْفَاءِ ؛ وَلَعَلَّ صَوَابَهُ مَا أَثْبَتْنَا .

(٣) فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ : « أَمَلَهُ » بِاللَّامِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا

في مخاطبة بالكاف ، حَتَّى يَجْزِيَ الكلامُ على سَنَنِ الأُسْتِزْسَالِ ، ولا يُعْتَرِ
في طريقِ الكتابةِ بما يُزاحمُ عليه من اللَّفْظِ وَاللَّفْظِ ، وهى :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَيُّهَا الْوَزِيرُ ، جَعَلَ اللَّهُ أَقْدَارَ دَهْرِكَ جَارِيَةً عَلَى
تَحَكُّمِ أَمَالِكَ ، وَوَصَلَ تَوْفِيقَهُ بِمَبَالِغِ مُرَادِكَ فِي أَقْوَالِكَ وَأَفْعَالِكَ ، وَمَكْنَنِكَ
مِنْ نَوَاصِي أَعْدَائِكَ ، وَثَبَّتْ أَوَاخِي دَوْلَتِكَ عَلَى مَا فِي نُفُوسِ أَوْلِيائِكَ .

يَجِبُ عَلَى كُلِّ مَنْ آتَاهُ اللَّهُ رَأْيًا ثاقِبًا ، وَنُضْجًا حَاصِرًا ، وَتَنْبُهَا نَافِعًا ،
أَنْ يَخْدُمَكَ مُتَحَرِّيًا لِرُسُوخِ دَعَائِمِ الْمَمْلَكَةِ بِسِيَاسَتِكَ وَرِيَادَتِكَ ^(١) ، قَاضِيًا بِذَلِكَ
حَقَّ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي تَقْوِيَتِكَ وَحَيَاطَتِكَ . وَإِنِّى أَرَى عَلَى بَابِكَ جَمَاعَةً لَيْسَتْ
بِالكَثِيرَةِ — وَلَعَلَّهَا دُونَ الْعَشْرَةِ — يُؤَوِّرُونَ لِقَاءَكَ وَالْوُصُولَ إِلَيْكَ ،
لِمَا تُحْنُ صُدُورُهُمْ مِنَ النَّصَاحِ النَّافِعَةِ ، وَالبَلَاعَاتِ الْمُجْدِيَةِ ، وَالدَّلَالَاتِ
الْمُنِيدَةِ ، وَيَرَوْنَ أَنَّهُمْ إِذَا أَهْلَوْا لَذَلِكَ فَقَدْ قَصَوْا حَقَّكَ ، وَأَدَّوْا مَا وَجَبَ
عَلَيْهِمْ مِنْ حُرْمَتِكَ ، وَبَلَّغُوا بِذَلِكَ مُرَادَهُمْ مِنْ تَفَضُّلِكَ وَأَصْطِنَاعِكَ ،
وَتَقْدِيمِكَ وَتَكْرِيمِكَ ؛ وَالْحِجَابُ قَدْ حَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَكَ ، وَلِسَكَلٍ مِنْهُمْ وَسِيلَةٌ
شَافِعَةٌ ، وَحِدْمَةٌ لِلْخَيْرَاتِ جَامِعَةٌ ؛ مِنْهُمْ — وَهُوَ أَهْلُ الْوَفَاءِ — ذُو وَكَفَايَةٍ
وَأَمَانَةٍ ، وَنَبَاهَةٍ وَلِبَاقَةٍ ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ يَصْلُحُ لِلْعَمَلِ الْجَلِيلِ ، وَلِرَتَقِ الْفَتْحِ الْعَظِيمِ ؛
وَمِنْهُمْ مَنْ يُمْتَسَعُ إِذَا نَادَمَ ، وَيَشْكُرُ إِذَا أَصْطَنِعَ ، وَيَبْذُلُ الْجُهْدَ إِذَا
رُفِعَ ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُمُ الدَّرَّ إِذَا مَدَحَ ، وَيُضْحِكُ التَّغَرَّ إِذَا مَزَحَ ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ
قَعَدَ بِهِ الدَّهْرُ لِسِنِّهِ الْعَالِيَةِ ، وَجَلَّابِيْبِهِ الْبَالِيَةِ ، فَهُوَ مَوْضِعُ الْأَجْرِ الْمَذْخُورِ ،
وَنَاطِقٌ بِالشُّكْرِ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْثُورِ ؛ وَمِنْهُمْ طَائِفَةٌ أُخْرَى قَدْ عَكَفُوا فِي بُيُوتِهِمْ

(١) في كلتا النسختين : « وزيادتك » بالراى المعجمة ؛ وهو تصحيف .

عَلَى مَا يَفْعَلُهُمْ مِنْ أحوالِ أَنْفُسِهِمْ ، فِي تَرْجِيَةِ عَيْشِهِمْ ، وَعِمَارَةِ آخِرَتِهِمْ ،
وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ مِنْ وَرَاءِ خِصَاصَةِ مُرَّةٍ ، وَمُؤْنِ غَلِيظَةٍ ، وَحَاجَاتٍ مَتَوَالِيَةٍ ؛
وَلَهُمُ الْعِلْمُ وَالْحِكْمَةُ وَالْبَيَانُ وَالتَّجَرُّبَةُ ، وَلَوْ وَثَّقُوا بِأَنَّهُمْ إِذَا عَرَّضُوا أَنْفُسَهُمْ
عَلَيْكَ ، وَجَهَّزُوا مَا مَعَهُمْ مِنَ الْأَدَبِ وَالْفَصْلِ إِلَيْكَ حَظُّوا مِنْكَ ، وَأَعْتَرُوا
بِكَ ، لَخَضَرُوا بِأَبْكَ ، وَجَشِمُوا الْمَشَقَّةَ إِلَيْكَ ؛ لَكِنَّ الْيَأْسَ فَدَغَلَبَ عَلَيْهِمْ ،
وَضَعُفَتِ مُنْتَهَاهُمْ ، وَعُكِّسَ أَمَلُهُمْ ، وَرَأَوْا أَنَّ سَفَّ التُّرَابِ ، أَخْفُ مِنْ الْوُتُوفِ
عَلَى الْأَبْوَابِ ، إِذَا دَنَوْا مِنْهَا دُوعُوا عَنْهَا ؛ وَلَوْ لَخَطَّتْ هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ بِفَضْلِكَ ،
وَأَذِنَتْهُمْ بِسَعَةِ ذَرَعِكَ وَكَرَمِ خِيَمِكَ ، وَأَضْعَيْتَ إِلَى مَقَالَتِهِمْ بِسَمْعِكَ ،
وَقَابَلْتَهُمْ بِمِلَّةٍ عَيْنِكَ ، كَانَ فِي ذَلِكَ بَقَاءٌ لِلنَّعْمَةِ عَلَيْكَ ، وَصِيَتْ فَاشٍ بِذِكْرِكَ ،
وَنَوَابٍ مُؤَجَّلٍ^(١) فِي صَحِيفَتِكَ ، وَثَنَاءٌ مُعْجَلٌ عِنْدَ قَرِيبِكَ وَبَعِيدِكَ ؛ وَالْأَيَّامُ
مَعْرُوفَةٌ بِالْتَّقَلُّبِ ، وَالْأَيَّامُ مَا خِصَّةٌ مِمَّا يَنْعَجِبُ مِنْهُ ذَوُ اللَّبِّ ، وَالْمُجْدُودُ مَنْ
جُدَّ فِي جَدِّهِ ، أَعْنَى مَنْ كَانَ جَدُّهُ فِي الدُّنْيَا مَوْصُولًا بِحَظِّهِ مِنَ الْآخِرَةِ ،
وَلَآنَ يُوَكَّلُ الْعَاقِلُ بِالْأَعْتَابِ بِغَيْرِهِ ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُوَكَّلَ غَيْرُهُ
بِالْأَعْتَابِ بِهِ .

أَيْهَا الْوَزِيرُ ، اصْطِنَاعُ الرِّجَالِ صِنَاعَةٌ قَائِمَةٌ بِرَأْسِهَا ، قَلٌّ مِنْ بَنَى بَرَبِهَا^(٢) ،
أَوْ يَتَّقَى لَهَا ، أَوْ يَعْرِفُ حُلُوتَهَا ، وَهِيَ غَيْرُ السِّكَاةِ الَّتِي تَتَعَاقُ بِالْبَلَاغَةِ
وَالْحِسَابِ .

وَسَمِعْتُ ابْنَ سُورِينَ يَقُولُ : آخِرُ مَنْ شَاهَدْنَا مِمَّنْ عَرَفَ الْأَصْطِنَاعَ ،

(١) فِي الْأَصُولِ «بُوجِدَ» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفُ صَوَابِهِ مَا أَتَيْنَا كَمَا يَقْتَضِيهِ قَوْلُهُ بَعْدَ «مُعْجَلٍ» .

(٢) فِي (١) : «يَسْقَى تَرْبَهَا» مَكَانَ «بَنَى بَرَبَهَا» . وَفِي (ب) : «بَرَبِهَا» بِالْبَاءِ
ثَنَاءٌ ؛ وَهُوَ تَصْغِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ . يُقَالُ : رَبُّ الصَّنِيعَةِ بَرَبُهَا — بِضَمِّ الرَّاءِ — إِذَا
عَمَّاها وَتَمَهَّدَهَا .

وَأَسْتَحْلِي الصَّنَائِعَ ، وَارْتَأَحَ لِلذِّكْرِ الطَّيِّبِ ، وَاهْتَزَّ لِلْمَدِيحِ ، وَطَرِبَ عَلَى نَعْمَةِ السَّائِلِ ، وَأَغْتَنَمَ خَلَّةَ الْمُحْتَاجِ ، وَأَتَهَبَ السَّكْرَمَ انْتِهَابًا ، وَأَتَهَبُ فِي عِشْقِ الثَّنَاءِ أَتْهَابًا ، أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ ، فَإِنَّهُ قَدَّمَ قَوْمًا وَنَوَّهَ بِهِمْ ، وَنَبَّهَ عَلَى فَضْلِهِمْ ، وَأَحْوَجَ النَّاضِرِينَ فِي أَمْرِ الْمُلْكِ إِلَيْهِمْ ، وَإِلَى كِفَايَتِهِمْ ، مِنْهُمْ أَبُو الْفَضْلِ الْعَبَّاسُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، وَمِنْهُمْ ابْنُ مَعْرُوفٍ الْقَاضِي ، [وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْيَمْرُئِيُّ] ، وَمِنْهُمْ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِيُّ ، وَأَبُو الْخَطَّابِ الصَّابِيُّ ، [وَمِنْهُمْ أَحْمَدُ الطَّوْبِلِ ، وَمِنْهُمْ أَبُو الْعَلَاءِ صَاعِدٌ ، وَمِنْهُمْ أَبُو أَحْمَدَ ابْنُ الْهَيْثَمِ ، وَابْنُ حَقِّصٍ صَاحِبُ الدِّيَّوَانِ] ، وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ ، هَؤُلَاءِ إِلَى غَيْرِ هَؤُلَاءِ ^(١) ، [كَأَبِي تَمَّامِ الزَّيْنَبِيِّ ، وَابْنِ بَكْرِ الزَّهْرِيِّ] ، وَابْنُ قَرِيعَةَ ، وَابْنُ حَامِدِ الْمَرْوُزِيِّ ، [وَابْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَصْرِيِّ] ، وَابْنُ سَعِيدِ السَّيْرَانِيِّ ، [وَابْنُ مُحَمَّدِ الْعَارِسِيِّ] ، وَابْنُ دُرُسْتُوتِيهِ ، [وَابْنُ الْبَقَالِ] ، وَالسَّرِيِّ ، وَمَنْ لَا يُحْصَى كَثْرَةُ مِنَ التَّجَارِ وَالْعُدُولِ .

وَقَالَ لِي [ابْنُ سُورِينَ] : كَانَ أَبُو مُحَمَّدٍ يَطْرَبُ عَلَى أَصْطِنَاعِ الرِّجَالِ كَمَا يَطْرَبُ سَائِعُ الْغِنَاءِ عَلَى الشَّبَابِيرِ ^(٢) ، وَيَرْتَأَحُ كَمَا يَرْتَأَحُ مُدِيرُ الْكَأْسِ عَلَى الْعَشَائِرِ . وَقَالَ عَنْهُ : [إِنَّهُ] قَالَ : وَاللَّهِ لَا كُونَ فِي دَوْلَةِ الدَّيْلَمِ أَوَّلَ مَنْ يُذْكَرُ ، إِنْ فَانَنِي أَنْ كُنْتُ فِي دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ آخِرَ مَنْ يُذْكَرُ .

فَلَوْلَا أَنَّكَ — أَدَامَ اللَّهُ دَوْلَتَكَ — أَذِنْتَ لِي أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْكَ كُلَّ مَا هَجَسَ فِي النَّفْسِ ، وَطَلَعَ بِهِ الرَّأْيُ ، مِمَّا فِيهِ مَرَدُّ عَلَى مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ هَذَا

(١) فِي (ب) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : « هَذَا إِلَى غَيْرِ هَذَا » .

(٢) فِي كَلِمَاتِ النَّسَخَتَيْنِ : « السَّائِرِ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفُ صَوَابِهِ مَا أَتَيْتُنَا كَمَا يَقْتَضِيهِ سِيَاقُ الْكَلَامِ . وَالشَّبَابِيرُ : جَمْعُ شَبُورٍ ، وَهُوَ مِنْ آلَاتِ الْمَوْسِقِيِّ .

النَّثْلِ الْبَاهِظِ ، وَنَذْبِهِ عَلَى مَا تُبَارِشُهُ بِكَاهِلِكَ الضَّخْمِ ، لَمْ يَكُنْ حَطَرِي
يَبْلُغُ مُوَاجَهَتِكَ بِلَفْظٍ يَثْقُلُ ، وَإِشَارَةٍ تَغْلُظُ ، وَكِنَايَةٍ تَخْدِشُ ^(١) ، لَكِنَّكَ
وَاللَّهُ يَأْخُذُ بِيَدِكَ ، وَيَقْرِنُ الصَّنْعَ الْجَمِيلَ بِظَاهِرِكَ وَبَاطِنِكَ — قَدْ رَخَّصْتَ
لِي فِي ذَلِكَ ، وَخَصَصْتَنِي بِهِ مِنْ بَيْنِ غَاشِيَةِ بَابِكَ ، وَخَدَمَ دَوْلَتِكَ ، فَلِذَلِكَ
أَقُولُ مَا أَقُولُ مُعْتَمِداً عَلَى حُسْنِ نَقَبْلِكَ ^(٢) ، وَجَمِيلِ سَكْفَلِكَ ^(٣) ، وَمُنْتَظَرِ
تَفَضُّلِكَ ؛ وَلَيْسَ فِي أَبْوَابِ السِّيَاسَةِ شَيْءٌ أَجْدَى وَأَنْفَعُ ، وَأَبْنَى لِلْفَسَادِ وَأَقْعُ ،
مِنَ الْأَعْتَابِ الْمَوْقِظِ لِلنَّفْسِ ، الْبَاعِثِ عَلَى اخْتِذِ الْحَزْمِ ، وَتَجْرِيدِ الْعَزْمِ ؛ فَإِنَّ
الْوَكَالَ ^(٤) وَالْهُؤُنَا قَلَّمَا يُفَصِّيانَ بِصَاحِبِهِمَا إِلَى دَرْكِ مَأْمُولٍ ، وَنَيْلِ مَرَادٍ ،
وَإِصَابَةِ مُتَمَتَّى . وَقَدْ قَالَ رَجُلٌ كَبِيرُ الْحِكْمَةِ ، مَعْرُوفُ الْحُنُوكَةِ : الْمُعْتَبَرُ
كَثِيرٌ ، وَالْمُعْتَبَرُ قَلِيلٌ . وَصَدَقَ هَذَا الرَّحْلُ الصَّالِحُ ، وَهُوَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ :

لَوْ أَعْتَبَرْتُ مِنْ تَأَخَّرَ عَنْ تَقَدَّمَ ، لَمْ يَكُنْ مِنْ يَتَحَسَّرُ فِي النَّاسِ ^(٥) وَيَنْدَمُ ،
وَلَكِنَّ اللَّهَ نَبَى هَذِهِ الدَّارِ عَلَى أَنْ يَكُونَ أَهْلُهَا بَيْنَ يَفْظَةٍ وَتَوَمٍّ ، وَبَيْنَ فَرْحٍ
وَتَرْحٍ ، وَبَيْنَ حَيَظَةٍ ^(٦) وَوَرْظَةٍ ، وَبَيْنَ حَرَمٍ وَغَفْلَةٍ ، وَبَيْنَ نِزَاعٍ وَسَلُوءٍ ،
لَكِنَّ الْأَحْذَ بِالْحَزْمِ — وَإِنْ جَرَى عَلَيْهِ مَكْرُوهٌ — أَعْذَرُ عِنْدَ نَفْسِهِ وَعِنْدَ

(١) فِي كَلَامَا الدَّسَخَتَيْنِ : « غَرَس » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَتَيْنَاهُ كَمَا يَقْبَضِيهِ
سِيَاقُ مَا قَبْلَهُ

(٢) فِي كَلَامَا الدَّسَخَتَيْنِ : « تَقَبَّلِكَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي (ب) : « تَكَلَّفَكَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي (أ) : « الْوَكَا » بِالْوَوِّ . وَفِي (ب) : « الْوَكَاك » بِالكَافِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ
فِي كَلَامَا الدَّسَخَتَيْنِ .

(٥) فِي (ب) : « فِي الدُّنْيَا » .

(٦) فِي كَلَامَا الدَّسَخَتَيْنِ : « عَطَا » ؛ وَلَعَلَّهُ تَحْرِيفٌ ، لِإِذْ الْفُطَّةُ لَا تَقَابِلُ الْوَرْظَةَ ،
وَالَّذِي يَقَابِلُهَا الْحَيْطَةُ كَمَا أَتَيْنَاهُ .

كلٌّ من كان في مَسْكِهِ ، مِنْ الْمُلقَى بِيَدِهِ وَالمُتَدَلَّى بِغُرُورِهِ ، وَالسَّاعَى فِي ثُبُورِهِ ؛ وَمَا وَهَبَ اللَّهُ الْعَقْلَ لِأَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ عَرَّضَهُ لِلنَّجَاةِ ، وَلَا حَلَاةَ بِالْعِلْمِ إِلَّا وَقَدْ دَعَاهُ إِلَى الْعَمَلِ بِشَرَائِطِهِ ، وَلَا هِدَاةَ الطَّرِيقَيْنِ (أَعْنَى الْغَىِّ وَالرُّشْدَ) إِلَّا لِيُزَحَفَ إِلَى أَحَدِهِمَا بِحُسْنِ الْإِخْتِيَارِ .

هذا بِالْأَمْسِ أَبُو الْفَضْلِ الْعَبَّاسُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْوَزِيرُ — وَهُوَ فِي وَزَارَتِهِ وَبَسْطَ أَمْرِهِ وَنَهْنِه — قِيلَ لَهُ ذَاتَ يَوْمٍ : هَذَا التُّرْكِيُّ سَاسَنَكَ^(١) نَفْيًا بظَلِّهِ ، وَاعْتَصِمْ بِحَبْلِهِ ، وَاسْتَسْقِ بِسَجْلِهِ ، وَارْتَوِ مِنْ سُورِهِ ، وَلَا يَبْلُغُهُ عَنْكَ ، مَا يُوَحِّشُهُ مِنْكَ ، وَيُجْفِيهِ^(٢) عَلَيْكَ . وَقَدْ قِيلَ :

” أَسْجُدْ لِقَرْدِ السُّوءِ فِي زَمَانِهِ “

وَإِذَا لَمْ تَقْدِرْ عَلَى قَطْعِ يَدِ جَائِرَةٍ ، فَقَبِّلْهَا مُتَهَمَةً^(٣) مُنْجِدَةً غَائِرَةً . فَلَمْ يَفْعَلْ ، حَتَّى وَجَدَ أَعْدَاؤَهُ طَرِيقًا إِلَيْهِ ، فَسَلَكُوهُ وَأَوْقَعُوهُ .

ثُمَّ قِيلَ لَهُ فِي الْوَزَارَةِ الثَّانِيَةِ : قَدْ ذُقْتَ سَمَرَاتِ النَّكْبَةِ ، وَتَحَرَّقْتَ بِنَارِ الشَّمَاتَةِ ، وَبَارَقْتَ عَلَى فِرَاطَاتِ^(٤) الْعَجْزِ وَالْفَسَالَةِ ، وَقَدْ كَانَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ مَا كَانَ ، وَدَارَ لَكَ مَا تَمَنَيْتَ^(٥) الزَّيْمَانُ ؛ فَأَنْظِرْ أَيْنَ تَصْعُقُ الْآنَ قَدَمُكَ ، وَبَأَى شَيْءٌ تُدِيرُ لِسَانَكَ وَقَلَمَكَ ، فَإِنَّ مُخْلَصَكَ مِنْ وَرْطَتِكَ بِالْمِرْصَادِ ، وَقَدْ

(١) لَمْ يَحْدِ هَذَا الْأَسْمَ فِيهَا رَاجِعُهُ مِنْ مَعْجَمَاتِ الْأَعْلَامِ التُّرْكِيَّةِ ؛ وَالَّذِي وَجَدْنَاهُ « سَجَر » بِالسِّينِ وَالْجِيمِ وَبِلَا سِينٍ وَأُفٍّ فِي أَوَّلِهِ .

(٢) فِي (١) : « وَيُجْفِيهِ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « بِهِم » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « فِطْرَات » ؛ وَالظَّاهِرُ أَنَّ فِي حُرُوفِهِ قَلْبًا وَقَعَ مِنَ النَّاسِخِ .

كَأَنَّ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « وَأَرَقْتَ » مَكَانَ « وَتَأَرَقْتَ » ؛ وَمَا أَتَيْنَاهُ أَوَّلَى لِلْعِلَامَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْلِهِ قَبْلَ : « وَتَحَرَّقْتَ » .

(٥) فِي (ب) : « طَنَنْت » ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا .

وَعَدْتَ مِنْ نَفْسِكَ إِنَّ أَعَادَ اللَّهُ بِذَلِكَ^(١) إِلَى الْبَسْطَةِ ، وَرَدَّ حَالَكَ إِلَى السَّرُورِ وَالْعِظَةِ ، أَنْكَ تَجْمِلُ الْمَاعَمَلَةَ ، وَتَنْسَى^(٢) الْمَقَابِلَةَ ، وَتَلْقَى وَرَائِكَ وَعِدْوَكَ بِالْإِحْسَانِ إِلَى هَذَا ، وَالْكَفَّ عَنْ هَذَا ، حَتَّى يَتَسَاوَا بِنَظَرِكَ ، وَيَتَعَبَّدَا لَكَ بِتَفَضُّلِكَ .

مَكَانٌ مِنْ جَوَابِهِ مَا دَلَّ عَلَى عِتْوِهِ وَثَبَاتِهِ^(٣) ، لِأَنَّهُ قَالَ : أَمَّا سَمِعْتُمْ اللَّهَ تَعَالَى حَيْثُ يَقُولُ : ﴿ وَلَوْ رُدُّوْا لَعَادُوا لِمَا نُهُوْا عَنْهُ ﴾ [وَأَنَّهُمْ لَكَآذِبُونَ] ؟ وَقَالَ لِي الْقَوْمَسِيُّ^(٤) — وَلَمْ يَعْلَمْ مَا فِي فَحْوَى هَذَا الْكَلَامِ — : مَا ذَاكَ ؟ قُلْتُ : خَوَاهُ وَلَوْ عَادُوا إِلَى مَا نُهُوْا عَنْهُ لَعُدْنَا [إِلَى مُقَابَلَتِهِمْ مِمَّا أَسْتَحَقُّوْا عَلَيْهِ] . وَصَدَقَ مَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، مَا لَبِثَ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ بَعْدَ هَذَا الْكَلَامِ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى أَوْرَدَهُ^(٥) وَلَمْ يُصْدِرْهُ ، وَأَعْتَرَهُ وَلَمْ يُنْعِشْهُ ، وَسَلَّمْ إِلَى عَدُوِّهِ حَتَّى اسْتَلَّ رُوحَهُ مِنْ بَيْنِ جَنْبَيْهِ ، شَافِيًا بِهِ وَمُشْتَقِيًا مِنْهُ ، وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ خُسْرًا ، وَلَوْ انْقَى اللَّهُ لَكَانَ آخِرُ أَمْرِهِ يُسْرًا . وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

وَهَذَا بَعْدَهُ مُحَمَّدُ بْنُ بَقِيَّةٍ طَغَى وَبَغَى ، وَافْتَحَمَ ظِلْمَاتِ الظُّلْمِ وَالْعَسْفِ ، وَطَارَ بِجَنَاحِ اللَّهِوِ وَالْعَزْفِ ، وَالشُّرْبِ وَالْقَصْفِ ، وَمَلَّ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَضَلَّ بَيْنَ إِمْنَالِ اللَّهِ وَإِذْلَالِهِ ، فَخَاقَ بِهِ مَا ذَهَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ وَمَالُهُ ، وَخُرَّبَ بَيْتُهُ ، وَافْتَضَحَ أَهْلُهُ ، وَكَيْفَ كَانَ يَسْلَمُ ؟ أَمْ كَيْفَ كَانَ يَنْجُو وَقَدْ قَتَلَ ابْنَ السَّرَّاجِ

(١) فِي (ب) : « أَعَادَ اللَّهُ ذَاكَ أَيْامَكَ الْبَسِيطَةَ » ؛ وَفِي بَعْضِ كَلِمَاتِهَا تَحْرِيفٌ لَا مَحْفَى .

(٢) كَذَا فِي (أ) . وَالَّذِي فِي (ب) : « وَتَنْسَى » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَتَنْسَى الْمَقَابِلَةَ ،

أَيُّ لَا تَقَابِلُ الذَّنْبَ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنْ عِقَابِهِ بَلْ تَعْفُو .

(٣) وَثَبَاتِهِ ، أَيُّ ثَبَاتِهِ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ السِّيَاسَةِ .

(٤) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « الْمَسِي » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ كَمَا تَرَى ، صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا .

(٥) أَوْرَدَهُ وَلَمْ يُصْدِرْهُ فَاعِلُ الْفَعْلَيْنِ ضَمِيرٌ يَعُودُ عَلَى الْكَلَامِ السَّابِقِ ذَكَرَهُ . أَيُّ

أَوْرَدَهُ كَلَامُهُ الْح .

بلا ذنب ، والجَرَ جَرَّائِي^(١) بلا حَجَّة ، وضَرَبَ ابن مَعْرُوفٍ بالسَّيَّاطِ
وَأَبَا القَاسِمِ — أَحَا لَأَبِي مُحَمَّدٍ القَاضِي — وَشَهَرَهُ عَلَى سَجَلٍ فِي الجَانِبِ الشَّرْقِيِّ ؟ !
والتَّشَقَّى حُلُوُ العَلَايَةِ ، وَلَكِنَّهُ مُرُّ العَاقِبَةِ ، وَكَأَنَّ الحَفِيفَةَ إِنَّمَا خُلِقَتْ
لِتُعْتَقَدَ^(٢) ، وَالحَقْدَ إِنَّمَا وَجِدَ لِيُبْلَغَ بِهِ مَا يَسُرُّ الشَّيْطَانَ .

وَكَأَنَّ العَفْوَ حَرَامٌ ، وَالكَظْمَ^(٣) مُحْظُورٌ ، وَالمُكَافَاةَ مَأْمُورٌ بِهَا
وَهَذَا بِالأَمْسِ عَلَى بَنِي مُحَمَّدٍ ذُو الكِفَايَتَيْنِ ، اغْتَرَّ بِشَبَابِهِ ، وَلَهَا عَنْ
الْحَزْمِ والأَخْذِ بِهِ فِيمَا كَانَ أَوَّلَى بِهِ ، وَظَنَّ أَنَّ كِفَايَتَهُ تَحْفَظُهُ ، وَنَسَبَهُ مِنْ
أَبِيهِ يَكْفِيهِ ، وَرَأَاهُ تَحْتَجُّ لَهْ ، وَذُنُوبَهُ الصَّغِيرَةَ تُغْتَفَرُ ؛ لِإِبْلَائِهِ المَذْكُورِ ،
وَعَفْوَانِهِ المَشْهُورِ ؛ وَمَشَى فَعَثَرَ ، وَرَابَ^(٤) نَثَرَ ، وَالأَوَّلُ يَقُولُ :

مَنْ سَابَقَ الدَّهْرَ كَبَا كِبَوَةٌ لَمْ يَسْتَثْمِلْهَا آخِرَ الدَّهْرِ
فَأَخْطُ مَعَ الدَّهْرِ إِذَا مَا خَطَا وَأَجِرَ مَعَ الدَّهْرِ كَمَا يَجْرَى

وَقَالَ لِي الحَلِيلُ — وَكَانَ أَطِيفَ المَحَلِّ عِنْدَهُ ، لَمَّا كَانَ يَرَى مِنْ
أَخْتِصَاصِ أَبِيهِ لَهُ ، وَلَمَّا يَظْهَرُ مِنْ فَضْلِهِ عِنْدَهُ — : قُلْتُ لَهُ يَوْمًا : يَا هَذَا ،
فِي أَيِّ شَيْءٍ أَنْتَ ؟ ! وَبَأَيِّ شَيْءٍ تَعَلَّلُ ؟ ! وَقَدْ شُجِدْتَ المَوَاسِي ، وَخُدَّدْتَ
الأَنْيَابَ ، وَمُتِلْتَ المَرَاثِرَ^(٥) ، وَنُصِبْتَ الفِخَاخَ ، وَالعَيُونُ مُحَدَّدَةٌ نَحْوَ القَطِيعَةِ ،

(١) فِي (أ) : « الحَرَحَانِي » .

(٢) فِي (أ) : « لَتُعْتَدَ » . وَفِي (ب) : « لَتُنْفَذَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا الكَلِمَتَيْنِ .

(٣) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « وَاللَّطَمَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي (أ) : « وَدَابَّ نَحْسَرُ » . وَفِي (ب) : « وَذَابَ نَثَرَ » ؛ وَلَعَلَّ الصَّوَابَ مَا أَتَيْنَاهُ .

(٥) فِي (أ) : « وَقُبِلَتْ » . وَفِي (ب) : « وَقُتِلَتْ » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ فِي كِلْتَا :

النُّسخَتَيْنِ . وَفِي (أ) : « المَدَارِ » مَكَانَ « المَرَاثِرِ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ أَيْضًا . وَالمَرَاثِرُ :
الحِبَالُ ، جَمْعُ مَرِيرَةٍ .

والأعناقُ صُورٌ^(١) إلى الفِطِيعَةِ ، وأنتَ لاهِ ساهٍ عما يُرادُ بكَ بعدُ ؛
يَسْبِيكَ^(٢) هذا المزرون^(٣) وهذا المُرْخِي^(٤) وهذا المَعْرَضُ^(٥) ، وهذا الحَلِيقُ ،
وهذا التَّدْيِفُ ، وهذا المَعْقَرُبُ الصَّدْعُ ، وهذا المَصْفوفُ الطَّرَةُ ، وبالكاس^(٦)
والطاس ، والغناء والنصف ، والنأي والعود ، والصَّبُوح والغُبُوق ، والشراب
المُرَوَّق العتيق ؛ والله ما أدري ما أَصْنَع ، إن سَكَتُ عَنْكَ كِهْدْتُ ، وإن
تَصَحَّنْتَ خِمْتُ مِنْكَ ؛ ونَعُودُ بالله من أَشْتَبَاهِ الرَّأْيِ ، واشْتَبَاكَ الْأَمْرُ ،
وَقَوْلَةُ الْأَحْتِرَاسِ ، والإِعْرَاضِ عما يَجْرِي من أَمْوَهِ النَّاسِ .

يا هذا ، سُوهِ الأَسْتَمْسَاكِ خَيْرٌ مِنْ حُسْنِ الصَّرْعَةِ ، وَتَلَقَّى الْأَمْرِ بِالْحَزْمِ
وَالشَّهَامَةِ أَوْلَى مِنْ أَسْتِدْبَارِهِ بِالْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ ، وَمَنْ لَا تَجَرِيَةَ لَهُ يَقْتَبِسُ
رِيْمَنْ لَهُ جَرِيَّةٌ ، فَإِذَا نَقَبَ الْخُفُّ دَرَمَى الْأَظْلَ . يقال : قد فَرَّغَ اللَّهُ مِمَّا هُوَ
كَانَ ، وَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا اسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ .

قال : قلتُ له : ما أَطْلَعَكَ اللَّهُ عَلَى كَائِنَاتِ الْأُمُورِ ، وَلَا أَعْلَمَكَ بِعَوَاقِبِ
الْأَحْوَالِ ، وَإِنَّمَا عَرَفْتُكَ حَظُّكَ بَعْدَ أَنْ^(٧) وَفَرَ عَقْلَكَ ، وَأَحْضَرَكَ اسْتَطَاعَتَكَ ،
وَأَوْضَحَ لِقَلْبِكَ مَا عَلَيْكَ وَلَكَ ، حَتَّى يَسْتَشِفَّ وَيَسْتَكْشِفَ ، وَمَلَكَكَ

(١) صور ، أى ماثلة . إلى المطيعة ، أى إلى السكة المطيعة . وفي كلتا النسختين :
« المطيعة » . وما أثبتناه هو ما يستقيم به السمع الذى التزمه المؤلف فى بعض فقراته .
(٢) فى (أ) : « بعد تشبك » . وفى (ب) : « بعد بسبك » ؛ وهو تحريف
فى كلتا النسختين .

(٣) المزرون الذى يجعل صدعيه كالزروين ، وهى الحلقة .
(٤) كذا فى (ب) والذى فى (أ) « المريج » ، ولا معنى له هنا .
(٥) المعرّص بتشديد الراء الذى يبت شعر عارضيه . كما يقال عدّ العلام بتشديد الدال
إذا ببت شعر عنذاره .

(٦) وبالكاس متعلق بقوله قبل : « لاه » .
(٧) كذا فى (ب) . والذى فى (أ) : « مقدار » مكان « بعد أن » ؛ وهو تحريف .

النَّوَاصِي حَتَّى تَمُنَ^(١) وَتُرْسِلَ ، وما طَالَبَكَ إِلَّا بعد أن أَرَاكَ عَمَلَكَ ، ولا عَاقِبَكَ إِلَّا بعد أن أُنْذَرَكَ وَأَنْظَرَكَ ، وَبِمَثَلِ هَذَا تُطَالِبُ أَنْتَ مَنْ هُوَ دُونَكَ مِنْ خَدَمِكَ وَحَشَمِكَ ، وَأَوْلِيائِكَ وَأَعْدَائِكَ ، وهذا الذي أَعْدَلْتُ عَلَيْهِ هُوَ الذي به نَعْدُلُ غَيْرَكَ وَنَرَاهُ ضَالًّا فِي مَسَلِكِهِ ، مَتَعَرِّضًا لِمَهْلِكِهِ .

فقال : أَتُظَلِمُنِي وَلِيُّ نِعَمَتِي صُراخًا بلا ذَنْبٍ ، وَيَجْتَاحُنِي^(٢) بلا جَرِيْمَةٍ ؛ وَيُثَلِّمُ دَوْلَتَهُ بلا حُجَّةٍ ؟

قلتُ : اللهُ يَبْقِيكَ وَيَكْفِيكَ ، نَرَاكَ بلا ذَنْبٍ ، وَبِحِدِّكَ رِيئًا مِنْ كُلِّ عَيْبٍ ، وَغَيْرُكَ لا يَرَاكَ ههذه العَيْنِ ، ولا يَحْكُمُ لَكَ ههذه الحُكْمُ ؛ فَإِنْ كُنْتَ تَرَى فُرْصَةً فَاتْهَرِزْهَا ، وَإِنْ كُنْتَ تَحْلُمُ بِفُصَّةٍ^(٣) فَاحْتَرِزْ مِنْهَا ؛ وَأَنْوَابُ النِّجَاحِ مُفْتَتِحَةٌ . وَطَرِيقُ الْأَمَانِ مُتَوَجِّهَةٌ ، وَالْأَخْذُ بِالْأَحْتِيَاظِ وَاجِبٌ ، قَدْ قَرُبَ الشَّائِخُ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ . وَالْقِيَامَةُ قَدْ قَامَتْ بِالْإِرْجَافِ ، وَالطَّيْرَةُ قُشْعَمِرِيَّةُ النَّفْسِ ، كَمَا أَنَّ الْقَشْعَمِرِيَّةَ طَيْرَةُ الْبَدَنِ ، وَالْأَسْتِرْسَالُ كَلَالُ الْحَسَنِ ، وَالْقَالَ لِسَانُ الزَّمَانِ ، وَعُمُومَانُ الْحَدَثَانِ ، وَلَا يَقَعُ فِي الْأَمْوَالِ إِلَّا مَا يُوجِبُ الْخَذَرُ ، وَبَيَعَتْ عَلَى الرَّأْيِ وَالنَّظَرِ ، وَاسْتَقْرَأَ الْأَثَرَ وَالْخَبَرَ .

قال : أَمَّا أَنَا بَعْدَ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ فَقَدْ اسْتَظْهَرْتُ بِمُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ صَاحِبِ نَيْسَابُورٍ ، وَبَفَخْرِ الدَّوْلَةِ وَهُوَ بِهَذَانِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَبِعِزِّ الدَّوْلَةِ

(١) فِي (١) : « تَمَلَّ وَتُرْسِدُ » . وَفِي (ب) : « تَمَدَّ » مَكَانَ « تَمَلَّ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا الْمَخْنِيحَيْنِ صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا . وَتَمُنْ وَتُرْسِلْ . أَيْ تَمُنْ بِالْعَمَلِ عَنْ أَسَاءٍ ، وَتُرْسِلْ مِنْ أَمْسِكَ ، أَيْ تَطْلُقْهُ .

(٢) كَذَا فِي (ب) . وَالَّذِي فِي (١) : « يَجْمِينَا » .

(٣) فِي (١) : « بَعْضُ » بِالْعَيْنِ وَالضَّادِ . وَفِي (ب) : « بَقِصَةٌ » بِالْقَافِ وَالضَّادِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا .

وهو بمدينة السّلام ؛ ومتى حَرَبَ حَارِبَ ، وَرَابَ رَائِبَ ، أُوتِيتُ إلى واحدٍ من هؤلاء .

قال : قلتُ : ها هنا ما هو أسهلُّ مِنْ هذا وإن كان أهولَ ، وأنجى وإن كان أشجى ، وأقربَ وإن كان أعزَبَ .

قال : ما هو ؟ رَجِّعْ عَنِّي وأُهدِنِي .

قلتُ : لَمَّا يَدْخُلُ هَذَا الْوَارِدُ [الدَّارَ] ، وَيَذْنُو مِنْ طَرَفِ الْبَسَاطِ ، يُنْذِرُ رَأْسَهُ عَنْ كَاهِلِهِ ، وَتُلْقَى سِلَوهُ فِي مِزَالَةٍ ، فَإِنَّ الْهَيْبَةَ تَقَعُ ، وَالنَّائِرَةَ نَحْبُو ، وَالْعَجَبَ يَغْمُرُ ، وَالظَّنَّةَ تَزُولُ ، وَالصَّدْرَ يَشْتَفِي ، وَالْأَعْتَذَارَ يَنْتَفِي ؛ وَيُكْتَبَ إِلَى مُؤَيِّدِهِ أَنَّ الرِّأْيَ أَوْجَبَ هَذَا الْفِعْلَ ، لِأَنَّهُ غَلَبَ عَلَى الظَّنِّ أَنَّهُ وَافٍ لِكَيْدِ يُوصِلُهُ إِلَى ، وَبَلَاءِ يُعْرِضُهُ عَلَى ، فَأَزَلْتُ هَذَا الظَّنَّ بِالْيَقِينِ ، وَدَفَعْتُ الشُّبُهَةَ بِالْجَلَاءِ ، وَاسْتَخْلَصْتُ النُّورَ مِنَ الظُّلَامِ ؛ وَلِأَنِّ تَبْعِدَ سَافِطاً مِنْ خَدَمِكَ ، يَسْمُوهُ ظَى بِهِ مِنْ جِهَتِكَ ، وَيَقْدَحُ فِي طَاعَتِي لَكَ ، | وَيُضْرِمُ فِي بَارِ التُّهْمَةِ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ؛ خَيْرٌ لِي فِي نَصِيحَتِي لِدَوْلَتِكَ ، وَحَيْرٌ لَكَ | فِي بَقَائِي ^(١) عَلَى أَمْرِكَ وَهَنِكَ ، مِنْ أَنْ يَلْتَمِتَ ضَمِيرِي فِي سِيَاسَةِ دَوْلَتِكَ ، وَتَحُولَ نَيْتِي ^(٢) عَمَّا عَاهَدْتَ مِنَ الْقِيَامِ بِحَقِّ جُنْدِكَ وَرَعِيَّتِكَ ، وَحِمَظِ قَاصِدَتِكَ وَدَائِنَتِكَ .

فقال : هَذَا أَعْظَمَ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

وَلَيْتَنِي أَصَبْتُ بِهَذَا الرِّأْيِ ^(٣) أَمْراً عَلَا عَقْلُهُ ، فَيَقْبَلَهُ بِبَيَانٍ ، أَوْ يَرُدُّهُ

(١) كَذَا فِي (ب) . وَالَّذِي فِي (أ) : « نَائِي » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « بَيْنِي » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٣) وَرَدَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ هَكَذَا « وَلَيْتَنِي أَصَبْتُ مِنْ أَمْرِ بِهَذَا الرِّأْيِ عَلَى عَقْلِهِ » ؛ وَفِيهَا تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ وَتَحْرِيفٌ إِذْ لَا مَعْنَى لَهَا عَلَى هَذَا الْوَحْدِ ؛ وَلَعَلَّ الصَّوَابَ مَا أَثْبَنَّا .

بُزْهَان ، وَكَانَ يَقْوَى أَوْ يَضُمُّف ، وَيُقَدِّمُ عَلَيْهِ أَوْ يُحْجِمُ عَنْهُ ، فَإِنَّ الْمُبْرَمَ أَقْوَى مِنَ السَّحِيل ، وَالسَّمِينُ أَحْمَدُ مِنَ النَّحِيل ؛ ثُمَّ كَانَ مَا كَانَ . وَكَانَ مَشَايخُ الْعِرَاقِ وَالْجَبَلِ يَرَوْنَ مَا حَدَّثَ بِذَلِكَ الْفَتَى أَمْرًا فَرِيًّا ، وَظُلْمًا عَمَقَرِيًّا .

وَحَدَّثَنِي الْقَوْمَسِيُّ أَنَّهُ لَمْ يَتَقَدَّمْ بِذَلِكَ أَمْرٌ ، وَلَا سَبَقَ بِهِ إِذْنٌ ، وَلَكِنْ لَمَّا حَدَّثَ مَا حَدَّثَ ، وَقَعَ عَنْهُ إِمْسَاكٌ ، وَسُتِرَتْ السَّكَرَاهِيَّةُ وَالْإِنْكَارُ .

* * *

وَالْأُمُورُ أَيُّهَا الْوَزِيرُ ظُهُورٌ وَبُطُونٌ ، وَهَوَادٍ وَأَعْمَازٌ ، وَأَوَائِلُ وَأَوَاخِرُ ؛ وَلَيْسَ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يُدْرِكَ النِّجَاحَ فِي الْعَوَاتِبِ ، وَإِنَّمَا عَلَيْهِ أَنْ يَتَحَرَّزَ فِي الْمَبَادِي ؛ وَلِهَذَا قَالَ الْقَائِلُ :

لَأْمُرٍ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهُ
وَقَالَ سَلِيمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَوْ غَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ : مَا لَعَنْتُ نَفْسِي عَلَى
فَوْتِ أَمْرٍ بَدَأْتُهُ بِحَزْمٍ ، وَلَا أَحْدِثُهَا عَلَى دَرْكِ أَمْرٍ بَدَأْتُهُ بِعَجْزٍ .
هَاهُنَا نَاسٌ إِذَا تَلَاقَوْا يَنْفُثُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ بِمَا هُوَ صَرِيحٌ وَكِنَايَةٌ ،
وَيَحْتَاجُ الْأَمْرُ إِلَى ابْنِ يَوْسُفَ ، وَيَسْتَمْلِي^(١) الْخَبِيثُ مِنَ الْجَالِسِ فَوْقَ مَشْرِعَةٍ
مَكَانَ الرَّوَايَا .

^(٢) وَلَيْسَ بِصَحُّ كُلِّ مَا يُقَالُ فَيُرَوَّى عَلَى وَجْهِهِ ، وَلَيْسَ يَخْفَى أَيْضًا كُلُّ
مَا يَتَجَرَّى فَيُمَسَّكُ عَنْهُ ؛ وَالْأُمُورُ مَرَجَّةٌ ، وَالصُّدُورُ حَرَجَّةٌ ، وَالْأَحْتِرَاسُ

(١) عبارة (١) : « وَمُسْلِمُ الْحَبِيثِ مِنَ الْحَالِينَ فَوْقَ مَشْرِعَةٍ » ؛ وَفِيهَا تَحْرِيفٌ ظَاهِرٌ
وَفِي (ب) : « الْحَبِيثُ » مَكَانَ « الْحَبِيثِ » ؛ وَهُوَ تَصْغِيفٌ أَيْضًا . وَيُرِيدُ بِالْحَبِيثِ ابْنَ يَوْسُفَ .
(٢) . وَرَدَ فِي (١) قَبْلَ قَوْلِهِ : « وَلَيْسَ بِصَحِّ » قَوْلُهُ : « فَصْل » .

واجب ، والنصحُ مقبول ، والرأى مُشترَك ، والثقةُ بالله من اللوازمِ على مَنْ عَرَفَهُ وآمَنَ بِهِ ، وليس مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بُدٌّ على كُلِّ حال .

واللهُ أسألُ الدفاعَ عنكَ ، والوقايةَ لك ، في مُحِبِّحِكَ ومُمسَاكِ ، وفي مَبِيتِكَ ومَقِيلِكَ ، وشهادَتِكَ وَغَيْبَتِكَ ، ولذوى مَليحاً^(١) في هذا الباب نَفْحٌ وإيقاد ، وتَنَاقُلٌ وأَثْمَارُ^(٢) ، ومَسْئَلَةٌ وجَوَاب .

وعند الشيخ أبي الوفاء مِنْ هذا الحديث ومن غيره ممَّا يَتَّصِلُ بِهِ مِنْ ناحيةِ ابنِ اليزيدي ما يجب أن يُصَاحَّ لَهُ بِالْأُذُنِ الواعية ، ويُقَابَلَ بِالنَّفْسِ الراعية ، وَيُدَاوَى بِالدَّوَاءِ الناجع ، وَتُحَسِّمَ مَادُّهُ مِنَ الْأَصْلِ ، فَإِنَّ الْفَسَادَ إِذَا زَالَ حَصَلَ مَكَانَهُ الصَّلاح . وليس بَعْدَ الْمَرَضِ إِلَّا الْإِفْرَاق ، ولا بَعْدَ النَّزْعِ إِلَّا الْإِغْرَاق .

إلى هاهنا انتهى نَفْسِي بِالنُّصْحِ وَإِنْ كَانَتْ شَفَقَتِي^(٣) تَتَجَاوَزُهُ ، وَحِرْصِي يَسْتَعْلِي عَلَيْهِ ، لَكِنِّي خَادِمٌ ، وكما يجب على أن أَحْدُمَ بِنِيتِ^(٤) الصدر ، فينبغي أن أُلْزِمَ الْحَدَّ بِحُسْنِ الْأَدَب .

واللهُ إِنِّي لَوَادٌّ مُخْلِصٌ ، وَعَبْدٌ طَائِعٌ ، وَرَجَائِي الْيَوْمَ أَقْوَى مِنْ رَجَائِي أَمْسَ ، وَأُمَلِّي غَدًا أَبْسَطَ^(٥) مِنْ أُمَلِّي الْيَوْمَ ؛ أَشْكُو إِلَيْكَ الْأَرْقَ بِاللَّيْلِ وَكُفْرًا فِيمَا يُقَالُ ، وَتَحَفُّظًا^(٦) مِمَّا يُنَالُ ، وَتَوْهُمًا لِمَا لَا يَكُونُ [إِنْ كَانَ] ، وَشَرُّ الْعِدَا ، الَّذِينَ يَتَمَتَّنُونَ لِأُولَى نِعْمَتِهِمُ الرَّدَى ، وَيَبَيِّتُونَ النِّكَائِثَ^(٧) ،

(١) كذا وردت هذه العبارة في (ب) ولم يبين من هم ذوو مَليحاً .

(٢) وكَلَّمَا النِّسْجَيْنِ : « وتناقل وأثمار » ؛ وهو تصحيف .

(٣) في كلتا النسختين : « شفتي » ؛ وهو تحريف .

(٤) في (أ) : « نيتي » . وفي (ب) : « نيت » ؛ وهو تصحيف .

(٥) في (ب) : « أسط » . (٦) في (ب) : « غيظا » .

(٧) في (ب) : « البيات » ؛ وهو تحريف .

وَيَكْسِرُونَ الْأَجْفَانِ^(١) ، وَيَتَخَازِرُونَ بِالْأَعْيُنِ ، وَيَتَجَاهَرُونَ بِالْأَذْيِ إِذَا تَلَاقَوْا ، وَيَتَهَامَسُونَ بِالْأَلْسُنِ إِذَا تَدَانَوْا ، وَاللَّهُ يُصْرَعُ جُدُودَهُمْ ، وَيُضْرَعُ خُدُودَهُمْ .
 بَيْنَ يَدَيْكَ ؛ وَهَذِهِ الرَّقَّةُ مِنِّي وَالْحَفَاوَةُ ، وَهَذِهِ الرُّعْشَةُ وَالْقَلَقُ ، وَهَذَا التَّقْمِيعُ
 وَالتَّفْرِعُ كُلُّهُ ، لِأَنِّي مَا رَأَيْتُ مِثْلَكَ ، وَلَا شَاهَدْتُ شَيْهَكَ ، كَرَّمَ خَيْمَ ،
 وَلَيْنَ عَرِيكَهَ ، وَجُودَ بَنَانِ ، وَحُضُورَ بَشَرِ ، وَتَهْلُلَ وَجْهَ ، وَحُسْنَ وَعْدَ ،
 وَقَرَبَ إِنْجَازَ ، وَنَذَلَ مَالَ ، وَحُبَّ حِكْمَةٍ^(٢) .

قَدْ شَاهَدْتُ نَاسًا فِي السَّمَرِ وَالْحَصَرِ ، صِغَارًا وَكِبَارًا وَأَوْسَاطًا ، فَمَا
 شَاهَدْتُ مَنْ نَدَيْنُ بِالْمَجْدِ ، وَيَتَحَلَّى^(٣) بِالْجُودِ ، وَيَرْتَدِي بِالْعَفْوِ ، وَيَتَأَزَّرُ^(٤) .
 بِالْحِلْمِ ؛ وَيُعْطَى بِالْجُرَافِ ، وَبِفَرَحٍ بِالْأَضْيَافِ ، وَيَصِلُ الْإِسْعَافَ بِالْإِسْعَافِ ،
 وَالْإِتْحَافَ بِالْإِتْحَافِ ، غَيْرَكَ .

وَاللَّهُ إِنَّكَ لَتَهَبُ الدَّرْهَمَ وَالْدِينَارَ وَكَأَنَّكَ غَضَبَانُ عَلَيْهِمَا ، وَتُطْعِمُ الْصَادِرَ
 وَالْوَارِدَ كَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَسْتَخْلَفَكَ عَلَى رِزْقِهِمَا ؛ ثُمَّ تَتَجَاوَزُ الذَّهَبَ وَالْفِصَّةَ إِلَى
 الثِّيَابِ الْعَزِيزَةِ ، وَالْخِلَعِ النَفِيسَةِ ، وَالْخَيْلِ الْعِتَاقِ ، وَالْمَرَآكِبِ الثَّقَالِ ، وَالْغِلْمَانِ
 وَالْجَوَارِي ، حَتَّى السَّكْتَبِ وَالِدَفَاتِرِ وَمَا يَضُنُّ بِهِ كُلُّ جَوَادٍ ؛ وَمَا هَذَا مِنْ
 سَجَايَا الْبَشَرِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فَاعِلٌ هَذَا بَيْتًا صَادِقًا ، وَوَلِيًّا لِلَّهِ مُجْتَبَى ، [فَإِنَّ اللَّهَ
 قَدْ أَمَّنَ هَذَا الصَّنْفَ مِنَ الْفَقْرِ ، وَرَفَعَ مِنْ قُلُوبِهِمْ عَرَّ الْمَالِ] ، وَهُوَ نَ عَلَيْهِمَ

(١) فِي (١) : « الْأُفْجَار » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) كَذَا فِي (ب) . وَالَّذِي فِي (١) : « وَبَذَلَ مَا أَوْحَبَ حِكْمَةً » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ
 كَمَا لَا يَحْنِي .

(٣) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « وَيَتَحَلَّى » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَتَيْنَاهُ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ اِتِّعَالُ
 الْجُودِ بِمَا يَمْدَحُ بِهِ .

(٤) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « وَيَبَارِزُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

الإمراجَ عن كلِّ مُنْفِسٍ^(١) ، ياقوناً كان أو دُرّاً ، ذهباً كان أو فضّة ؛ كفاك الله عَيْنَ الحاسِدِينَ ، ووَفاك كَيْدَ المُفْسِدِينَ ، الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ بِالْأَمْسِ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهادِ ، وَكانُوا كَحَصَى فُجَعَلَتِهِمْ كَالْأَطْوادِ ؛ وَهم يَكْفُرُونَ أَيْادِيكَ ، وَيُوالُونَ أَعادِيكَ ، وَيَتَمَنَّوْنَ لَكَ ما أَرْجُو أَنَّ اللَّهَ يَعْصِبُهُ بِرُءُوسِهِمْ ، وَيُنْزِلُهُ عَلَى أرواحِهِمْ ، وَيُذِيقُهُمْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ ، وَيَجْعَلُهُمْ عِبْرَةً لِّكُلِّ مَنْ يَراهُمْ وَبَسْمَعُ بِهِمْ ، كانَ اللَّهُ لَكَ وَمَعَكَ ، وَحافِظَكَ وَناصِرَكَ .

أُطِلْتُ الْحَدِيثَ نَلِذّاً بِمُواجَهَتِكَ ، وَوَصَلَنَهُ خِدْمَةً لِّلْوَلَتِكَ ، وَكَرَّرْتُهُ تَوْفِعاً لِّحُسْنِ مَوْقِعِهِ عِنْدَكَ ، وَأَعَدْتُهُ وَأَبَدْتُهُ طَلِباً لِّلْمَكَانَةِ فِي نَفْسِكَ .

وَأَرْجُو إِنْ سَاءَ اللَّهُ إِلَّا أَحْرَمَ هَبَّةً مِنْ رِيحِكَ ، وَنَسِياً مِنْ سَحَرِكَ ، وَخَيْرَةً بِنَظَرِكَ . لَمْ أَوقُقْ فِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ الْآخِرَةِ ، وَاللَّهُ ما يَمُرُّ بِى يَأْسُ مِنْ إِنْعامِكَ وَأُفْؤِيهِ بِالرَّجاءِ ، وَلَا يَغْتَرِّبُنِي وَهُمْ فِي الْخَيْبَةِ لَدَبِكَ فَأَتَلَفَاهُ بِالْأَمَلِ . إِنَّمَا قَصَارَى أُمْنِيَّتِي إِذَا حُكِّمْتُ أَنْ أُعْطَى فَيْكَ سُؤْلِي بِالْبَقَاءِ الْمَدِيدِ ، وَالْأَمْرِ الرَّشِيدِ ، وَالْعَدْوِّ الصَّرِيعِ ، وَالْوَلِيِّ الرَّوَّيعِ ، وَالِدَوْلَةِ الْمُسْتَنْتَبَةِ ، وَالْأَحْوالِ الْمُسْتَحْبَةِ ، وَالْأَمالِ الْمَبْلُوغَةِ ، وَالْأَمانيِّ الْمُدْرَكَةِ ، مَعَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ الْفائِذِينَ ، بَيْنَ أَهْلِ الْحافِقِينَ ؛ وَاللَّهُ يُبْلِغُنِي ذَلِكَ بِطَوْلِهِ وَمَنَّةٍ .

وَأَخِرُ ما أَقول ، أَيُّها الْوزِيرُ : مُرُّ بِالسَّدَقَاتِ ، فَإِنَّها مَجْلِبَةُ السَّلَاماتِ وَالسَّكْرَاماتِ ، مَذْمُومَةٌ لِلْمَكَارِهِ وَالْآفَاتِ ؛ وَاهْجُرِ الشَّرابَ ، وَأَدِمِ النِّظَرَ فِي الْمُصْحَفِ ، وَانْزِعْ إِلَى اللَّهِ فِي الْأَسْتِخارةِ ، وَإِلَى الثَّمَناتِ بِالْأَسْتِشارةِ ؛ وَلَا تَبْجَلْ عَلَى نَفْسِكَ بِرَأْيِ غَيْرِكَ ، وَإِنْ كانَ خامِلاً فِي نَفْسِكَ ، قَلِيلاً فِي عَيْنِكَ ،

(١) كذا في (١) . والذي في (ب) : « معسر » ؛ ولا يستقيم معه الكلام الآتي بعد .

فَإِنَّ الرَّأْيَ كَالدَّرَةِ الَّتِي رُبَّمَا^(١) وَجِدْتَ فِي الطَّرِيقِ فِي الْمَرْبَلَةِ ، وَقَلَّ مِنْ فَرَعَ إِلَى اللَّهِ بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ ، وَإِلَى الصَّدِيقِ بِالْإِسْعَادِ^(٢) مِنْهُ ، إِلَّا أَرَاهُ اللَّهُ النَّجَاحَ فِي مَسْئَلَتِهِ ، وَالْقَضَاءَ لِحَاجَتِهِ ؛ وَالسَّلَامَ .

فَقَالَ لِي الْوَزِيرُ بَعْدَ مَا قَرَأَ الرِّسَالَةَ : يَا أَبَا سَمْرِدَ^(٣) ، بَيَّضْتُهَا ، وَعَجِجْتُ مِنْ تَشْقِيقِ الْقَوْلِ فِيهَا ، وَمِنْ لُطْفِ^(٤) إِبْرَادِكَ لَهَا ، وَمِنْ بِلَّةِ رِيكَتِكَ بِهَا .
وَاللَّهُ يُحَقِّقُ مَا نَأْمُلُهُ لَهُ ، وَنَرْجُوهُ لَأَنْفُسِنَا ، وَيَنْحَسِرُ عَنْهَا هَذَا الضَّبَابُ الَّذِي رَكَدَ عَلَيْنَا ، وَيَزُولُ الْغَيْمُ الَّذِي اسْتَعْرَضَ فِي أَمْرِنَا ، وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ .

رسالة في شكوى البؤس ورجاء المعونة وجّه بها المؤلف إلى الشيخ أبي الوفاء المهندس الذي كتب له المؤلف هذا الكتاب .
وختم كتابه بها .

أيها الشيخ ، سَلَّمَكَ اللَّهُ نَالِصْنَعِ الْجَمِيلِ ، وَحَقَّقَ لَكَ وَفِيكَ وَبِكَ غَايَةَ الْمَأْمُولِ .

هَذَا آخِرُ الْحَدِيثِ ، وَخَنَمَتُهُ بِالرُّسَائِنِ ، وَيَتَقَرَّرُ جَمِيعُ مَا جَرَى وَدَارَ^(٥) عَلَى وَحْهِهِ ، إِلَّا مَا لَمَمْتُ بِهِ شَعْتًا ، وَزَنَنْتُ^(٦) بِهِ لَفْظًا ، وَزِيدْتُ

(١) وَ (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : «لَمَّا» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي مَا أَتَيْنَا .

(٢) وَ (٢) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : «بِالْإِسْعَادِ» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .
وَسِيَاقُ الْكَلَامِ يَقْتَضِي مَا أَتَيْنَا .

(٣) وَ (٣) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : «يَا أَبَا سَمْرِدَ» .

(٤) وَ (٤) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : «لُطْفٌ» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٥) وَ (٥) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : «وَدَارَ» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٦) وَ (٦) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : «وَزَنَنْتُ» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

مَنْقُوصًا ، ولم أَظْلِمْ مَعْنَى بالتَّجْرِيف ، ولا مِلْتُ فِيهِ إِلَى التَّخْوِير^(١) ؛ وأَرْجُو
 أَنْ يَبْدِيضَ وَجْهِي عِنْدَكَ بِالرِّضَا عَنِّي ، فَقَدْ كَادَ وَعْدُكَ فِي عَنَابَتِكَ^(٢) يَأْتِي
 عَلَيَّ ، وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَحْفَظَ عِنَابَتَكَ عَلَيَّ ، كَسَابِقِ أَهْتَامِكَ بِأَمْرِي ،^(٣) حَتَّى
 أُمْلِكَ بِهِمَا^(٤) مَا وَعَدْتَنِيهِ مِنْ نَكْرِمَةٍ هَذَا الْوَزِيرُ الَّذِي قَدْ أَشْبَعَ كُلَّ جَائِعٍ ،
 وَكَسَا كُلَّ عَارٍ ، وَتَأَلَّفَ كُلَّ سَارِدٍ ، وَأَحْسَنَ إِلَى كُلِّ مُسِيءٍ^(٥) ، وَنَوَّهَ بِكُلِّ
 خَامِلٍ ، وَنَفَقَ^(٦) كُلَّ هَزِيلٍ ، وَأَعَرَّ كُلَّ ذَلِيلٍ ؛ وَلَمْ يَبْقَ فِي هَذِهِ الْجَمَاعَةِ
 عَلَى فَقْرِهِ وَبُؤْسِهِ ، وَرُسْرَةٍ وَيَأْسِهِ ، غَيْرِي ؛ مَعَ خِدْمَتِي السَّالِمَةِ وَالْآرِيفَةِ ،
 وَبَذْلِي كُلِّ مَجْهُودٍ ، وَنَسْخِي كُلِّ عَوِيصٍ ، وَقِيَامِي بِكُلِّ صَعْبٍ ؛ وَالْأُمُورُ
 مُقَدَّرَةٌ ، وَالْحُظُوظُ أَتْسَامٌ ، وَالسَّكَدْحُ لَا يَأْتِي بِغَيْرِ مَا فِي الْأَوْحِ .

فصل

خَلَصْنِي أَيُّهَا الرَّجُلُ^(٧) مِنَ التَّكْكَفِ ، أَنْقِذْنِي مِنْ لُبْسِ الْعَقْرِ ، أَطْلِقْنِي
 مِنْ قَيْدِ الضَّرِّ ، اشْتَرِنِي بِالْإِحْسَانِ ، اعْتَبِدْنِي بِالشُّكْرِ ، اسْتَعْمِلْ إِسَامِي
 بِفُنُونِ الْمَدْحِ ، اكْفِنِي مُؤُونَةَ الْغَدَاءِ وَالْعِشَاءِ .

(١) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : « التَّجْوِيز » — نَالِجِمِ وَالرَّأْيِ ؛
 وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : « عَنَابَتِكَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ
 مَا أَتَيْنَا كَمَا يَقْتَضِيهِ سِيَاقُ الْكَلَامِ .

(٣) وَرَدَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ هَكَذَا « أَعْمَرَحِي »
 وَلَا مَعْنَى لَهَا عَلَى هَذَا الْوَجْهِ ؛ وَالصَّوَابُ مَا أَتَيْنَا . كَمَا يَقْتَضِيهِ السِّيَاقُ .

(٤) بِهِمَا ، أَيْ بِالْعَنَاءِ وَالْإِهْتِمَامِ .

(٥) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : « نَسِيءٌ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٦) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : « وَتَنَقَّى » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٧) بَرِيدٌ بِالرَّجُلِ أَنَا الْوَفَاءُ وَهُوَ الَّذِي قَرَّبَهُ إِلَى الْوَزِيرِ

إِلَى مَتَى الْكَسِيرَةُ الْيَابَسَةُ ، وَالْبَقِيَّةُ الذَّائِيَةُ ، وَالْقَمِيصُ الْمَرْقَعُ ، وَبِاقِي
دَرْبِ الْحَاجِبِ ، وَسَدَاثُ دَرْبِ الرَّوَاسِينِ ؟

إِلَى مَتَى التَّادُّمُ بِالْخُبْزِ وَالزَّبْتُونِ ؟ قَدْ وَاللَّهِ بِحِجِّ الْخَلْقِ ، وَتَغْيِيرِ الْخَلْقِ ؛
اللَّهُ اللَّهُ فِي أَمْرِي ؛ أَجْبُرْنِي بِأَنِي مَكْسُورٌ ، اسْقِنِي بِأَنِي صَدِيدٌ ، أَغْثِنِي بِأَنِي
مَلْهُوفٌ ، شَهِّرْنِي بِأَنِي غُفْلٌ ، حَلِّئِي بِأَنِي عَاطِلٌ .

قَدْ أَذَلَّنِي السَّفَرُ مِنْ كَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ ، وَخَذَلَنِي الْوُقُوفُ عَلَى بَابِ بَابٍ ،
وَنَكِرَنِي الْعَارِفُ لِي ، وَتَمَاعَدَ عَنِّي الْفَرِيقُ مِنِّي .

أَغْرَكَ مِسْكُونِيهِ حِينَ قَالَ لَكَ : قَدْ لَقِيتُ أُنَا حَيَّانَ ، وَقَدْ أَخْرَجْتُهُ مَعَ
صَاحِبِ الْهَرِيدِ إِلَى قَوْمِيسِينَ ؟ !

وَاللَّهِ ثُمَّ وَحْيَانِكَ الَّتِي هِيَ حَيَاتِي ، مَا انْقَلَبْتُ مِنْ ذَلِكَ بِنَفْعَةٍ شَهْرٍ ، وَاللَّهِ
نَظَرْتُ لِي بِالْعَوْدِ ، وَإِنَّ الْأَرَاغِيْفَ اتَّصَلَتْ ، وَالْأَرْضَ اقْشَعَرَّتْ ، وَالنَّفُوسَ
أَسْتَوْحَشَتْ ، وَتَشَبَّهَ كُلُّ ثَعْلَبٍ بِأَسَدٍ ، وَفَتَلَ كُلُّ إِنْسَانٍ لِعَدُوِّهِ حَبْلًا
مِنْ مَسَدٍ .

أَيُّهَا الْكَرِيمُ ، ازْحَمْ ؛ وَاللَّهِ مَا يَكْفِينِي مَا يَصِلُ إِلَيَّ فِي كُلِّ شَهْرٍ مِنْ
هَذَا الرِّزْقِ الْمَقْتَرِ الَّذِي يَرْجِعُ بَعْدَ التَّقْتِيرِ وَالتَّيْسِيرِ إِلَى أَرْبَعِينَ دِرْهَمًا مَعَ هَذِهِ
الْمَوْوَةِ الْغَلِيظَةِ ، وَالسَّفَرِ الشَّاقِّ^(١) ، وَالْأَبْوَابِ الْمَحْجَبَةِ ، وَالْوُجُوهِ الْمَقْطَبَةِ ،
وَالْأَيْدِي الْمَسْمُورَةِ ، وَالنَّفُوسِ الصَّيِّقَةِ ، وَالْأَحْلَاقِ الدَّيْنِيَّةِ

أَيُّهَا السَّيِّدُ ، أَقْصِرْ تَأْمِيلِي ، اِرْزَعْ ذِمَامَ الْمَلْحِ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، وَتَذَكَّرْ

(١) وَرَدَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ هَكَذَا « وَالسَّعَرُ
الشَّارِي » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفُ صَوَابِهِ مَا أَثْنَدْنَا أَخْذًا مِنْ سِيَاقِ الْكَلَامِ .

العَهْدَ فِي مُحَبَّتِي ، طَالِبُ نَفْسِكَ مِمَّا نَقَطَعُ حُجَّتِي ، دَعْنِي مِنَ التَّعْلِيلِ الَّذِي لَا مَرَدَّ لَهُ ، وَالتَّسْوِيفِ الَّذِي لَا آخَرَ مَعَهُ .

ذَكَرَ الْوَزِيرَ أَمْرِي ، وَكَرَّزَ عَلَى أَذُنِهِ ذِكْرِي ، وَأَمَّلَ عَلَيْهِ سُورَةَ مِنْ شُكْرِي ، وَأَبْعَثَهُ عَلَى الْإِحْسَانِ إِلَى .

اِفْتَحَ عَلَيْهِ بَابًا يُغْنِي^(١) الرَّاغِبَ فِي اصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ لَا يَسْتَعْنِي عَنِ الْمَرْغَبِ ، وَالْفَاعِلُ لِلْخَيْرِ لَا يَسْتَوْحِشُ مِنَ الْبَاعَثِ عَلَيْهِ .

أَمِنَ جَاهَكَ فَإِنَّهُ مُحَمَّدٌ اللَّهِ عَرِيضٌ ، وَإِذَا جُدْتَ بِالْمَالِ وَجَدَ أَيْضًا نَاجِيَهُ ، فَإِنَّهُمَا أَخَوَانٌ .

سَرَّخِي رَسُولًا إِلَى صَاحِبِ الْبَطَائِحِ أَوْ^(٢) إِلَى أَبِي السُّؤْلِ الْكَرْدِي^(٣) أَوْ إِلَى غَيْرِهِ مِمَّنْ هُوَ فِي الْجَمَالِ ، هَذَا إِنْ لَمْ تُؤَهِّلْنِي بِرِسَالَةٍ إِلَى سَعْدِ الْعَالَمِيِّ بِأَطْرَافِ الشَّامِ ، وَإِلَى الْبَصْرَةِ ، فَإِنِّي أَبْلُغُ فِي تَحْمِيلِ مَا أَجِئُ ، وَأَدَاءِ مَا أُؤَدِّي ؛ وَتَرْيِينِ مَا أُزَيِّنُ ، حَدًّا^(٤) أَمْلِكُ بِهِ الْحَمْدَ ، وَأُعْرِفُ فِيهِ النَّصِيحَةَ ، وَأُسْتَوْفِي فِيهِ عَلَى الْغَايَةِ . دَعْ هَذَا ، وَدَعْ لِي أَلْفَ دَرَاهِمٍ ، فَإِنِّي أَخِذْتُ رَأْسَ مَالٍ ، وَأَشَارِكُ بِقَالَ الْمَحَلَّةِ فِي دَرْبِ الْحَاحِبِ ، وَلَا أَفْلَأُ مِنْ دَا ، نَقَدْتُ إِلَى كَسْبِ^(٥) الْبَقَالِ حَتَّى يَسْتَعِينَنِي بِأَبِيعَ الدَّقَاتَرِ . فَاثَتْ : الْوَرِيرُ

(١) وَ (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام : « يمي » بالون ؛ وهو تحريف سواه ما أثبتنا .

(٢) وَ (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام : « لوالى » ؛ وهو تحريف .

(٣) كذا ورد هذا الاسم في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام دون (ب) ولم نهتد إلى وجه الصواب فيه .

(٤) وَ (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام : « حداء » بالهم ؛ وهو بصحيف .

(٥) كذا ورد هذا الاسم بالكاف والسين والهم في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام ؛ ولم نقف على وجه الصواب فيه .

مَشْغُولٌ . فما أَصْنَعُ بِهِ إِذَا وَرَغَ ، فالشاعرُ يقول :

« تَمَاطُ بِكَ الْآمَالُ مَا اتَّصَلَ الشُّغْلُ »

قد والله نَسِيتُ صَدَرَ هَذَا الْبَيْتِ ، وما نال^(١) غَيْرِي مُنَوَّلُهُ وَيُمَوَّلُهُ مَعَ
تُغْلِهِ^(٢) وَأُخْرَمَ أَنَا ؟ ! أَنَا كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

وَبَرَقَ أَضَاءُ الْأَرْضِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا وَمَوَضِعُ رِجْلِي مِنْهُ أَسْوَدُ مُظْلِمٌ
وَاللَّهُ إِنَّ الْوَرِيرَ مَعَ أَشْغَالِهِ الْمَتَّصِلَةِ ؛ وَأَنْقَالَهِ الْبَاهِظَةُ ، وَكَرِهَ الْمَقْصُوضُ^(٣) ،
وَرَأَيْهِ الْمَشْتَرَكُ ، لِكَرِيمٍ مُجَادِدٍ ، وَمُفْضِلٍ مُحْسِنٍ ، يَرَعَى الْقَائِلَ مِنَ الْحُرْمَةِ ،
وَيُعْطِي الْجَزَلَ مِنَ النِّعْمَةِ ، وَيُحَافِظُ عَلَى الْيَسِيرِ مِنَ الذَّمِّ ، وَيَتَقَبَّلُ مَذَاهِبَ
السِّكْرَامِ ، وَتَتَلَذَّذُ بِالْتَّنَاءِ إِذَا سَمِعَ ، وَيَتَعَرَّضُ لِلشُّكْرِ مِنْ كُلِّ مُنْتَجِعٍ ،
وَيَزْرَعُ الْخَيْرَ ، وَيَخْصُدُ الْأَجْرَ ، وَيُوَاطِبُ عَلَى كَسْبِ الْمَجْدِ ، وَيَثَابِرُ عَلَى
أَجْتِلَابِ الْحَمْدِ ، وَتَنْخَدِعُ لِسَانُهُ ، وَيَتَهَلَّلُ فِي وَجْهِهِ الْآمِلُ ، وَلَا يَتَقَبَّوْا مِنْ
الْفَصَائِلِ إِلَّا فِي دُرَاهَا ، رَحِيمٌ بِكُلِّ غَادٍ وَرَائِحٍ ، وَلِكُلِّ صَالِحٍ وَطَالِحٍ .

وَأَنَا الْجَارُ الْقَدِيمُ ، وَالْعَبْدُ الشَّاكِرُ ، وَالصَّاحِبُ الْمَخْبُورُ ، وَلَسْكَتُكَ مُقْبِلٌ
كَالْمُعْرِضِ ، وَمُقَدَّمٌ كَالْمُؤَخَّرِ^(٤) ، وَمُوقِدٌ كَالْمُخْمَدِ ، تُذَيِّنِي إِلَى حَطْيٍ
بِشِمَالِكَ ، وَتَجْذِبُنِي عَنْ نَيْلِهِ بِيَمِينِكَ ، وَتُغْدِيَنِي بِوَعْدِ كَالْعَسَلِ ، وَتُعَشِّيَنِي

(١) وردت هذه العبارة في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام هكذا « وما نال

غيري سؤال وتحول مع شعله وآخر من أنا » ؛ وفيها تحريف ظاهر لا يستقيم به المعنى .

(٢) ينوِّله ويموِّله ، أى يُوَلِّه الوزير ويموِّله . مع شعله ، أى مع شغل الوزير .

(٣) المقصود ، أى المنعوق غير المجتمع .

(٤) في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام : « ومؤخر كالقدم » ؛ وفي

كلتا الكلمتين تقديم وتأخير من الناسخ ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

بَيَّاسُ كَالْحَنَظَلِ ، « وَمَنْ ^(١) كَانَ عَتَبَهُ عَلَى مِظَنَّةِ عَمِّكَ ، فَلَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ تَقْصِيرُهُ عَلَى تَبَيُّقِهِ ^(٢) بِنَصْرِكَ » .

بِمَ ؛ عَتَبْتُ فَأَوْجَعْتُ ، وَعَرَفْتُ الْبَرَاءَةَ فَهَلَّا نَفَعَتْ ؟ ، اللَّهُ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ ، إِنْ شَكَرْتُكَ عَلَى ظَاهِرِكَ الصَّحِيحِ لَذَعْتُكَ لِبَاطِنِكَ السَّقِيمِ ، وَإِنْ حَمَدْتُكَ عَلَى أَوَّلِكَ الْجَمِيلِ ، أَفْسَدْتُ لِأَحْرَكَ الَّذِي لَيْسَ بِجَمِيلٍ .

قَدْ أَطَلْتُ ، وَلَسَكُنْ مَا شَفِيتُ ، وَنَهَيْتُ وَعَلَّيْتُ ، وَلَسَكُنْ مَا رَوَيْتُ .
وَأَخِرُ مَا أَقُولُ : إِفْعَلْ مَا تَرَى ، وَأَصْنَعْ مَا تَسْتَحْسِنُ ، وَأَبْلُغْ مَا تَهْوَى ،
فَلَيْسَ وَاللَّهِ مِنْكَ بُدٌّ ، وَلَا عَنْكَ غِنَى .

وَالصَّبْرُ عَلَيْكَ أَهْوَنُ مِنَ الصَّبْرِ عَنْكَ ، لِأَنَّ الصَّبْرَ عَنْكَ مَقْرُونٌ
بِالْيَاسِ ، وَالصَّبْرَ عَلَيْكَ رُبَّمَا يُؤَدِّي إِلَى رَفْعِ هَذَا الْوَسْوَاسِ ، وَالسَّلَامُ
لِلْأَهْلِ السَّلَامِ .

صورة ما كتبه الناسخ في آخر النسخة المرموز إليها بحرف (ا)

تم الجزء الثالث من كتاب « الإمتاع والمؤانسة » بحول الله وحسن توفيقه ،
في شوال سنة خمس عشرة وثمانمائة ، على يد أضعف العباد شرف بن أميرة ،
أصلح الله شأنه ، في مصر المحروسة ، حماها الله تعالى من الآفات والعاهات ،
ومن عوادي الزمان آمين يا رب العالمين .
تم الكتاب

(١) كذا ورد هذا الكلام في الأصل . وفيه تحريف طاهر لم نهند إلى وجه
الصواب فيه
(٢) على تبقيقه ، أى مع تبقيقه . « ويكون » هنا تامة .

فهرست الإعلام

الواردة في الجزء الثالث من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدي

(١)

- | | |
|----------------------------------|---|
| ابن حجاج الشاعر — ١٥٣ ح | الآمدى — ٢٧ |
| ابن حذقيار — ١٤٨ ح | إبراهيم بن الجيد — ٤ |
| ابن حرسار = أبو محمد | إبراهيم (الخليل) — ٣ ، ٧٨ |
| ابن حسان القاضي — ١٥٤ ، ١٥٧ | الأبرش السكلى — ١٧٣ ، ١٧٤ |
| ابن حفص (صاحب الديوان) — ٢١٣ | ابن أبي البغل — ٤٧ |
| ابن درستويه — ٢١٣ | ابن أبي بكر — ٥ |
| ابن الدقاق — ١٦١ | ابن أبي عمرة الصمراي — ٧٦ ح |
| ابن دينار — ٤٧ | ابن الأنبر — ٧٢ ح |
| ابن رباط السكوفى شيخ الكرخ ونائب | ابن أحمد — ٢٠٦ |
| الشيعة — ١٥٣ ، ١٩٧ | ابن الأخشاد — ١٩٦ |
| ابن الربيع — ١٨٢ | ابن آدم — ٢٨ |
| ابن زرعة البصري = أبو علي | ابن آدم الناحر — ١٥٣ |
| ابن زياد = عبد الله | ابن أسادة — ٢٨ |
| ابن السراج — ٢١٦ | ابن الأعرابي — ١٤ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ٤٨ ، ٥٤ ، ٨١ ، ٧٣ |
| ابن سكرة — ٧٧ | ابن أبوب القطان — ١٥٣ |
| ابن السكيت = يعقوب | ابن بدر — ٤١ |
| ابن سلام — ٢٩ | ابن برمويه — ١٩٨ |
| ابن السماك — ١٥٨ | ابن البقال — ١٩٠ ، ١٩٥ ، ٢١٣ |
| ابن سمعون — ١٤٧ | ابن الثلاث — ١٩٦ |
| ابن سورين — ٢١٢ ، ٢١٣ | ابن حلة — ١٩٨ |
| ابن سيار القاضي = أبو بكر | ابن الجصاص الصوفى — ٧٧ |
| ابن سيرين — ٣ | ابن حبيب — ٢٧ ، ٣٥ ، ٤١ |
| ابن شاهويه = أبو بكر | |
| ابن صيفى — ١٦٥ ح | |
| ابن ضمون الصوفى — ٧٦ | |
| ابن الضحاك بن قيس الفهرى — ١٦٥ | |

أبو أحمد الموسوى — ١٦١
 أبو أحمد بن الهيثم — ٢١٣
 أبو الأرضة — ١٦٠
 أبو إسحاق الصائفي — ١٥٩ ، ٢١٣
 أبو الأسود الدؤلى — ٣٣ ، ١٧٦
 أبو أمية بن العيرة — ٥٣
 أبو أيوب الأنصارى — ١٠
 أبو ردة بن أبى موسى الأشعرى — ١٧٧
 أبو بكر بن شاهويه — ١٤٨ ، ١٤٩
 أبو بكر أحمد بن إبراهيم — ٧
 أبو بكر الرازى — ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٨
 أبو بكر الرهرى — ٢١٣
 أبو بكر بن سيار القاضى — ١٥٤
 أبو بكر الصديق — ١٠ ، ١٠٣
 ١٦٦ ، ١٩٩
 أبو بكر = إسماعيل بن الربيع
 أبو تمام الربيعى — ١٠٠ ، ١٥٣ ، ٢١٣
 أبو تمام (الشاعر) — ١٨٥ ، ١٨٦
 أبو الحراح (ابن عياش) — ٥٢ ، ٥٥ ، ١٧٦
 أبو جعفر المصور (الحليمة) — ١٥٩ ح ، ١٨٠ ، ١٨١
 أبو الحوراء — ٣١
 أبو حاتم — ٨١
 أبو الحارث حميد — ٣٩
 أبو الحارث = الليث بن سعد
 أبو حازم المدنى — ٦
 أبو حامد الروردى القاضى — ١٠٠ ، ٢١٣ ، ١٨٨
 أبو حررة = حرير الشاعر
 أبو الحسن — ١٥٤
 أبو الحسن الصيرى — ٩٤
 أبو الحسن الطوسى — ١٢ ، ١٣ ، ١٤
 أبو الحسن العامرى — ٩٤

ابن طاهر — ٢٠٧
 ابن الطحان الضرير البصرى — ١٩٦
 ابن طبيان التميمى = عبيد الله رباد بن طبيان
 ابن عامر — ٨٤
 ابن عباد (الصاحب) — ٢ ، ١٨٤
 ابن عباس — ٧٢ ، ٧٦
 ابن عبد المصورى — ١٠٠
 ابن عبيد — ٥١
 ابن عبيد الكنانى — ٧٤
 ابن عطاء — ١٦٥ ح
 ابن علقمة — ٥٩ ح
 ابن عمر — ٥٩ ، ٥
 ابن عياش (المتوفى) — ١٧٢ ، ١٧٦
 ابن عسان البصرى — ٧٨
 ابن عسان القاضى — ١٥٣
 ابن فارس = أبو الفتح
 ابن فريجة — ٢١٣
 ابن قرارة العطار — ٧٥
 ابن القرية — ٤٨
 ابن كبرويه — ١٦٠
 ابن كيسان — ٦
 ابن المبارك — ٤
 ابن معروف القاضى — ١٠٠ ، ١٥٣ ، ١٨٨ ، ٢١٣ ، ٢١٧
 ابن مقلة = أبو على
 ابن مكرم — ٦٩ ، ١٥٣
 ابن نيرة — ٧٣
 ابن هيرة = عمر
 ابن الهيثم — ١٩٥
 ابن وصيف — ٢٠٦
 ابن اليزيدى — ٢٢٢
 ابن يوسف = عبد العزيز
 أبو أحمد الجرجانى — ١٥٤

أبو الحسن = علي بن عيسى الرمانى
 أبو الحسن الهيثم — ١٨
 أبو الحسين البقي — ١٠٠
 أبو حنيفة (الإمام) — ١٨٠
 أبو حيان — ٢٢٧
 أبو خالد أسيد — ١٦٦ ح
 أبو خالد السكات = أحمد
 أبو خالد مروان بن الحسك — (كذا)
 ١٨٠، ١٦٥
 أبو الخطاب الصابي — ٢١٣
 أبو خليفة المفضل بن الحباب — ٧
 أبو الحنفى — ١٨٣
 أبو الخير — ١٠٦
 أبو دلامة الأسدى — ٢٤
 أبو الدود — ١٦٠
 أبو الدنان — ١٦٠
 أبو ركرياء الراهد — ٩٢
 أبو ريد (الحوى) ٣٧، ١٨٥
 أبو رين = بكر بن بطاح
 أبو سعيد الحصرى — ١٩٢
 أبو سعيد الحدردى — ٥
 أبو سعيد الحرار — ٩٧
 أبو سعيد السيرافى — ٨٣، ١٢٩، ١٥٤
 ١٥٨، ١٧٨، ١٩٩، ٢٠٤، ٢١٣
 أبو سعيد بن العاص — ١٦٦
 أبو السمير — ١٦٦
 أبو سفيان (والد معاوية) — ١٧٨
 أبو سلمان المنطقى — ٨٦، ٩٧، ٩٩
 ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٢٤،
 ١٢٥، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٠،
 ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٥،
 ١٣٧، ١٦٣، ١٦٤، ١٨٧،
 ١٨٨، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٣،
 ١٩٧
 أبو السؤل السكردى — ٢٢٨
 أبو شاكر بن هشام بن عبد الملك — ١٧٢
 أبو صالح — ٧٦
 أبو الصلت — ٦١
 أبو طهيلة الحرمازى — ٨١
 أبو الطمعاى القبى — ٧٣
 أبو المناس (صاحب جيش آل سامان) — ٩١
 أبو العباس المبرد — ٥٤، ١٧٣، ح ١٨٦
 أبو عبد الله البصرى — ٢١٣
 أبو عبد الله (هشام) — ١٢
 أبو عبد الله الزيدى — ٧٥
 أبو عبد الله اليفرى — ٢١٣
 أبو عبيدة — ١٣، ٣٨، ٤٨
 أبو عثمان الآدى — ١٩٦
 أبو العلاء صاعد — ٢١٣
 أبو علقمة — ١٨٥
 أبو على — ١٢٩
 أبو على الحسن بن على القاضى التنوخى —
 ١٤٨
 أبو على = عيسى بن زرعة
 أبو على = عامر بن الطهيل
 أبو على القالى (صاحب الأمالى) — ٣٦ ح
 أبو على بن مقلة — ٧٥
 أبو عمر الشارى — ٧٦
 أبو عمرو — ٣٣، ٥٩
 أبو عمرو بن أمية — ٥٣
 أبو عيسى الوراق — ١٩٢
 أبو الغيباء — ٦٩
 أبو الفتح بن فارس — ٢٠٥، ٢٠٦
 أبو فراس (الفرزدق) — ١٦٨، ١٨٥
 أبو فرعون الشاشى — ٣٤، ٧٠
 أبو فرعون العدوى — ٧
 أبو الفضل العباس بن الحسين الوزير =
 العباس بن الحسين الوزير

أبو الحسن = علي بن عيسى الرمانى
 أبو الحسن الهيثم — ١٨
 أبو الحسين البقي — ١٠٠
 أبو حنيفة (الإمام) — ١٨٠
 أبو حيان — ٢٢٧
 أبو خالد أسيد — ١٦٦ ح
 أبو خالد السكات = أحمد
 أبو خالد مروان بن الحسك — (كذا)
 ١٨٠، ١٦٥
 أبو الخطاب الصابي — ٢١٣
 أبو خليفة المفضل بن الحباب — ٧
 أبو الحنفى — ١٨٣
 أبو الخير — ١٠٦
 أبو دلامة الأسدى — ٢٤
 أبو الدود — ١٦٠
 أبو الدنان — ١٦٠
 أبو ركرياء الراهد — ٩٢
 أبو ريد (الحوى) ٣٧، ١٨٥
 أبو رين = بكر بن بطاح
 أبو سعيد الحصرى — ١٩٢
 أبو سعيد الحدردى — ٥
 أبو سعيد الحرار — ٩٧
 أبو سعيد السيرافى — ٨٣، ١٢٩، ١٥٤
 ١٥٨، ١٧٨، ١٩٩، ٢٠٤، ٢١٣
 أبو سعيد بن العاص — ١٦٦
 أبو السمير — ١٦٦
 أبو سفيان (والد معاوية) — ١٧٨
 أبو سلمان المنطقى — ٨٦، ٩٧، ٩٩
 ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٢٤،
 ١٢٥، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٠،
 ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٥،
 ١٣٧، ١٦٣، ١٦٤، ١٨٧،
 ١٨٨، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٣،
 ١٩٧

أبو القاسم الحارثي — ١٨٨
 أبو القاسم أخو محمد القاصي — ٢١٧
 أبو القاسم = عبد العزيز بن يوسف
 أبو قحافة — ١٦٦
 أبو القمقام — ٦٩
 أبو الكرشاء — ٣٤
 أبو كعب الأنصاري — ١٥٤ ، ١٥٦ ،
 ١٩٦
 أبو لهب — ١٨٠
 أبو محمد = الحجاج بن يوسف الثقفي
 أبو محمد بن حربار (كذا) — ١٤٨
 أبو محمد الشالوسي — ١٥٣
 أبو محمد العروصي — ١٨٦
 أبو محمد العارسي — ٢١٣
 أبو محمد القاصي — ٢١٧
 أبو محمد = مسعر بن مكرم
 أبو محمد المهلب — ٢١٣
 أبو مرزوق — ٢٦
 أبو مزيد — ٢٢٥
 أبو مطر = عبيد الله بن زياد بن طبيان
 التيمي — ١٨٣
 أبو منصور القطان — ٤٥
 أبو موسى الأشعري — ١٧٧
 أبو النجم — ٢٥ ، ٢٦ ح
 أبو النفيس — ١٣٨
 أبو الواح — ١٦٠
 أبو هريرة — ٤٦
 أبو حام — ١٩٨
 أبو الوفاء المهدس — ١٥٤ ، ١٥٩
 ٢٠٧ ح ، ٢٢٢ ، ٢٢٥
 أبو يزيد البسطامي — ٩٧
 أبو يوسف (صاحب عبيد الملك بن مروان)
 — ١٦٨
 أحمد بن إبراهيم = أبو بكر
 أحمد بن أبي خالد السكاك — ٨٠
 أحمد بن روح الأهوازي — ٧٧
 أحمد الطويل — ٢١٣
 أحمد بن يوسف السكاك — ٨٠
 الأخنف بن قيس — ٥٩ ، ١٧٣
 الأخوص الشاعر — ١٨٤
 الأخطل الشاعر — ١٨٣
 أردشير — ٤٠
 أرسطوطاليس — ١٠٠
 استاينحاس — ٧٠ ح ، ٧٤ ح ، ٧٥ ح ،
 ١٧٥ ح
 إسحاق (الي) — ٧٨
 إسحاق الموصلي — ٧٩ ، ٨٠
 أسد بن عبد العزيز — ٥٣
 أسد المحاسبي — ٩٧
 أسعد بن زرارة — ١٠
 الإسكندر — ٩٨
 أسماء بن خارحة — ٢
 أسماء بنت عميس — ٧٢ ،
 ١٨٢
 أسود الربد — ١٦٠
 الأسود بن المطالب بن أسد بن عبد العزيز
 — ٥٣
 أسيد = أبو خالد
 الأصمعي — ٦ ، ١٣ ، ١٦ ، ١٨ ح
 ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٥٨ ، ٨١
 الأعشى — ١١ ، ٤٨ ، ١٧٤
 الأعمش — ٣
 أم أيوب — ٩
 أم البنين — ٦
 أم الحلال — ١٧٤
 أم الحنف — ١٨٣
 أم سلمة — ٧٢ ح

أبو القاسم الحارثي — ١٨٨
 أبو القاسم أخو محمد القاصي — ٢١٧
 أبو القاسم = عبد العزيز بن يوسف
 أبو قحافة — ١٦٦
 أبو القمقام — ٦٩
 أبو الكرشاء — ٣٤
 أبو كعب الأنصاري — ١٥٤ ، ١٥٦ ،
 ١٩٦
 أبو لهب — ١٨٠
 أبو محمد = الحجاج بن يوسف الثقفي
 أبو محمد بن حربار (كذا) — ١٤٨
 أبو محمد الشالوسي — ١٥٣
 أبو محمد العروصي — ١٨٦
 أبو محمد العارسي — ٢١٣
 أبو محمد القاصي — ٢١٧
 أبو محمد = مسعر بن مكرم
 أبو محمد المهلب — ٢١٣
 أبو مرزوق — ٢٦
 أبو مزيد — ٢٢٥
 أبو مطر = عبيد الله بن زياد بن طبيان
 التيمي — ١٨٣
 أبو منصور القطان — ٤٥
 أبو موسى الأشعري — ١٧٧
 أبو النجم — ٢٥ ، ٢٦ ح
 أبو النفيس — ١٣٨
 أبو الواح — ١٦٠
 أبو هريرة — ٤٦
 أبو حام — ١٩٨
 أبو الوفاء المهدس — ١٥٤ ، ١٥٩
 ٢٠٧ ح ، ٢٢٢ ، ٢٢٥
 أبو يزيد البسطامي — ٩٧
 أبو يوسف (صاحب عبيد الملك بن مروان)
 — ١٦٨

النورى — ١٣ ، ٣٢

(ج)

جابر (ابن عبد الله) — ٢٠ ، ٦٠

جابر بن قبيصة — ٢٥

الحافظ — ٢ ، ٣ ، ٢٥ ح

جالينوس — ١٢٩

الحرجاني — ٢١٧

الحرجاني — ٢١٧

حرير (الشاعر) — ٥٨ ، ٩ ح ، ١٦٧ ح ،

١٨٣ ح ، ١٨٢ ، ١٨٦

جعل — ١٥٤

جعفران الموسوس — ٨٣

جيز — ١٠٢

جميل — ١٦٨

الجديد بن عبد الرحمن — ١٧٩

الجديد بن محمد الصوفي البغدادي العالم — ٩٧

جهم — ١٩٦

الحواليق — ١٨٩

(ح)

حاتم الأصم — ٣ ح ، ٢ ، ٨٥

حاتم الطائي — ٤٢

الحاتمي — ١٢٦ ، ١٢٧

الحارث بن أسد المحاسبي — ٩٧

حاطب بن أبي بلتعة — ١٧٩

حامد اللعاف المتزهدي (كدا) — ٣

الحجاج (ابن يوسف الثقفي) — ٨٠

١٥٨ ، ١٦٨ ، ١٧٨ ، ١٨٢

الحجاعي — ٧١

حذيفة — ١٠٢

حسان (ابن ثابت) — ٣٨ ، ١٦٥ ، ١٧٥

أم عباد — ٥١

أم هشام السلوية — ١٨

أمية أخو خالد — ١٧١ ح

أمية بن عبد الله بن خالد — ١٧٠

الأندلسي (أبو العباس) — ١٨ ، ١٢٦

الأصمعي بن كعب — ١٩٦

أيوب بن طبيان — ١٦٧ ح

(ب)

بنية حميل — ١٦٨

البيعتي — ١٨٥ ، ١٨٦

بختيار (عز الدولة) — ١٥٣ ، ١٥٢ ، ٧٨

١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ٢١٩

بشار (ابن برد) — ٣١

بكر بن عبد الله المرني — ٣

بكر بن بطاح — ٥٠

بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري —

١٧٧ ، ١٨٥

بهرام — ٢١٠

بهرام حور — ١٧٥

بيان التماس بن سيمان التميمي — ١٧٦ ح

(ت)

النورى — ١٣ ح

(ث)

ثابت (ابن عبد الله بن الربيع) — ١٦٤ ،

١٦٦

الثعالي — ١٦٧ ح

ثعلب — ٥٢ ح

ثمامة (ابن حوشب) — ١٧١ ، ١٧٢ ح

الحسن — ٥

الحسن البصري — ٣٥، ٣٧، ١٥٨،

٢١٤، ١٦٠

الحسن بن سهل — ٨٣

الحسن بن علي بن أبي طالب — ٢، ١٨٠

الحسن بن علي القاصي التبوخي = أبو علي

الحكم بن أبي العاص — ١٦٤

حماد بن أبي سليمان — ٥

حماد بن أبي حنيفة — ١٨٠

حماد الراوة — ٦٧

حمالة الخطب ص — ١٨٠

حمدان — ٧٧

حمران — ١٨٤

حمزة بن بيس الحلي — ١٨٥

حمزة المصنف — ٨٣

حمزة ابن عاد (كدا) — ٤٩

حميد — ٨٣

الحبلوني (كدا) — ٢٨

حوشب — ١٩، ١٧٢

(خ)

خالد بن أسيد — ١٦٦، ١٧٠، ١٧١

خالد البرمكي — ١٥٣ ح

خالد الحصى — ٢٠١

خالد بن صعوان بن الأهم — ٦٠، ١٦٨

خالد بن عبد الله — ١٧٦ ح

خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد — ١٧٠

خالد بن عبد الله (القنبري) — ١٧٧

خالد القرشي — ١٧٠

خالد بن الوليد — ١٦٥

خالد بن يزيد بن معاوية — ١٧٨

خداش بن زهير — ١٧٢ ح

الخطاب (والد عمر) — ١٠٣

حديثجة (أم المؤمنين) — ١٨٢

الخليل — ٢١٧

خيثة — ٣

(د)

دهيف (كدا) — ٤٩، ٥٠

دوس — ٩

ديك الحن — ٣٤

(ذ)

ذو الرمة — ٦١ ح

دؤيب بن عمرو — ١٥

(ر)

الرصى — ١٥٠

رحاء بن سلمة — ١٥

رستم (صاحب الأعاجم) — ١٠٢، ١٠٤

رقية بن مصقلة — ٣٤

رويم — ٩٧

(ز)

زامل بن عمرو — ١٧٩، ١٨٠

البرقان بن بدر — ١٦٣

الزبير — ١٧١

الزبير الأسدي — ١٠٤ ح

الزبيرى — ١٤، ١٥٣

زفر بن الحارث السكلابي — ١٧٠، ١٧١

الزحفرى — ٧٢ ح

زمنة بن الأود — ٥٣ ح

الزهرى — ١٠٠، ١٥٣ ح

زهير (ابن أبي سلمى) — ٤١، ١٨٦

الزهيرى — ١٩٦

سمعان النيمى — ١٧٦ ح
 سنان بن أوى حارثة — ٨٢
 سنان بن مكمل — ١٦٧ ح
 سمجر — ٢١٥ ح
 السيراى = أبو سعيد

(ش)

الشالوسى = أبو محمد
 شرف بن ميرة — ٢٣٠
 شريك بن محمد — ١٦٧ ح
 الشعبي — ٣٢ ، ١٨٣
 شقيق اللخى — ٨٥
 شمر (ابن عاد) (كدا) — ٤٩
 الشدودى — ١٤

(ص)

الصايبى = أبو إسحاق
 صعصعة — ١٧٨
 صemie (أم المؤمنين) — ١٨٢
 صهيب — ١٠

(ض)

الضحاك بن قيس المهرى — ١٦٥ ، ١٧١

(ط)

طاهر بن محمد بن إبراهيم — ٢٠٦
 الطبرى — ١٦٧ ح ، ١٧٢ ح
 طعيل (ابن عاد) (كدا) — ٤٩
 طعيل العرائس — ٥٦
 طلحة بن عبد الله — ١٧٩

رياد — ٤٣ ، ٤٥ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٨٢ ،
 ١٧٤

(س)

سابق الزبيرى — ٧٤
 ساسنكر التركى (كدا) — ٢١٥
 سالم — ١٥
 سالم بن دارة — ١٦٧
 السرى — ٢١٣
 سعد بن أوى وقاص — ١٠٢ ، ١٠٣
 سعد بن عادة — ١٠ ، ١٦٩
 سعد المعالى — ٢٢٨
 سعيد بن سلمة — ٨٤
 سعيد بن العاص — ١٧ ح ، ١٦٦
 سعيد بن عبد الرحمن بن حسان — ١٦٨ ،
 ١٦٩
 سعيد بن عثمان بن عفان — ١٦٤
 سعيد بن أوى عروة — ٨٠
 سعيد بن المسيب — ٣١
 السفاح بن بكر — ٨٢
 سمويه القاص (صواه سمويه) — ٢٢
 سهيل الثورى — ٣٧
 سهيل بن معاوية الهلبى — ١٨١
 سلمان (أى سلمان) — ٨
 سلمان الفارسى — ٨٣
 سلمه — ٦٩
 سليمى — ٣٦
 سليمان بن ثوبة — ٧
 سليمان (ابن داود عليه السلام) — ٢٩ ،
 ١٠٣
 سليمان بن عبد الملك — ١٦٨ ، ١٧١ ،
 ٢٢١
 سماعة بن أشول — ٥١

طلحة بن عبيد الله — ٤٥
الطوسي — ١٣

(ع)

عادية بنت فرعة اليربيرة (كذا) — ٩
عاصر بن الطغيلة بن مالك بن حمصر بن
كلاب العامري — ٦٩
عاصر بن عبد القيس — ٨٤ ، ١٨٤
عائشة (أم المؤمنين) — ٧ ، ٦٩ ، ١٨٢ ،
١٩٩
عباد بن زياد — ١٦٨
العباس بن الحسين الورر — ٢١٣ ، ٢١٥
العبداني — ١٨٠
عبد الأعلى القاص — ١٥
عبد الرحمن بن الحارث بن هشام — ١٨١
عبد الرحمن بن حسان بن ثابت — ١٦٥ ،
١٦٨ ، ١٦٩
عبد الرحمن بن حوشب — ١٦٣
عبد الرحمن بن خالد بن الوليد — ١٦٥
عبد الرحمن بن سعيد القرشي — ٢٠١
عبد العزيز بن يسار — ١٨
عبد العزيز بن يوسف — ١٤٧ ، ١٤٨ ،
١٤٩ ، ٢٢١
عبد الله بن الربيع — ١٠٤ ح ، ١٦٤ ،
١٨٢
عبد الله بن صعوان بن أمية الحمصي — ١٨١
عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس —
٧٦
عبد الملك بن مروان — ٨٤ ، ١٦٤ ،
١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧١ ،
١٧٨ ، ١٨٢ ، ٢٠١
عبيد الله بن زياد — ١٧٦
عبيد الله بن زياد بن طبيان — ٤٨ ، ١٧٢

عبيد الله بن سلمان — ٨٩
عبيد الله بن عباس — ٤٢
عتبة بن أبي سفيان — ١٧٨
عثمان بن خالد — ١٩٥
عثمان بن رواح — ٤٠
عثمان بن عفان — ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٩ ،
١٨٣ ، ١٩٩
عدة الدولة — ١٥٦
عمر بن شتير — ١٦٧
عروة بن الربيع — ١٨٢
الغريان بن الهيثم الهجيمي — ١٧٧
عن الدولة = مختار — ١٥٢ ، ١٥٤ ،
١٥٧ ، ١٥٩ ، ٢١٩
عضد الدولة — ١٤٨
عطاء بن أبي سفيان — ١٦٥
عقبة — ٥٣
عقيل (ابن أبي طالب) — ١٨٠ ، ١٨٤
عقيل بن علفة — ٥٩
عكرمة بن ربعي الشيباني — ١٩
العلوي (صاحب الرنج) — ٤٣ ح
علي بن خالد الهجيمي — ١٧٣
علي بن أبي طالب — ٧٠ ح ، ١٨٣ ،
١٨٤ ، ١٩٧ ، ١٩٩
علي بن عبد الله — ١٧٨
علي بن عبد الله بن العباس — ٧٦
علي بن عيسى — ١٦
علي بن عيسى الرمانى (أبو الحسن) — ١٣٠ ،
١٣٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٨
علي بن محمد (رسول سنجستان) — ١٩٨
علي بن محمد دو السكمانين — ٢١٧
عمار — ١٩
عمار (ابن عاد) (كذا) ص ٤٩
العماني الشاعر — ٥٦
عمر (ابن الخطاب) — ١٠ ، ١٣ ، ٤٥ ،
٥٩ ، ٧٢ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٥ ، ١٠٢

الفضل بن العباس — ٧٩

(ق)

قتادة — ٦٧

قتيبة (ابن مسلم) — ٣٢ ، ١٧٢

قرعة بن عاد (كدا) — ٤٩

القومسي — ٢١٦ ، ٢٢١

قيس بن سعد بن عبادة — ١٦٩ ، ١٧

قيصر — ٢٠٣

(ك)

الكرّوسي الشاعر — ٢٩

كسج البقال (كدا) — ٢٢٨

كسرى — ١٧٥ ، ٢٠٣

الكلابي — ١٤

كلثوم بن الهدم — ١٠

الكلبيت — ١١

الكلدي — ١٣٣

كهمس (كدا) — ٧

(ل)

ليد ابن ربيعة ٦٩ ح

لفمان (الحكيم) — ٨٥

لفمان بن عاد — ٤٩

لقيط بن زرارة — ٧٢ ، ١٠١

لوسترانج — ١٦٠ ح

الليث بن سعد — ٤

(م)

مالك بن دينار — ٣

مالك (ابن عاد) — ٤٩

١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٧٨

عمر بن عبد العزيز — ٦ ، ١٨٣

عمر بن عمران — ٧

عمر بن هيرة الفزاري — ٣٩ ، ١٦٧ ،

١٧٦

عمرو بن الأهم التيمي — ١٦٣

عمرو بن العاص — ٤٥ ، ١٨١ ، ١٨٢ ،

١٨٣

عمرو بن عثمان المكي — ٩٧

العوامي — ٢٨ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ،

عيسى بن رعة — ٦٣ ، ٦٦ ، ١٢٧ ،

١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٤ ،

١٩٧

عيسى بن عمر — ١٦

عيسى بن مريم (عليه السلام) — ٣ ،

١٧٩

(غ)

عسان بن دهل — ٩ ح

العلائي — ١٧٤

عيلان بن خرشة — ٦٧

عيلان الواعظ — ١٨٢

(ف)

الفتح الموصلي — ٩٧

فخر الدولة — ٢١٩

الفراء — ١٣

فرح الرخبي — ١٢

الفرزدق — ٣١ ، ٣٤ ، ٥٩ ، ١٦٨ ،

١٨٥ ، ١٨٦

فريعة — ١٦٦

فضيل (رئيس الفرقة التي مدسب إليه) — ١٨٨

مطرف بن عبد الله بن الشخير — ٤٦
 المطلب بن أسد بن عبد العزى — ٥٣
 مطهر بن أحمد الكاتب — ٧٥
 المطيع لله (أمير المؤمنين) — ١٥٥
 معاوية (ابن أبي سفيان) — ٤٥ ، ٦٠ ،
 ١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ،
 ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢
 معاوية بن صمصمة — ١٦
 معاوية المهلبى — ١٨١
 المعتصم الخليفة — ١٠٥
 المعتضد (الخليفة) — ٨٨ ، ٨٩ ، ١٠٥
 المعتضى بن أنوب — ٢٠١
 معن بن أوس — ١٧
 معن بن رائدة — ١٨٠
 المعيرة بن شعبة — ٤٥
 المعجم — ٣٤
 المفضل الصي — ١٨٣
 المقوقس (ملك الإسكندرية) — ١٧٩
 المصور (أبو حمير الخليفة) — ٧٦ ، ١٠٥ ،
 ١٥٩ ، ١٨١
 منطور بن أنان — ١٧٨
 المهلب (ابن أنى صقرة) — ٨٥
 مهلهل (ابن ربيعة الشاعر) — ١٧
 موريس — ١٣٠
 الموصلى (أبو إسحاق) — ١٦١
 مديرة الرداس — ٧٩
 ميمون بن مهران — ٣

(ن)

النامية الشاعر — ٧٣ ، ١٨٦
 نصر بن سيار — ١٠١
 نضس (ابن عاد كندا) — ٤٩ ، ٥٠

مالك بن مسمع — ١٧٢ ، ١٧٣
 المأمون (الخليفة) — ١٠٤ ، ١٠٥ ، ٢٠١
 المرد = (أبو العباس)
 المتنبى الشاعر — ٦٦ ح
 مجاهد — ٤٢
 المحبى — ٦٠ ح
 المحسن الضى — ٨١
 محمد بن إبراهيم — ٩١ ، ٢٠٦ ، ٢١٩
 محمد بن بشير — ٢٨
 محمد بن رقية — ٢١٦
 محمد بن خالد القرشى — ١٧٠
 محمد بن صالح بن شيدان — ١٥٣
 محمد الصوفى بغدادى العالم — ٩٧
 محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) —
 ١٠٣ ، ١٥٥
 محمد بن عمارة — ١٦٦
 محمد بن عمر (الشريف) — ١٠٠
 المدائنى — ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ،
 ١٦٧ ، ١٧١ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ،
 ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ،
 ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤
 مرهيد (ابن حوشب) — ١٧١ ، ١٧٢ ح
 مرعوش (رئيس الطائفة المرعوشية) — ١٨٨
 المرقش الأكبر — ٤٣
 مروان بن الحكم = أبو خالد
 مرتب — ٧١ ، ٧٨
 مسافر بن أنى عمرو بن أمية — ٥٣
 مسعر بن مكرم — ٣٤
 مسكويه — ٢٢٧
 مسكين الدارمى — ١٧٧
 مسلم بن قنينة — ٣٣ ، ٢٠٠ ، ٢٠١
 مسلمة بن عبد الملك — ١٦٣ ، ٢٠١
 المسيح (عليه السلام) — ١٩٧
 مصعب بن الربيع — ١٨ ح ، ١٧٠

وكيع بن الجراح — ١٧٨ ، ٧٦
الوليد — ١٧٢ ح
الوليد العنبري — ١٦٧

(ي)

ياقوت — ١٨ ح ، ١٦٠ ح
يحيى بن أكرم — ٧٦
يحيى بن الحكم (أخو مروان) — ١٨٠ ح
يحيى بن خالد البرمكي — ١٥٣ ح
يحيى بن زكريا — ١٧٩
يحيى بن معاذ — ٨٥
يزيد بن ربيع — ٧٥
يزيد بن مسلم — ١٦٨
يزيد بن معاوية — ١٧٨
اليزيدي = أبو عبد الله
يعقوب بن السكيت — ٢٤ ح ، ٣٠ ح ،
١٠١ ، ٨٤ ، ٣٩
يونس — ٧٤ ، ٤٠

(هـ)

هدبة العذري — ٢٠٣
هرمز — ١٠٣
هشام — ١٢
هشام بن عبد الملك — ١٥ ، ١٦٥ ، ١٧٢ ،
١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٨٢ ، ٢٠١
هشام المتكلم — ١٨٩
هشيم — ٣٠
هلال بن مكل النيمري — ١٦٧
الهلالى — ٤٦
هميان بن قحافة — ٣١
الهيثم بن جراد — ٥٨

(و)

واصل بن عطاء — ١٥٨
الواقدي — ٩

تم فهرست الأعلام

فهرست أسماء الأماكن

الواردة في الجزء الثالث من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدي

بولاق — ١٧٠ ح
البيت (بيت الله الحرام) — ٣٠
البيضاء — ١٥٠
بين السورين — ١٦١

(ت)

تبالة — ١٧٢
تستر — ٦٨
تكريت — ١٨ ح
تهامة — ٣٠

(ج)

الجامع — ١٤٧
جامع البصرة — ١٠٠
الجبيل — ٦٨ ح
جبال شمام — ١٤٦
الجبيل — ١٥٥ ، ٢٢١
جرجان — ٧

(ح)

الحجاز — ١٠ ح ، ١٥٧
الحرم — ٣٠
حلوان — ٢٠٥ ح

(ا)

ابنا شمام — ١٤٦ ح
أجباد — ١٦٥
أحد — ١٦٩

أذربيجان — ١٥٥

الأراك — ١٧٢ ح

أردبيل — ٤٥

الإسكندرية — ١٧٩

أصبهان — ٢٨ ، ٦٨ ، ٩١ ح

الأهواز — ٦٨ ، ٧٨

أوريا — ٤٩ ح ، ١٦٧ ح ، ١٧٢ ح ،

١٧٤ ح

(ب)

باب الطاق — ٨٨ ، ١٨٨

باجيري — ١٨

البصرة — ١٥ ح ، ٣٤ ، ١٤٨ ، ١٧١ ،

٢٢٨ ، ١٨٨

البطائح — ٢٢٨

بطن مر — ١٧٢ ح

بغداد (دار السلام) — ٦٩ ، ١٥٣ ح ،

١٦١ ح ، ١٨٨ ، ١٩٧

البيقيم — ١٣

الصيبرة — ٦٨ ح
الصين — ١٢٤

(ط)

الطائف — ١٨٢
طبس — ٩١ ح

(ع)

العراق — ٧ ح، ١٧٧، ١٧٨، ٢٠٨،
٢٢١
العقيق — ٧٠
عمان — ١٧٣

(غ)

الغضا — ٣٩

(ف)

فارس — ٦٨، ٩٩، ١٠٤

(ق)

قاين — ٩١ ح
قبا — ١٠
قزميسين — ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٢٧
قزوين — ٤٥
قنطرة البطريق — ١٦٠ ح
قنطرة الزبد — ١٦٠

(ك)

الكرخ — ١٥٣، ١٦٠

(خ)

خراسان — ٩١ ح، ١٠١، ١٥٧،
١٧١، ١٧٩، ٢٠٠
خوزستان — ٧ ح، ٦٨ ح

(د)

دار الكتب المصرية — ٢٤ ح
درب الحاجب — ٢٢٧، ٢٢٨
درب الرواسين — ٢٢٧
الدينور — ٢٠٥ ح

(ر)

رحى البطريق — ١٦٠
الرصافة — ١٥٣ ح، ٢٠١، ٢٠٧
الرى — ١

(س)

سجستان — ١٧١، ١٩٣، ١٩٨
سامى — ٢٠٣
سوق يحيى — ١٥٣

(ش)

الشام — ٥٩، ١٦١، ١٦٤، ١٧١، ٢٢٨

(ص)

الصراة — ١٦٠
صفين — ١٨٣
صنعاء — ٢٠٨

مكتب الرضى — ١٥٠
مكة — ٣٠، ٧٠، ٨٠، ١٠٣، ١٦٤،
١٦٥، ١٦٦
مهرجان قذق — ٦٨
الموصل — ١٨ ح، ٩٧، ١٥١، ١٥٥

(ن)

النباج — ٥٤
نحران — ١٤٦
نصيبين — ١٥١
التقيع — ١٣
نهر الصراة — ١٦٠
نيسابور — ٩١، ١٨٠، ٢١٩

(هـ)

همدان — ١٤٨، ٢٠٥ ح، ٢١٩

(ي)

الين — ١٥٧، ٢٠٨

الكعبة — ١٩٠
الكوفة — ٥٩، ٧٩، ١٠٣، ١٥٢،
١٥٣، ١٥٤

(ل)

ليبنج — ١٧ ح

(م)

المجمع العلمى العربى — ٢٦ ح
المدينة — ١٣، ١٥، ٢٣، ٣٩،
١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٧١
مدينة السلام (بغداد) — ١٥١، ١٥٣،
٢٢٠

المرج — ١٧٢ ح
مرج راعط — ١٧١ ح
مسجد ابن رغبان — ١٦١
مشرعة الروايا — ٢٢١
مصر — ١٥٧، ١٨١، ٢٣٠
المطبعة العلمية — ٩ ح

فهرست الكتب

الواردة في الجزء الثالث من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدي

ديوان حسان — ٣٨ ح

ديوان الحماسة — ٢٨ ح

ديوان دى الرمة — ٦١ ح

ديوان معن بن أوس — ١٧ ح

(ش)

شرح القاموس — ٥٣ ح

شمر أعشى همدان — ١٧٤ ح

شعر الأعشى — ٤٩ ح ، ١٧٤ ح

(ع)

العقد المريد — ١٠٢ ح ، ١٦٧ ح

١٧٠ ح

عيون الأخبار — ١٠٢ ح ، ١٧٦ ح

(ف)

الفرق بين الفرق — ١٧٦ ح

(ك)

الكامل لابن الأثير — ١٧٦ ح

الكامل للمبرّد — ١٧٣ ح

(١)

إصلاح المطلق لابن السكيت — ٢٤ ح ،

٣٠ ح ، ٣٢ ح

الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني — ١٧٢ ح ،

١٧٧ ح

الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي —

٢٣٠

(ب)

البيان والتبيين للجاحظ — ٢٩ ح

(ت)

التأسي لأبي إسحاق الصائغي — ١٥٩

تاريخ الطبري — ١٦٧ ح ، ١٧٢ ح

التصنيف — ١٨٥

(ح)

الحميون للجاحظ — ٢٥ ، ٣٧ ح

(د)

ديوان جرير — ٩ ح

١٨١ ، ١٧٦ ، ١٧٢ ، ١٧١

١٨٢

فيس — ١٧١

(ك)

الكرد — ١٢٩

كعب — ١٦٧ ، ١٦٨

كلاب — ١٦٧ ، ١٦٨

كلب — ١٧٣

كليب — ٩ ح

كليب بن وائل — ٣٤

(م)

مجامع — ٥٨

مزينة — ١٧٨

المسلمون — ١٥١ ، ١٨٥ ، ١٨٩

(ن)

النبط — ٧

النصارى — ١٩٢

نمير = بنو نمير

(هـ)

همدان — ١٧٤

(ى)

اليهود — ١٧٩

يونان — ١٠٠

(س)

سخينة (لقب لقريش) — ١٧٢

(ش)

شيبان — ٤٧

(ص)

الصوفية — ٩١ ، ٩٢ ، ٩٧ ، ١٤٧

(ع)

عاد — ٤٩ ، ١٠٣

المجم — ١٧٦ ، ١٩٠

عدنان — ٨

العرب — ١٣ ، ١٤ ، ١٧ ح ، ١٨ ح ،

٢٩ ، ٣٩ ، ٤٨ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٠ ،

٦٧ ، ٦٩ ، ٨٥ ، ٩٠ ، ٩٨ ،

١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٢٩ ،

١٣٥ ، ١٦٧ ح ، ١٧٦

(ف)

فزارة — ٢٤

(ق)

القحاطنة — ٨ ، ١٧٥

قريش — ٥٣ ، ١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ،

فهرست أسماء القبائل والأمم والفرق
الواردة في الجزء الثالث من كتاب الإمتاع والمؤانسة
لأبي حيان التوحيدى

(ت)	(ا)
الترك — ١٨ ، ١٢٩ ، ١٧٥ تميم — ١٧٣	آل أبي طالب — ١٠٤ آل أبي معيط — ١٧٦ آل سامان — ٩١ ، ٩٢ آل النبي محمد صلى الله عليه وسلم — ١٥٥ الأعاجم — ١٧٥ الأنصار — ١٦٤ ، ١٦٨ ، ١٦٩
(خ)	(ب)
الخزرج — ١٧٨ خوزان — ٧	باهلة بن يعفر — ١٧٢ بجيلة — ٩ ح بكر بن وائل — ١٧٣ بنو أسد بن خزيمه — ٢٤ ح ١٧٩ بنو بدر — ٤٥ بنو نيم الله — ١٩ بنو الجلاح — ١٦ بنو دبير — ٥٠ بنو عبادة — ١٤ بنو العباس — ١٠٥ ، ٢١٣ بنو خاضرة — ٥١ بنو النجار — ١٦٥ بنو نصر — ٢٠٣ بنو نعيم — ١٦٧ ، ١٦٨
(د)	
الديلم — ٢١٣	
(ذ)	
ذوو مليحا (كذا) — ٢٢٢	
(ر)	
الروم — ٧٢ ح ، ١٢٩ ، ١٥١ ، ١٥٢	
(ز)	
الزنج — ٤٣ ح	

مجموعة المعاني — ٢٤ ح ، ٤٣ ح ، ٤٤ ح

١٠٤ ح

المحسن والأضداد للجاحظ — ٢٤ ح

محاضرات الأدباء للأراغب — ٣٨ ح

الخصص لابن سيدة — ٣١ ح ، ٧١ ح ،

٨٤ ح

معجم البلدان لياقوت — ١٨ ح ، ١٦٠ ح

المعجم الفارسي الإنجليزي لأستائنجاس —

٧٠ ح ، ٧٤ ح ، ٧٥ ح ، ١٧٥ ح

(ن)

النقائض — ٥٨ ح

النهاية لابن الأثير — ٧٢ ح

نهاية الأرب للتويري — ١٦٧ ح

(ي)

يتيمة الدهر للثعالبي — ٧٧ ح

كتاب بغداد للأستاذ لوستراخ — ١٦٠ ح

كتاب التنبيه على أغلاط أبي علي القالي —

٣٦ ح

الكناية والتعريض للثعالبي — ١٦٧ ح

(ل)

لسان العرب لابن منظور — ١١ ح ،

١٣ ح ، ٢٠ ح ، ٢٤ ح ، ٢٩ ح ،

٣٠ ح ، ٣٣ ح ، ٣٦ ح ، ٤٤ ح ،

٤٥ ح ، ٥٢ ح ، ٥٨ ح ، ٦٠ ح ،

٧٠ ح ، ٧٣ ح

(م)

ما يعمل عليه في المضاف والمضاف إليه للمحيي

— ١٣ ح ، ٦٠ ح

مجلة المجمع العلمي العربي — ٢٦ ح

مجمع الأمثال للميداني — ٣٥ ح ، ٣٩ ح ،

١٧٠ ح

ملاحظات للدكتور مصطفى جواد

الأستاذ بمدرسة المعلمين العليا ببغداد

على بعض ألفاظ وردت في الجزء الأول والثاني من كتاب الإمتاع والمؤانسة ننشرها فيما يلي مع جزيل الشكر لكتابها الفاضل على حسن نيته وجميل تقديره لما بذلناه في تصحيح هذا الكتاب من جهد معتذرين إلى حضرته من ذكرنا تلك الملاحظات مجردة عما كتبه حضرته على كل ملاحظة من الشروح والاستدلالات وأسماء المصادر التي رجع إليها ، نظراً إلى ندرة الورق وقلة وجوده .

الجزء الأول

- ١ — ورد في الصفحة « م » من المقدمة في السطر « لأبي على الحسن التنوخي » والصواب « المحسن » .
- ٢ — ص ٦ س ٥ « فوارصها » . الصحيح « عوارصها » .
- ٣ — ص ١٣ س ٨ « ويكون سبباً قوياً على حسن الحال وطلب العيش » . الصواب « قوياً إلى حسن الحال وطيب العيش » .
- ٤ — ص ١٦ س ٦ « الدهر الخالي من الديارين » . الديان هو الله والأولى « الربابين » و « الديارين » وهم المنسوبون إلى الديانة . وهذه الكلمة من كلمات القرن الرابع للهجرة تجددونها في أول صفحة من مروج الذهب للمسعودي .
- ٥ — ص ٢١ س ١ « ولا محاوبة ولا انحياس » وفي الحاشية من التعليق على « محاوبة » ما نصه « لعله مواربة » وفي آخر الكتاب (ص ١) من الاستدراك للأستاذ محمد كرد علي أن صوابها « محاباة » ، فالصواب « محاوبة » بالتاء ، قال الزخمشري في أساس البلاغة « ومن المجاز : حاوتني فلان عن كذا إذا خادعك عنه وراوغك ، وظل فلان يحاوتني بمخادعته ومعناه يداورني فعل الحوت في الماء .
- ٦ — وفي ص ٣٤ س ٩ « ولم يتفوح بردع الفلسفة » وفي الأصل « لم يتفرخ » والصواب « يتضرع » .
- ٧ — وفي ص ٤٠ س ٣ « والأمهر الربوبي » بضم الراء . والذي أعلمه بفتح الراء .
- ٨ — ص ٤٤ س ٦ « تأجيل المهناً » . والذي أراه لمراعاة الأصل « تعجيل المشأ » أي المبادرة باظهار الكراهية والبغضة .
- ٩ — ص ٤٥ س ٨ « كيف استكنى هذه الجماعة حوله » وفي الأصل « استكنفت » ..

فالصواب « استكتفت هذه الجماعة حوله » . وفي أساس البلاغة :
« واستكتف الناس حوالبه : أحذقوا به » .

١٠ — من ٥٠ س ٧ « وبشترنى » . والأولى « وبسترنى » أى أتاح لى اليسر » .

١١ — وجاء فى ص ٥١ س ٧ ذكر « التاسومة » ولم نجدوها فى كتاب لغة . والصحيح أنها وردت فى غير ماذنها فقد ذكرها الهروى مؤلف الغريين فى مادة « نعل » من عريب الحديث ، ونقلها عنه المبارك بن الأثير فى « النهاية » ونقل عن أحدهما الفيومى فى « نعل » من المصباح المنير .

١٢ — من ٦٢ س ١١ « والتشيع الطاهر والدعوى السارية » الح . ولا محل للتشيع أبداً والصواب « التشيع » وهو تكلف الشيع ومنه الحديث النبوى الشريف « المتشيع بما ليس فيه كلابس ثوبى زور » .

١٣ — من ٦٨ س ١٢ « بدافع ما يعلمه » والصواب « بدفع ما يعلمه » أى بانكاره ،

١٤ — وفى ص ٧٠ س ٥ وما بعده حكاية وردت فيها الأعلام . مصحفة وكانت جرت فى عهد بنى أمية فصيرها التصحيف مما جرى فى عهد بنى العباس . وفى الحكاية ذكر أمير المؤمنين المهدي . فالظاهر أن لفظ « المهدي » تصحيف اسم أمير من أسماء بنى أمية كالمهلي وغيره ، وأما « كربز » الوارد فى السطر ٧ فصورانه « كردبن » وهو من رجال الدولة الأموية كما فى عيون الأخبار « ج ١ ص ١٧١ » وأما « دوست » الوارد فى السطر ٩ فصورابه « درست » بالراء وهو من رجال العهد الأموى أيضاً كما فى البيان والتبيين « ج ٢ ص ١٢٧ » .

١٥ — من ٧٢ س ١٦ « وم محاصون به » والصواب « يتحاضون » .

١٦ — وفى ص ٧٩ س ٢ « ويتعاورون » . والصواب « يتعاورون » أى يعير بعضهم على بعض .

١٧ — من ٨٧ س ١٠ « وقم باليسير ورخى العيش » . والصواب « باليسير من رضى العيش » .

١٨ — من ١٠٣ س ١١ « كان يحبط فى هواه » وفى الحاشية أنه « يحط » وأنه تصحيف استوجب التصحيح . قلت : وهذا غير صحيح ، فالأصل هو الفصيح ، قال الزمخشري فى أساس البلاغة « وحط فى هواه وانحط فيه ، ويقال : أكل من حلوائهم فانحط فى أهوائهم » .

١٩ — من ١٠٩ س ٢ « المصاع من صاع الشجاع أفرانه إذا حمل عليهم ففرق جمعهم ، والصواب « ماصع يماصع » أى صرب بالسيف خاصة .

٢٠ — من ١١٩ س ١٢ « أن يبرر لهم ماصح له بالاعتبار » . والصواب « أن يبرز لهم ماصح » .

٢١ — من ١٣٩ س ٧ « وينشم فيهم » والصواب « يشتم » من الشتم .

٢٢ — من ١٤١ س ١٣ « إلا أنه يأتي لابن عباد في سمته » . والصواب « تأتي » أي ترفق وتلطف .

٢٣ — من ١٤٢ س ١٤ « أو أفلح عن كبيرة رغبة » . والصواب « رهبة » .

٢٤ — من ١٤٤ س ١٣ « وسمن بعروا » والصحيح « سمن اليعر » وهو مذكور في حياة الحيوان .

٢٥ — من ١٥٨ س ٧ كل شيء يطلبه ويتوقاه » . : الصواب « ويتوخاه » .

٢٦ — من ١٦٢ س ٩ « العقاب يجلس » والصواب « يجلس » .

٢٧ — من ١٦٨ س ٥ « إلى أن يترحل النهار » نرحل النهار يدل على عكس المراد بالحكاية والصواب « يترجل » أي يعلو ويرتفع .

٢٨ — من ١٧٠ س ٤ « ويستخفي في البحر » ، والصواب « في الشجر » .

٢٩ — من ١٧٥ س ١١ « ثم انعقد في لب » . الصواب « أتعقه » ومصدره الانقاع أي رطبه وربيه بالابن .

٣٠ — ض ١٧٦ س ٣ « حوت يقال له : موفى » . الصواب « موفى » منسوب إلى الموت ، لأنه يماوت ويهلك .

٣١ — من ١٨٠ س ٤ « دابة يقال لها بالفارسية درباست » . والصواب « بادستر » وهو « الجمد بادستر » .

٣٢ — من ١٨٢ س ٨ « الجردان » . والصواب « الفردان » جمع القراد .

٣٣ — من ١٩٠ س ٦ « لسرعة إحناء أجنحته » والصواب « إحناء أجنحته » .

٣٤ — من ١٩٧ س ١ « بما حاج الحبيب حبيب » صوابه « كما حاج الحبيب حبيب » .

٣٥ — من ٢٠٠ س ١٤ « تحركه وتحسسه » . الصواب « تحثته » .

٣٦ — من ٢٢١ س ١٢ « من لقبه الحرسي إلى أي شيء ينسب » . والصواب اللازم صرابة الحرسي إلى أي شيء تنسب .

الجزء الثاني

٣٧ — من ٥ س ١٠ « ولموها للناس » . والصواب « لقوها الناس » فالفعل متعد إلى المفعولين بنفسه .

٣٨ — من ١١ س ٥ « لكن الحريري غلام ابن طرارة هيجه يوماً في الوراقين . الصواب « الحريري » نسبة إلى مذهب محمد بن جرير الطبري المشهور والصواب ابن طرارة (بتخفيف الراء) لا تشديدها .

٣٩ — من ١٣ س ١٣ « ومزقتم بين مجتمعين » . والصواب « وفرقتم بين مجتمعين » .

٤٠ — من ٢١ س ٦ « وإن هذا النعت من قولي ... » . الصواب « وأين » .

٤١ — من ٣١ س ١٨ « الأففى تأخذ السم من الأصلّة » . صوابه « من الأصلّة » وهي نوع من الحيات .

- ٤٢ — ص ٥١ س ٥ « طالحات بالسلام » . صوابه « طالحات بالسنام » .
- ٤٣ — ص ٥٩ س ١٤ شرحتم كله « الصراة » بأنه نهر بالعراق ، وكان الأولى أن يقال « نهر كان ببغداد » .
- ٤٤ — ص ٦٠ س ١ « وياقصرأ بلا مساء » . الصواب « المسناة » وهي البنية التي بني بين القصور وماء النهر لتحفظها من الماء .
- ٤٥ وجاء في ص ٧٩ س ١ « وقلت لابن الجلاء الزاهد بمكة سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة ... » والذي في تاريخ بغداد « ج ٥ ص ٢١٣ » للخطيب البغدادي وأنساب السمعاني بمادة « الجلاء » أن ابن الجلاء توفي سنة « ٣٠٦ هـ » .
- ٤٦ — ص ٩٣ س ١٢ « من صبر باب » . والمحفوظ في الحديث « صبر » .
- ٤٧ — ص ١٣٦ س ٩ « ظاهر النفع في معاينة الروح » . والصواب « معاينة الروح »
- ٤٨ — ص ١٤٣ س ١٠ « ومقاساة الحُرقة » . والصحيح « الحرفة » أي الفقر والعوز .
- ٤٩ — ص ١٥٦ س ٥ « فلما أجمعنا على العجن والملك لم نجد الحراق » ، والصواب « الل » وهو الاختباز على « الملة » أي الجر المختلط بالرماد .
- ٥٠ — ص ١٥٧ س ٥ « الانخزال » . والصواب « الانخزال » .
- ٥١ — ص ١٦٢ س ٧ « والزيادة والرفع » . الصواب « الريع » .
- ٥٢ — ص ١٦٧ س ٦ « [القاطن] في دار العطن عند جامع المدينة » صوابه العاطن في دار القطان كما هو في الأصل .
- ٥٣ — ص ١٧٠ س ٥ « تسحب الحاطر » . الصواب عندى « تشعب الحاطر » .
- ٥٤ — ص ١٧١ س ١٣ « ولا طرب ابن مُصَيِّر القاضي » . قلت : الصواب « ابن مُصَيِّر » بضم الصاد وفتح الباء .
- ٥٥ — ص ١٧٤ س ٩٠ « وقد علق عنازا فهذام كما كنّا » . والصواب « هم » بفتح الهاء وهو موضع الكتبة التي جاء الخبر من أجلها فانه استعمل « هم » العامية العراقية بمعنى « أيضاً » ولا يزال العراقيون يستعملونها ، والكرد أيضاً ، قال الحريري في درة الغواص « ويقولون للمخاطب هم فعلت وهم خرجت » فيزيدون هم في افتتاح الكلام وهو من أشنع الأغلاط ، وعن الأخفش أنه قاله لتلامذته : جنبوني أن تقولوا هم : وأن تقولوا بس وأن تقولوا ليس لفلان بخت . ولذلك قال أبو حيان : « وأصحابا يستملحون قوله هم ها هنا » . ولا استملاح مع « هم » .
- ٥٦ — ص ١٧٦ أيضا س ١٢ « إذا أخذت في هزارها » . وفي الحاشية اعتذار من القموض . قلت : الهزار ها هنا من الفارسية بمعنى « الأنشودة » .
- ٥٧ — ص ١٨٠ س ٣ « والبوراد والجوزيات » . قلت : أما البوراد فقد ذكرها محمد بن الحسن بن الكرمي البغدادي في كتابه « الطيخ » ص ٦٠

فقال « الباب الخامس فى المطجنات والبوارد... » وشرحها بلا داع
طابع الكتاب فقال « هى القول المطبوخة الموضوعه فى الأشياء
الحامضة كالخل وماء الحصرم وماء التفاح (كذا) ... » وأما
« الجوريات » فالظاهر أنها تصحيف « جودابات » جمع « جودابة »
وهى معروفة بين ألوان الأطعمة والحلوى .

٥٨ — ص ١٨٩ س ١٢ « ما يُكسبك الشكر » والصواب « يكسبك » بفتح الياء لأنه
متعد إلى مفعوليه بنفسه .

٥٩ — ص ١٩٥ س ١١ « مستغر بدنه » . والصواب « مستغر » من الاستغفار
وهو معروف .

٦٠ — ص ٢٠٢ س ١١ « وللقديم قدم » . وعندى أن الأصل « وللعديم عدم » .
والله يوفقنا وإياكم للصواب .

مصطفى جبراد

ملاحظات للإستاذ كراوس

على الأجزاء الثلاثة من كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدى

الجزء الأول

- ص ٣٨ : ٤ : بُكْشُ ، والصواب : بَكْشُ (= Bakksus) .
٥٨ : ١٠ : ابن نُوبِجَت — ابن نَوِجَت .
» تعليق ٢ : كان على بن ربن الطبرى نصرانياً لا يهودياً أسلم .
٧٩ : ٩ : يقفور ، صححه كرد على فقفور ، والصحيح : يقفور .
١٦٤ : ٣ : أديوس ، والصواب : أديسوس (Odysseus) .
» ٧ : المتصعب ، والصواب المصمت كما فى الدميرى .
١٩٨ : ١٤ : و ٢٠٢ : ٢ : محس من الإحساس ، والصواب : الأحساس جمع حس .

الجزء الثانى

- ص ٧٧ : ٦ : وهذا أشجعى ، والصواب : إسحاق ، والاسحاقية فرقة من علاة الشيعة قريبة المنصب من الصيرية ، ذكرها الشهرستانى والجرجاني فى التعريفات وغيرها ومؤسسها أبو يعقوب إسحاق بن محمد بن أبان الخنجر الكوفى المتوفى سنة ٢٨٦ هـ .
» : » : قَطْعِي . والأصح : القِطْعِي .
٧٨ : تعليق ١ : ليست الراوندية من اتباع ابن الراوندى الملحد بل هم فرقة من أتباع عبد الله الراوندى قالت بألوهية الخليفة منصور من آل بى عباس ، راجع مقالات الأشعرى ص ٢١ وابن حزم ج ٤ ص ١٨٧ وابن الأثير فى وقائع سنة ١٤١ وما إليها من المصادر .
٨٤ : ١٥ : و ٨٥ : ٢ : استثنائها ، وفى الأصل « أسباب إثباتها » أو « إثبات إثباتها » — أما الصواب بلا شك أنه « إثبات أَرْتِيَّاتِهَا » .
ص ٨٤ : ١٦ : إلى تحقيق إثباتها ، وفى الأصول : ما ينهاها أو مسابقتها — والصواب : إلى تحقيق مائيتها ، والمائية تقابل الأنية .
٨٧ : ٢ : العبارة « بمنزلة » صحيحة وهى ترد هكذا فى كثير من الكتب المترجمة من اليونانية ومعناها « مثل » .
٨٧ : ٥ : والمُرتَّبان ، والصواب : والمِرتَّبان ! أعنى المرة السوداء والمرة الصفراء .
٨٧ : ٦ : الأربع ، والأصح : الأربعة .

- ٩١ : ٢ : بالاستمرار : والصواب : الاستمرار .
- » : ١٠ : ورضوا بالزهد ، وأظن الصواب : ووصَّوا كما في س ١٢ .
- ١٠٥ : ١٢ : لعل الصواب : أحذر لهم الذئب (أو الغراب) وألص [من المعقوق راجع] الأمثال للميداني .
- ١٠٧ : السطر الأخير : الطلاق ، والصواب الطلق .
- ١٠٨ : ٥ : يرسخ ؟ لعله يرشح ؟
- ١٠٨ : ٧ : اللُّك والصواب اللِّك .
- ١١٣ : » : بالحد والاسم ، أليس الصواب : بالحد والرسم .
- » : ١٠ : و ١١ : ماله فيه (منه) ، والصواب عندى مائتته أو ماهيته .
- ١٥٣ الخ : ليس اسم الشاعر اليوناني كندس بل هو إبيقئس (Ibykos) كما في الأصول وقصته مع الكراكي مشهورة متداولة عند كتاب اليونان ، وقد اختارها Sohieecr موضوعاً لقصيدة له — أما اسم الملك فلا شك أنه محرف وكان المنتظر أن يكون Polykrakes الذي عاش لإيقس الشاعر في أيامه ويلاحظ أن اسم إبيقئس مصحح في فهرس الأعلام لهذا الجزء . فراجع .
- ١٥٧ الخ : ينهني صديق M. Stern على أن هذه القصة (قصة المحجوبي واليهودي) وردت في رسائل إخوان الصفاء في الرسالة التاسعة من الجزء الأول منها (ص ٤٦ من القسم الثاني من الجزء الأول من طعة مجباي .
- ١٥٧ : ١٥ : سفرة ، وفي الأصول : في سفره ، والصواب ، كما في رسائل إخوان الصفاء : بغلة له عليها [كل ما يحتاج إليه المسافر] في سفره .

الجزء الثالث

- ص ١٠٨ : ١٦ : النفس عدد محرك بذاته ، كذا في كلتا النسختين وهو صحيح لا يحتاج إلى تصحيح « عدد » بعرض — وهو حد مدرسة فوثاغورس للنفس ، راجع الترجمة العربية للأراء الطبيعية لفلوطرخوس التي نشرتها في ملحق بحثي عن جابر بن حيان (ص ٣٢٢ من الجزء الثاني) : « وأما فوثاغورس فيرى أن النفس عدد محرك ذاته ويعني بقوله العدد العقل » — ولعل الأصح أن يقرأ في « الإمتاع » محرك ذاته أو متحرك بذاته .
- ١٣٠ السطر الأخير : موريس ؟ لعله أمورس ؟
- ١٤٢ : ٢ ، ١٥ وكذلك ١٤٤ : ١٣ : الإحساس ، والصواب : الأحساس ، جمع الحس .
- ١٥٣ : ٧ : أظن أن قراءة نسخة ب (باب الشيعة) صحيحة ، فإن الشيعة تسمى رئيسها الذي يلي في الترتيب الإمام الغائب بابا .

فهرست بما عثرنا عليه من الخطأ
في الجزء الثالث من كتاب الإمتاع والمؤانسة

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١	٥	وَيَضْجَرُونَ	وَيَضْجَرُونَ
٣	٥	معهودة	معهودة
٣	٥	المتزهّد	المتزهّد
٥	١٠	المسلم	المسلم
٧	١٥	نَبِطُ	وَنَبِطُ
١٠	٩	صُهَيْبُ	صُهَيْبُ
١٤	٩	المضمر	المضمر
١٤ ح ٧		نسبى	نسبى
٢٢	٩	لِسِفْوِيه	لِسِفْوِيه
٢٩	٦	فضى	فصى
٣٢ ح ٥		والشويق	والشويق
٦٧	١١	حُسَانَة	حُسَانَة
١٠٩ ح ٤		وودت	وردت
١٢٨	٣	والكبر	والكبر

١٨٢ سطر ١ : وإيم الله انك لتفرغ في إناء يفرغ في إناء ضم . وكتب في الحاشية رقم ١ : كذا ورد قوله لتفرغ في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة ولم تنبئ له معنى الخ . والصواب : انك لتفرغ من إناء فقم في إناء ضم كما في العقد الفريد . ١٨٢ سطر ٢ : « يا براح ما أحوج أهلك إليك » . وكتب في الحاشية رقم ٢ من هذه الصفحة : كذا ورد قوله : يا براح في الأصل ولم تنبئ له معنى الخ . والصواب كما في العقد الفريد « يا بن أخى » مكان قوله : « يا براح » وبعد قوله : « ما أحوج أهلك إليك » قوله : فلا تفجعهم بنفسك .

ص ١٩٦ ص ١٣ ابن كعب الأنصارى . والصواب : أبو كعب
وورد في صفحة ٣١ : أبو الحارث حميد ، صوابه مجيز بالجيم والزاي

